تاريخ المصريين

١٧١

تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر

تأليف

محمد رفعت الإمام



الهيئة المصرية العامة للكتاب

هذا الكتاب يتناول «تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر فى القرن التاسع عشر» والموضوع - كما يرى القارئ - جديد فى حقل الدراسات التاريخية المصرية، ونحن نرحب به فى هذه السلسلة على أمل أن يشجع الباحثين عامة، والجامعيين خاصة، على خوض هذا اللون من الدراسات، فنرى رسائل علمية عن الجاليات التى امتلأت بها مصر فى القرن التاسع عشر!

ففيما عدا الدراسة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور مسعود ضاهر، الأستاذ بالجامعة اللبنانية عن: «الهجرة اللبنانية إلى مصر»، «هجرة الشوام»، والتى صدرت فى منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، فى عام ١٩٨٦ فى بيروت، فانا لا نجد اهتماماً يذكر من جانب الباحثين المصريين بمثل هذا الجانب من جوانب الدراسة التاريخية.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تاريخ

الجالية الأرمنية في مصر

القرن التاسع عشر

تأليف

محمد رفعت الإمام



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

تقديم

يسـرنى أن أقـدم للقـارئ الكريم هذا الكتـاب المهم عن «تاريخ الجالية الأرمينية فى مصر فى القرن التـاسع عشر» للأستاذ محمد رفعت الإمام. وهو فى الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة المنصورة بتقدير ممتـاز، ثم أجـرى تعديلات شـاملة، واضـافـات جديدة عليـهـا، فخرجت على هذا النحو.

والموضـوع - كمـا يرى القـارئ - جديد فى حقل الدراسات التاريخية المصرية، ونحن نرحب به فى هذه السلسلة على أمل أن يشجع البـاحثين عـامة، والجـامعيين خاصة، على خوض هذا اللون من الدراسـات، فنرى رسـائل علمـيـة عن الجـاليـات التى امتلأت بها مصر فى القرن التاسع عشر!

ففيما عدا الدراسة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور مسعود ضاهر، الأستـاذ بالجـامعة اللبنانيـة عن: «الهجـرة اللبنانيـة إلى مـصـر» هجـرة الشـوام، والتى صـدرت فى منشـورات الجـامعـة اللبنانيـة، قسم الدراسـات التـاريخية، فى عـام ١٩٨٦ فى بيروت، فانا لا نجد اهتماما يذكر من جانب البـاحثين المصريين بمثل هذا الجانب من جوانب الدراسة التاريخية.

والكتـاب الذى بين أيدينا ينقسم إلى سـتـة فـصـول وخـاتمة، الفصل الأول بعنوان: «أرمـينيـة والأرمن» ويتـحـدث عن الملامح الجـغـرافـيـة الأرمـينيـة، وسكانهـا، وعن الأرمن تحت الحكم العثمانى.

أمـا الفـصل الثـانى فـهـو بعنوان: «هجـرة الأرمن إلى مـصـر»، ويتناول تـاريخ هذه الـهـجرة، التـى يرجع بـهـا خـاصـة إلى عصر

الفتوح الإسلامية، ويتحدث عن تولى بعض الأرمن المسلمين إمارة مصر خلال العصر العباسى، ويمر بها عبر العصور الإسلامية حتى القرن التاسع عشر، كما يتحدث عن توزيع الأرمن الجغرافى فى مصر.

وفى الفصل الثالث يتحدث الكتاب عن النشاط الاقتصادى للأرمن فى مصر، فيتناول ميادين المال والتجارة، والزراعة، والحرفة، و ملكية الأرض.

أما الفصل الرابع فيتناول الأرمن فى الجهاز الحكومى، وفى إدارة التعليم، والمالية، والسكك الحديدية، والتجارة الخارجية، والحقانية، والداخلية، والأشغال.

أما الفصل الخامس، فيتحدث عن الدور السياسى للأرمن، سواء فى بلاط الحكام، أو فى إدارة الأقاليم، وفى تولى الوزارات (أو النظارات كما كانت تسمى فى ذلك العصر).

اما الفصل السادس، فيتناول الأرمن فى المجتمع المصرى، ودورهم فى التعليم، والصحافة، والفنون.

وينتهى الكتاب بخاتمة تقييمية، وعدة ملاحق مهمة، تتناول حوادث هامة للأرمن فى القرن التاسع عشر، والأستقراطية الأرمينية، ورجال الدين الأرمن، ووثائق تاسيس المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة، ونماذج من تعدادات الأرمن الكاثوليك، بالإضافة إلى معجم وخرائط وصور.

وانى اذ يسعدنى حقا نشر هذا الكتاب فى سلسلة تاريخ المصريين، أمل أن يجد فيه القارئ المثقف والأكاديمى ما ينشد من فائدة ومتعه.

والله الموفق.

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

إهداء

إلى

مُربى الأجيال ... والدي الغالى

الأستاذ

رفعت الإمام

ثمرة من زرعك الطيب

مقدمة

لقد انجذب الباحثون فى معظم أنحاء العالم، ولازالوا، صوب تاريخ الشعب الأرمنى سواء فى أرمينية أو فى المهاجر التى نزحوا إليها واستقروا بها. هذا، ويُلاحظ أن «الهجرة» تُعد من السمات المميزة للشخصية الأرمنية عبر تاريخها. إذ تتصف أرمينية جغرافياً بكونها بيئةً طاردةً للسكان لأنها تشمل مساحات شاسعة غير صالحة لسكنى البشر وتكتظ بالمستنقعات المليئة بالأوبئة وتتعرض دوماً للزلازل والبراكين التى مابرحت تطرد الأرمن خارج بلادهم. وكذا، عاقت البيئة الأرمنية فى الأغلب عن إقامة دولة كبيرة موحدة بسبب تمزقها تضاريسياً وافتقارها إلي طرق طويلة ونقل داخلي منظم وطرق مأمونة إلي البحار. ولما كانت أرمينية «منطقةً بينية» تقع علي مفرق الطرق التجارية والعسكرية بين أوربا وآسيا، فقد غدت هدفاً إستراتيجياً لجميع «القوي الكبرى» المتنافسة التى ظهرت في المنطقة. ولذا، فلا غَرْوَ أن ظلت أرمينية «مستعمرة» في أغلب فترات تاريخها. وقد نجم عن هذا، مزيداً من «نزوح» الأرمن وهجرتهم إلي مناطق متباينة.

ورغم تشتت الأرمن فى بقاع عديدة من العالم، إلا أن حياتهم فى المهاجر قد اتسمت بالتواصل العرقى والمحافظة الاجتماعية. يُساعدهم في هذا، تشبثهم بلغتهم وثقافتهم وهويتهم، ويُغذى هذا من الخلف كنيسة وطنية يُقدسها الأرمن ويتقوقعوا بداخلها إبان أزماتهم ونكابتهم. ولذا، فلا غَرْوَ أن ظلت الكنيسة الأرمنية بمثابة «المغناطيس» الذى يجذب شتات الأرمن خارج أرمينية. ورغم تشبث الأرمن بشخصيتهم العرقية والوطنية والثقافية وعدم ذوبانهم فى المجتمعات التى استعمرتهم أو استطونوا فى رحابها، إلا أنهم اتسموا بقدرتهم علي «التكيف» مع هذه المجتمعات دون الانصهار فيها.

وقد دعا الاهتمام العالمي بتاريخ الأرمن، سواء في أرمينية أو المهاجر، والاهتمام بدور الأقليات في تاريخ مصر إلى اهتمامي بتاريخ الأرمن بعامة وجاليتهم الكائنة في مصر بخاصة. وفي هذا الاطار سجلتُ رسالة الماچستير عن «الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر» وأجازتها كلية الآداب جامعة المنصورة. كما سجلتُ أطروحتي للدكتوراه عن «الأرمن في مصر ١٨٩٦ - ١٩٦١» بكلية البنات جامعة عين شمس تحت إشراف الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق.

وفي الواقع، يُعد القرن التاسع عشر قرناً تاريخياً أنموذجياً، وبحق، لما حدث فيه من تحولات جذرية عميقة سواء في مصر أو في الدولة العثمانية أدت إلى هجرة الأرمن ونزوحهم إلي مصر. ولما كانت مصر القرن التاسع عشر مطمحاً للمغامرين والطموحين لتحقيق طموحاتهم في الإثراء والمكانة الاجتماعية المرموقة، فمابرحت عناصر شتى، ومنها أرمن، تترى إلي مصر. هذا، وقد وفد الأرمن إلي مصر بسمات حضارية خاصة، واكتسبوا سمات حضارية أخرى بفعل تعايشهم في العالمين العثماني والأوربي . وبذا، اتصفوا بازدواجية حضارية جعلتهم على إلمام بالشرق والغرب في آن واحد. وكذا، وفدوا علي مجتمع كبير ذي عناصر متباينة لكل منه سلوكه الحضاري وشخصيته الثقافية. فكيف «تعايش» الأرمن داخل هذا الاطار؟.

أكثر من هذا، ثمة حقيقة مؤداها أن الأرمن هم الجالية غير الإسلامية الوحيدة في مصر التي استأثر بعض أفرادها بمناصب وزارية ظلت حكراً عليهم - أو تكاد - خلال القرن التاسع عشر. فكيف وصل الأرمن إلي هذه المناصب واستأثروا بها؟ ولماذا الأرمن بالذات؟ وماهية اتجاهاتهم؟ ولمن كان يعمل الأرمن؟.

وعندما راح الأرمن يُطالبون بإصلاح أحوالهم فى الدولة العثمانية تعرضوا لاضطهادات مابرحت تدفع الأرمن للنزوح إلي مناطق متباينة. هنا، تُعد مصر من أهم البلاد التى نزح إليها الأرمن اللاجئون الفارين أثر هذه الاضطهادات، بل تُعد مصر أكبر دولة إفريقية استوعبت الأرمن. ولذا، فلا غَرْوَ أن غدت الجالية الأرمنية في مصر من أشهر الجاليات الأرمنية في المهاجر.

وثمة مادة متنوعة قد ساعدت فى إخراج الدراسة على النحو التى ظهرت به. وتأتى على قمتها الوثائق غير المنشورة بـ «دار الوثائق القومية» و «دار المحفوظات العمومية» بالقاهرة. ثم، الوثائق الأرمنية غير المنشورة بأرشيفات المطرانيات الأرمنية بمصر مثل دفاتر المجلس الملي الأرمنى الأرثوذكسى بالقاهرة والإسكندرية الموجودة بأرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة فضلاً عن سجلات المواليد والزواج والوفيات*. وأيضاً، تعدادات الأرمن الكاثوليك المودعة بأرشيف مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة. يُضاف إلي هذا، المادة المستخلصة من شواهد القبور والتحف المودعة بمطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة. ثم، أخيراً ، مجموعة من المذكرات والدراسات المتباينة والموسوعات والدوريات المتنوعة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأرمنية.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ستة فصول تُنهيها خاتمة وثلاثة ملاحق.

---

* قامت الباحثة الفرنسية آنا قازازيان بدراسة هذا الأرشيف فى رسالتها للماجستير المقدمة إلي جامعة بروڤانس بـ «إكس مارسيل» بفرنسا خلال يونية ١٩٩٠.
Kazazian, Anne, Etat des Archives du Patriarcat Arménien Orthodoxe du Caire, Université du Provence - Aix Marseille, Juin 1990.

يستعرض الفصل الأول «أرمينية والأرمن» الملامح الجغرافية لأرمينية ومدى تأثير جغرافيتها على مجرى تاريخها. وكذا، يستعرض أصول الأرمن وسماتهم بعامة. ثم، أوضاع الأرمن تحت الحكم العثمانى حتى اندلاع المذابح فى تسعينيات القرن التاسع عشر.

أما الفصل الثانى «هجرة الأرمن إلي مصر» فيرصد الظروف والعوامل المختلفة التى أدت إلي هجرة الأرمن إلي مصر مع بيان أهم فترات الجذب والطرد. ثم، التوزيع الجغرافي للأرمن في مصر وتركزهم الأساسى فى القاهرة والإسكندرية.

ويُخصص الفصل الثالث «النشاط الاقتصادى للأرمن» لدراسة أنشطتهم المختلفة فى مجالات المال والتجارة والزراعة والحرف والصناعات وملكية الأرض مع بيان التطورات التى طرأت علي هذه الأنشطة وتأثيرها في وضعية الأرمن.

ويستعرض الفصل الرابع «الأرمن في الجهاز الحكومى» وضعية الأرمن في الجهاز الحكومى واشتغالهم بأجهزة التعليم والمالية والسكك الحديدية والتجارة والخارجية والحقانية والداخلية والأشغال.

ويأتى الفصل الخامس «الدور السياسى للأرمن» ليرصد دورهم السياسى منذ أن نشأ في أحضان البلاط وتبلور بشكل ملموس عندما وثّق الأرمن علاقاتهم بالحكام الذين أسندوا إليهم مناصب إدارية ذات سمات سياسية مثل إدارة الأقاليم التابعة لمصر والنظارات المختلفة.

ويتناول الفصل السادس «الأرمن في المجتمع المصرى» دراسة الحياة الداخلية للجالية الأرمنية وعلاقاتها بالعناصر المتباينة الموجودة بمصر فضلاً عن استعراض بعض الأنشطة المتنوعة للأرمن في المجتمع

المصرى مثل التعليم والصحافة والفنون . ثم، الخاتمة التى ترصد أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

أما الملاحق، فأولها يتناول «وثائق تأسيس المجلس الملي الأرمنى بالقاهرة» مترجمةً من الأرمنية إلي العربية. وتُعد هذه الوثائق بمثابة الاعتراف الرسمى بالجالية الأرمنية الأرثوذكسية في مصر. أما الملحق الثانى فهو عبارة عن «معجم» لبعض المصطلحات المختلفة الواردة بالدراسة. وقد آثرتُ أن أجمع هذه المصطلحات فى اطار واحد بدلاً من تشتيت القارئ داخل متن الدراسة بين لحظة وأخرى. وتجدر الإشارة هنا إلي أنني قد جمعتُ ما استطعتُ إليه سبيلاً فقط. ولم أجمع كل المصطلحات الواردة داخل الدراسة لأن ذلك يُعد عملاً شاقاً ويبعد كثيراً عن اطار الموضوع. ولكننى اجتهدتُ - وسع الطاقة - في جمع أهمها وأفيدها للدراسة. وتنتهى هذه الملاحق بثالثها الذى اختص بـ «الخرائط والرسومات البيانية والأشكال والصور المتنوعة».

ثمة إشارة إلي أننى قد آثرتُ كتابة أسماء الأعلام والأماكن الأرمنية الواردة داخل الدراسة حسب نطق الأرمن النازحين من الأناضول، ويُسمون الأرمن الغربيين، وينتمى إليهم معظم أرمن مصر. ويُستثنى من هذا بعض الأسماء التى اشتهرت بالنطق العربى مثل: يوسف حكيكيان بدلاً من هوڤسيب حكيكيان، ويوسف الأرمنى بدلاً من هوڤسيب باليان، وإسطفان دميرچيان بدلاً من إستيبان دميرچيان، ويعقوب أرتين بدلاً من هاجوب أرتين... وهكذا. ومهما كانت لغة المصادر التى نقلتُ عنها، إلا أننى قد وحدتُ كتابة معظم الأسماء حسب النطق الأرمنى. وها هى أهم الأسماء التى وردت داخل الدراسة ومقابلها العربى:

إستيبان ← إسطفان

أنضون ← أنطون

بدروس ← بطرس

داقيت ← داود

جرابيد ← قرة بت

كبريل ← جبريل

كريكور ← جريجور

كيقورك ← چورچ

موقسيس ← موسى

رابائيل ← روفائيل

نيجوغوص ← نيقولا

هاجوب ← يعقوب

هوقسيب ← يوسف

ويبقى أخيراً أن أوجه عميق شكرى وتقديرى وإعزازى إلي جميع الذين أسهموا فى إخراج هذه الدراسة. فأشكر أولاً جميع أفراد أسرتي الذين أسهموا معنوياً ومادياً بكل جهدهم طوال فترة الدراسة. وأشكر الأستاذ الدكتور علي بركات - العميد الأسبق لكلية الآداب جامعة المنصورة - الذى أشرف فترة طويلة علي رسالة الماچستير. ثم أشكر الأستاذ الدكتور طلعت إسماعيل رمضان - وكيل كلية الآداب للدراسات العليا جامعة المنصورة سابقاً - الذى انتقل إليه الإشراف وبذل مجهوداً كبيراً فى إنجاز هذه الدراسة.

وأتقدم بشكر خاص إلى الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان على

ما أسداه، ولازال، من خدمات جليلة للثقافة المصرية بعامة والتاريخية الجادة منها بخاصة.

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة على ما تُقدمه من جهود فى خدمة الثقافتين المصرية والأرمنية.

وكذا، أشكر المطران زاڤين شنشينيان مطران الأرمن الأرثوذكس بمصر، والمطران بطرس تازا مطران الأرمن الكاثوليك بمصر. وأشكر المؤرخ الأستاذ هوڤانيس دير بدروسيان رئيس تحرير جريدة أريڤ اليومية المصرية الأرمنية بالقاهرة. كما أشكر الأستاذين نوبار وهراتش سيمونيان «دار نوبار للطباعة». وأتقدم بشكر خاص إلى الصديق الحميم الدكتور چورچ نوبار سيمونيان (أبو مارينا) المدرس بكلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان.

وكذلك ، أشكر الأستاذ مانويل كريكوريان سكرتير مكتب الإتحاد الخيرى الأرمنى العام بمصر، والموسيقار هايج آڤاكيان المؤرخ والمحلل الموسيقى، وأشكر الأستاذ مراد روبين هاروتيونيان رئيس تحرير بقسم اللغة الإنجليزية في قناة النيل الدولية .

وأخيراً، وليس آخراً ، أشكر الأستاذ بيرج ديكران ترزيان رئيس جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة علي ما أسداه لي من خدمات علمية. فأثابه الله عنى حُسن الثواب.

وعلي الله قصد السبيل

محمد رفعت الإمام

حدائق المعادى - القاهرة

الجمعة ٢٣ يولية ١٩٩٩

الفصل الأول

أرمينية والأرمن

١- الملامح الجغرافية لأرمينية

٢- السكان وأصولهم العرقية

٣- الأرمن تحت الحكم العثماني

١- الملامح الجغرافية لأرمينية

فى الابتداء، ليس ثمة حدود ثابتة لأرمينية عبر تاريخها لأن حدودها دائمة المد والجزر تبعاً لوضعيتها سياسياً وعسكرياً. بيد أن المنطقة التي عُرفت تاريخياً بـ «أرمينية القديمة» قد غطت مساحة شاسعة تحدها آسيا الصغرى من الغرب، وسلسلة جبال القوقاز من الشمال، والبحر الأسود من الشمال الغربى، وبحر كاسبيان (بحر الخزرأو قزوين) من الشمال الشرقى، وأرض فارس من الجنوب الشرقى.[١] وتحديداً، تشمل أرمينية القديمة في الوقت الراهن معظم شرقى تركيا، والجزء الشمالي الشرقى من إيران، وأجزاء من جمهوريتى أذربيجان وجورجيا فضلاً عن جمهورية أرمينية بأكملها.[٢]

وثمة حدود طبيعية تفصل أرمينية عن جيرانها. إذ يفصلها نهر الجور شرقاً عن الأراضي المنخفضة المتاخمة لبحر قزوين، وتفصلها سلسلة جبال بونط شمالاً عن البحر الأسود وجورجيا، وتفصلها سلسلة جبال طوروس جنوبياً عن سورية وكردستان وإيران.[٣]

هذا، وتُشكل أرمينية القديمة وحدة جغرافية تُوصف على نحو دقيق بأنها «جزيرة جبلية» لأن المرتفعات تشغل أكثر من نصف مساحتها.[٤] ويُمثل جبل أراراد أبرز معالمها الجغرافية.[٥] وعليه رست سفينة نوح عليه السلام بعد رحلتها الطويلة من بلاد ما بين النهرين طبقاً لما ورد في سفر التكوين.[٦] (شكل رقم «١»: الأبجدية الأرمنية) ويُعد هذا الجبل أقدم قداس للأرمن ورمز جنسهم الذى يصفه البعض بأنه ينشرخ ويتصدع لكنه راسخ لا ينهار.[٧] وغير أراراد ، ثمة جبال أخرى بأرمينية مثل جبل سيبان (١٤.٤٠ قدم) وجبل أراكادز (١٣.١٠ قدم) وجبل

بينجول (٧٠ - ١٠ قدم) وغيرهم.[٨]

ومن سفوح هذه الجبال تنبع عدة أنهار حفرت دروبها عبر السهول المتباينة ونجم عنها مضايق وأودية ضيقة وشلالات. بيد أنها ليست صالحة برمتها للملاحة. ويُعد نهر أراكس أطول أنهار أرمينية وأهمها قاطبة. يبدأ هذا النهر من جبال الأناضول الشرقية ويصب فى بحر قزوين. هذا، ويتدفق أراكس عبر سهل أراراد ووادى أراكس ويُخصبهما. وكذا، تنبع من سفوح جبال أرمينية أنهار: يبراد (الفرات) وديكريس (دجلة) والجور وغيرهم.[٩] وبجانب الأنهار، ثمة بحيرات بأرمينية مثل ڤان التى تُعد أهم البحيرات وأوسعها وأعمقها (يبلغ طولها «٢٩٠٠» كم وترتفع «١٦٩٠» متر فوق مستوى سطح البحر) وسيڤان أعلي البحيرات (أكثر من «٦٣٠٠» قدم فوق مستوى سطح البحر ويبلغ طولها «١٤١٦» كم) وأورمية (Urmiye = Urmia) أضحلها وأملحها.[١٠]

ويسود أرمينية مناخ قارى. ففى القمم العالية يكون الشتاء قارساً مع سقوط ثلوج كثيفة، ويكون الصيف فى الأراضى المنخفضة جافاً حاراً. ويستمر الشتاء لمدة سبعة أشهر، فى حين لا يزيد الصيف عن ثلاثة أشهر.[١١] وجدير بالذكر أنه تُزرع في الأراضى الصالحة للزراعة بأرمينية عدة محصولات مثل القطن والطباق والكتان والبنجر والمشمش والبطيخ وغيرها. وتُوجد فى غاباتها القليلة بعض الحيوانات مثل الذئاب والدببة والثيران والبغال وغيرها. كما تحظى أرمينية بثروة معدنية من الأحجار الكريمة ومناجم الذهب والفضة والحديد والنحاس والملح وغير ذلك.[١٢]

وهكذا، يُلاحظ أن أرمينية قد اتصفت جغرافياً بالتناقضات بين

الجمال والخراب، وينابيع المياه المتدفقة والأراضي القاحلة، والحرارة المحرقة في الصيف والبرودة القاسية في الشتاء، والسهول الدافئة والجبال المغطاة بالجليد، والهضاب المجدبة والأودية المزدهرة بالمزروعات المتباينة.[١٣]

والحق، أن جغرافية أرمينية قد أثرت إيجابياً وسلبياً في تشكيل مجرى تاريخها. أما إيجابياً، فقد أدت جغرافية أرمينية المعقدة إلي تحمل قاطنيها المصاعب التي أضحت شيئاً طبيعياً بالنسبة إليهم. كما طبَّعت قاطنيها علي أصول الدفاع عن عزتهم القومية وعلي محبة الحرية.[١٤] وفوق هذا، فإن موقع أرمينية جغرافياً قد جعلها حلقة وصل بين الإمبراطوريات المجاورة. وبذا، غدت أرمينية معبراً تجارياً وثقافياً بين آسيا وأوربا مما أتاح للأرمن أن يُطوروا أنفسهم مادياً وثقافياً بإطلاعهم علي معظم معارف العالم المتحضر . وفي المقابل، صار الأرمن الواسطة التي ساعدت أوربا أن تتعلم من آسيا إبان العصور القديمة والوسطى، وأن تتعلم آسيا من أوربا خلال العصور الحديثة. وبعامة، إذا كانت حدود أرمينية الجبلية قد حمتها شمالاً وجنوباً، فإن أودية الأنهار والممرات الأخري قد جعلتها أقل أمناً شرقاً وغرباً. وأخيراً تُعد جغرافية أرمينية مسئولة جزئياً عن بقاء الشعب الأرمني وثقافته.[١٥]

وسلبياً، تُعد أرمينية بيئةً طاردةً جغرافياً للسكان وعائقةً في الأغلب عن إقامة دولة مركزية. إذ تُوجد بأرمينية مساحات شاسعة ليست مناسبة للاستيطان البشري. فبالإضافة إلى البحيرتين الكبيرتين الداخليتين ڤان وسيڤان تُوجد بها جبال شاهقة مغطاة بالجليد. وتخللت أوديتها العميقة الضيقة معظم أراضي المنطقة وجعلت الإتصال صعباً

بينها. ناهيك عن تعرضها دوماً للزلازل والبراكين التي تُزيد من مخاطر الحياة. وكذا، افتقرت أرمينية إلي طريق مناسب ونقل نهري وممر مأمون إلي البحار. فرغم أنها تقع علي مفرق الطرق الرئيسية الممتدة من أسيا الصغرى إلى فارس، ومن البرزخ القوقازى حتى بلاد ما بين النهرين، إلا أن المنطقة ذاتها تفتقر إلي طرق رئيسية. ورغم أن ثلاثة أنهار كبيرة هى آراكس وييراد (الفرات) وديكريس (دجلة) تنبع جميعها من أرمينية، إلا أن أحداً منها لا يصلح للملاحة حتي للمراكب الصغيرة.[١٦] هذا، ولئن كانت السلاسل الجبلية قد قسمت أرمينية داخلياً إلي أقاليم جغرافية متباينة ماانفكت أن تحولت إلي تقسيمات سياسية متناحرة جعلت أرمينية لا تتمتع في معظم فترات تاريخها بإقامة دولة مركزية موحدة يُديرها حاكم قوى،[١٧] فخارجياً، شكلت السلاسل الجبلية من أرمينية «قلعة طبيعية حصينة» أغرت الغزاة مراراً طوال تاريخها وجعلتها منطقة صراع بين الإمبراطوريات المتنافسة بسبب موقعها الجغرافي والإستراتيجي على مفرق الطرق التجارية والعسكرية بين أوربا وآسيا.[١٨]



٢- السكان وأصولهم العرقية

لقد اختلفت الآراء حول أصل الأرمن.[١٩] بيد أن أدقها يذهب إلي أنه خلال النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد قد أصبحت المنطقة التي صارت تُعرف بـ «أرمينية» موطناً لعدد من السكان الذين تباينوا في أصولهم العرقية. ويُمكن تقسيمهم إلي مجموعتين أساسيتين :

١- السكان الأصليون في المنطقة : وهم من أصل قوقازى - أرمينوى Armeno-Caucasian Race[٢٠] أقاموا مملكة عُرفت بـ «أوراردو».

٢- النازحون من البلقان Balkans: وهم قبائل من أصول هندو-أوربية Indo-Europeans قد نزحت إلى المنطقة تحت ضغط الجماعات الإلليرية Illerians مثل الخورى Khurri والموسشكي Muschki والهاياسا Hayasa والإسكيثيين Scythians والأرميناجان Armenagan وغيرهم.[٢١]

وهكذا، غزا النازحون مملكة أوراردو وفرضوا عليها حكمهم. وفي البداية حمل كل عنصر سماته الخاصة ثم مالبثت هذه العناصر جميعاً أن انصهرت في كيان واحد، ساهم فيه الأورارديون بطابعهم الزراعي، في حين ساهم النازحون بلغتهم وبنائهم الاجتماعي المرتكز على دعائم منظمة بدرجة عالية. وكذا، اتسمت هذه العناصر جميعها بطابع حربي.[٢٢]

ويُشير علماء السلالات إلي أن الأرمن نتاج خليط جنسي يتكون من العنصر القوقازى - الأرمينوى Armeno -Caucasian بنسبة «٥٢» والعنصر الألبى Alpine Branch بنسبة «٢٢» والعناصر الشمالية Brach-

icephalous Races بنسبة «١٠» والعنصر الديناري Dinaric Race بنسبة «٩» وعناصر أخرى بنسبة «٦».[٢٣] كما أكد علماء فقه اللغة Philology المقارن وجود بصمات واضحة للغات التراقية والفريچية والآرية واليونانية والفارسية والسريانية والأورارتية علي اللغة الأرمنية مما يدل علي أن الأرمن نتاج امتزاج عدة عناصر عرقية.[٢٤]

ورغم ذلك، يُعد الأرمن من أقل العناصر المختلطة في العالم. ويرجع هذا إلي أن عملية تكوين الشعب الأرمني لم تستغرق فترة طويلة. كما أن أرمينية معزولة جغرافياً عن العالم الخارجي بحدود طبيعية صارمة. وكذا، فإن اتجاه الأرمن إلي الإنعزال فى مسائل دينية قد دعَّم هذه المسألة، ناهيك عن تشبثهم بالزواج فيما بينهم فقط في الغالب.[٢٥]

أطلق أبناء الشعب الجديد علي أنفسهم «هاى» Hai وعلي بلدهم «هايستان» Hayastan. ويُرجع بأن كلمة هاي مأخوذة عن اسم قبيلة هاياسا Hayasa التى تُشكل جزءاً كبيراً فى بنية الشعب الأرمنى، أو أنها مشتقة من كلمة Pati أو Khati وهي اسم وطني الحيثيين، وتعني الكلمتان «رئيس» أو «أمير».[٢٦] أما Armenia فهو الاسم الذي أطلقه الفرس علي منطقة هايستان، وربما اشتقوه من اسم قبيلة الأرميناجان Armenagan، وانتقلت هذه الكلمة عن طريقهم إلى اليونانيين الذين أسموهم Armenioi.[٢٧] ثم انتقلت عن طريق الأخيرين إلي معظم لغات العالم.[٢٨]

ولم تعرف أرمينية الدولة المركزية إلا نادراً. فقد بلغت أوجها إبان حكم ديكران الكبير (٩٥ – ٥٥ ق.م) [انظر خريطة رقم «١»: الإمبراطورية الأرمنية] الذى شيد عاصمة في ديكراناجرد ووحّد الأمراء

الأرمن Nakharars تحت سيطرته وتحدي قوة روما. ورغم أنه أطلق علي نفسه «ملك الملوك»، وهزم الفيالق الرومانية التى جاءت لإبادته، وامتدت حدود أرمينية فى عهده من بحر قزوين حتي البحر المتوسط، وجلس على العرش السليوقى في أنطاكية، إلا أن إمبراطوريته قد انهارت على أيدى القائدين الرومانيين لوكللوس وبومبى وأضحت ولاية رومانية.[٢٩]

وقد أصبحت المسيحية ديانة رسمية لأرمينية[٣٠] فى أو حوالى عام ٣٠٠ ميلادية عندما اعتنقها الملك ديرتاد الثالث (٢٨٦-٣٣٠)[٣١] على أيدى القديس كريكور المُنور Saint Krikor The Illuminator (Lousavorich).[٣٢] وبذا، تكون أرمينية أقدم دولة تعترف بالمسيحية ديانة رسمية لها.[٣٣]

وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية قد استقلت سريعاً عن الكنيسة الأم بقيصرية وأقامت علاقات وثيقة مع السريان الذين زودوها بالكتاب المقدس والطقوس الدينية ومعظم أساليبها التنظيمية. بيد أنها قد استقلت عن الكنيسة السريانية في القرن الخامس الميلادى عندما ابتكر القديس ميسروب أبجدية وطنية وترجم مؤلفات عديدة. ثم رفضت الكنيسة الأرمنية في مجمع دڤين سنة ٥٠٦ تقرير مجمع خلقدونه (٤٥١م) القائل بطبيعتين Dyophysite للسيد المسيح عليه السلام وأصبحت مونوفيزية Monophysite (تُؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح). وعندما انفصلت الكنيسة الجورجية عن الأرمن وانضمت إلي الإغريق الأرثوذكس في مطلع القرن السابع وجد الأرمن أنفسهم مستقلين في عقيدتهم عن غالبية جيرانهم. وأصبحت كنيستهم تُعرف رسمياً بـ «الكنيسة الأرمنية الرسولية الأرثوذكسية».[٣٤]

أما الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية فتُعد عضواً شرقياً في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وقد أسسها بعض الأرمن الذين هربوا في مطلع القرن الثاني عشر أمام السلاجقة وأسسوا مملكة قيليقية Cilicia [أرمينية الصغرى] (١٠٨٠ - ١٣٧٥).(٣٥) ورغم سقوط هذه المملكة في عام ١٣٧٥، إلا أن رهبان الأرمن المعروفين باتحاد إخوة القديس كريكور المُنوِر قد أسسوا الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية تحت تأثير الدومنيكان Dominicians. بيد أنها لم تظهر رسمياً إلا في عام ١٧٤٠ عندما انتُخب الأسقف آبراهام أردزيفيان الأرمني الحلبى الكاثوليكي بطريركاً في سيس بقيليقية.(٣٦)

ويُقيم قداسة الجاثليق Catholicos الرئيس الأعلي للكنيسة الأرمنية في إيتشميادزين. ولكن هذا المقر قد تغير عبر تاريخها أكثر من مرة لأسباب سياسية ودينية. فانتقل إلى دفين بين عامى ٤٨٥-٩٢٧، وكذا إلى أغتامار وأرجينا في شيراك وآني. وانتقل أيضاً إلى هرومجلا (قلعة الروم) على شاطئ الفرات إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر ثم عاد إلي سيس-عاصمة أرمينية الصغرى- وظل الجاثليق مقيماً بها حتى بعد سقوطها على أيدى دولة المماليك في عام ١٣٧٥. وفى عام ١٤٤١ انتُخب الراهب جيراجوس جاثليقاً فى إيتشميادزين بادئاً بذلك سلسلة من الجثالقة الذين حملوا لقب «جاثليق الأرمن جميعاً». أما الرئيس الأعلي للكنيسة الأرمنية الكاثوليكية فقد أقام غالباً فى بيروت وحمل لقب «بطريرك الأرمن الكاثوليك وجاثليق قيليقية» ويحمل دائماً لقب الأب "Peter".(٣٧)

وتجدر الإشارة إلي أن اعتناق أرمينية المسيحية قد رسم المجرى

العام لتاريخها وأدخلها في صراع مع الفرس - حماة الزرادشتية. ففي عام ٤٥١ غزا الملك الفارسي يزدجرد أرمينية بجيش جرار جعل مقدمته أسراباً من الأفيال. واندلعت معركة كبري عند أفارابر استُشهد فيها العديد من الأرمن الذين وضعتهم الكنيسة الأرمنية الرسولية في مصاف قديسيها. وأخيراً، أقلع الفرس عن خططهم لتحويل الأرمن بالإكراه إلي الزرادشتية.(٣٨)

ولما كان الأرمن مشتتين باستمرار خارج أرمينية، فقد قامت كنيستهم بالحفاظ على هذا الشتات. فكل أرمني أينما يعيش يكون متشبثاً بكنيسته وغيوراً عليها. هذا، وقد ولي الأرمن وجوههم شطر كنيستهم عبر قرون طويلة اتصفت بالمحن والاضطهادات كأساس لكيانهم ومرفأ خلاصهم. وبسبب الاضطهادات التى تعرض لها الأرمن علي أيدى القوى الأجنبية، كان آباء الكنيسة هم قادة المجتمع الأرمني بشكل مطلق.(٣٩)

وكذا، ترتب على اعتناق الأرمن المسيحية ظهور ثقافة أرمنية ممتزجة بمؤثرات إغريقية وفارسية غذاها ابتكار القديس ميسروب ماشتوتس(٤٠) أبجدية وطنية في القرن الخامس الميلادى تتكون من ثمانية وثلاثين حرفاً تُناسب تماماً حاجات اللغة الأرمنية(٤١) (انظر شكل رقم «١»: الأبجدية الأرمنية) وقد نجم عن ذلك تأسيس مدرسة لتخريج مترجمين قاموا بترجمة الكتاب المقدس إلى الأرمنية فيما عُرف بـ «ملكة الترجمات».(٤٢)

وبعامة، ظهرت ثقافة أرمنية متنوعة ومتطورة تبلورت بوضوح في نحتهم وتصويرهم وعمارتهم. وقد عبر نشاطهم الفنى في الغالب عن الاستقلال القومى أو شبه الاستقلال. كما قام الكتاب الأرمن بمجهود

كبير فى إيقاظ الوعى القومى لدن الأرمن الذين أصبحوا متململين بشدة من الحكم الأجنبى.[٤٣]

والثابت تاريخياً أن أرمينية قد وقعت في أغلب الفترات تحت سيطرة القوة الكبيرة المهيمنة علي المنطقة مما ألزم الأرمن أن يُصارعوا باستمرار للحفاظ على لغتهم ودينهم وتقاليدهم وهويتهم وكيانهم القومى. وبالتالى، لم تمنحهم هذه الصراعات الفرصة كى يتحدوا ويُقيموا دولة مستقلة بهم. وبسبب ظروف أرمينية الجغرافية والاقتصادية والسياسية، اضطر الأرمن أن يُهاجروا من آن لآخر وشكَّلوا مجتمعات متناثرة عبر أنحاء العالم.[٤٤] ولذا، أُطلق عليهم بحق «أمة في المنفى».[٤٥] ورغم هذا، ظل الأرمن مرتبطين جداً بموطنهم الأم حتى إذا عاش أرمنى حياته كلها في بيئة مائية، إلا أنه يتوق دوماً إلي قمة جبل آراراد المزدوجة. ويذهب البعض إلي أن هذا الرباط العاطفى إزاء الوطن الأم قد حال دون ذوبان الأرمن في المجتمعات الأجنبية التي قادهم مصيرهم للاستقرار بينهم. ولذا، تميزت الحياة الأرمنية في المهاجر بالتواصل العرقي والمحافظة الاجتماعية. [٤٦] ولعل هذا يبدو بوضوح عندما استولي العثمانيون علي أرمينية وحكموا شعبها ما يُناهز الخمسة قرون علي النحو الآتى.



٣- الأرمن تحت الحكم العثماني

لقد أسفرت الحروب المتعاقبة بين الدولتين الفارسية والعثمانية عن تقسيم أرمينية بينهما. فأُطلق اسم «أرمينية العثمانية» على ست ولايات هى : بتليس (بدليس) وأرزن الروم (أرضروم) وڤان (وان) ومعمورة العزيز (خربوط) وجزء من دياربكر وسيواس.[٤٧] (انظر خريطة رقم «٢»: أرمينية العثمانية). وأُطلق اسم «أرمينية الفارسية» على المنطقة الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر آراكس (الرس) وتضم مدن يريڤان وناخشيڤان وإيتشميادزين - المركز الروحى للأرمن - وجبل أراراد. وقد استولى الروس عليها منذ عام ١٨٢٨.[٤٨]

هذا، وقد تم تنظيم الرعايا غير المسلمين وفقاً للنظام الإدارى العثماني فى هياكل شبه مستقلة تُسمى «ملل» Millets تحل محل السلطة المباشرة لحكومة السلطان وتُمثل بؤرة التمركز الاجتماعى. ومنذ البداية، اعترف العثمانيون بملتين مسيحيتين فقط هما: اليونانية والأرمنية. ولم يقم هذا التقسيم على أساس جنس أو قومية ولكنه قام على أساس عقيدة. بذا، وقع الديافزة Dyophysites(المؤمنون بطبيعتين للسيد المسيح عليه السلام) في دائرة اختصاص البطريرك اليونانى، ووقع المنافزة Monophysites (المؤمنون بطبيعة واحدة) في دائرة اختصاص البطريرك الأرمنى.[٤٩]

ولما كان الجاثليق - الأب الروحى للأرمن - يُقيم في الغالب بإيتشميادزين الواقعة خارج نطاق الدولة العثمانية، فقد أسس السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) بطريركية أرمنية بالأستانة Istanbul فى عام ١٤٦١.[٥٠] وبذا، تعين البطريرك الأرمنى رئيساً رسمياً لملته برتبة باشى Bachi وأصبح مسئولاً عن الموظفين والإدارة الروحية والتعليم

العام والمؤسسات الدينية والخيرية لملته. وسُمح له أن يضع في سجن قصره المشاغبين من ملته في جميع الجرائم عدا الإضرار بالأمن العام والخيانة العظمى. كما حظى بامتلاك أراضٍ واسعة معفاة من الضرائب. ولهذا، أصبح الكرسي البطريركي الأرمني مربحاً مادياً ومعنوياً حتى أن الأساقفة الطموحين قد تنافسوا بشدة فيما بينهم للحصول عليه.(٥١)

وقد تكونت بالأستانة شريحة من الأرمن الأثرياء الذين كانوا متعاونين مع الحكومة العثمانية وتلقبوا منذ منتصف القرن الثامن عشر بلقب «أميرا» Amira. وجدير بالذكر أن العامل الذى كان يُحدد الحصول علي هذا اللقب التشريفي هو الثروة ومدى استفادة الحكومة العثمانية منها.(٥٢) وقد عمل معظم الأمراء صيارفة أقرضوا الأموال لحكام الأقاليم وكبار الموظفين لاسيما العاملين منهم بنظام الإلتزام.(٥٣) وكذا، تقلَّد الصيارفة الأمراء نظارة دار سك العملة السلطانية التى احتكرها أمراء أسرة دوزيان علي سبيل المثال منذ عام ١٧٧٥ حتى عام ١٨٨٠.(٥٤) كما كان بعض هؤلاء جواهرجية وصاغة أمدوا أسرة السلطان وحاشيتهم بحوائجهم من الجواهر والأحجار الكريمة مثل أمراء أسرتي ديوغيان وبراميان.(٥٥)

هذا، وقد بلغ تأثير الصيارفة ذروته في الماليات العثمانية بتأسيس اتحاد رسمي لهم في عام ١٨٤٢ أُطلق عليه «اتحاد الأناضول والروميللى» لإقراض الأموال بنسبة «٢٠-٢٥»٪ سنوياً. ولكنه قد فشل لافتقاره إلي التنظيم الفعال والهجوم الشديد علي الفوائد الربوية ناهيك عن منافسة البنوك والرأسماليين الأوربيين التي ظهرت بوضوح في أعقاب حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦).(٥٦)

كما ساهم الأمراء الأرمن في إدارة المشروعات الصناعية القليلة بالأستانة والأقاليم مثل أمراء أسرة أربياريان الذين تقلدوا إدارة مناجم الفضة [٥٧]، وأمراء أسرة داديان الذين تقلدوا إدارة مصانع البارود السلطاني والنسيج والورق حتى أضحت هذه الوظائف امتيازاً أسرياً وقفاً عليهم منذ عام ١٧٩٥ حتى نهاية القرن التاسع عشر.[٥٨] وكذا، تقلد الأمراء الأرمن وظيفة «معمار باشي» السلطان - أي كبير المعماريين - لاسيما أمراء أسرة باليان الذين استأثروها منذ عام ١٧٥٠ حتي نهاية القرن التاسع عشر وشيدوا عدداً كبيراً من المساجد والقصور والمصانع والمنشآت العامة.[٥٩]

وأيضاً، قام الأمراء، كعلمانيين، بدور هام في إدارة الكنيسة الأرمنية وتدخلوا في انتخاب البطاركة وتوسطوا بينهم وبين الحكومة. وقد أثروا بقوة في الإدارة المركزية للتهم بفضل نفوذهم الاقتصادى والسياسى. ولعله من المفيد الإشارة هنا إلي أن الأمراء قد قاموا بأنشطة تعليمية ودينية وخيرية لدعم سلطتهم داخل ملتهم.[٦٠]

وبعامة، فقد انخرط كثير من الأرمن في الهيئة الوظيفية العثمانية وتقلدوا أعلي الوظائف بسبب استعداداتهم لخدمة الدولة وذكائهم وجديتهم وافتقارهم إلي طموحات للاستقلال . وتُشير إحصائية عن موظفي الأرمن في الحكومة العثمانية إلي وجود اثنين وعشرين وزيراً في وزارات الخارجية والمالية والخزانة والأشغال العامة والبريد والتلغراف واللاسلكي، وخمسة وكلاء وزارات، وأربعة أعضاء في مجلس الأعيان وأربعة أعضاء في مجالس الدولة، وعشرة نواب في أول برلمان عثماني «مجلس المبعوثان» سنة ١٨٧٦، وأكثر من عشرة قناصل عموميين، وعدد

من القناصل فى برلين وڤيينا وبروكسل ولندن وروما، وعدد من نائبى الحكام العموميين للأقاليم فضلاً عن الكثير من المستشارين والسكرتيريين والتراجمة والمديرين وغيرهم من الموظفين.(٦١)

هذا، وقد عمل الأرمن صاغة وصناع أحذية وغزالين وخياطين وبناءين وحفارين ونجارين ونقاشين وخبازين وبوابين وسقاءين وميكانيكيين ولحامين وخراطين وصناع أقفال ومراكبية وصيادين.(٦٢) وقد احتكرت النساء الأرمنيات حرفة التطريز الرفيع بالخيط الذهبى على القطيفة التى شاعت بالأستانة، كما برع الأرمن القرويون فى زراعة الزيتون والأعناب والنيلة.(٦٣)

كما كان للأرمن مدارسهم الابتدائية التي ركزت مناهجها التعليمية علي اللغات الأرمنية والتركية والفرنسية ، وبدرجة أقل علي الإنجليزية والألمانية. ودرَّست جغرافية الدولة العثمانية وتاريخها بشكل أساسى، وجغرافية أرمينية وتاريخها بشكل غير رسمى. وكان لها أيضاً مدارس عالية مثل المدرسة المركزية الأرمنية بالأستانة ومدرسة ساناساريان بأرضروم. وكذا، مدارس لاهوتية بقيصرية والقدس.(٦٤)

وقد ازدهرت الصحافة بين الأرمن الذين كانت لهم - إلي جانب صحافتهم - صحافة تركية مطبوعة بالخط الأرمنى موجهة إلي الأرمن الناطقين بالتركية مثل «منادى» لجرابيد بانوسيان و«منظومى إيفكيار» (جامع الآراء) لهوڤسيب ڤارتان. كما نشر الأرمن صحافة باللغة والخط التركيين مثل «تياترو» للكاتب الساخر هاجوب بارونيان و«صحت» (المجلة الصحية) للطبيب اوتوچيان. وامتلك مهران ناكشيان من قيصرية امتياز الجريدة الرسمية «صباح» في تسعينيات القرن التاسع عشر. كما

عمل عدد من الأرمن ناشرين ومترجمين وطباعين ومصممين ومخرجين في الصحافة العثمانية. ولعله من المهم أن نشير في هذا الصدد إلي أن مصمم الحروف العثمانية المطبوعة ومخرجها هو الأرمني «هوڤانيس مهندسيان».(٦٥)

وفوق هذا، كان الأرمن أول من عرَّف العثمانيين المسرح فأسس هاجوب أول مسرح منظم بالأستانة عام ١٨٧٠، وأدخل بابا هامبارتسوم ليمونچيان النوتة الموسيقية لأول مرة في الدولة العثمانية. أكثر من هذا، كان الفنانون لاسيما الممثلات بلا استثناء من الأرمن لأنه لم يُسمح للنساء المسلمات بالوقوف علي خشبة المسرح.(٦٦)

وتجدر الإشارة إلى أن ازدهار الأرمن قد اقتصر على قاطنى المدن الكبري فقط. ففى الوقت الذى أصبحت فيه الأستانة مركزاً اقتصادياً وسياسياً وأدبياً للأرمن الذين نعموا برعاية السلطان ومساعدته حتى غدوا من أرقى العناصر، عاش أرمن الولايات في بؤس وضاقت حياتهم بسبب مجاورتهم القبائل المشاكسة من أكراد وچراكسة وغيرهما ممن اعتادوا سرقتهم والفتك بهم. كما أدت كثرة الحروب بين العثمانيين والفرس والروس على أرض هذه الولايات إلي تردى الحالة الاقتصادية بين الأرمن الذين مابرحوا يُهاجرون إلي الأستانة وغيرها.(٦٧) ورغم هذا، كان الأرمن أشد الشعوب المسيحية في الدولة العثمانية إخلاصاً في خدمتها وآخرها في التحول عن الولاء إليها. فلا غَرْوَ أن أطلق عليهم العثمانيون لقب «الملة الصادقة».(٦٨)

بيد أنه منذ مطلع القرن التاسع عشر أخذت سلسلة من الأحداث تطرأ على الدولة العثمانية مالبثت أن أثرت في وضعية الأرمن بهذه

الدولة. فقد أخذت بعض الأقاليم الأوربية العثمانية تتوق إلي حكم ذاتي أو استقلال. وفي نفس الوقت، انتهجت روسيا سياسة توسعية استعمارية فسعت إلي كسب حدود عثمانية لمد إمبراطوريتها إلي المياه الدافئة في البحر المتوسط. ولتحقيق هذا المطمح عملت علي تقويض القوة العثمانية من الداخل بإثارة الطموحات القومية لدى رعايا السلطان المسيحيين: اليونانيون والسلاڤ في البلقان والأرمن في الأناضول.(٦٩)

وقد نجم عن ذلك اندلاع الثورة اليونانية فى عشرينيات القرن التاسع عشر(٧٠)، فأثارت المشاعر القومية لدى الأرمن وأوحت إليهم بضرورة تدخل القوى الأجنبية لتحقيق طموحاتهم. فاتجه الأرمن إلي روسيا لمساعدتهم في الحصول على حكم ذاتى أو استقلال. ولذا، دعا جاثليق إيتشميادزين كل الأرمن للإنضمام إلى الجيش الروسى إبان زحفه على فارس عام ١٨٢٨ . وفعلاً، ساعدوه في الاستيلاء علي يريڤان وأرمينية الشرقية (الفارسية). كما ساعد بعض الأرمن فى الولايات الأرمنية العثمانية الجيش الروسى خلال عملياته الحربية ضد الدولة العثمانية عام ١٨٢٨، بل هاجر بعض الأرمن إلي روسيا متطلعين إلي حياة أفضل.(٧١)

كما أتاحت حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) فرصة أخرى لروسيا كى تُثير القلاقل في الدولة العثمانية. وقد تعاون خلالها بعض الأرمن في الولايات العثمانية مع روسيا. ولكى يُفوت السلطان العثمانى على روسيا أغراضها، أصدر خطاً همايونياً في ١٨ فبراير ١٨٥٦ مؤكداً المساواة الدينية والقانونية لجميع رعاياه. ورغم ذلك، أصبح المسيحيون في الدولة العثمانية ميالين للقيصر الروسى بدرجة أكبر من السلطان العثمانى.(٧٢)

ومن ناحية أخرى، اضطر العثمانيون إلي الاعتراف بملل أخرى غير اليونانية والأرمنية نتيجةً لضغط البعثات التبشيرية الغربية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فقد كانت الإرساليات الكاثوليكية إلي الدولة العثمانية تهدف إلي إدخال الكنيسة الأرمنية بأكملها تحت سيطرة البابوية. لذا، ركز المبشرون الكاثوليك جهودهم علي تكوين حزب كاثوليكي موال لهم من وجهاء الأرمن (الأمراء) الذين لم يقوموا بأدوار هامة في الإدارة العثمانية فحسب، بل أثروا بشدة في الإدارة المركزية للتهم. وفعلاً، نجحوا في استقطاب أمراء أسرات دوزيان وتنكريان وكيليشيان وإيبيكيان وغيرهم إلي اعتناق الكاثوليكية.(٧٣) ثم تقدم الكاثوليك في عام ١٨٢٧ بالتماس إلي السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩)(٧٤) يناشدونه بتأسيس ملة مستقلة بهم. وفي أعقاب الحرب الروسية العثمانية في عام ١٨٢٨ طالبت إنجلترا وفرنسا السلطان بتأسيس ملة مستقلة للكاثوليك عن البطريرك الأرمني. وفعلاً، اعترف السلطان بالملة الكاثوليكية في ٢٤ مايو ١٨٣١ وأصبح الأسقف هاجوب مانوليان رئيساً للرعايا الكاثوليك في الدولة العثمانية بسلطات مماثلة تقريباً للبطريرك الأرمني.(٧٥)

وفي حين نجح المبشرون الكاثوليك تماماً مع الأرستقراطية الأرمنية، ركز المبشرون البروتستانت نشاطاتهم أساساً بين المثقفين ورجال الدين والحرفيين الأرمن الذين نجحوا تحت حماية قناصل بريطانيا وبروسيا وأمريكا بالأستانة في الحصول علي اعتراف رسمي من الحكومة العثمانية في ٢٧ نوفمبر ١٨٥٠. وفي الواقع، لم يكن البروتستانت «ملة» بالمعني الكامل، فعلى عكس رؤساء الملتين الأرمنية والكاثوليكية، كان النائب البروتستانتي Kapu Oglan أرمنياً علمانياً دائماً وليس له سلطة

دينية. ولكن نظراً لكونه نائباً رسمياً للباب العالي فقد تبعه جميع البروتستانت في الدولة العثمانية.(٧٦)

وهكذا، حققت الكاثوليكية والبروتستانتية مراكز ثابتة بين الأرمن العثمانيين بفضل التفوق العلمي لمبشريهم علي رجال الدين الأرمن الوطنيين فضلاً عن مؤازرة الدول الأوربية لهم.(٧٧) هذا، وقد أثرت هذه النشاطات التبشيرية تعليمياً وثقافياً وإدارياً في الملة الأرمنية. إذ تزايدت الحاجة إبان الربع الثاني من القرن التاسع عشر إلي المدارس العليا داخل الملة الأرمنية لمقاومة المؤسسات التعليمية البروتستانتية.(٧٨) كما أصبح كثير من الطلاب الأرمن فى أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر علي علاقة وطيدة بالحياة الغربية وفكرها من خلال مختلف المؤسسات التعليمية الأوربية لاسيما الفرنسية. وقد قامت مجموعة من هؤلاء الشباب ممن لديهم معرفة علمية وأفكار عن الديمقراطية في أعقاب عودتهم إلي بلادهم بصياغة الدستور الوطني الأرمني في عام ١٨٦٠ وصدقت عليه الحكومة العثمانية في عام ١٨٦٣.(٧٩) وكذا، اعتقد الأرمن أنهم لا يقلون حضارياً عن الشعوب المسيحية البلقانية التي ظفرت باستقلالها عن الدولة العثمانية. ولذا، فقد تعمقت لديهم فكرة مطالبتهم بحكم ذاتى أو استقلال تام، وهى الفكرة التى لاقت قبولاً لدي كثير من الأرمن عدا أصحاب المصالح الذين ظلوا علي ولائهم للباب العالي حفاظاً علي أوضاعهم.(٨٠)

ولكن، تجمعت عدة عوامل حالت دون حصول أرمينية علي حكم ذاتى أو استقلال. فقد انقسم الأرمن سياسياً بين الدولة العثمانية وروسيا، ودينياً بين الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية . كما جاور الأرمن

عناصر مشاكسة مابرحت تسلبهم وتفتك بهم مما دفعهم للهجرة إلي مناطق أخري. وبالإضافة إلي هذا، فلم تُتح جغرافية أرمينية ذات الطبيعة الجبلية لقاطنيها بالتمركز في مساحات تسمح بإقامة دولة مركزية مستقلة. ناهيك عن الموقف السلبى للدول الأوربية تجاه الأرمن حيث كانوا يرمون إلي إبقاء الدولة العثمانية والدفاع عنها ضد توسعات روسيا التي كانت هي الأخرى لا تعطف علي الأرمن بسبب عدائها للكنيسة الأرمنية وطموحاتها التوسعية.[٨١]

ورغم هذا، بدأ البطريرك الطموح مجرديتش خريميان في إثارة الأرمن ضد الدولة العثمانية. ومع تدخل الدول الأوربية في أمور الدولة العثمانية بعد ثورة البوسنة والهرسك في عام ١٨٧٥، تقدم الأرمن عن طريق بطريركهم بمذكرة إلي هذه الدول فى سبتمبر ١٨٧٦ لبحث المشكلة الأرمنية. ولكن لم يبحث هذا المؤتمر مشكلة الأرمن، وفي نفس العام أعلن السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٩) الدستور الذي لم يُهيئ الظروف التي تُمكن الأرمن من الحصول علي حكم ذاتي.[٨٢]

وبالتالي، علق الأرمن آمالهم في الاستقلال علي الحرب الروسية العثمانية التي نشبت عام ١٨٧٧، فانضم كثير منهم إلي القوات الروسية متأثرين بالدعاية الروسية لمساعدتهم في الحصول علي الاستقلال وإنشاء دولة مستقلة بهم في شرقى الأناضول. ونتيجةً لذلك، أعملت الحكومة العثمانية نهباً وحرقاً وتدميراً وأسراً في الولايات الأرمنية مستخدمةً الجيش غير النظامي والقبائل المشاكسة.[٨٣] وعندما وضعت الحرب أوزارها وعُقدت معاهدة الصلح في سان إستيفانو في ٣١ مارس ١٨٧٨، عرض نرسيس ڤارچابيديان بطريرك الأرمن في الأستانة

مشكلتهم علي القائد الروسى نيقولا نيقولاڤيتش وشرح له الأحوال المتردية في الولايات الأرمنية وناشده بأن تتضمن معاهدة الصلح نصاً بخصوص الولايات الأرمنية يضمن إجراء الإصلاحات فيها وعدم التنكيل بأبنائها. وفعلاً، لبي القائد طلب البطريرك وأُدرجت المادة «١٦» من معاهدة سان استيفانو التي نصت علي تنفيذ الإصلاحات وضمان سلامة الأرمن من اعتداءات الأكراد والچراكسة وألا ينسحب الروس من المناطق التي احتلوها في أرمينية حتى تقوم الحكومة العثمانية بتنفيذ تلك الإصلاحات.(٨٤)

ثم تقرر بناءً علي مبادرة من المستشار الألماني بسمارك عقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ لبحث معاهدة سان استيفانو. وعمل الأرمن علي حمل المؤتمر لإقرار المادة «١٦»، فصادق المؤتمر عليها وصارت المادة «٦١» من معاهدة برلين والتي نصت علي : «أن يتعهد الباب العالي، وبدون أي تأخير، بإدخال التحسينات والإصلاحات التي تستلزمها المتطلبات المحلية في الولايات التي يقطنها الأرمن، وضمان أمنهم تجاه الچراكسة والأكراد، كما يتعين علي الباب العالي من حين لآخر أن يُحيط القوي الكبري، التي ستقوم بالإشراف علي تنفيذها، علماً بأى أمر يتعلق بذلك».(٨٥)

وفي الواقع، أصبحت المادة «٦١» من مؤتمر برلين وسيلة تستثمرها الدول الاستعمارية في تحقيق مصالحهم ويُهددون بها السلطان عبد الحميد الثانى. ولم يفد الأرمن منها شيئاً، بل إنها علي النقيض قد حركت ضغائن السلطان ضدهم، فقرر محوهم بكل الوسائل كيلا تتكرر في أرمينية وقائع البلقان وعرضتهم لأشد الاضطهادات وأفظع المذابح. وقد منح السلطان جزيرة قبرص لإنجلترا حتي تغض الطرف عن تنفيذ المادة

«٦١» التي ظلت حبراً علي ورق. وفعلاً، لم تُطالب أية دولة من الموقعين في برلين بتطبيق المادة «٦١» ولم يُعيروا اهتماماً بالمشكلة الأرمنية.[٨٦]

وهكذا، تصاعدت المسألة الأرمنية في أعقاب مؤتمر برلين من كونها مشكلة محلية عثمانية إلي كونها قضية دولية. وتأسست جمعيات وأحزاب أرمنية مثل جمعية أرضروم عام ١٨٨٠ وحزب الأرميناجان في ڤان. بيد أن أهم هذه الأحزاب هما حزب الهنشاك (المنبه) الذي تأسس بچنيف عام ١٨٨٧ وحزب الطاشناق (الإتحاد الثوري الأرمنى) الذى تأسس في تفليس عام ١٨٩٠.[٨٧] والواقع أن هذه الأحزاب كانت ترمى إلي الحصول علي استقلال إدارى تحت مراقبة الدول الكبري، ولم تكن تهدف إلي الاستقلال التام عن الدولة العثمانية. ولكن بينما لجأ الهنشاك إلي الوسائل السلمية، انتهج الطاشناق الوسائل الثورية وربما سعي لنيل استقلال سياسى تام عن الدولة العثمانية.[٨٨]

وهكذا، أدت ثورات الأرمن المتكررة منذ عام ١٨٩٢ ضد الحكومة العثمانية إلي تعرضهم للعديد من المذابح التي اشتدت ضراوتها بعد احتلال أفراد من حزب الطاشناق البنك العثمانى بالأستانة في ٢٦ أغسطس ١٨٩٦ ثم محاولتهم قتل السلطان عبد الحميد أثناء ذهابه لصلاة الجمعة مما دعاه إلي إصدار أوامره بقتل الأرمن في الأستانة وڤان وتيكسار وأرضروم وساسون وغيرها.[٨٩]

ومما هو جدير بالذكر – حسبما أورد شاهد عيان – أن معظم الأهالي العثمانيين لم يُقدموا من تلقاء أنفسهم علي قتل الأرمن بل فعلوا ذلك علي مضض بضغط من حكومتهم، كما كان كثير من العثمانيين يخفون الأرمن

في ديارهم عن مأموري الحكومة. وكذا، استخدمت الحكومة العثمانية الدين الإسلامى لإثارة الاكراد والأتراك المسلمين ضد الأرمن.[٩٠]

ويذهب البعض إلي أن المذابح لم تأت إلا إنعكاساً لروح عنصرية ولدتها نزعة القومية الطورانية التى جنحت لتتريك الشعوب الواقعة تحت سيطرتها مستخدمةً العنف والتنكيل في معالجة القضايا الناجمة عن هذه السياسة العرقية. ولما كان وجود الأرمن يُعد جسماً غريباً قد يحول دون السيطرة علي الولايات التى يستوطنونها فلامناص من تهجيرهم وإبادتهم.[٩١] والحقيقة أن خطورة القضية الأرمنية علي الدولة العثمانية تكمن في مطالبة الأرمن بالقسم الشرقى من الأناضول ليُقيموا عليه دولتهم. وكان الأرمن يقطنون ست ولايات وينتشرون في منطقة واسعة تمتد من حدود القوقاز حتي ساحل البحر المتوسط. وتقع هذه المناطق في أعماق الوطن العثمانى الأصلى، وكان الانسحاب منها يعنى ضربة قاصمة تُؤدى إلي ضياع الدولة العثمانية خاصةً وأن الحدود العثمانية الأوربية قد تراجعت قبل مؤتمر برلين ١٨٧٨ وبعده. ومن هنا، دار الصراع بين القوميتين التركية والأرمنية من أجل البقاء. ولذا، قرر الأتراك إنقاذاً لأنفسهم ترحيل الأرمن عنوة.[٩٢]

ومهما يكن من أمر، فقد أدت المذابح التي ارتكبتها الحكومة العثمانية ضد الأرمن إلي هروب الأخيرين من الأستانة والولايات الأرمنية العثمانية ولجوئهم إلي مناطق عديدة. لعل مصر أهمها.



الهوامش

(١) Encyclopaedia of Islam, London, 1960, Vol. 1, p. 630.

(٢) ترتفع أرمينية «٥٠٠٠» قدم فوق مستوى سطح البحر، وتمتد بين خطي طول «٣٨» و«٤٨» شرقاً وبين دائرتي عرض «٣٧ د» و«٤١ . ٥ د» شمالاً، وتُقدر مساحتها بحوالي «١٢٥ . ٠٠٠» ميل مربع تقريباً.

The New Encyclopaedia Britannica, 30 Volumes, London, 1974, Vol. 1, p.524; Bournoutian, George A., A History of the Armenian People, 2 Vols, California, 1993, Vol. 1, p.4.

(٣) Bournoutian, op. cit., P.4.

(٤) Abeghian, Artashes, "History of Armenia, An Outline", The Armenian Review, Vol. 2, No. 7, Los Angeles, 1949, p.7.

(٥) يقع جبل أراراد حالياً داخل الحدود التركية ويتكون من أراراد الكبير (١٦ . ٩٤٦ قدم) وأراراد الصغير (١٢ . ٨٣٩ قدم). ويُعد الآن من الجبال البركانية التي أضحت خاملة تكسوها الثلوج. وتعني كلمة أراراد «جبل النار» لما كان يلفظه من مواد بركانية مشتعلة. وقد أطلق الأرمن عليه ماسيس Massis، وأطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون على أراراد الكبير لقب «الحارث» وأراراد الصغير لقب «الحويرث»، ولازال الفرس يُسمونه جبل نوح حتى الآن، أما الأتراك فيُسمونه «أغرى داغ». ويُقال أنه جبل الجودى الذى جاء ذكره بالقرآن الكريم بسورة هود بالآية الكريمة. «وقيل يأرض ابلعي ماءك ويسماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بُعداً للقوم الظالمين».

Bournoutian, op. cit., p. 4;

أديب السيد، أرمينية فى التاريخ العربى، المطبعة الحديثة، حلب، ١٩٧٣، ص٢٤؛ فايز نجيب إسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠ هـ / ٦٣٢-٦٦١م)، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٧١، هامش رقم ٢؛ القرآن الكريم ، الجزء الثانى عشر، سورة هود، رقم ١١، الآية رقم ٤٤.

(٦) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح الثامن، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٣.

(٧) Burrt. Joseph. The People of Ararat, London. 1926. pp. 14-16.

(٨) Bournoutian. op. cit.. pp. 4 -5 .

(٩) يُطلق الأرمن على نهر أراكس لقب «أراكس الأم» ويشدوا له كثيراً فى أشعارهم وأغانيهم. ويُوصف وادى أراكس بأنه أرض اللبن والعسل ويعده بعض الكتاب «جنات عدن». وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون عدة أسماء على نهر أراكس مثل «نهر الرس» و«نهر أرس» و«نهر الترس». وجدير بالذكر أن اسم «الرس» قد ورد في القرآن الكريم عندما ذكر الله سبحانه وتعالى ما فعله بأهل الرس بالآية الكريمة: «وعاداً وثموداً وأصحاب الرَّس وقروناً بين ذلك كثيراً . وكلاً ضربنا له الأمثال وكلاً تبرنا تتبيراً».

Lang. David Marshall. Armenia. Cradle of Civilisation. London. 1980. pp. 26-30; Abeghian. op. cit.. p.8;

فايز نجيب إسكندر، المصدر السابق، ص ٩٨، هامش ١٥٠؛ القرآن الكريم، الجزء التاسع عشر، سورة الفرقان رقم ٢٥، الآيتان ٣٨-٣٩.

(١٠) تقع بحيرة ڤان حالياً داخل الحدود التركية. وقد أطلق عليها المؤرخون والجغرافيون المسلمون اسم بحيرة «خلاط» أو «أرجيش». وتحتوى هذه

البحيرة على مادة البورق Borox الثمينة التى تُستخدم فى صنع الزجاج وفي المنظفات. كما يتميز سهل ڤان بالخصوبة الشديدة . أما بحيرة سيڤان فتقع الآن ضمن حدود الجمهورية الأرمنية الحديثة. وتشتهر هذه البحيرة بمياهها الطازجة الصافية الزرقاء ويكثر بها السالمون الفضى. هذا، بينما تقع بحيرة أورمية في الوقت الحالي داخل الحدود الإيرانية.

Bournoutian, op. cit.. p. 5; Abeghian. op. cit., p. 7;

أديب السيد، المصدر السابق ، ص ٢٥.

(١١) Lang, David Marshall, The Armenians. A people in exile. London, 1988, p. 46; Abeghian. op. cit., p. 7.

(١٢) Abeghian. op. cit., p. 8

(١٣) Burrt, op. c it., P. 14

(١٤) ك.ل. أستارچيان، تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الإتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١، ص ٤٥.

(١٥) Bournoutian, op. c it., p. 6.

(١٦) Lang, A people in exile, p. 46.

(١٧) Bournoutian, op. cit., p. 6.

(١٨) تتشابه أرمينية في موقعها الجغرافى مع مصر التى تعرضت بسبب موقعها بين قارات العالم القديم للعديد من الغزوات علي مدار تاريخها . وتختلف أرمينية في هذا الصدد تماماً عن كل من اليابان وإنجلترا وهما معزولتان جغرافياً وقلما تتعرضان لهجمات وغزوات. وجدير بالذكر أن أرمينية قد تعرضت بسبب موقعها الجغرافي الإستراتيجى للغزو والاحتلال من قبل

الميديين والفرس والإغريق والرومان والبيزنطيين والعرب المسلمين والأتراك السلاجقة والأتراك العثمانيين.

Encyclopedia International. Vol. 2, Lexicon Publications, 1981, p. 37; Poladian, Terenig, The Role of Armenia in History, Calcata, 1958, p.2.

(١٩) تذكر أسطورة إغريقية أن اسم «أرمينية» يُنسب إلي أرمينوس Armenus الإغريقى. وقد صيغت هذه الأسطورة بعد استعمار الإغريق ساحل البحر الأسود وأجزاء من آسيا الصغرى لتخدم فكرة تطبيع «هوية إغريقية» على جميع سكان المنطقة. وجدير بالذكر أن مؤرخى الإغريق القدماء ذكروا عدداً من الروايات التاريخية حول أصول الشعب الأرمنى. فطبقاً لهيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، عاش الأرمن أساساً في تراقيا وعبروا منها إلي فريچيا بآسيا الصغرى ثم تحركوا تدريجياً فى إتجاه غرب نهر الفرات إلي ما أصبح يُعرف بـ أرمينية. وطبقاً للمؤرخ الجغرافي سترابو الذى كتب في القرن الأول قبل الميلاد، فقد جاء الأرمن من اتجاهين، أحدهما من الغرب أو فريچيا، والآخر من الجنوب الشرقي أو منطقة بلاد ما بين النهرين وزاجروس. وبعبارة أخرى، لم يكن الأرمن حسب روايات مؤرخي الإغريق القدماء من السكان الأصليين فى المنطقة. وقد ظهروا خلال الفترة الممتدة من الهجرة الفريچية إلي آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتي الهجوم القمرى علي أوراردو في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد أتاح سقوط مملكة أوراردو للأرمن أن يضعوا لأنفسهم موطئ قدم في المنطقة. هذا، وقد سجل اكسنوفون الذى مر بأرمينية خلال عام ٤٠٠ قبل الميلاد أن الأرمن قد استوعبوا معظم السكان المحليين.

وبخلاف الإغريق، طبقاً للروايات الأرمنية الأولي المدونة بين القرنين الخامس

والثامن الميلاديين، فإن الأرمن من سلائل يافث ابن النبى نوح عليه السلام. فبعد أن رست السفينة على جبل أراراد، استقرت عائلة النبى نوح أولاً في أرمينية ثم تحركت الأجيال التالية جنوباً إلى أرض بابل. كان هايج - قائد الأرمن - مستاءً من استبداد بابل، فتمرد عليها وقرر العودة إلى أرض السفينة. طارده بل Bel الشرير - قائد البابليين - وأسفرت الحرب بينهما عن مقتل بل وتكوين دولة أرمنية. أصبح هايج أول حاكم أرمنى واستمر أبناؤه يحكمون الأرمن حتى الملك بارويز - حفيد هايج - الذى أسس أول مملكة في أرمينية وواجه العدو الأشورى.

Bournoutian. op. cit.. pp. 19-20.

(٢٠) هذه المملكة التى ظهرت قبل أرمينية القديمة عبارة عن اتحاد قبائل محلية ازدهرت منذ القرن التاسع حتى بواكير القرن السادس قبل الميلاد. وقد نافست بشدة أشور في سبيل السيطرة علي الشرق الأدنى. وأطلق الأشوريون على هذه المملكة اسم «أوراردو» ربما نسبة إلي جبل أراراد. وكانت مدينة ڤان الواقعة علي شاطئ بحيرة ڤان عاصمة هذه المملكة.

Lang. A people in exile. p. 39; Bournoutian. op. cit., pp. 11-18.

(٢١) Saharouni. Suren. "On The Origins of The Armenians", The Armenian Reveiw. Vol. 13. No. 49. Los Angeles. 1974. pp. 72-73.

(٢٢) Ibid.. p.. 75.

(٢٣) Ibid.. pp. 73-74.

(٢٤) تُعد اللغة الأرمنية مجموعة لغوية فرعية داخل المجموعة الهندو-أوربية ولكنها مشتركة نسبياً مع اللغات القوقازية في الصوتيات وبعض القواعد. وتنقسم اللغة الأرمنية إلي لهجتين رئيسيتين: اللهجة الشرقية التى يتحدث

بها أرمن روسيا وإيران وهى اللغة الرسمية للجمهورية الأرمنية، واللهجة الغربية التي تتكلم بها الجاليات الأرمنية فى تركيا وبعض جهات الشرق الأوسط وأوربا.

Greppin, John, "The Armenian Language", Lexicon Universal Encyclopedia, New York, 1986, p. 173.

(٢٥) Abeghian, op. cit., p. 4.

(٢٦) يرى علماء فقه اللغة أن كلمة Pati ومنها Peter (الأب) قد تطورت إلى كلمة Hair بالأرمنية حيث تحول حرف "P" إلي "H" وحرف "T" إلي "I". كما تُسمى أرمينية مجازاً «كاراستان» في اللغة الأرمنية، أى بلاد الصخور والأحجار لكونها بلاداً جبلية.

Nalbandian, Vartouhie, "The Theory of The Babylonian Origin of The Armenian People", The Armenian Review, Vol. 24, No. 95, Los Angeles, 1971, pp. 26-31.

(٢٧) ظهر اسم Armenia لأول مرة منقوشاً علي صخرة في بلدة تُسمى بيهستون Beheston بفارس في حوالي عام ٥٢١ ق.م إبان حكم الملك الفارسي داريوس الكبير (٥٢١-٤٨٥ ق.م). وقد كُتبت هذه النقوش باللغات الفارسية والعيلامية والبابلية. ووُصفت أرمينية في هذا النقش بكونها مستعمرة فارسية تحكمها أسرة أرمنية وطنية بالاشتراك مع الأمراء الأرمن الإقطاعيين Nakharars.

Lang, A people in exile, p. 41; Encyclopedia International, Vol. 2, p. 37.

(٢٨) أطلق الآراميون على أرمينية اسم «هارمينيياب» (Harmeni) Harmiinyab وأطلق الچورچيون-جيران الأرمن- عليها اسم «سوميختى» Somekheti وأطلق الأتراك عليها اسم «إرمنستان» Ermenistan أى بلاد

الأرمن. وتُكتب بالإنجليزية Armenia، و Arménie بالفرنسية. وجدير بالذكر أن كلمة Armenia قد دخلت اللغة العربية وصارت تُكتب بتاء مربوطة في أخرها، وتُشكل بفتح أو كسر أولها ثم سكون الراء وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة. وأصبحت النسبة إليها أرمني وأرمنية علي غير قياس بدلاً من أرميني وأرمينية والجمع أرمن بفتح الميم.
Abeghian, op. cit., p. 4;

ياقوت الحموى، معجم البلدان، المجلد الأول، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٥٩.

(٢٩) Bournoution. op. cit.,pp. 42-49.

(٣٠) انتشرت العبادات الوثنية بأرمينية قبل اعتناقها المسيحية، وقامت تلك العبادات علي عبادة الشمس والقمر وبعض الآلهة المستعارة من الآشوريين والفرس مثل أهورا - مازد Ahoura-mazde أبى الآلهة جميعاً وخالق كل شئ وڤاندور Vanadour إله الثمر والفيض والبركات ومهر Mihre إله النار والنور ودرى Dre إله العلم والفراسة وڤاهاكن Vahakne إله الشجاعة والبطولة ونانى Nanc إلهة العفة والعصمة وڤينوس (أسدغيج) إلهة الجمال وأناهيد Anahide أم الشعب الأرمنى إلهة الخصب والنماء.
Hastings. james. Encyclopaedia of Religion and Ethics,Vol.1. New York. 1985. pp. 793-801.

(٣١) هو من ملوك المملكة الأرمنية القديمة الرابعة من الأسرة الأرشاجية البارثية التى حكمت أرمينية منذ عام ١٦ حتى عام ٤٢٨ ميلادية وجعلت مدينة أرتكساتا عاصمتها. فبعد أن احتل الفرس أرمينية أرسل الإمبراطور الرومانى دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥) حملة لاسترداد أرمينية فى عام ٢٨٦ بقيادة الأمير الأرمني ديرتاد البارثى الذى اغتاله الفرس وضموا مملكته في

عام ٢٣٨ وتربى وتعلم فى روما وأقام بها فصار مثقفاً بالثقافة الرومانية وعسكرياً ماهراً. وتمكن ديرتاد من طرد القوات الفارسية من أرمينية وتم تتويجه ملكاً عليها. ولكن في عام ٢٩٦ استرد الملك الفارسى أرمينية مرة أخرى وهرب ديرتاد إلي روما ثم ماليث دقلديانوس أن استردها مرة أخرى فى عام ٢٩٧ ونصب ديرتاد ملكاً أيضاً. ومن أهم الأعمال التى قام بها ديرتاد إصداره مرسوماً بالغاء الوثنية القديمة وهدم وإغلاق معابدها في أرمينية.

Bournoutian, op. cit., pp. 53-65.

(٣٢) وُلد كريكور المنور في عام ٢٣٩ ميلادية وسُمى بدايةً بـ «سورين». وهو ابن أناك البارثى الذى قتل الملك الأرمنى خسروف بتحريض من الملك الفارسى أرداشيس. أُرسل كريكور إلي قيصرية – مركز المسيحية – عاصمة إقليم قبادوقيا الرومانى بآسيا الصغرى ليتلقى تعاليمه المسيحية بها. تزوج من فتاة تُسمى مريم ابنة داقيت وأنجب منها ولدين هما أريستاجيس وفارتانيس. ثم تعرف بالملك ديرتاد الثالث البارثى وعمل سكرتيراً له وصادقه حتى صار أقرب رجال بلاطه إليه ومستشاره الأول لدرجة أن اعتنق هذا الملك وشعبه المسيحية علي يديه وعينه ديرتاد بطريكاً لكل الأرمن. وبذا، يكون كريكور المنور قديس أرمينية الأول ورسولها ومؤسس كنيستها الوطنية. توفي عن عمر يُناهز السابعة والثمانين عاماً ودفن ببلدة Tarton بعد أن عاش حياة زاخرة بالإنجازات. وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية تحتفل بذكراه ثلاث مرات سنوياً.

Sarafian, Krikor, The Armenian Apostolic Church, California, 1959, pp. 63-66.

(٣٢) ربما يكون الملك أبكار الخامس الأرمنى ملك أورفا أو الرها Edessa أول

من اعترف بالمسيحية ديانة رسمية لملكته. وجدير بالذكر أن أرمينية قد سبقت الإمبراطورية الرومانية فى اعتناق المسيحية. أكثر من هذا، بلغ اضطهاد الرومان للمسيحيين أوجه إبان اعتناق أرمينية المسيحية الذى تزامن مع عصر الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥) الذى تزايد فيه عدد شهداء المسيحية نتيجة الاضطهاد الناجم عن مرسوم سنة ٣٠٢ الذى أصدره دقلديانوس بتحريض من صهره وقائده وخلفه جالريوس. ولم يبطل اضطهاد المسيحية في الإمبراطورية الرومانية إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧) بعد انفراده بالحكم أثر وفاة شريكه الإمبراطور جالريوس (٣٠٥-٣١١) وذلك بموجب مرسوم ميلان Edict of Milan الصادر فى سنة ٣١٣. وثمة رواية تذكر أن الإمبراطور قسطنطين قد اعتنق المسيحية فى سنة ٣٣٧ قبيل وفاته. ولم تُصبح المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية إلا فى عام ٣٨١ إبان عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول.

إيرل كيرنز، المسيحية عبر العصور، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ١٤١-١٤٦.

(٣٤) يرجع تسميتها بالرسولية إلى الاعتقاد بأن أرمينية قد تنصرت على أيدى الرسولين بارثولوميو وثاديوس . وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية تتفق مع مثيلاتها السريانية والقبطية فى تقرير مبدأ القديس Cyril القائل بطبيعة واحدة للسيد المسيح عليه السلام. وبعامة، تشترك الكنيسة الأرمنية مع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية في المذاهب العقائدية عدا المسألة المونوفيزية.

Ormanian, Malachia, The Church of Armenia, London, 1955, pp. 11-36.

(٣٥) تقع قيليقية Cilicia شمال شرق البحر المتوسط على منعطف تركيا

وسورية عند خليج مرسين وإسكندرونة. وقد أُطلق على مملكة الأرمن فى قيليقية عدة مسميات منها: «أرمينية الصغرى» Little Armenia و«أرمينية في المنفى» Armenia in exile و«أرمينية الخارجة» Armenia in Out و«أرمينية البحرية» Maritime Armenia و«مملكة سيس» نسبة إلي عاصمتها الأخيرة. وقد تأسست هذه المملكة من الأرمن المهاجرين إلي هذه المنطقة حول الإمارة التى أنشأها الأمير الأرمنى روبين في قلعة Bardzberd علي مقربة من سيس في سنة ١٠٨٠ وعاصمتها طرسوس ثم سيس ولقبهم «تاكفور» . وقد حكمتها ثلاث أسرات أرمنية علي التوالى : روبين وهيثوم ولوسينيان. وكان الملك ليفون السادس لوسينيان (١٣٧٣-١٣٧٥) هو آخر ملوكها حيث ضمت دولة المماليك بمصر مملكة أرمينية الصغرى واستولت على عاصمتها سيس وأسرت ملكها واقتيد أسيراً إلي القاهرة حيث ظل منفياً بها حتى سنة ١٣٨٢ حيث افتُدى فرحل إلي باريس وتوفي بها في عام ١٣٩٣.

Bournoutian, Op.. Cit., pp.117-131.

(٣٦) Ormanian, op. cit., pp. 67-70.

(٣٧) The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 1, p. 524.

(٣٨) Bournoutian, op. cit., pp. 77-79.

(٣٩) Poladian, op. cit., p. 14.

(٤٠) وُلد القديس ميسروب فى عام ٣٥٢ بقرية هادزجانز وينتمى إلي عائلة ماميجونيان. تلقى تعليمه الأولي بالمدارس المحلية ثم أكمل دراساته العليا في الرها. أجاد اللغات الأرمنية والآشورية والإغريقية والفارسية. عمل مترجماً في البلاط الأرمنى ثم سكرتير المراسلات الخاصة إبان حكم الملك

خسروف. وأخيراً ترك هذه الوظيفة وترسم ڤارتابيد Vartabed (الراهب الأعزب) في سن الأربعين وكرّس حياته من أجل التبشير بالإنجيل. وبذلك قضى ميسروب معظم وقته داعيةً ليس فقط بين الأرمن، ولكن أيضاً بين الشعوب المجاورة في أغفان وڤيراتزى (چورچيا). توفى ميسروب فى عام ٤٣٨ بمدينة ڤاغارشاباد بالقرب من دير إيتشميادزين.

وتُعد مقبرته الآن مزاراً دينياً للزائرين الأرمن والأجانب، وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية تحتفل بذكراه مرتين سنوياً. والحق، أن ميسروب قد قام بدور بارز في الثقافة الأرمنية. إذ ابتكر الأبجدية الأرمنية بمعاونة القديس ساهاج - الرئيس الأعلي للكنيسة الأرمنية - وإغريقى يُسمى روفانوس. هذا، ولم يبتكر ميسروب أبجدية للأرمن فقط، ولكنه ابتكر أيضاً أبجدية للأغفانيين Aghvans والچورچيين Veratzies . كما أسس المدارس وشجع التعليم القومى الأرمنى بالأبجدية الأرمنية مباشرة.

Sarafian, op. cit., pp. 87-89.

(٤١) ربما تكون الأبجدية الأرمنية مأخوذةً عن الأبجدية الباهلڤية بفارس مع بعض التأثيرات الإغريقية مثل وجود حروف للحركات واتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين. وتتكون الأبجدية الأرمنية من «٣١» حرفاً ساكناً وسبعة حروف متحركة . وتجدر الإشارة إلى أن تأصيل اللغة الأرمنية بهذه الأبجدية يُعد عاملاً هاماً في استمرارية وحدة الأمة الأرمنية وكنيستها . وترجع أقدم الوثائق المكتوبة باللغة الأرمنية إلي القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

Seklemian, A.G. "The Armenian Alphabet", Armenia, Vol. 1, No. 6. U.S.A. 1905, pp. 39-45; The New Encyclopaedia Britannica, Vol.1, p. 524.

(٤٢) Poladian, op. cit., pp. 9-11.

(٤٣) The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 1, p. 525.

(٤٤) Sonyel, Salahi Ramsdam, The Ottoman Armenians, London. 1987, p. 3.

(٤٥) Lang, A people in exile.

(٤٦) Ibid., p. 42.

(٤٧) عبدالعزيز الشناوى، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثاني، ص ١٥٣٦، ١٥٤٧.

(٤٨) فؤاد حسن حافظ، تاريخ الشعب الأرمنى منذ البداية حتي اليوم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص ١٧٢-١٨٠.

(٤٩) وقع جميع المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية تحت سلطة البطريرك اليونانى التى شملت الإغريق والصرب والبلغار والملكانيين Melkites ورومانيا والبوسنة. ووقع المسيحيون غير الأرثوذكس في دائرة اختصاص البطريرك الأرمنى التى شملت الطوائف الأرمنية والأثيوبية والسريانية والچورچية والخلقدونية والقبطية.

هاملتون جب وهارولد بووين، المجتمع الإسلامى والغرب، جزءان، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، سلسلة «تاريخ المصريين»، رقم ٢٦، الجزء الثانى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٠، ص ص ٢٩٦-٢٩٩.

(٥٠) نفسه ، ص ٤١٢.

(٥١) Atamian, Sarkis, The Armenian Community, New York, 1955, pp. 20-27.

(٥٢) Artinian, Vartan, "The Role of the Amiras in the Ottoman Empire", The Armenian Review, Vol. 34, No. 134, Los Angeles, 1981, p. 190.

(٥٣) قام الصرافون بدور هام في نظام الإلتزام العثماني: أى فرض الضرائب على الأراضى الزراعية وجمعها. وفي الواقع كان الصرافون يتكفلون بتجميع الضرائب والإيرادات وإرسالها إلي خزينة الدولة. أما بالنسبة لعملية جمع الضرائب المفروضة علي الأراضى الزراعية المملوكة للدولة فقد كانت تُباع بالمزايدة لمن يدفع أكثر. ويجب علي الباشا المزايد الفائز بالإلتزام أن يكون تحت ضمان صراف، أرمنى في الغالب، لأن المبلغ الذى عرضه لابد أن يُودع فى خزينة الدولة إما بأقساط أو جملة واحدة. ولكى ينال باشا ملتزم الدعم المالي من صراف لابد أن يكون لديه «صك مختوم من الصراف يذكر فيه الأخير أن جميع مطالبه مكفولة». وفي حالة عدم دفع الديون لخزانة الدولة، سوف تُحمل الحكومة المسئولية على الصراف وليس علي الملتزم - الجامع الحقيقي للضريبة. وحتى إذا كان الباشا الملتزم ثرياً، تُصر الدولة علي ضرورة أن يكون تحت ضمان صراف. هذا، وقد اعتاد الصرافون إرسال وكلاء عنهم لمصاحبة الباشوات الملتزمين في المناطق التي يجمعون منها الضرائب. وفي حالة دفع الضرائب عيناً، أى سلع، يبيعها الصرافون. وبذا، يعملون صيارفة وتجار. أما عند توزيع السلع المجموعة فيحصل الصرافون علي عشرة في المائة سمسرة إضافةً إلى فائدتهم في المال المقروض. ونظراً لأن المبلغ المطلوب كان كبيراً، فلم يستطع دخول هذا الميدان إلا الأشخاص الأثرياء جداً خاصة من صيارفة خزينة الدولة العثمانية الذين كانوا في نفس الوقت من حاشية السلطان وتمكنوا من الحصول علي «البراءة» - أى التصريح بضمان الملتزمين - مقابل «١١.٠٠٠» قرش سنوياً.

Barsoumian, Hagop, "Economic Role of the Armenian Amiras Class in the Ottoman Empire", The Armenian Review, Vol. 31, No. 124, Los Angeles, 1979, pp. 310-311.

(٥٤) لقد عُرض إيراد دار سك العملة السلطانية في مزاد شأن بقية المشروعات ذات الإيرادات. هنا أيضاً، كما في نظام الإلتزام، يجب علي المتعاقد الناجح - ويُسمى بالتركية أميل - أن يُسدد المبلغ المطلوب لخزينة الدولة مرة واحدة أو بأقساط منتظمة. وقد تم هذا في الغالب تحت ضمان صراف أرمني. ورغم أن الأميل - جامع الإيرادات والمشرف علي المال - كان مسئولاً عن تجميع الإيرادات، إلا أن العملية الفعلية بدار سك العملة ظلت تحت سيطرة الموظفين الذين عينتهم الدولة وهم: الأمين أو الناظر الذى يُشرف علي دار السك، وصاحب عيار الذي يرأس عمليات السك ويبت في الأمور الفنية والقانونية، والأسطى الذى يُدير عملية السك. وتجدر الإشارة إلي أن معظم هذه الوظائف قد عُهد بإدارتها إلي الأرمن الذين سيطروا فنياً وإدارياً علي دار سك العملة السلطانية. ولعل هذه السيطرة قد ظهرت بوضوح حينما دُونت سجلات هذه الدار بالخط الأرمني.

Ibid., p. 312.

(٥٥) Caprielian, Ara, "The Role of the Armenians in the Ottoman Empire", The Armenian Review, Vol. 21, No. 83, Los Angeles, 1968, p. 53.

(٥٦) Barsoumian, op. cit., p. 312.

(٥٧) Clark, Edward, "The Ottoman Industrial Revolution", The International Journal of Middle East Studies, Vol. 1, London, p. 70.

(٥٨) فى عام ١٧٩٥ كافأ السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) أراكيل أميرا دادايان بتعيينه «بارود چي باشي» أى مشرف علي مصنع البارود بأى

إستيفانو نظير ابتكاراته الفنية. وفي عام ١٨٢٠ تقلد هوڤانيس بن أراكيل أميرا داديان إدارة مصنع الورق السلطاني فى «بيكوز» Beykoz، وفي عام ١٨٢٣ أدار مؤقتاً مصنع البارود بـ «أزادلى» Azadli خلفاً لأخيه، وفي عام ١٨٢٦ أدار مصنع النسيج بـ «أيوب» Ayub ثم عينه السلطان محمود الثانى (١٨٠٨ - ١٨٣٩) «بارود چى باشى» مصنع أزادلي. وتجدر الإشارة إلي أن هوڤانيس كان مخترعاً ومبتكراً بالإضافة إلي مهاراته الإدارية. فقد ابتكر في عام ١٨٢٧ آلة لخرق أخاديد حلزونية داخل مواسير البنادق ثم ابتكر آلة لصقلها. وفي العام التالي ابتكر مضخة ماء وثلاث آلات لصناعة البنادق وأربع أخريات لصناعة النسيج. كما سافر إلي أوربا ثلاث مرات خلال أعوام ١٨٣٥ و ١٨٤٢ و ١٨٤٧ لتنمية معرفته الفنية. وقد أسفرت رحلاته عن دراسته الابتكارات التكنولوچية وجلب آلات حديثة وعمال أوربيين مهرة. وفوق هذا، أشرف هوڤانيس علي كثير من المشروعات الصناعية بالدولة العثمانية منها علي سبيل المثال لا الحصر: عام ١٨٤٠ أشرف على تأسيس مصنع حرير هركه Hereke وعلي مسبك صهر الحديد بأى إستيفانو، وفي عام ١٨٤٢ أشرف على مدبغة بيكوز، وفى عام ١٨٤٤ أشرف علي مصنعين لصناعة الجوخ بإزمت. فضلاً عن هذا، كان هوڤانيس مسئولاً عن استيراد الآلات وعن العلاقات بين الحكومة العثمانية والحكومات الأجنبية. أما نرسيس بن هوڤانيس فقد كان مهندساً ميكانيكياً أسس سكة حديد علي امتداد مضيق البسفور Bosphorus في عام ١٨٤٧ واخترع مضخة ماء تُسهل عملية الضخ من آبار الأستانة. تلك، هي نماذج فقط من أسرة داديان الذين سيطروا تقريباً علي المؤسسات الصناعية بالدولة العثمانية. ولمزيد من التفاصيل حول أسرة داديان انظر:

Boutros-Chali, Anna Naguib, les Dadians. Le Caire, 1965; Ter Minassian, Anahide. "A Family of Armenian Amiras; The

Dadians", The Armenian Review, Vol. 45, No. 179, Los Angeles, 1992, pp. 1-16.

(٥٩) تولي كل من ميلدون أرابيان وسركيس كالفا وظيفة «معمار باشى» السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠) . ولكن أسرة باليان الشهيرة قد احتكرت هذه الوظيفة. فقد أرسل نيجوغوص باليان إلي باريس لدراسة العمارة وبعد عودته شيد قصر ضلمه بخشه الذى أضحى أجمل جوهرة بالأستانة. وفي عام ١٨٦١ أمر السلطان عبدالعزيز (١٨٦١-١٨٧٦) أسرة باليان في أعقاب توليه العرش ببناء قصور ومصانع وأكاديميات عسكرية بشراغان وبيلريك وعلي جانبى البسفور. يُضاف إلي هذا، برج النار Fire Tower علي ارتفاع مائتى قدم وقصر جالاتا وقصور سارة بورنو. وتجدر الإشارة إلى أن معظم الزخرفيين العاملين في القصور السلطانية كانوا في الغالب من الأرمن لأن تصوير الوجوه البشرية والأشخاص كان محرماً دينياً لدى المسلمين.

Artinian, The Role of the Amiras, P. 191; Caprielian, op. cit., p. 54.

(٦٠) علي سبيل المثال، أوقف هارتيون أميرا بيزچيان خلال حكم السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) بغزارة من أمواله الوفيرة على المشروعات الخيرية والدينية والتعليمية. فقد تعهد ببناء المركز البطريركي على نفقته، وبناء مدرستين إبتدائيتين بكوم كابو Kum-Kapu، ومدرسة البنات فى بيرا Pera. وفي عام ١٨٢٠ أسس مدرسة البنات المهنية للتطريز، وفي عام ١٨٣٨ شيد الكاتدرائية المجيدة بكوم كابو. بيد أن أهم أعماله الخيرية هو بناء المستشفى العام بالأستانة عام ١٨٣٣ التي قدمت خدماتها أنذاك للأرمن والأتراك وغيرهما على حد سواء.

Artinian, The Role of the Amiras, pp. 192-193.

(٦١) Sonyel, op. cit., pp. 24-25.

(٦٢) Burrt, op. cit., pp. 123-125.

(٦٣) Caprielian, op. cit., pp. 56-57.

(٦٤) Alaux, Louis, "The Armenian Schools in the Ottoman Empira", Vol. 1, No. 5, U.S.A, 1905, pp. 44-49.

(٦٥) Caprielian, op. cit., pp. 55-58.

(٦٦) Ibid., p. 58.

(٦٧) إستارچيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٦٨) Sonyel, op. cit., p. 11.

(٦٩) Ibid., pp. 11-12.

(٧٠) تُعد حرب الاستقلال اليونانية حدثاً مثيراً على درب الليبرالية Liberalism والقومية Nationalism في أوربا القرن التاسع عشر. وقد اعتبرها الكلاسيكيون Classicists حركة إحياء لأمجاد اليونانيين القدماء ووجد فيها الليبراليون Liberals ثورة شعبية لصالح الليبرالية، وصورها المحافظون Conservatives ذروة الحروب الصليبية بين المسيحيين والمسلمين. وتجدر الإشارة إلى أن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ قد أوحت إلى عقول اليونانيين أن ينتزعوا بلادهم العريقة من سيطرة الدولة العثمانية. إذ كان اليونانيون هم الشعب المستنير والمزدهر في جنوب شرق أوربا ووقع مسيحيو البلقان تحت سلطة بطريركهم . وفي الواقع، تململ اليونانيون لأنهم كانوا مزدهرين ومستنيرين. لذا، بدأ الكتاب الوطنيون يُطلقون علي أنفسهم اسم «الهللينيين» Hellenes. وفوق هذا، اختلفوا عن العثمانيين في لغتهم وأدبهم ودينهم

وتقاليدهم. ومن ثم، كان طبيعياً عليهم أن يتخلصوا من نير الدولة العثمانية. فتكونت نواة الاستقلال الأولي من منظمة سرية تُسمى Hetairia philike التي تأسست عام ١٨١٤ واتخذت فكرها واتجاهاتها من روسيا التي كانت تسعى إلى إسقاط الدولة العثمانية ووصل عدد أعضائها إلى ثمانين ألف عضواً عام ١٨٢٠. وقد تزود هؤلاء بالسلاح والعتاد الحربي في انتظار فرصة لإعلان الثورة ضد الدولة العثمانية . وبدأت الحرب المباشرة عام ١٨٢٠، ولكن على مدى ست سنوات عزلت القوي الأوربية نفسها عن الثوار. وخلال تلك الفترة كانت الحرب قائمةً فقط بين بلاد اليونان والدولة العثمانية. والحق، كانت حرب إبادة رفع خلالها الثوار شعار أن العثمانيين سوف يُبادون في كل أنحاء الأرض. وعندما أعدم العثمانيون بطريرك الكنيسة اليونانية مع العديد من الأساقفة في يوم عيد الفصح عام ١٨٢١، ثار اليونانيون لذلك آخذين مدينة Tripolitza وقتلوا جميع سكانها. ثم رد العثمانيون علي ذلك بمذبحة دموية في شيس Chies . عندئذ ، راحت مصر تحمي مسلمي المنطقة حتى استرد الجيش المصرى سلطة الدولة العثمانية علي اليونان وأصبحت الحرب اليونانية علي شفا الانهيار. هنا، تدخلت القوي الأوربية لتُنقذ اليونانيين من نكباتهم. وفي يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧انهزم الأسطول العثماني - المصرى في معركة نافارين Navarino علي أيدى قوات إنجلترا وروسيا وفرنسا متحدة. ولكن بعد انبثاق الحماس اليوناني، رفضت إنجلترا مساعدة اليونان بشئ آخر وأظهرت فرنسا فتوراً تجاه فكرة قيام دولة يونانية في أعقاب هذه الحروب. لذا، تكفلت روسيا فقط بمسألة اليونان وأعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية عام ١٨٢٨، ولكن الأخيرة سعت تلتمس السلام في مؤتمر أدرنه Treaty of Adrianople الذى انعقد في ١٤ سبتمبر ١٨٢٩. وجدير بالذكر أن روسيا قد ساعدت بكميات كبيرة من

العتاد الحربي خلال حرب الاستقلال اليونانية. وهكذا، حقق اليونانيون استقلالهم بمساعدة القوي الأوربية أكثر من قوتهم الذاتية. إذ كان طبيعياً أن تلقى اليونان تعاطف أوربا لأن اسمها يُسحر عقولهم ويُثير فيها مئات الذكريات الخالدة التي أحدثتها.

Bhattacharjee, Arun, A History of Europe, 2 Vols, New Delhi, 1982, Vol. 2, pp. 119-122.

(٧١) Sonyel, op. cit., p. 13.

(٧٢) Bhattacharjee, op. cit., pp. 203-306.

(٧٣) Artinian, Vartan, "The Formation of Catholic and Protestant Millets in The Ottoman Empire" The Armenian Review. Vol. 28, No. 109, Los Angeles, 1975, pp. 1-5.

(٧٤) لمزيد من التفاصيل حول السلطان محمود الثاني وفترة حكمه انظر

محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٨٩٦، ص ص ١٩٧-٢٣٧.

(٧٥) Artinian, The Formation of, pp. 7 - 8.

(٧٦) Ibid., pp. 8 - 11.

(٧٧) Sonyel, op. cit., p. 20.

(٧٨) Artinian, The Formation of, p. 12 .

(٧٩) Atamian, op. cit., pp. 29 - 41.

ورد نص الدستور الملي الأرمني في :

فيليب جلاد، قاموس الإدارة والقضاء، خمسة مجلدات، الإسكندرية، ١٨٩٥ - ١٩٠١، المجلد الخامس، ص ص ٤٢-٥٥.

(٨٠) Sonyel, op. cit., pp. 20-24.

(٨١) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ص ١٥٤٦-١٥٤٨؛ فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص ص ١٩٣-١٩٤.

(٨٢) محمد عبد الرحمن برج، «القضية الأرمنية بين مؤتمر برلين والحرب العالمية الأولى ١٨٧٨- ١٩١٤»، مجلة المؤرخ المصرى، كلية آداب القاهرة، يناير ١٩٩٠، ص ص ١٨ - ٢٠.

(٨٣) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ص ١٥٤٨ - ١٥٥٠.

(٨٤) شاوارش طوريكيان، القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة : خالد الجبيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية ، ١٩٩٢، ص ٢٤.

(٨٥) نفسه، ص ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٨٦) استارچيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٨٧) Atamian, op. cit., pp. 93-114.

(٨٨) El-Ghocin, Faiez, Les Massacres en Armenie Turque, Beyrouth, 1917, p. 10.

(٨٩) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ص ١٥٦٧ - ١٥٧٦.

(٩٠) El-Ghocin, op. cit., p.1.

(٩١) نعيم اليافى، مجازر الأرمن وموقف الرأى العام العربي منها، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ١٩٩٢، ص ص ١٤-٢٢.

(٩٢) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ص ١٥٥٩ - ١٥٦٠.



الفصل الثانى

هجرة الأرمن الى مصر

١- ظـــروف الهجـــرة

٢- التوزيع الجغرافي للأرمن

١- ظــروف الهجــرة

بدايةً، يُلاحظ أن أرمينية ومصر قد وقعتا في معظم فترات التاريخ تحت حكم دولة واحدة كبرى مثل فارس وروما والدولة العربية الإسلامية والدولة العثمانية مما سهّل حركة الانتقال بين الدولتين. ولما كانت أرمينية بيئةً طاردةً جغرافياً للسكان ومضطربة دوماً سياسياً، فمابرحت الهجرات الأرمنية تترى منذ القدم علي منطقة الشرق الأدنى بخاصة[١] ومصر بالأخص التى تُعد تقليدياً منطقة جذب بشرى علي مدار تاريخها.[٢]

ويذهب البعض إلى أن هجرة الأرمن إلي مصر تعود إلي عصر الأسرات المصرية القديمة ثم تزايدت - إلي حد - خلال الحكم البيزنطى (٥٢٧-٦٤٠).[٣] ولكن، بدأ الأرمن يظهرون نسبياً في مصر منذ الفتح الإسلامي لها حيث اشترك بعضهم ممن أسلموا[٤] في هذا الفتح (٦٣٩-٦٤٢) مثل القائد ڤارتان (وردان) الرومي الذى شيّد سوقاً في الفسطاط - أولي عواصم مصر الإسلامية - عُرفت بـ «سوق ڤارتان». وقد ولاّه الخليفة عثمان بن عفان (٦٤٤-٦٥٦) خراج مصر. واستُشهد في عام ٦٧٣ أثناء غزو البيزنطيين البرلس بساحل مصر الشمالى.[٥]

وكذا، تولي بعض الأرمن المسلمين إمارة مصر خلال الحكم العباسى (٧٥٠-١٢٥٨) مثل الأمير علي بن يحيى الذى تقلدها في عام ٢٢٦ هـ (٨٤٠) ثم في عام ٢٣٤ هـ (٨٤٨) لمدة بلغت نحو سنة وثلاثة أشهر. وقد وصفه ابن تغرى بردى بقوله: «كان أميراً شجاعاً مقداماً جواداً ممدحاً عارفاً بالحروب والوقائع مُدمراً سيوساً محمود السيرة فى ولايته وأصله من الأرمن».[٦]

بيد أن الأرمن قد عاشوا فترةً مزدهرةً فى مصر إبان الحكم الفاطمى (٩٦٩-١١١٧) حيث كانت لهم جالية تتمتع بكامل الحريات الدينية والثقافية والتجارية. وازدادت أعدادهم في مصر الفاطمية بعد خضوع فلسطين وسورية للحكم الفاطمى. ثم نتيجةً لهروب العديد من الأرمن إلي مصر أمام زحف السلاچقة نحو الغرب خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى.[٧]

ويذهب المؤرخون إلى أن بدر الجمالي الأرمنى حينما تولي أمور البلاد المصرية قد بدأ عصر الوزراء العظام أو وزراء السيوف ووزراء التفويض بعد أن كانوا وزراء تنفيذ، وأصبح السلطان الفعلى منذ ذلك الوقت فى أيديهم وتوارى الخلفاء في الظلال.[٨] وكان أغلب هؤلاء الوزراء من الأرمن الذين قاموا بدورٍ كبير في حياة الدولة الفاطمية حتى سُمي النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى بـ «العهد الأرمنى».[٩] إذ تولى بدر الجمالي الوزارة الفاطمية منذ ٢٨ جماد أول ٤٦٦ هـ حتى ربيع ثان ٤٨٧ هـ (١٠٧٠ - ١٠٩٤). ثم تولاَّها ابنه الأفضل شاهنشاه منذ ربيع أول ٤٨٧ هـ حتى آخر رمضان ٥١٥ هـ (١١٣٠-١١٣١)، ثم السعيد أبو الفتح يانس الأرمنى منذ محرم ٥٢٦ هـ حتى ذى الحجة ٥٢٨ هـ (١١٣٢-١١٣٤)، وتولاَّها بهرام (قهرام) الأرمنى منذ ١١ جماد ثان ٥٢٩ حتى ٢١ جماد أول ٥٣١ هـ (١١٣٥-١١٣٧)، ثم طلائع بن رزيك الأرمنى منذ ١٩ ربيع أول ٥٤٩ حتى ١٩ رمضان ٥٥٦ هـ (١١٥٤-١١٦١)، وأخيراً تولاَّها رزيك بن طلائع منذ ١٩ رمضان ٥٥٦ حتى ٢٢ محرم ٥٥٨ هـ (١١٦١-١١٦٣).[١٠]

ولامراء أنه تبعاً لهذا، فقد ازدادت أعدادهم وقويت سلطتهم واتسعت نشاطاتهم التي شملت مجالات السياسة والإدارة والحربية ناهيك عن المجالات العلمية والعمرانية. وبخلاف الشخصيات السابق ذكرها، فقد اشتهر كثيرُ من الأرمن في مصر الفاطمية مثل الأمير عزيز الدولة الأرمني حاكم قلعة حلب إبان حكم الحاكم بأمر الله (٣٨٦-٤١١هـ / ٩٣٦-١٠٢١م) وجعفر المظفر رئيس ديوان الأفضل وقاساك حاكم قوص في عام ١١٢٤ وأبى منصور كُستا حاكم الإسكندرية والقائد تاج الدولة قلماز وغيرهم.[١١]

وبعد زوال الحكم الفاطمي في مصر، اضطهد صلاح الدين الأيوبي (١١٧١-١١٩٣) الأرمن لكونهم من المخلصين للفاطميين كما سرّح جيشهم الذي كان يُشكل جناحاً في الجيش الفاطمي مما أدى إلى قلة عدد الأرمن في مصر. ولكن، عندما فتح صلاح الدين القدس في عام ١١٨٧ أعطى الأرمن امتيازات خاصة وحافظ علي كل حقوقهم في الأراضي المقدسة تقديراً لإخلاصهم وشجاعتهم. وكذا، دخل بعض الأرمن في خدمة صلاح الدين مثل المهندس بهاء الدين قراقوش والحاكم شرف الدين قراقوش ولؤلؤ الحاجب قائد أسطول صلاح الدين والقائد شرف الدين قرقريش.[١٢]

وقد قام المماليك (١٢٥٠-١٥١٧) في مصر بعدة حملات ضد قيليقية (أرمينية الصغرى) حتى أسقطوها نهائياً في عام ١٣٧٥. وبالتالي، ازداد عدد الأرمن في مصر المملوكية بسبب الأسرى الذين جئ بهم من قيليقية. وجديرٌ بالذكر أن المماليك قد استغلوا هؤلاء الأسرى فضلاً عن الأرمن الرقيق في أعمال الزراعة والصناعة. فعلي سبيل المثال، اشتهر

الأرمن بصناعة السجاد الفاخر في أسيوط ، ونظراً لجودته سُمى «السجاد الأرمنى». وأيضاً، اشتهروا بصناعة الصبغة الحمراء فى أشمون. وفوق هذا، استفاد المماليك من الأرمن في إلحاقهم بالجيش بعد تربيتهم إسلامياً. ومما هو جديرٌ بالذكر هنا، أن الأرمن المسيحيين فى مصر المملوكية قد استفادوا من تسامح السلاطين في تشييد كنيسة القديس ميناس بحى كوم الأرمن بالقاهرة لإقامة شعائر دينهم بها. وكذا، برز بعض الأرمن في مصر المملوكية مثل محافظ الدين أبي الفرج وزير السلطان الظاهر برقوق وابنه الوزير تاج الدين عبد الرازق ، وأخيه القاضى يحيى زين الدين مستشار السلطان ظاهر الشقمقى وغيرهم.(١٣)

وقد قلَّ عدد الأرمن نسبياً فى مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨) خلال القرن السادس عشر، ثم تزايدوا تدريجياً خلال القرن السابع عشر حيث أقاموا في حى خان الخليلى وحى كوم الأرمن بالقاهرة فضلاً عن الإسكندرية ورشيد و دمياط. وأسسوا كنيسة القديس سركيس فضلاً عن دير مارمينا الذى أسسوا مقابرهم بجواره. وانتشر الأرمن الحرفيون المتخصصون في المشغولات الذهبية والأسلحة بحي خان الخليلى . وكذا، أقام التجار الأرمن علاقات تجارية مع أسواق الهند والجزيرة العربية والحبشة. ورغم هذا، كان الأرمن في مصر وقتئذ من أفقر السكان قاطبةً.(١٤)

أما خلال القرن الثامن عشر، فقد أخذت أحوال الأرمن في الازدهار نسبياً علي أثر زيادة أهمية المدن المصرية في التجارة الدولية عندما ضعف تدريجياً طريق البنغال - البصرة - حلب - الأستانة وحل محله

طريق السويس والبحر الأحمر. عندئذٍ، تزايدت أهمية القاهرة ورشيد ودمياط كمحطات تجارية. وبدأ التجار الأوربيون يستفيدون من الأرمن واليونانيين والسوريين الموجودين بمصر كوسطاء تجاريين. وقد أدى هذا، بلامراء، في إثراء بعض التجار الأرمن.(١٥) وتجدرُ الإشارة إلي أن الأرمن كانوا يعتنقون الدين الإسلامي للحصول على وظائف عسكرية وإدارية؛ إذ أنه كان من الصعب الحصول عليٍ مثل هذه الوظائف وهم يعتنقون المسيحية. كما كانوا يتخذون أسماءً إسلامية. وبذا، اشتهر بعض الأرمن في مصر العثمانية مثل الأمير سليمان بك وابنه عثمان بك السردار والسنجق علي بك أبي العزب ومصطفي الجبرجى أو المملوك الجبرجى.(١٦)

أكثر من هذا، اشتغل بعض الأرمن وقتئذ مفاوضين دبلوماسيين. فمثلاً ، عندما طردَ على بك الكبير (١٧٦٨-١٧٧٢) الوالي العثمانى فى عام ١٧٦٨ وأراد أن يتحالف مع روسيا ضد الدولة العثمانية أرسل في عام ١٧٧١ مع ذى الفقار بك أرمنياً يُسمى هاجوب للتفاوض مع الكونت أورلوف Orlove الذى أرسلَ في عام ١٧٧٢ إلي مصر مدفعين وذخيرة وستة مراكب صغيرة مجهزة بمدافع. وأيضاً، كان قائد الأسطول الذى كونه مراد بك (الأرمنى) أرمنياً يُسمي نيجوغوص وكانت أغلبية البحارة من الأرمن الذين جيِئ بهم من الأستانة.(١٧)

ولكن، تسببت الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) في خسائر لأرمن مصر. إذ اتفق الفرنسيون مع الأقباط وألغوا الامتيازات التجارية للأرمن. ومن ناحية أخرى، نظر المسلمون إلي كل المسيحيين الموجودين بمصر علي أنهم حلفاء للفرنسيين، ولهذا، انتهج المصريون سياسةً

عدائيةً ضد الأرمن. وبذا، لم تفلت الأحياء التى يقطنها أرمن من إعتداءات المصريين إبان ثوراتهم ضد الفرنسيين. وبعد جلاء الفرنسيين، لم تُصبح حياة الأرمن أكثر أماناً فى اطار الفوضي التي سادت أثر الصراعات العثمانية المملوكية علي الحكم.(١٨)

وهكذا، يُلاحظ استمرار الهجرة الأرمنية إلي مصر، وإن انقطعت أحياناً، قبل القرن التاسع عشر. وبعامة، حقق الأرمن مستوى معيشى لائق في مصر العصور الوسطى، وإن تعرضوا لبعض الاضطهادات، إلا أنهم قد عاشوا عصراً ذهبياً إبان الحكم الفاطمى حيث ارتقوا إلي أعلي المناصب واستأثروا بها وتمتعوا بكامل الحريات. وهو أيضاً ما حدث فى مصر الحديثة إبان القرن التاسع عشر - زمن الدراسة - الذى شهِدَ العديد من التطورات التي كانت غالباً في صالح نزوح الأرمن بكثرة إلي مصر وتقلدهم أعلي المناصب.

بدايةً، شهد حكم محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٩) نزوح موجات أرمنية إلي مصر. ويرتبط هذا أساساً بشخص محمد علي ذاته وظروف حكمه. فرغم قلة المعلومات عن حياة محمد علي قبل مجيئه إلى مصر، إلاَّ أن هناك ما يُشير إلي وجود علاقات مبكرة له ببعض الأرمن أدت إلي حبه لهم. فقد اشتغل محمد علي في صباه بتجارة الدخان عند تاجر أرمنى يُسمى قرة قهيا يراميان فلاقي منه معاملة أبوية.(١٩) ولذا، عندما تولي حكم مصر ردَّ الجميل لأسرة قرة قهيا جاعلاً إياهم صرافيه في الأستانة.(٢٠) ومما يُؤكد حب محمد علي لهذه الأسرة أنه عندما قُبِض علي أبراهام قرة قهيا بسبب اشتراكه في ثورة الأرمن ضد بطريركيتهم في الأستانة عام ١٨٢٠ توسَّطَ محمد علي لدن السلطان مما أدى إلي إطلاق سراح أبراهام.(٢١)

وأيضاً، عندما التحق محمد علي بالفرقة الألبانية التى كانت جزءاً من الحملة العثمانية علي مصر ضد الفرنسيين لم تكن لديه السيولة النقدية لتجهيز حملة عسكرية. لهذا، استدان مبلغاً كبيراً من التاجر الأرمني يغيازار أميرا بدروسيان دون أية ضمانات. وعندما أصبح محمد علي حاكماً علي مصر، ردَّ الجميل ليغيازار نظير ثقته فيه جاعلاً إياه صرافه في الأستانة.(٢٢) ثم، استدعاه إلي مصر وعيَّنه «صراف باشى» الخزينة - كبير الصيارفة.(٢٣)

وقد سعى محمد علي إلي إقامة حكم ذاتي في مصر. ولهذا، قام بسلسلة من الإصلاحات الاقتصادية والإدارية التي استلزمت إدارتها أعواناً مخلصين. وبالتالى، آثرَ محمد علي الاعتماد على عناصر تتميز بالولاء لشخصه حتى تُؤازره في تحقيق مشروعاته الإصلاحية. وقد كان الأرمن فى طليعة العناصر التى رحبَّت بالعمل إلى جانب محمد علي وفى مشروعاته. ويُؤكد المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى (٢٤) هذه الحقيقة في فترةٍ مبكرةٍ من حكم محمد على بقوله: «.... ولا يتقرب إليه من يُريد قربه إلا بمساعدته على مراداته ومقاصده... وخصوصاً أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم».(٢٥)

وكذا، وثق محمد علي بالأرمن كثيراً حتي أنه قد سمح لهم بالعمل في الحرملك. فعلي سبيل المثال، عمل خسروف تشراكيان مترجماً لحريم محمد على، وكان إستيبان كيڤوركيان الطبيب الخاص لحريم القصر.(٢٦) وأدار الأرمن الثروات الخاصة لأفراد أسرة محمد علي. فمثلاً، أدار سوكياس تشراكيان - والد الأخوين أرتين وخسروف تشراكيان - الأمور المالية لطوسون بن محمد على.(٢٧)

ورغم العلاقة الأبوية التي مابرح محمد علي يُظهرُها تجاه الأرمن، إلا أنه في النهاية كان يسعى وراء تحقيق مصالحه الذاتية. ومن ثم، كانت هناك أسباب عملية وراء اعتماد محمد علي بشكل ملحوظ على الأرمن إضافةً إلي حبه لهم وثقته فيهم. ففي الابتداء، لم يكن الأرمن العثمانيون أثناء حكم محمد على قد تطلعوا إلي إقامة دولة مستقلة بهم. وبالتالى ، كانوا فى حاجة إلي حماية سياسية سرعان ما وجدوها فى شخص محمد علي الذى وفّر لهم هذه الحماية نظير ولائهم. وأيضاً، لن يُهدد الأرمن محمد علي عسكرياً لأنهم سوف يعملون في وظائف مدنية، ولن يُضمروا طموحات للقبض على دفة الحكومة لأنهم مسيحيون.[٢٨]

وكذا، امتاز الأرمن بكونهم علي دراية تامة بالشرق وعاداته وفى نفس الوقت كانوا علي علاقة وثيقة بالمجتمعات الأوربية. لذا، غدوا مطلوبين تراجمة ووسطاء فى المعاملات التجارية والمداولات الدبلوماسية بين محمد علي والأجانب.[٢٩] ويُؤكد محمد علي مراراً فى أوامره على ضرورة استخدام موظفين أرمن لأنهم يُديرون وظائفهم بأمانة كبيرة وذمة عظيمة وهمة شديدة ويقظة فائقة.[٣٠]

وقد احتاجت مشروعات محمد علي المتباينة متخصصين لم يتوافروا بين المصريين آنئذ. لذا، اعتمد على غير أبناء البلد. [٣١] وفي هذا، استدعى محمد على عدداً من الأرمن المتخصصين في زراعة النيلة وصناعتها[٣٢] ، وآخرين لتعليم نقاشى القماش المصريين فن التطريز[٣٣] ناهيك عن الحرفيين المتخصصين في الإنشاء والمعمار وغير ذلك.[٣٤]

وأيضاً، احتاجت هذه المشروعات إلي رؤوس أموال. والحق، كان محمد علي واعياً بدرجة كبيرة إلي حقيقة أن الاعتماد علي رأس المال

الأوربي سوف يُتيح الفرصة أمام الأوربيين ليتدخلوا في أوامره الداخلية. ولذا، ظل طوال حكمه يعتمد فقط في معاملاته المالية علي الصيارفة الرعية من يونانيين ويهود وأرمن. فمثلاً، رغم حاجته الماسة إلى المال في عام ١٨٣٢ إبان حملاته على الشام، إلا أنه رفض العروض التي اقترحها عليه روتشيلد Rothschild وغيره من الصيارفة الأوربيين وآثرَ التعامل مع الصيارفة الرعية[٣٥] لاسيما الأرمن الذين تميزوا عن اليونانيين واليهود بعدم طلبهم الحماية القانونية من أية دولة أوربية طوال حكم محمد علي لأنهم وجدوا هذه الحماية في شخص الأخير ذاته.[٣٦]

كما أجرى محمد علي عدة إصلاحات جذرية في الجمارك والمواصلات والأمن والقضاء وغير هذا مما شجَّع استثمار الأموال في مصر. لهذا، نزحَ الأرمن من الأناضول (آسيا الصغرى) إلي مصر لاستثمار أموالهم التي جمعوها من جباية ضرائب أو صناعة محلية أو تجارة. ومما دفع الأرمن إلي النزوح إلي مصر أيضاً أن طبيعة الاستثمار العام للاقتصاد الريفي السائد فى الأناضول لم تُساعدهم علي الإثراء.[٣٧]

وفوق هذا، اتصف حكم محمد علي بالسماحة الدينية التي أثارت المسلمين مراراً حسبما أورد الجبرتي. ولكن، لم يعبأ محمد علي بهم لأنه كان في حاجة ماسة إلي غير المسلمين فما برح يُحسن من وضعهم ويستفيد من خدماتهم.[٣٨] وبذا، استفاد الأرمن من هذه السماحة في عودة بعض الأرمن الذين كانوا قد أسلموا إلي المسيحية. بالإضافة إلى إنشاء كُتاب لتعليم أطفالهم، وبناء مستشفى لمعالجة فقرائهم، وبناء البيت الروحى لاستقبال الحجيج القادمين من بلاد مجاورة في طريقهم إلي

القدس، وبناء مضيفة لاجتماع المجلس الملى الأرمنى الكبير[٣٩] ، وبناء كنائس مثل كنيسة سورب أسدڤادزادزين (العذراء) فى بين الصورين بالقاهرة في عام ١٨٣٩ للأرمن الأرثوذكس[٤٠] وكنيسة سورب كريكور لوساڤوريتش (المضئ) بدرب الجنينة للأرمن الكاثوليك في عام ١٨٤١.[٤١] ولامراء أن هذا الاستقرار الذى نتج عن تسامح محمد علي قد شجَّع الأرمن علي المجئ لمصر.

وأخيراً، استفاد الأرمن من وجود بوغوص بك يوسفيان (١٧٦٨-١٨٤٤) - ناظر التجارة والأمور الإفرنجية - وثقة محمد علي الشديدة به في النزوح إلي مصر. فقد استدعى بوغوص عدداً كبيراً من الأسرات الأرمنية إلي مصر مثل أسرات يوسفيان ونوباريان وآبرويان وتشراكيان وحكيكيان وغيرهم.[٤٢] وهى الأسرات التى ظلت تخدم في الإدارة المصرية خلال القرن التاسع عشر. وأيضاً، قدَّمَ بوغوص نصائحه وتوجيهاته إلي الأرمن، ومنحَ بعضهم إمتيازات، وأقنعَ محمد علي بمنح امتيازات أخرى لبعضهم، وأتاحَ لبعضهم فرصاً في التعليم والوظائف.[٤٣] أكثر من هذا، وفَّر لهم الأمان والحماية. ويكفى دليلاً علي هذا أن إستيبان أبرويان - والد ديكران أبرويان - عندما أعربَ عن تخوفه علي الأرمن في مصر بعد وفاة بوغوص، ردَّ عليه محمد على قائلاً: «... مادامَ محمد علي وأبناؤه علي قيد الحياة، فلا خوفٌ علي الأرمن الذين لهم الحق في طلب أى شئ منى خاصةً أقارب بوغوص ومعارفه».[٤٤] وهكذا، دَعَّمَ بوغوص يوسفيان تواجد الجالية الأرمنية وطموحاتها في مصر مستفيداً من وضعيته لدن محمد علي. و بذا، يُمكننا أن نُطلق عليه، وبحق، **«مؤسس الجالية الأرمنية في مصر»**.

ولهذا كله، ازدادَ عدد الأرمن في مصر خلال حكم محمد علي وارتفع دورهم في خدمة مختلف مجالات الإدارة والاقتصاد. ويُشير الجبرتي إلي هذه الحقيقة منذ فترة مبكرة من حكم محمد علي عندما وصفَ الأرمن بأنهم «أصحاب الرأى والمشورة».[٤٥] وكذا، يُؤكد هامون Hamont هذه الحقيقة بقوله: «إن الأرمن دخلوا في كل مكان .....».[٤٦]

وبذا، ارتبط محمد علي والأرمن على نحوٍ وثيق. فتمسك محمد علي بهم لأنهم أدوات طيعة في تنفيذ سياساته. أما الأرمن فقد ارتبطوا بمحمد علي لأنه وفَّرَ لهم الحماية وقَلَّدَهُم المناصب الكبري وحقَّقَ لهم طموحاتهم في الإثراء. ولذا، عاش الأرمن آمنين في مناصبهم وأوضاعهم طيلة عصر محمد علي لأن حكمه المطلق أسكتَ صوت المُستاء.

ويذهب البعض إلى أن وفاة محمد علي وولاية عباس الأول الحكم بين عامى ١٨٤٩ - ١٨٥٤ قد حجماً المشاركة الفعالة للأرمن في مصر خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر. ويرجع هذا، وفقاً لرأيهم، إلي كراهية عباس للأرمن أثر دورهم المؤثر خلال حكم محمد علي.[٤٧] بيد أنه رغم الارتباط الوثيق بين محمد علي والأرمن وكراهية عباس لهم، إلا أنه يُمكن رصد ظاهرة تذبذُب هجرة الأرمن إلي مصر خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر في اطار الظروف التى مرت بمصر والدولة العثمانية منذ أواخر حكم محمد على.

بدايةً، كانت بريطانيا تسعى إلي عرقلة طموحات محمد على في الاستقلال عن طريق ضرب الأساس الاقتصادى الذى ارتكز عليه حكمه. ولذا، عقدت إتفاقية بلطة ليمان التجارية في عام ١٨٣٨ مع الدولة

العثمانية تنص علي حرية التجارة داخل أملاكها. ويذهب البعض إلي أن هدف بريطانيا الحقيقى من وراء هذه الإتفاقية هو إلغاء نظام الاحتكار وتقليل إيرادات محمد علي أكثر منه الدفاع عن مكاسب التجارة البريطانية.[٤٨] وبإلغاء نظام الاحتكار متزامناً مع تغلغل رأس المال الأوربى وُجهت ضربة قاصمة للأرمن الذين كانوا يستفيدون بشدة من وراء هذا النظام.

وأيضاً، شهد حكم عباس هجرات مضادة. إذ منعَ الأوربيين واليونانيين والشوام والأرمن من تَخطى القاهرة والإسكندرية إلي أعماق البلاد. وكذا، شَهِدَ حكمه تعصباً دينياً ضد المسيحيين بعامة وحرمانهم من حرية العبادة والاستيلاء علي أوقافهم.[٤٩] ولاريب أن هذا قد أدى إلي عودة العديد من الأرمن إلي مواطنهم الأم. هذا، وقد اضطهد عباس الموظفين الذين كانوا مُخلصين لمحمد علي ولم يتكيفوا مع نظامه السياسى. كما أبعد عن الخدمة من كان يعدهم أنصاراً لفرنسا. لذا، اضطهد آرتين تشراكيان - مدير التجارة والأمور الخارجية - حتى دفعه للهرب ، كما أقال إسطفان دميرچيان وكيل الخارجية منذ عام ١٨٥٠ حتى عام ١٨٥٢.[٥٠] ويُعلق الرَّحْالة سنيور Senior علي ما أصاب الأرمن خلال حكم عباس الأول بقوله: «لقد كره عباس أنصار جده فأقالهم... حتى أنه لم يُبق أرمن في القصر تقريباً».[٥١]

ولكن، منذ بداية حكم سعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣) أخذت الامتيازات الأجنبية تتغلغل في مصر، وتحجمت المعاداة تجاه الأوربيين والمسيحيين التي دامت طوال حكم عباس الأول، ومُنحت تسهيلات وتصريحات كثيرة لمؤسسات التبشير المسيحية.[٥٢] وفي اطار هذه الظروف، تحسَّنت نسبياً أحوال الجالية الأرمنية في مصر. إذ تم إعادة

الموظفين الأرمن المُسرَّحين وتعيينهم في وظائف عالية مثل نوبار نوباريان الذى شغل منصب ناظر إدارة السكة الحديدية وأراكيل نوباريان الذى شغل منصب حاكم الخرطوم[٥٣]، وإسطفان دميرچيان الذى شغل منصب ناظر الخارجية.[٥٤]

وأيضاً، أدى حفر قناة السويس وزيادة الطلب علي القطن والسكر المصريين في السوق العالمى لاسيما إبان الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥)[٥٥] إلي نشاط ملحوظ في مصر استلزم العديد من العمال والفنيين.[٥٦] عندئذٍ، نزح أرمن قرويون بلا أدوات اقتصادية إلي مصر من ڤان وباغيش وموش وسغرت وساسون ليندرجوا في أعمال متواضعة وصعبة من أجل لقمة العيش.[٥٧] كما أن المناطق آنفة الذكر كانت تشهد وقتئذٍ قلاقل واضطرابات ناجمة عن صراع الأكراد والأرمن.[٥٨]

ولكن، تأزَّمَ العمل بشدة في مصر بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية وانخفاض الطلب علي القطن والسكر المصريين في السوق العالمي مما دعا مطران الأرمن في مصر كبريل المرعشى (١٨٣٠-١٨٦٧) إلي نشر بيان للأرمن علي صفحات الجرائد يُناشدهم فيه «... ألاَّ يجيئوا إلي مصر، إذ أنه لا يكفي معرفة اللغة الإنجليزية فقط لايجاد عمل مربح في مصر، وإنَّما لابد من اتقان المهنة، ومعرفة اللغة العربية علي وجه الخصوص. ورغم كل هذا أيضاً ليس من السهل ايجاد عمل مربح بسرعة».[٥٩] وكذا، تعرَّض الأرمن في مصر أثناء الثورة العرابية [٦٠] للإصابة والقتل في طنطا وكفر الزيات وللنهب في القاهرة والإسكندرية،[٦١] مما أدى إلي رحيل كثير منهم إلي موطنهم الأم في نفس الوقت الذى توقفت فيه هجرتهم إلي مصر.

ثم، استُؤنفت هـجرة الأرمن إلي مـصـر بعد الاحتلال البريطانى في عـام ١٨٨٢. إذ كـان الأرمن يتـدفـقـون إلي الأسـتـانة وأزمـيـر هـرباً من الضرائب الباهظة والاضطهادات والمجاعات. ومنهما كانوا يُهاجرون إلي البلاد القريبة والبعيدة ومنـها مـصر. وقد أزعجت هذه الهجرات خورين أشيكيان البطريرك الأرمنى في الأستانة (١٨٨٨ - ١٨٩٤) الذى نشر بياناً علي صفحات الجرائد إلى رؤساء الكنائس الأرمنية يأمرهم فيه بأن يُنوروا أفكار الناس ويُبينوا لهم خطر الهجرة على غير استعداد.[٦٢]

بيد أن المذابح التى ارتكبتها الحكومة العثمانية ضد الأرمن تُعد السبب الرئيسى في نزوحهم إلي مصر خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر. فمابرحت وفود الأرمن اللاجئين تترى إلى مصر منذ بداية التسعينيات حتى تزايدوا بكثرة في عام ١٨٩٦.[٦٣] وقد تم تشغيل عدد من هؤلاء اللاجئين في وظائف حكومية وأعمال حرفية. فمثلاً، تعيَّن أحد عشر موظفاً من مستخدمى البنك العثماني فى بنوك القاهرة والإسكندرية.[٦٤] وتعيَّن بعضهم محررين وكتبة في المحاكم المختلطة والسكك الحديدية وغيرهما بوساطة نوبار باشا وديكران باشا أبرويان ويعقوب أرتين.[٦٥] وقد أخذت شركة بسنديلة بضعة مئات منهم للعمل في أملاكها الواسعة.[٦٦]

ولكن، حرصت الحكومة المصرية علي ألاَّ تتوتر علاقاتها بالباب العالي أثر إيوائها للأرمن اللاجئين. لذا، أصدرت نظارة الداخلية أمراً إلي محافظتى القاهرة والإسكندرية بترحيل الأرمن الذين لم يتيسر وجود عمل لهم إلى الأستانة.[٦٧] وأيضاً، أمرت بتخفيض نصف أُجرة السفر للأرمن العائدين إلي أوطانهم شريطة ألاَّ يأتوا إلي مصر مرةً

أخرى.(٦٨) وأعلنت شركة البواخر الروسية استعدادها لنقل الأرمن إلي بلادهم بنصف أجرة.(٦٩) وعندما أُعيد الهدوء نسبياً في منتصف عام ١٨٩٧ إلي الأستانة والولايات الأرمنية، أخذ بعض الأرمن اللاجئين في العودة وبقي البعض.

وهكذا، يُلاحظ أن خط الهجرة الأرمنية إلي مصر ظل متواجداً طيلة القرن التاسع عشر. بيد أنه كان قافزاً وثاباً باطراد خلال حكم محمد علي وتعرض لذبذبات ارتدادية وتيارات راجعة وانقطاع أحياناً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرتبطاً بالتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مصريةً وعثمانيةً وأوربيةً. ولهذا، يُلاحظ تجاذب قطبي الطرد والجذب بين المنبع والمصب (الموطن الأم ومصر) إبان حكم محمد علي في حين تنافر القطبان أحياناً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويُلاحظ أيضاً، أن نمط الهجرة الأرمنية إلي مصر كان فردياً أو أسرياً علي الأكثر حتى بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، في حين كان جماعياً خلال العقدين الأخيرين بسبب المذابح. ولذا، كان طابع الهجرة الأرمنية إرادياً في الغالب حتي الثمانينيات، في حين كان اضطرارياً تماماً خلال العقدين الأخيرين. وكذا، يُلاحظ أن الحكومة المصرية كانت تستدعي الأرمن لتنفيذ سياستها حتى قُبيل اندلاع الثورة الأرمنية خلال الثمانينيات، إلاَّ أنها سعت خلال العقدين الأخيرين إلي ترحيل الأرمن اللاجئين إليها خوفاً من توتر العلاقة مع السلطان العثماني.

وتجدر الإشارة إلي تعدد المناطق التي نزحت منها الأسرات الأرمنية

إلي مصر. فقد نزحت أسرات يوسفيان ونوباريان وأبرويان ومارجوسيان وهاجوبيان وشيردچيان من أزمير، وأسرات حكيكيان ورايزيان ورابائيليان من الأستانة، وأسرات بدروسيان وكالوسديان ويغيايان من أجن، وأسرات جُلبينكيان وآشيكيان وباليان من قيصرية، وأسرتا مارديروسيان وكيڤوركيان من توكاد، وأسرتا تشراكيان ودميرچيان من سيباسطيا.[٧٠]

هنا، يُلاحظ **أولاً** تفوق عدد الأسرات الأرمنية الأزميرية. ويرجع هذا بالأساس إلي أنهم جميعاً أقارب بوغوص يوسفيان الأزميرى الذى استدعاهم إلي مصر خلال حكم محمد علي. وأيضاً، يُلاحظ **ثانياً** تفوق عدد الأسرات النازحة من خارج الأستانة. ويرجع هذا إلي استقرار وضعية الأسرات الأرمنية أساساً في الأستانة وازدهار أغلبها اقتصادياً وتقلد بعضهم وظائف عُليا مما جعلهم غير محتاجين للهجرة. ناهيك عن توتر العلاقات في الغالب بين السلطان العثمانى وولاة مصر مما خوَّف الأرمن الأثرياء المرتبطين علي نحوٍ وثيق بالسلطان، لاسيما الأمراء الأرمن ، من النزوح إلي مصر حفاظاً على مصالحهم ومكانتهم. ومن ثم، فقد أتاح هذا التخوُّف الفرصة أمام أرمن المناطق البعيدة والخارجة عن مركزية الأستانة للنزوح إلي مصر ليُحققوا طموحاتهم في الإثراء والسلطة.

بيد أن الأرمن قد نزحوا إلي مصر خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر من المناطق التي شهدت اضطرابات سياسية ومذابح أثر تصاعد الثورة الأرمنية كما يتأكد من مساقط الرأس المدونة في تعدادات الأرمن. فيُلاحظ طبقاً لتعدادات الأرمن الكاثوليك خلال عامى ١٨٨٥

و١٨٩٧ أن أغلب الأرمن الوافدين إلي مصر وقتئذ قد نزحوا أساساً من المناطق التي شهدت اضطرابات ومذابح مثل الأستانة ويقتوجيا وجالاتيا وماردين وعربكير وقيصرية وطرابيزون وأدنة وبروسة وساسون ودياربكر وعين تاب وأماسيا وتوكاد وبيره چك ومرعش وغيرها.[٧١]

ويمكن تقسيم المهاجرين الأرمن إلي نوعين :

أولاً: مهاجرون للاستقرار، جاءوا إلي مصر بهدف الحصول علي عملٍ ثابت، وغالباً كانوا يصطحبون أسراتهم معهم. علي أنه يُلاحظ مجئ رب الأسرة أولاً وبقاءه في مصر لمدة عام أو أكثر يُرتب حاجاته ثم يتبعه بقية أفراد الأسرة. فعلي سبيل المثال، جاء سوكياس تشراكيان - رب أسرة تشراكيان - إلي مصر بمفرده خلال عام ١٨١٢ ثم تبعته أسرته بعد ذلك بعامين.[٧٢] وقد ظل هذا النوع من المهاجرين يتوافد علي مصر طوال القرن التاسع عشر. فيُشير الجبرتي في حوليات عام ١٨١٦ إلي أن الأرمن «... أنشئوا دوراً وقصوراً وبساتين بمصر القديمة لسكنهم...».[٧٣] وحتي بعض اللاجئين إلي مصر في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ممن تيسر لهم قسط من المال قد استأجروا منازل فاخرة ومخازن كبيرة للاستقرار بها.[٧٤]

ثانياً: مهاجرون مؤقتاً، وقد جاءوا دورياً لممارسة عمل ما لمدة عام أو أكثر للحصول علي قدر من المال ثم العودة إلي وطنهم الأم. وغالباً كانوا يأتون فرادى تاركين أسرهم. ولذا، كانوا يرتبطون بمواطنهم الأم ويتنفسون دوماً أمل العودة إلي ديارهم. وثمة ما يُؤكد هذا من عبارات أماني المغتربين المنقوشة علي شواهد قبور الأرمن الوافدين للعمل مؤقتاً وماتوا في مصر. فمثلاً، يُقرأ علي شاهد قبر جرابيد الديار بكرى الذى

مات في مصر خلال رحلة عملية ما يأتى:

١- خرجَ من وطنه.

٢- ووصل هذه المدينة (القاهرة).

٣- تنفس الهواء وربح أيضاً.

٤- وأسفاه علي حظه التعس.

٥- كانت أمنيته هى.

٦- العودة إلي بيته في الوطن.[٧٥]

وأيضاً، تُؤكد شواهد القبور حقيقة ارتباط الأرمن عموماً والمغتربين مؤقتاً علي وجه الخصوص بمواطنهم الأم حيث يُذكر مسقط رأس كل أرمنى متوف علي شاهد قبره حتى المولودين بمصر أيضاً.[٧٦]

ويُلاحظ أن معظم الأسرات الأرمنية الموجودة في مصر قد استقرت بها نهائياً خلال العقود الثانى والثالث والرابع من القرن التاسع عشر. فمثلاً، استقرت أسرة دميرچيان في عام ١٨١٢ ، وتشراكيان في عام ١٨١٤، وحكيكيان في عام ١٨١٥، وجلُبينكيان في عام ١٨١٨، وأسرات ميساكيان وكالوسديان ونوباريان في عام ١٨٢٠، وأسرتا أوغيا وأوهانيسوف في عام ١٨٣٠، وأسرتا آشيكيان وجرابيديان في عام ١٨٣٥.[٧٧] ولاريب أن هذا الاستقرار قد نتج عن إيثار محمد علي الأرمن كأدوات تنفيذية لمركزة الاقتصاد والإدارة بمصر ناهيك عن تسامحه الدينى.

وأخيراً، يُلاحظ أن الهرم العُمرى للأرمن ظل شبابياً في الغالب طوال القرن التاسع عشر. إذ جاء معظم الأرمن إلى مصر في أعمارٍ تتراح

بين خمسة عشر وأربعين عاماً. وهي الفترة التي تتسم بالحيوية والإنتاج في عمر الإنسان. فمثلاً، جاء أرتين تشراكيان ويوسف الأرمنى إلي مصر في سن الخامسة عشرة. وجاء نوبار نوباريان في سن الثامنة عشرة، وجاء بيدان تشراكيان (طبيب) وهاجوب آشيكيان (تاجر) في سن العشرين، وجاء أبراهام جلُبينكيان (من كبار الملاك) في سن الثلاثين وغيرهم.[٧٨] كما تُؤكد التعدادات وجود نسبة ٥٦٪ من الأرمن في مصر تتراوح أعمارهم بين خمسة عشرة وأربعين عاماً.[٧٩] وتُعد هذه النسبة الشبابية دليلاً إيجابياً علي نشاط القوة الإنتاجية للأرمن. وتتفق ديموجرافياً Demographical مع حقيقة أن الانتقاء النوعى لاسيما من الشباب الذكور يُعد من أبرز سمات الهجرة.[٨٠]



٢- التوزيع الجغرافي للأرمن

ليست هناك بيانات كاملة ودقيقة عن الأعداد الإجمالية للأرمن في مصر خلال القرن التاسع عشر. ولذا، تبقي مصداقية الأرقام المتاحة محل شك لأنها افتراضية وتفتقر إلي دلائل قاطعة ناهيك عن نقصها.

في الابتداء، تكاد تتفق جميع المصادر المصرية والأوربية والأرمنية على أن عدد الأرمن خلال حكم محمد علي قد وصل إلي ألفي نسمة[٨١] بنسبة ٠٤ر٠٪ من مجموع سكان مصر البالغ «٤٠٠ . ٤٧٦ . ٤» نسمة حسب إحصاء المساكن الذي جرى في عام ١٨٤٦.[٨٢] بيد أن هذا التقدير يفتقر إلي الدقة للأسباب الآتية:

أولاً: قدَّرَ علماء الحملة الفرنسية في عام ١٨٠٠ عدد الأرمن في القاهرة فقط بألفي نسمة.[٨٣] لذا، من المنطقي أن يزداد عدد الأرمن في مصر بعامة مع تصاعد خط هجرتهم إليها خلال حكم محمد علي.

ثانياً: ليس من المعروف تحديداً هل هذا التقدير آنف الذكر يشمل الأرمن المستقرين والمغتربين معاً أم يقتصر علي المستقرين فحسب.

ثالثاً: تبرع «١٥٠٠» أرمني أرثوذكسي من مجموع «٢٢٥» أسرة بالقاهرة فقط لبناء كنيسة سورب آسدڤادزادزين (العذراء) في عام ١٨٣٩ حسبما ورد في السجلات الرسمية للكنيسة.[٨٤]

إذن، بناءً علي هذا ، ومع ملاحظة أن الفقراء لا يتبرعون، وبإضافة الأرمن الأرثوذكس في المناطق الأخرى والأرمن الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم في مصر بعامة والأرمن المغتربين مؤقتاً فعلي الأرجح الغالب أن تعداد الأرمن في مصر خلال أربعينيات القرن التاسع عشر يزيد عن

ألفى نسمة بكثير. وهذا، يتفقُ منطقياً مع زيادة هجرة الأرمن باطراد إلي مصر أثناء حكم محمد علي.

بيد أن البناء السكانى الأرمني قد تخلخل بشدة خلال حكم عباس الأول (١٨٤٩-١٨٥٤) حتى أنه لم يتبق في القاهرة إلاَّ «٩٦٠» نسمة فقط يُشكلون «١١٤» أسرة وفي الإسكندرية «٢٥٢» نسمة فقط.(٨٥) ويذهب البعض إلى أن عدد الأرمن في مصر قد وصل فى نهاية السبعينيات إلي عشرة آلاف نسمة.(٨٦) ولكن، يبعدُ هذا الرقم تماماً عن الصحة لأن الهجرة الأرمنية إلي مصر قد توقفت أحياناً خلال السبعينيات في نفس الوقت الذى ارتدت فيه موجات كبيرة إلي موطنهم الأم.

وفي عام ١٨٨٥ أجرى المطران سيروقبى داقيتيان أول تعداد دقيق للأرمن الكاثوليك في القطر المصرى. ووفقاً لهذا التعداد، بلغ عدد الأسرات الأرمنية الكاثوليكية في مصر عموماً «٢٢٨» أسرة منهم «١٥٩» أسرة في القاهرة و«٢٦» أسرة في الإسكندرية و«٢٣» أسرة في الأقاليم. وقد بلغ إجمالي الأفراد «٩٤٥» نسمة، منهم «٢٧٦» رجل و«٢٢٧» سيدة، و«٢٣٤» ولد و «٢٠٨» بنت.(٨٧). وبذا، يُمثل الأرمن الكاثوليك بمفردهم نسبة ١٣. ٠٪ من مجموع سكان مصر في أوائل الثمانينيات البالغ «٦٨١٣٩١٩» نسمة.(٨٨) وقد بلغ عدد الأرمن الكاثوليك في القاهرة فقط خلال عام ١٨٩٦ «٢٣٢» أسرة بالإضافة إلى ثلاثين أعزباً.(٨٩) ثم ازدادوا فى عام ١٨٩٧ إلي «٢٥٦» أسرة و«١٣٩» أعزب.(٩٠)

أما بالنسبة للأرمن الأرثوذكس، وهم أغلبية، فثمة سجلات تُدون بها

حالات الميلاد والوفاة والزواج والطلاق والإعانة،[٩١] ولكنها ليست تعدادات مما يُصعب عملية حصر أعدادهم ولو تقريبياً.

ليس هذا فحسب، فالتعدادات الرسمية التى أعدتها الحكومة المصرية خلال القرن التاسع عشر قد أدرجت الأرمن تحت تصنيف «عثمانلية»[٩٢]، أو «قاطنون وأصولهم عثمانيون»[٩٣]، أو «رعايا مصريين من باقي بلاد الدولة العلية».[٩٤] ويشذُ عن هذا، تعداد النفوس في عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨) الذى أحصى فيه عدد الأرمن في القاهرة مثلاً بـ «١٥٤» نسمة منهم «١٠١» ذكر و«٣٥» أنثى.[٩٥] ولكن، يصعب تصديق هذا الإحصاء إذ ليس من المعقول أن يتدنى عدد الأرمن في مصر إلي هذا الحد في وقت شهدت فيه مصر الستينيات نزوح موجات أرمنية. وأيضاً، ليس من المعروف تحديداً مذاهب هؤلاء الدينية خاصةً وأن هذه السجلات قد أخطأت عندما ذكرت أن ديانة هؤلاء هى «الأرمنية».

وبذا، يصعب تحديد عدد الأرمن في مصر إجمالياً لعدم اكتمال تعداداتهم الخاصة من ناحية وعدم تحديد أعدادهم في التعدادات الرسمية من ناحية أخرى. وأياً كان، يُعد الأرمن علي امتداد القرن التاسع عشر من أقل الجاليات الموجودة في مصر عدداً.

أما التوزيع الجغرافي للأرمن في مصر، فيُلاحظ أنهم كانوا حتى منتصف القرن التاسع عشر متمركزين أساساً في القاهرة والإسكندرية وبأعداد هامشية في رشيد ودمياط والسويس.

بدايةً، لم يكن للأرمن أحياء خاصة بهم في القاهرة، وإن تمركزوا في بعض المناطق المحيطة بكنائسهم أو القريبة منها مثل منطقة كوم الأرمن

بالقرب من كنيسة مارمينا وحول كنيستى الأرمن الأرثوذكس والكاثوليك في بين الصورين ودرب الجنينة.(٩٦) ويُشير الجبرتى في أكثر من موضع إلي انتشار الأرمن بشكلٍ ملحوظ في أحياء مصر القديمة.(٩٧) بيد أنه يُلاحظ انتقال الأرمن من مصر القديمة وضواحيها إلي المناطق المُنشأة حديثاً خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال، استقطب حى شبرا نسبة ٢٠٪ من إجمالي عدد الأرمن الكاثوليك في القاهرة وفقاً لتعدادهم في عام ١٨٨٥(٩٨) مما دعا إلي إنشاء كنيسة خاصة بهم في حى شبرا في ٢١ نوفمبر ١٨٨٦.(٩٩) كما استقطب حى العباسية نسبة ٧٪ من إجمالى أعدادهم في عام ١٨٨٥.(١٠٠) وكذا، يُؤكد تعداد الأرمن الكاثوليك استمرار إقامتهم في الأحياء القديمة بالقاهرة مثل الفجالة (١٠٪) ودرب الجنينة (٧٪) وبين الصورين وباب الشعرية ودرب المصطفي وشارع محمد علي والموسكى والأزبكية وبولاق وغيرها.(١٠١)

ثم، تأتى الجالية الأرمنية بالإسكندرية في المرتبة الثانية بعد القاهرة، ويذكر البعض أن الأرمن لم يظهروا في الإسكندرية إلاَّ بين عامى ١٨٢٥-١٨٤٠ بسبب اشتغال معظمهم بالتجارة ناهيك عن استقرار بوغوص يوسفيان، الأب الروحى للأرمن آنئذ، في الإسكندرية بعد تقلده منصب ناظر ديوان التجارة في عام ١٨٢٦. وقد أدت هذه الكثافة إلى بناء كنيسة ومدرسة للأرمن في حى أبى الدرداء الذى تمركزوا في المناطق المحيطة به.(١٠٤) ولكن، منذ بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر أخذ الأرمن في الخروج من حدود أبى الدرداء والانتشار في نواحى الإسكندرية المختلفة كما يتضح من بعض العناوين المسجلة للأرمن الكاثوليك في تعدادهم.(١٠٥)

وإضافةً إلي هذا، انتشرت أعداد هامشية من الأرمن خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر في الموانئ مثل دمياط والسويس[١٠٦] ، ثم أخذ الأرمن خلال النصف الثاني من القرن يقطنون علي استحياء المدن الإقليمية مثل الزقازيق والمنصورة وطنطا وكفر الزيات وأسيوط وغيرها.[١٠٧] بيد أن الزقازيق تُعد أكثر المدن الإقليمية التي جذبت الأرمن. ويرجع هذا أساساً إلي تأسيس مصانع ميلكونيان وجامسراجان للسجائر بها. وقد نتج عن تكاثر أعداد الأرمن في الزقازيق بناء كنيسة ومقابر خاصة بهم في عام ١٨٩٨ بناحية كفر النحال.[١٠٨]

وهكذا، اتخذ **هيكل توزيع الأرمن** في مصر ثلاثة محاور أساسية [١٠٩]:

أولاً : القاهرة التي تُعد بمثابة العمود الفقري للهيكل كله وقطب الجاذبية الرئيسي باستيعابها نسبة ٧٣ . ٦٩٪ من حجم الهجرة الأرمنية إلي مصر . وهذا ، يتفقُ طبيعياً مع حجم القاهرة وثقلها.[١١٠]

ثانياً: الإسكندرية التي تستوعب ١٧ . ٢٠٪ من إجمالي حجم الهجرة.

ثالثاً: المدن الإقليمية التي تستوعب، وعلي استحياء، نسبة ١٠ . ١٠٪ من الإجمالي.

ويتضحُ من مساقط الرأس المُدونة في تعدادات الأرمن[١١١] والمنقوشة علي شواهد قبورهم [١١٢] أن استقرارهم في مصر نهائياً قد تم علي مرحلتين أساسيتين، **الأولي** هجرة الأرمن من أرمينية والأناضول

إلي الأستانة وأزمير، وهى هجرة من مناطق طرد مكتظة سكانياً فقيرة مادياً متخلفة حضارياً إلي مناطق جاذبة عمرانياً غنية مادياً متقدمة حضارياً. ثم الثانية من الأستانة وأزمير إلي مصر بعامة. بيد أنه يُلاحظ أن معظم الذين نزحوا من الأستانة أو عن طريقها قد استقروا في القاهرة، ومعظم الذين نزحوا من أزمير أو عن طريقها قد استقروا في الإسكندرية، أما معظم الذين نزحوا من داخلية الأناضول رأساً إلي مصر فقد استقروا في المدن الإقليمية. وربما، يرجعُ هذا إلي التشابه الكبير بين المنبع والمصب في الخصائص والطبائع الجغرافية والديموجرافية والمادية بل والسيكولوچية والحضارية.

وأيضاً، يُلاحظ أن مد الهجرة الأرمنية قد اتجه دوماً إلي المدن أساساً. وهذا ، يتفقُ ديموجرافياً مع حقيقة أن المدن في الأغلب تُعد أكبر بالوعة للغرباء الوافدين علي دولة ما. ناهيك عن كون الأقليات العرقية من السمات الديموجرافية للمدن وليس الريف.[١١٣] ففى المدن كمجتمع مفتوح تستطيع الأقليات أن تتقوقع أو تذوب بين السكان علي عكس المجتمع الريفي المغلق. كما يُستفاد من طبيعة مهن الأرمن أنها مهن مدنية بالأساس وليست ريفية.[١١٤]

وأخيراً، يُمكن تحديد **الهيكل العام للجالية الأرمنية في مصر** من واقع تعداداتهم كما يلي[١١٥]:

تكون البناء النوعي للأرمن من ٥٣,٩٧٪ ذكور، ٤٦,٠٣٪ إناث. وتشكل الهرم العمرى من ٢٤٪ تتراوح أعمارهم بين ١-١٥ سنة و٥٦٪ تتراوح أعمارهم بين ١٦-٥٠ سنة و٢٠٪ فوق الخمسين. وانقسم البناء المدنى إلى ٥٠٪ متزوجين و٣١٪ غير متزوجين و١٩٪ أرامل. وتكون

البناء المهنى من ٣٤٪ تجار و٣٠٪ حرفيين و١٥٪ موظفين و٥٪ ملاك عقارات و١٦٪ أعمال متنوعة ، وتشكل البناء من حيث قوة العمل من ٦٠٪ عمالة و ٤٠٪ بطالة. (أنظر شكل رقم «٢»: هيكل الجالية الأرمنية في مصر).

وبعامة، جاء الأرمن إلي مصر لإحراز ثروة وتحقيق مكانة اجتماعية، لذا، وجب عليهم بذل المزيد من الجهود الكفيلة بتحقيق طموحاتهم كل حسب ظروفه وقدراته. ومن ناحية أخرى، حمل الأرمن تقاليد وثقافة خاصة بهم، وتقاليد وثقافة مكتسبة، وعاشوا في رحاب مجتمع ذى تقاليد وثقافة خاصة. **فكيف عاش الأرمن في ذلك الاطار؟** هذا ما سوف نعرض له في الفصول التالية.



الهوامش

(١) Lang. A people in exile. pp. 70-88.

(٢) جمال حمدان، القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، رقم ٥١٠، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٧٦.

(٣) أرشـــاج البوبچيان، الإقليم المصرى والطائفة الأرمنيـة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٧. (بالأرمنية)

(٤) تجدر الإشارة إلي أن الفتوحات الإسلامية لأرمينية قد بدأت فى أعقاب الفتح الإسلامى لفارس وفلسطين وسورية ومصر ثم إتجاه الجيوش الإسلامية إلى منطقة الجزيرة وفتحها الرها ونزيب ومن ثم وقوفها علي أبواب أرمينية في عام ١٩ هـ (٦٤٠). في ذلك الوقت، كان ثيودور رشدونى (٦٢٨-٦٥٦) حاكماً لأرمينية من قبل الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى . هذا ، وقد شنَّ المسلمون حملات متتالية علي أرمينية بين عامى ١٩-٢٥هـ (٦٤٠-٦٤٦) أسفرت عن استيلائهم علي جزء كبير منها. ثم، أعاد البيزنطيون سيادتهم على أرمينية مرةً أخرى في عام ٢٧هـ (٦٤٧). ولكن، مالبث معاوية بن أبى سفيان (٦٦١-٦٨٠) - مؤسس الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠) - أن أعاد بسط السيادة الإسلامية علي أرمينية بموجب إتفاقية سلام بين المسلمين والأرمن فى عام ٤٠هـ (٦٦١) وعيَّن الأمير كريكور ماميجونيان حاكماً عليها. وهكذا، انسلخت أرمينية عن الإمبراطورية البيزنطية وخضعت للسيادة الإسلامية عن طيب خاطر.

فايز نجيب إسكندر، المصدر السابق؛

Pederian, G, Armenia Under Arab Occupation 640-886 A.D, Canada, 1993, pp. 17-22.

(٥) وأيضاً. تُنسب إليه بلدة «وردان» (ڤارتان) التي لم تزل موجودة غرب فرع النيل الغربي (فرع رشيد) بعد رأس الدلتا، ويُنسب إليها كثير من المصريين.

فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص٩١.

(٦) جمال الدين أو المحاسن بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، خمس عشر جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثانى، ص ص ٢٤٦-٢٥٥.

(٧) لمزيد من التفاصيل حول هجرة الأرمن إلي مصر إبان الحكم الفاطمى انظر:

سهام مصطفي أبو زيد، تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية من سنة ٤٦٦ إلي ٥٦٦ هـ/من ١٠٧٣ إلي ١١٧١م، دار الكتاب الجامعى، القاهرة ، ١٩٩١، ص ص ٣٣-٤٩.

(٨) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، المجلد الرابع، ص ص ٦٤-٦٦.

(٩) Mahé, Jean-Pierre, "Les Armeniens et L'Egypte", Le Monde Copte, No.9, 1980, p.25.

(١٠) محمد حمدي المناوى، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٧، ٩١، ١٠٤، ٢٧٢-٢٧٨، ٢١١-٢١٣، ٣٦٢.

(١١) لمزيد من التفاصيل حول وضعية الأرمن ومختلف نشاطاتهم زمن الفاطميين انظر:

سهام مصطفي أبو زيد، المصدر السابق ، ص ص ٥٠-١٨٥.

(١٢) نوبار دير ميكائيليان، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى، بيروت، ١٩٨٠، ص ص ١٣٦ - ١٧٠ (بالأرمنية).

(١٣) Mahé, op. cit., p. 25:

أرشاج ألبويچيان، المصدر السابق، ص ص ٤٥-٤٧. (بالأرمنية)

(١٤) عراقى يوسف محمد، الوجود العثمانى المملوكى في مصر، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٥، ص ٣٨٢؛

أرشاج ألبويچيان، المصدر السابق، ص ص ٥٦-٥٨.(بالأرمنية)

(١٥) Revue d'Egypte. 1895. Vol. 2, p. 203.

(١٦) Mahé, op. cit., p. 27.

(١٧) Ibid.;

عبد الوهاب بكر، الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢، ص ص ٨١-٨٢.

(١٨) Revue d'Egypte. op. cit.

(١٩) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of Mohammed Ali, Cambridge, 1984, p. 26.

(٢٠) دار الوثائق القومية بالقاهرة، ديوان خديو تركي، س ٢/٤٢/١ (٧٢٨)، ص ٢٩، رقم ٩٦، مكاتبة من ديوان خديو إلي الصراف قرة قهيا بالأستانة في ١٨ محرم ١٢٣٥ هـ؛ تراجم ملخصات دفاتر تركي، محفظة ١، سجل رقم ١، معية تركي، رقم ١٠٥، أمر من الجناب العالي إلى الصراف قرة قهيا.

(٢١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ بحر برا، رقم ٧، وثيقة ٥٥، ورقة ٥٢، مكاتبة من محمد نجيب إلي الجناب العالى فى ٥ ذى الحجة ١٢٣٥ هـ.

(٢٢) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, PP. 29-30.

(٢٣) تراجم ملخصات دفاتر تركي، محفظة ٢، سجل ٣، معية تركي، وثيقة رقم ١٣٨، ترجمة أمر إلي الكتخدا بك في ١٨ صفر ١٢٣٤ هـ.

(٢٤) ينتسب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي إلي «جبرت» من إقليم زيلع بأرض الحبشة. وُلد في سنة ١٧٥٤، تلقي تعليمه الأولي في بعض الكتاتيب بحي الأزهر، ثم التحق برواق الشام بالأزهر وتلقن مذهب الحنفية. وقد نشأ وتربى في بيئة علمية إذ كان والده الشيخ حسن الجبرتي من علماء الأزهر. كتب الجبرتي عدة مؤلفات: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، مختصر تذكرة داود الأنطاكي في الطب، وكتاب عن ألف ليلة وليلة، إلي جانب نبذة عن تاريخ مدة الفرنسيس في مصر. بيد أن «عجائب الآثار» المشهور بـ «تاريخ الجبرتي» يُعد أهم مؤلفاته قاطبةً. وتجدر الإشارة إلي أن تاريخه قد بقي غير متداول في مصر إلي حكم توفيق حيث طُبع الجزءان الثالث والرابع، كما طُبع الجزءان الأول والثاني أثناء حكم عباس الثاني. وكذا، ظهرت ترجمة فرنسية في تسعة مجلدات بين عامي ١٨٨٨-١٨٩٦. ولاتزال كتابات الجبرتي تلقى اهتماماً من الباحثين والمستشرقين. لعل ما يُضفي أهمية كبيرة علي كتابات الجبرتي أنها تكاد تكون المصدر المحلي الوحيد الذي كُتب عن تاريخ مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. مات الجبرتي علي الأرجح في عام ١٨٢٥.

جمال زكريا قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، سيرة وتقييم، منشوراً في: عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٤٧-٦٢.

(٢٥) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الرابع، ص ٢٨٤.

(٢٦) أرداشيس كارداشيان، مواد تاريخ الأرمن في مصر، ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، فينسيا، ١٩٨٦، ص ٢٣١، ٢٦٨. (بالأرمنية)

(٢٧) "Artin bey (1800-1859", Revue d'Egypte, Vol. 2, Le Caire, 1895, p. 424.

(٢٨) Adalian, Ruben, "The Armenian Colony of Egypt During the Reign of Mohammed Ali (1805-1848), The Armenian Review, Vol.33, No. 128, Los Angeles, 1980, p. 117.

(٢٩) حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ١٣٤-١٣٦.

(٣٠) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، أوامر التجارة والمبيعات، رقم ١٤٠، أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٦ شوال ١٢٤٤ هـ: محفظة رقم ١١٨، مستخرج من سجل رقم ٨٠٦ ديوان خديو تركي، ترجمة أمر رقم ٥٢ صادر في ٨ رجب ١٢٥٠ هـ.

(٣١) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M.Ali, p. 31.

(٣٢) ديوان خديو تركي، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ٥، رقم ١٠، مكاتبة من المجلس العالي إلي ديوان خديو في ٢٨ شعبان ١٢٤٥ هـ.

(٣٣) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, p. 194.

(٣٤) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(٣٥) Sabry, Mohammed, L'Empire Égyptien sous Mohamed-Ali et la Question d'Orient (1811-1849), paris, 1930, p. 563.

(٣٦) Adalian. op. cit.. p. 117.

(٣٧) Ibid

(٣٨) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٦٢، ٣٩٨، ٤١١.

(٣٩) هوڤانيس توبوزيان، الجالية الأرمنية في مصر ١٨٠٥-١٩٥٢، يريڤان ، ١٩٧٩، ص ص ٣٠-٣٢.(بالأرمنية)

(٤٠) Meinardus. Otto. F.A. Christian Egypt Ancient and Modern. Cairo. 1977. p. 323.

(٤١) سيروڤبى داڤيتيان، تاريخ الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في مصر، القاهرة، ١٩١٤، ص ص ٢٠-٢٤. (بالأرمنية)

(٤٢) كارداشيان، المصدر السابق، ص ١٠٨، ١٤٩، ١٨٧، ١٩٦، ٢٢٦.

(٤٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، ديوان المعية تركي، س١/٥٠/٧ (٢١)، ص ١٢٨، رقم ٦٠٤، أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢ جماد أول ١٢٤٢ هـ؛ محافظ الأبحاث، رقم ١١٨، ترجمة إفادة بالتركية إلي بوغوص بخصوص وساطته للأرمن، رقم ٦١٠، في ١٧ ذى الحجة ١٢٤٩ هـ.

(٤٤) أرشالويس أراراديان، ١٨٤٤/٢/١١، أزمير. (بالأرمنية)

(٤٥) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٨٤، ٣٩٨.

(٤٦) هامون Hamont طبيب فرنسي، جاء إلي مصر فى عام ١٨٢٨ ومكث بها أربعة عشره عاماً. وكان ناظراً لمدرسة الطب البيطرى ومدرسة الزراعة ومديراً لإسطبل شبرا ومفتشاً لزرائب الأغنام ومصلحة الطب البيطرى في

الجيش والجفالك الف كتاباً في جزئين عن مصر تحت حكم محمد علي باللغة الفرنسية إنحاز في أرائه ضد محمد علي.

Hamont. L'Egypte sous Méhémt-Ali. 2 Vols, Paris. 1843, Vol. 1. p. 425.

(٤٧) حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية، ص ١٤٥؛

Adalian. op. cit., p. 132.

(٤٨) Dodwelle. The Founder of Modern Egypt. Study of Mohammed Ali, London. 1931, pp. 220-222.

(٤٩) Sabry. Mohammed. L'Empire Égyptien sous Ismail et L'Ingerence Anglo-Francaise (1863-1879). Paris. 1933. p. 17.

(٥٠) Ibid., p. 28.

(٥١) Senior, Conversation and Journals in Egypt and Malta. 2 Vols. London. 1882. Vol. 1, p. 132.

(٥٢) حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية، ص ص ١٤٩-١٥٠؛ أنور عبد الملك، نهضة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ٨٠-٨٩.

(٥٣) دار المحفوظات العمومية بالقلعة، ملفات الموظفين، ملف نوبار باشا، رقم ٨٣٤١، محفظة ٣٠٨، عين ٣، دولاب ١٤.

(٥٤) نفسه، ملف إسطفان بك، رقم ١٧٥٧، محفظة ١٢٣، عين ١، دولاب ٦.

(٥٥) الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) هي في تاريخ الولايات المتحدة النزاع الذي نشب بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية التي انفصلت

عن الإتحاد. وكان اختلاف المصالح بين فريقى الولايات من أهم الأسباب التى أدت إلي الحرب. وقد ازداد هذا الخلاف حدةً وتوتراً بمرور الزمن. ففى القرن التاسع عشر، كان الجنوب لايزال كله زراعياً، يقوم نظامه الاقتصادى والاجتماعى علي المزارع والرق. أما الشمال فكانت له موارده الزراعية الغنية، وتفوقه التجاري الدائم، وصناعاته النامية، ونشأ العداء بين القسمين بشكل محسوس بعد عام ١٨٢٠ الذى عُقدت فيه اتفاقية ميسورى التي كانت ترمى إلي إيجاد تسوية دائمة لأسباب العداء وهي: امتداد حق امتلاك الرق أو وقفه في الأراضى التى أخذت تُلحق بالاتحاد في الغرب. ومن أسباب العداء أيضاً معركة المبادئ الأخلاقيه التى أثارها إلغاء الرق ثم الصدام بين سلطات الحكومة المركزية وبين مبدأ احتفاظ الولايات بحقوقها. وكان انتخاب أبراهام لنكولن رئيساً للولايات المتحدة، وانفصال الولايات الجنوبية عن الاتحاد (١٨٦٠-١٨٦١) عاملاً مساعداً لوقوع الحرب.

بدأت الحرب عندما أمر بورجارد جيش التعاهديين (المنشقين علي الاتحاد) باطلاق النار علي قلعة «سمطر» . وكانت المعارك الأولى (١٨٦١) انتصارات للتعاهديين فهُزم جيش الولايات الشمالية في معركة «بول رن» الأولي ١٨٦٢. وبعد معركة انتيبتام التى عُقد فيها النصر للشمال أعلن لنكولن تحرير العبيد مما حمل على تأييد إنجلترا وفرنسا للشمال، وتهدئة ثائرة الحزب الجمهوري الراديكالي المعارض للنكولن في الكونجرس. وكانت انتصارات الاتحاديين في «جيتسبرجش» و «فيلسبورج» (يولية ١٨٦٣) نقطة تحول في الحرب وتقدم جرانت قائد جيش الشمال (الاتحاديون) ليُواجه «لي» وأرغمه في عام ١٨٦٤ على الإتجاه نحو «رتشمند» عاصمة الولايات الجنوبية، وانتصر شيرمان في واقعة «اطلنطا» سنة ١٨٦٤. واضطر التعاهديون إلي الجلاء عن «رتشمند». ولكن مقتل الرئيس لنكولن قلل نصر

الإتحاديين. ونتج عن المحاكمات التى أُجريت لإعادة النظام عودة الولايات المنشقة إلى الاتحاد. وأُنقذ الاتحاد بإلغاء الرق في جميع أرجاء الولايات المتحدة ، وبلغ عدد ضحايا الحرب الأهلية من الأمريكيين «٦٠٠.٠٠٠» رجل. ولم تخمد نار الكراهية والتعصب بين الفريقين المتخاصمين بل أججتها عوامل كثيرة طوال أجيال عديدة. ولكن كان من النتائج الإيجابية لهذه الحرب وضع الأسس الثابتة لحياة الأمريكيين القومية، وبخاصة إقامة حكومة مركزية قوية.

آلان نيفنز وهنرى ستيل كوماجر، موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة : محمد بدر الدين خليل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ١٨٣-٢٣٤.

(٥٦) Deeb. Marius. "The Socio-Economic Role of the Local Foreign Minorities in Modern Egypt 1805-1961", The International Journal of Middle East Studies, London, 1978, Vol. 9, pp. 14-15.

(٥٧) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٣٧.(بالأرمنية)

(٥٨) Burrt, op. cit., p. 42.

(٥٩) أرشالويس أراراديان، ١٩/٢/١٨٦٦، أزمير.(بالأرمنية)

(٦٠) تُنسب الثورة العرابية إلى الزعيم المصرى أحمد عرابى باشا. وهو ضابط مصرى ابن فلاح. كان ضابطاً فى الجيش المصرى سنة ١٨٧٩ وقد لمس وقتئذٍ ما كان يُعانيه الشعب المصرى من الظلم والاستبداد وتعطُّل الحياة النيابية خاصةً حين فرض الغربيون إبدال الخديو إسماعيل بابنه الخديو توفيق وعندما توقفت مصر عن دفع ديونها عام ١٨٧٦ تدخلت فرنسا وإنجلترا واستلمتا الإدارة. وهذا، يُفسر تحرك عرابى وجيشه في ٩ سبتمبر

١٨٨١ إلى قصر عابدين ومطالبة الخديو بإسقاط النظارة المستبدة وتشكيل مجلس نواب. ويُفسر أيضاً حركة عرابى الذى نظم «الجبهة الوطنية» مع تأييد الجيش له ومنع الأسطول الإنجليزى - الفرنسى من حماية الأوربيين في الإسكندرية مما أدى إلي وقوع أعمال شغب نتج عنها احتلال المدينة من قبل القوات الإنجليزية التي هزمت عرابي في التل الكبير في ١٣ سبتمبر ١٨٨٢ ونفته إلي جزيرة سرنديب (سيلان) إلي أن صدر العفو عنه وعاد إلي مصر سنة ١٩٠١ حيث أمضى بقية حياته حتى مات في ٢١ سبتمبر ١٩١١.
لمزيد من التفاصيل حول أحمد عرابى والثورة العرابية والاحتلال البريطانى لمصر انظر:
عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

(٦١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ مجلس الوزراء، نظارة المالية، محفظة رقم ١/١/أ، وثيقة رقم ٣٢، قائمة بأسماء أرباب الطلبات الذين إدعوا بنهب محلاتهم مدة الثورة بمعرفة محمد صادق أمير أركان حرب سابق.

(٦٢) القاهرة، عدد ٦٨٤، الإثنين ١٨٨٨/٣/٢٦.

(٦٣) الإتحاد المصرى، عدد ١٥٨٦، الأحد ١٨٩٦/١٠/٤.

(٦٤) نفسه، عدد ١٥٧٩، الخميس ١٨٩٦/٩/١٠.

(٦٥) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ٣٠٣ - ٣١٣.(بالأرمنية)

(٦٦) الإتحاد المصرى، عدد ١٥٨٧ ، الخميس ١٨٩٦/١٠/٨.

(٦٧) نفسه، عدد ١٦١٨، الأحد ١٨٩٧/١/٢٤.

(٦٨) الأخبار، عدد ١٤٠، الإثنين ١٨٩٧/١/٢٥.

(٦٩) فصل الخطاب، عدد ١١، الثلاثاء ١٨٩٧/٢/٩.

(٧٠) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٧٤، ٧٨، ٨٤-٨٧، ٩٠-٩٩، ١٠٧، ١٩٦، ٢٣١-٢٣٣، ٢٤١، ٢٥٣-٢٥٦، ٢٨٨.

(٧١) أرشيف مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة، تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى خلال عامي ١٨٨٥ و١٨٩٧، خانة مسقط الرأس. (بالأرمنية)

(٧٢) "Artin Bey ---". p. 424.

(٧٣) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٦٢.(بالأرمنية)

(٧٤) الإتحاد المصرى، عدد ١٥٨٦، الأحد ١٨٩٦/١٠/٤.

(٧٥) مقابر الأرمن الأرثوذكس بمارمينا بالقاهرة، شاهد قبر جرابيد من دياربكر (توفى في ١٨٦٦/٧/٢٣). (بالأرمنية)

(٧٦) شواهد قبور الأرمن بمارمينا بالقاهرة والشاطبى بالإسكندرية.

(٧٧) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٢، ٨٦، ٩٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٦٧، ٣٠٠، ٣٤٢. (بالأرمنية)

(٧٨) نفسه ، ص ٨٦، ١٠٧، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٧٠.

(٧٩) تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى فى عام ١٨٨٥، خانة تاريخ الميلاد. (بالأرمنية)

(٨٠) إسماعيل عبد البارى، الديموجرافيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٢٤.

(٨١) علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، عشرون جزءاً ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثاني، ١٩٨٧، ص ١٤٥؛ كلوت بك، لمحة عامة إلي مصر، جزءان، ترجمة: محمد مسعود، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ٢٧٨.

نزاريت أغازارميان، مذكرات عن الجالية الأرمنية في مصر، القاهرة،١٩١١، ص ٧٥: (بالأرمنية)

Madden, Egypt and Mohammed Ali, London, 1841, p. 95.

(٨٢) شابرول، المصريون المحدثون، من كتاب «وصف مصر» الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٢٢-٢٤، ٢٨.

(٨٤) كارداشيان، المصدر السابق، الجزء الأول ، القاهرة، ١٩٤٣، ص ٧٠.

(٨٥) نفسه، جـ٢، ص ص ٣٩٣-٣٩٤.

(٨٦) الكسندر شولش، مصر للمصريين، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨-١٨٨٢، ترجمة: رؤوف عباس حامد، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٥٤.

(٨٧) تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى فى عام ١٨٨٥، ص ص ٣-١٥.

(٨٨) نظارة الداخلية، إدارة التعداد ، تعداد عموم سكان القطر المصرى فى عام ١٨٨٢، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة، ١٨٨٥، ص ص (ى - ط)

(٨٩) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر عدا الإسكندرية فى عام ١٨٩٦ .(بالأرمنية)

(٩٠) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٧ .(بالأرمنية)

(٩١) تُوجد هذه السجلات فى أرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة. (بالأرمنية)

(٩٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، تعداد النفوس، محافظة مصر، ل١/٨٤/٤٠، سجل إجمالى تعداد النفوس بأثمان المحروسة في عام ١٢٦٤ هـ، ص ٤٩، ٥٢، ٨٢-٨٥، ١٥٣-١٥٤.

(٩٣) تعداد عموم سكان القطر المصرى في عام ١٨٨٢. ص ص ٢٢-٥١.

(٩٤) نظارة المالية. تعداد سكان القطر المصرى في عام ١٨٩٧، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٨، ص ٢٣، ٤٨-٤٩، ٥٤-٦٨.

(٩٥) تعداد النفوس ، محافظة مصر، سجل رقم ٢٨٠، إجمالى السجلات في عام ١٢٨٥ هـ، ص ١٢٩.

(٩٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٤٠. (بالأرمنية)

(٩٧) الجبرتى، المصدر السابق، ص ٢٢٥، ٤٤٨-٤٤٩.

(٩٨) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)

(٩٩) داڤيتيان، المصدر السابق، ص ص ٤٦-٤٧. (بالأرمنية)

(١٠٠) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)

(١٠١) نفسه.

(١٠٢) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص٣. (بالأرمنية)

(١٠٣) Browne, Travels in Africa, Egypt and Syria, from the year 1792 to 1798, London, 1799, p. 7.

(١٠٤) كارداشيان، المصدر السابق. (بالأرمنية)

(١٠٥) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)

(١٠٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٤٠. (بالأرمنية)

(١٠٧) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)

(١٠٨) كارداشيان، المصدر السابق، جـ١، ص ١١٠؛ جـ٢، ص١٢٥. (بالأرمنية)

(١٠٩) تم تشكيل هذا الهيكل ونسبه من واقع تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى في عام ١٨٨٥. (بالأرمنية)

(١١٠) جمال حمدان، المصدر السابق، ص ١٥٣. (بالأرمنية)

(١١١) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر في عام ١٨٨٥: تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٧.

(١١٢) شواهد قبور الأرمن، مصدر سابق. (بالأرمنية)

(١١٣) فتحي محمد أبو عيانه، جغرافية السكان، أسس وتطبيقات، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٢٦٣.

(١١٤) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة المهنة. (بالأرمنية)

(١١٥) تعداد الأرمن الكاثوليك فى مصر فى عام ١٨٨٥. (بالأرمنية)



الفصل الثالث

النشاط الاقتصادي للأرمن

١- المال والتجارة

٢- الزراعة

٣- الصناعة

٤- الحرف

٥- ملكية الأرض

١- المال والتجارة

لقد هيأت الأحداث التى مرت بمصر والدولة العثمانية الفرصة أمام التجار والصيارفة الأرمن ليتبوأوا مكاناً ملحوظاً فى الاقتصاد المصرى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فقد كان الصيارفة المسلمون والأقباط يُسيطرون على السوق المصرى حتى بدايات القرن التاسع عشر.[١] ولكن، مع بداية حكم محمد على (١٨٠٥-١٨٤٩) أخذ الصيارفة الأرمن واليونانيون وغيرهم يبرزون في السوق المصرى.[٢] ثم اشتد تَدَفُّق رأس المال الأرمنى إلى مصر من نواحٍ عديدة بالدولة العثمانية نتيجة الاضطهادات السياسية الناجمة عن الحرب الروسية - العثمانية خلال عامى ٢٨-١٨٢٩.[٣]

ومن ناحية أخرى، تَقَلَّدَ الأرمن في مصر عدداً من الوظائف الحكومية التي أتاحت لهم مُمارسة أنشطتهم المالية والتجارية بشكل واسع. فقد استأثر الأرمن بوظيفة «صراف باشى الخزينة» -كبير الصيارفة - خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فضلاً عن عمل عدد كبير من الأرمن صيارفة في المصالح والدواوين والأقاليم المختلفة.[٤] كما اشتهر الأرمن بتقلد وظيفة «وكيل تجارى» لمصر فى الخارج. فقد برز في هذا الشأن أسرة قرة كهيا (يراميان) التى عمل أفرادُها صيارفة ووكلاء لمحمد على فى الأستانة.[٥] واشتغل كل من مجرديتش نوباريان - والد نوبار باشا - وسركيس كالوسد بهذه الوظيفة في أزمير Izmir.[٦] وعمل الخواجة آرتين وكيلاً تجارياً لمحمد على فى قبرص Cyprus.[٧] كما عمل آبرو وكيلاً تجارياً لمحمد علي فى أمستردام.[٨] بيد أن أشهر هؤلاء الوكلاء جميعاً هو بدروس أميرا يوسفيان - شقيق بوغوص بك - الذى

تولى هذه الوظيفة بتريست حتى وفاته فى عام ١٨٤٦ . ثم تولاها أبراهام أبرويان -.ابن خاله - من بعده.[٩] وأخيراً، تولى أرمنيان منصب «ناظر التجارة والأمور الإفرنجية» خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وهما بوغوص يوسفيان الذى شغله منذ ٤ أبريل ١٨٢٦ حتى ١١ يناير ١٨٤٤ ثم تلاه آرتين تشراكيان منذ ١٣ يناير ١٨٤٤ حتى ١٤ سبتمبر ١٨٥٠.[١٠]

وبذا، مارس الأرمن نشاطاتهم المالية والتجارية بلا عائق مُستفيدين من عَمَلِ معظمهم ماليين وتجار وموظفين في آنٍ واحد.

كان الشكل التقليدى للصيرفة Banking هو تسليف القروض المالية بالفائدة للحكومات وكبار الشخصيات والأفراد. وفى هذا المجال ظهرت مجموعة من الصيارفة الأرمن الذين أقرضوا المال بالفائدة. فعلى سبيل المثال، كانت خزينة مصر خاويةً عندما تولى محمد علي الحكم مما أدى إلى عرقلة بعض المصالح. لذا، اقترض محمد علي «٢٥٠٠٠٠٠» قرش من الصراف الأرمنى موفسيس شريطة أن يُسددها له في العام التالي (١٨٠٦).[١١] واقترض قاضى مصر نعمان أفندى دباغ زاده «٣٠٠٠٠» قرش من الصراف الأرمنى كريكور في عام ١٢٢٥ هـ (١٨١١).[١٢] واشتهر الخواجه سركيس باقراض المال لكبار الشخصيات والأفراد مقابل نسبة مئوية.[١٣] بيد أن يغيازار أميرا بدروسيان - كبير صيارفة خزينة محمد على - كان يُعد أشهر الصيارفة الأرمن الذين أقرضوا المال بالفائدة.[١٤]

كما اشتغل الأرمن بالعديد من الأنشطة المالية والتجارية. فقد امتلك كبار الصيارفة والتجار الأرمن مثل الكسندر موزيان وإستيبان

سيغبوصيان وكيروقبى تكير زاده وميكائيل خاتشادوريان وكيڤورك رابائيليان وآل آبرويان والأخوين يوسف وأمين كاشف وجرابيد كالوسديان وهامبارتسوم والخواجه أوهان وغيرهم مؤسسات تجارية مترابطة بعضها البعض فى مواطنهم الأم والأستانة والمدن المصرية.(١٥) وفضلاً عن سوق خان الخليلى العتيق، سارع الأرمن باستمرار للظهور في الأسواق المُنشأة حديثاً آنذاك مثل حوش عُطِىْ داخل باب النصر وخان القهوة بجوار خان الخليلى. ويُشير الجبرتى إلي أن الأرمن كانوا يستأجرون المحلات قبل الانتهاء من بنائها بأجورمرتفعة، وينتقدهم بشدة فى استغلالهم المُستهلكين وادعاءاتهم قلة المكاسب.(١٦) وتجدرُ الإشارة إلي أن متاجرهم ومخازنهم قد اكتّظت بأنواع السلع المختلفة مثل الأكلمة والفراء والجواهر والمشغولات الذهبية والعطور والأخشاب وغير ذلك.(١٧)

وعندما أدى تطبيق الاحتكارات الحكومية في مصر إلى تنمية دورة الرأسمال التجارى- الاعتمادى(١٨)، استثمر الأرمن أموالهم باتساع في الامتيازات الاحتكارية بدرجة دعتْ هامون Hamont إلى القول بأنه لم يعد أمام الأرمن إلا احتكار مياه النيل.(١٩) ففى ذى القعده ١٢٣١ هـ (١٨١٦) حصل أرمنى على احتكار بيع الحبة السوداء والشمر واليانسون والكمون والكراوية وغيرها من التوابل الواردة من الصعيد مقابل «٥٠٠» كيس.(٢٠) والتزم الخواجه الكسان ميساكيان بالمذبح منذ ٩ ربيع ثان ١٢٤٨هـ (١٨٣٢) مقابل «٣٦٢٥» كيس سنوياً.(٢١) والتزم يعقوب يغيازار بحلقة الأسماك في مديرية المنوفية خلال عام ١٨٣٤.(٢٢) والتزم الصراف الكسان منذ عام ١٨٣٥ بالصابون الوارد من بلاد الشام إلي مصر.(٢٣) وظل الخواجه جرابيد رايزيان ملُتزماً بواردات القصر حتى عام ١٨٥١.(٢٤)

ومما هو جدير بالذكر أن الأرمن قد احتكروا صناعة الخمور وبيعها. ففى عام ١٨٢٤ التزم الصراف انيچه الأرمنى بتصنيع الخمور وبيعها في مصر.[٢٥] وقد نال الخواجه جرابيد كالوسديان امتياز تصنيع البوظة والخمر والزبيب بين عامى ١٨٢٦-١٨٢٨ فى المناطق الممتدة من شرقى أطفيح حتى أسوان.[٢٦] وبالأصالة عن حسين بك يكن - ابن أخت محمد على - تولى الصراف سركيس تصنيع الخمور وبيعها في المنصورة ومحلة دمنة منذ عام ١٨٢٩.[٢٧] كما احتكر الأرمن عملية استخراج الملح وبيعه. فقد التزم الصراف الكسان ميساكيان بمصلحة الملح منذ ١٣ محرم ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢) حتى ٨ جماد أول ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧) مقابل ثلاثة آلاف كيس سنوياً.[٢٨] ثم التزم بها الصراف جرابيد كالوسديان منذ ١٥ جماد ثان ١٢٥٣هـ (١٨٣٧) بنفس المبلغ السابق.[٢٩] والتزم الخواجه كريكور في عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦) بالنطرون والسماد فى البحيرة.[٣٠]

بيد أن هؤلاء المُحتكرين قد استغلوا امتيازاتهم في الحصول على أعلى الأرباح. فقد كان يعقوب يغيازار مُلتزم حلقة الأسماك بالمنوفية يأخذ أسماكاً من الصيادين زيادةً عما هو مُقرر عليهم فى العقود.[٣١] كما كان الكسان مُلتزم الملاحات يبيع الملح على خلاف الشروط المتعاقد عليها. وبجرد حساباته في عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧) اتضح أنه حقق أكثر من «٧٠٠» كيس فوق ربحه المتفق عليه.[٣٢]

وقد نَشَطَ الأرمن فى مجال التجارة الخارجية. فعقدوا على سبيل المثال مع ديوان التجارة صفقات متفاوتة الكميات من القمح والأرز والشعير والحنطة والذرة والحبة والكتان والفول والترمس والحمص

والعدس لتصديرها خارج مصر بين عامي ١٢٢٧-١٢٣٥ هـ (١٨١٢-١٨١٩).[٣٣] كما روّجوا بعض المنتجات المصرية في الخارج مثل التاجر جرابيد الذى حصل فى عام ١٨٢٤ على مائتى ثوب من البفتة المصنوعة فى مبيضة بولاق كعينة لترويجها فى الأستانة.[٣٤]

وجديرٌ بالذكر أن بوغوص يوسفيان - المسئول عن التجارة - قد ساعد الأرمن فى عقد الصفقات وتسهيل نقلها. فعلى سبيل المثال، عقد الخواجه هاجوب كريكور - قريب بوغوص - صفقة قمح لتصديرها إلى جزيرة قبرص، فصدرت الأوامر فى ٢٢ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠) إلى جميع المسئولين الذين سيمر عليهم بمساعدته وعدم منعه ومضايقته.[٣٥] وكذا، استفاد الأرمن العاملون في الجهاز الحكومى من مكانتهم لدن محمد على ومحاباته لهم في الحصول على صفقات تجارية كبيرة لتصديرها. فمثلاً، اشترى بوغوص بك - المسئول عن التجارة - والخواجه جوانى - كبير الأطباء - محصول الذرة خلال موسم ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠).[٣٦] واشترى الخواجه جوانى بمفرده محصول النيلة خلال موسم ١٢٤٠هـ (١٨٢٤).[٣٧] كما اشترى نفس الطبيب وشركاؤه جميع محصول الذرة فى عام ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) بسعر أربعين قرشاً للأردب.[٣٨] واشترى بوغوص «٣٠٠٠» أردب من الذرة الصيفية في عام ١٨٢٨.[٣٩]

وأيضاً، نَشْطَ الأرمن كوكلاء تجاريين بين محمد على والخارج. وفي هذا الصدد، استطاع بوغوص بك بفضل نفوذه أن يجعل الجزء الأكبر والأهم فى التجارة بين الإسكندرية وتريست Trieste فى يد شقيقه بدروس يوسفيان.[٤٠] وكان هؤلاء الوكلاء يبيعون المنتجات المصرية فى

أوربا ويحصلون على المعدات العسكرية والبحرية والسلع لحساب مصر.[٤١]

كما استثمر الأرمن أموالهم في إدارة الجمارك بشكل واسع. فبالأصالة عن طاهر باشا، أدار الصراف جرابيد (قرة بت) جمرك بولاق خلال عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢).[٤٢] وأدار الصرافان ساهاج وهوفانيس جمرك دمياط خلال عام ١٨١٥.[٤٣] وقد تَعَهَّدَ الصراف قرة كهيا بالأصالة عن محمد على بتسليم بدل التزام الجمارك المصرية والبالغ قدرها «٧٥٠٠» كيس إلى خزينة دار الضرب العامرة بالأستانة خلال عامي ١٢٣٥-١٢٣٦ هـ (١٨١٩-١٨٢٠).[٤٤] والتزم يوسف يعقوب بجمرك جدة خلال عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣).[٤٥] ونال جرابيد أغا كالوسديان التزام جمرك القصير خلال عام ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩).[٤٦] كما التزم الصرافان الكسان ويعقوب يغيازار ميساكيان بجمرك مصر العتيقة منذ عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥) مقابل «١٥٢٥» كيس سنوياً.[٤٧] وتجدرُ الإشارة إلى أن الأرمن قد أداروا هذه الجمارك بسلطات واسعة. فعلى سبيل المثال، كان لجرابيد - مأمور جمرك بولاق - «... أعوان من جنسه وعنده قواسة أتراك يحجزون متاع الناس ويقبضون على المسلمين ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم. وإذا عثروا بشخصٍ أخفى عنهم شيئاً حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به وألزموه بغرامة مجازاة لفعله». وفي حين دفع المسلمون ١٠٪ رسوماً جمركية على بضائعهم، دفع الأوربيون والمسيحيون وعملاؤهم ٢.٥٪ فقط رسوماً جمركية.[٤٨]

وتمكن الأرمن أيضاً من استثمار أموالهم بنطاق محدود في مجال

النقل النهرى حيث امتلك بعضهم عدداً من المراكب لنقل البضائع والرُكاب فى النيل وفروعه مثل جرابيد كالوسديان [٤٩] والأخوين مجرديتش وكريكور رايزيان.[٥٠] كما أدار بعض الأرمن الحمامات العامة بالقاهرة احتكاراً خاصاً للدولة مثل جرابيد - معلم ديوان جمرك بولاق - الذى أدارها عام ١٨١٦ واستبقى لنفسه أرباح يوم من دخل الحمامات أسبوعياً مقابل خدماته.[٥١]

ومما هو جديرٌ بالذكر أن التجار والصيارفة الأرمن قد مارسوا نشاطاتهم المالية والتجارية بمختلف أنواع العملات المتداولة. بيد أن عدداً منهم قد استغلوا تجارة المقايضة بين العملات الأجنبية والمحلية ودسوا عملات زائفة.[٥٢] وبذا، ساهموا بدورٍ ضار في تطميس العملة المصرية بالسوق. ورغم أن محمد على قد قام ببعض الإصلاحات النقدية إلا أنها لم تُعالج المشكلة تماماً . وكان آخرها هو إنشاء مصرف Bank فى الإسكندرية وله فرع في القاهرة بهدف محاربة تدليس العملة وقبول الودائع والتحاويل وتسعير العملات الأجنبية وغير ذلك من المعاملات المصرفية.[٥٣] وقد عُهِدَتْ إدارة هذاالمصرف إلى أرمنى يُسمى الكسانيان الذى أسرف فى الإقراض مما أدى إلي توقف المصرف عن دفع الإيصالات ورد الودائع وانتهي الأمر إلى تصفية المصرف نهائياً فى عام ١٨٤٢.[٥٤]

تلك، هى أهم الأنشطة المالية والتجارية التى مارسها الأرمن في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ويتضحُ من خلالها ارتباط مصالح محمد على والأرمن واستفادتهما من بعضهما. بالنسبة لمحمد على ، فقد استفاد من الأرمن فى عدة نواح. إذ كانت الصفقات

التجارية التى تعقدها حكومة محمد علي مع الدول الأوربية في حاجة إلي مفاوضين تجاريين يُجيدون لغات البلاد المُتعاقَد معها. وجدير بالذكر أن كثيراً من الأرمن قد أجادوا عدة لغات واتصفوا باللباقة في المداولات وإنهاء الصفقات.(٥٥) كما تكونت علاقات بين بعض العائلات الأرمنية مثل أبرويان ويوسفيان وبين البيوتات التجارية الأوربية. لذا، عمل معظم أفراد هاتين العائلتين في مصر وكلاء تجاريين لهذه البيوتات. فاستفاد محمد على منهم في تسويق بعض المنتجات المصرية فى أوربا واستيراد ما يلزمه من هناك.(٥٦)

ومما هو جديرٌ بالذكر أن بعض الأرمن قد امتلكوا بيوتات تجارية كبيرة بأوربا. فعلى سبيل المثال، أسس بدروس أميرا يوسفيان - شقيق بوغوص بك - بيوتات تجارية كبيرة فى تريست وأزمير وامتدت نشاطاته التجارية إلي البندقية وڤيينا ومانشستر. وقد استفاد محمد على كثيراً من هذا الرجل بالذات الذى قام بدور كبير في بيع المواد المصرية في أوربا وشراء احتياجات مصر. ويُؤكد كم الأوامر التى أصدرها محمد علي إلى بدروس عن طريق أخيه بوغوص بك طبيعة النشاط التجارى المتعدد لهذا الرجل وحجم الإفادة والاستفادة من التعامل مع محمد على.(٥٧)

وكذا، استفاد محمد على من الأرمن فى إدارة الاحتكارات. ويُشير الجبرتي إلى أن الأرمن سعوا إلي تأييد الاحتكارات وتنفيذها واستمرارها «... وليس لهم شغل ودرس إلا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدومهم وموافقة أغراضه وتحسين مخترعاته، وربما ذكُّروه ونبهوه على أشياء تركها أو غفل عنها من المُبتدعات وما يتحصل

منهـا من المال والمكاسب».[٥٨] وقـد أدى تفضـيل مـحـمـد على الأرمن ومحاباته لهم في إدارة الاحتكارات إلى شكوى التجار الأوربيين محمد على باسـتـمـرار إلي حكومـاتـهم.[٥٩] وهكذا، حـصل مـحـمـد علي من الملتزمين وأصحـاب الامتيـازات الاحتكارية على الأموال اللازمـة له في المراحل التكوينية الأولى لاقتصاد ممول.

بيـد أن أهم اسـتـفـادة لمحـمـد علي من الأرمن في مـجـالات المال والتجارة كانت شخصية بوغوص بك يوسفيان صاحب المواهب والقدرات الفائقـة الذى تولى منصب ناظر التجارة والأمور الإفرنجيـة. ويُوكد كم الأوامر التى أصدرها محمد على إليه حقيقة قدراته غير العادية في المجالات الاقتصادية وقيـامه بدور كبير في صنع القرار الاقتصادى لمحمد علي. وكذا، تُؤكد هذه الأوامر أن جميع المسائل والمشكلات المالية والتجارية التي واجهت محمد علي قد أوكلها بلا استثناء إلى بوغوص للبت فيها وحلها. ويكفى دليلاً علي هذا، أن محمد علي قد أصدر أوامره في ٣ صفر ١٢٤١ هـ (١٨٢٥) بضرورة أخذ رأى بوغوص قبل الإقدام على بيع أى محصول كان[٦٠]، بل واستشارته فى كل سلعة تُصدر إلى الخارج أو تُستورد منه.[٦١]

وعلى هذا، كان الأرمن بعامة مجرد أدوات تنفيذية لسياسة محمد على الاقتصادية عدا بوغوص يوسفيان الذى ساهم بدور كبير في عملية صنع القرار الاقتصادى.

أما الأرمن، فيُلاحظ أن معظمهم قد استفادوا من وراء تعاملاتهم مع محمد علي فى تكوين ثروات صارت مضرب المثل في الثراء. ففي حين ضَاعَفَ البعض رؤوس أموالهم، كونت شريحة من المغامرين وعديمى

رؤوس الأموال الذين جاءوا إلي مصر بلا أدوات اقتصادية ثروات بفضل حصولهم علي امتيازات احتكارية عن طريق الأرمن الموجودين في حاشية محمد على. وقد حدث هذا منذ فترة مبكرة من حكم محمد على حيث يُشير الجبرتى إلى «... أن من كان بطالاً أو كاسد الصنعة أو قليل الكسب أو خامل الذكر فيعمل فكرته في شئ مهمل مغفول عنه ويسعى إلي الحضرة بواسطة المتقربين... فترأسوا بذلك وعلت أسافلهم...».(٦٢) لكن بعض الأرمن قد استغلوا مكانة بوغوص بك واختلسوا أموالاً طائلة. فمثلاً، أعطى بوغوص مبلغاً كبيراً من المال إلى التاجر آبراهام الأرمنى لشراء مستلزمات للجهادية، فأخذ آبراهام المال وولي هارباً. عندئذ، أصدر محمد علي أوامره فى غُرة صفر ١٢٤٩ هـ (١٨٣٢) بالبحث عنه وسجنه واستخلاص الأموال من بوغوص.(٦٣)

ومهما يكن من أمر، فقد حقق التجار والصيارفة الأرمن مكانةً فريدةً وثروات كبيرة خلال حكم محمد علي مُستفيدين من المكانة المؤثرة للأرمن في البلاط والجهاز الحكومى ومن سياسة التمركز الاحتكاري للاقتصاد فى اطار الاقتصاد الموجه الذى اتسم به معظم حكم محمد على.

أما خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر فقد ازدادت تدريجياً أهمية مصر في العلاقات التجارية الدولية مع سيادة الحرية الاقتصادية واحتلت مكاناً بارزاً فى الميزان التجاري لإنجلترا وفرنسا. وأصبحت إنجلترا أكبر مُشترٍ للمواد الخام المصرية وأكبر مُورِد للمنتجات التجارية إلى مصر. كما أدى نمو العلاقات التجارية الخارجية إلى تغييرات جذرية في السوق المصرى مثل استبدال العادات التجارية القديمة: الاتفاق الشفهى والضمان بكلمة الشرف والضمان عن طريق

شخص وغير ذلك بالعمليات المصرفية وعقود الاتفاق بين الأطراف وصكوك الدَّيْن ذات الشروط الجزائية الصارمة.[٦٤] وبتأصيل أساليب التجارة الأوربية في السوق المصرى تراجع دور الصيارفة المقرضين وحلت محلهم المصارف الإنجليزية - المصرية والفرنسية - المصرية وغيرها في عمليات تمويل تجارة الاستيراد والتصدير والمرور.[٦٥] ولهذا، بلغ عدد الصيارفة في الإسكندرية عام ١٨٧٠ سبعة فقط. ولم يعد لهم ذكر في القاهرة. أكثر من هذا، لم تعد الصيرفة بكونها حرفة قائمة بذاتها تُذكر في الإحصائيات التجارية.[٦٦] ولا مندوحة أن هذا التغيير يُعد ضربةً قاصمةً للرأسماليين الأرمن لأن الصيرفة كانت بؤرة نشاطاتهم المالية والتجارية.

ومن ناحية أخرى، احتل التجار الأوربيون المراكز المُسيطرة في السوق المصرى بسبب المزايا الجمركية والضريبية المُخولة لهم من قبل نظام الامتيازات. وفي المقابل، تراجع التجار الوطنيون والرعايا لعدم قدرتهم على مُجابهة رؤوس الأموال الأوربية الضخمة وتحاملات المحاكم القنصلية.[٦٧] ولذا،أصبح دور التجار الأرمن ثانوياً فى الاستثمارات والأعمال التجارية. و لم يظهر منهم في السوق إلا بعض الأسماء القليلة مثل كيڤورك لوسيان الذى تعهد منذ عام ١٨٥٥ بتوريد الجوخ اللازم لمهمات البحرية [٦٨]، والخواجه جرابيد كالڤايان الذى حصل على امتياز استغلال ملاحات الإسكندرية منذ ٢٣ ربيع ثان ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨) حتى عام ١٨٦٣ مقابل «٣٧٠» كيس سنوياً.[٦٩] هذا، وقد اشترك بعض التجار الأرمن مع آخرين في نشاطات تجارية. ففى ٢٥ شعبان ١٢٧١ هـ (١٨٥٤) رسى التزام توريد الفضة للحكومة على الخواجه جرابيد أراكيل وشريكه يعقوب قطاوى اليهودى لمدة سنتين.[٧٠] وفى ٩ ذى

الحجة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥) رسى مزاد استغلال سلخانة الإسكندرية على التجار كيڤورك رنجيلو الأرمنى ومحمد العزبان المصرى والخواجه جبران خشاب الشامى.(٧١)

وقد سعى التجار الأرمن للحصول علي جنسيات أجنبية بغية الاستفادة من نظام الامتيازات. ورغم أن الجنسية قد أتاحت لهم فرصة الاستفادة من الامتيازات، إلا أنها لم تُؤد إلى انتعاش التجارة الأرمنية بمصر. وتُعلق الصحافة الأرمنية علي تزايد اضمحلال التجارة في عام ١٨٦٥ بقولها: «عندما نُحاول إحصاء تجار الأرمن في هذه الأيام فإذا وجدنا واحداً منهم نأخذ وقتاً طويلاً في العثور علي آخر...».(٧٢) كما نتج عن الصراع غير المتكافئ بين الرأسمال الأوربى ورأسمال الرعايا أن تحول كبار التجار اليونانيين واليهود والأرمن إلي وسطاء بين الأوربيين والسوق المصرى.(٧٣)

وجديرٌ بالذكر أن الوسطاء الأرمن قد اشتغلوا بتجارة التصدير إلى حد ما وبتجارة الاستيراد إلي حد كبير. ورغم أن القطن يُعد أكثر المواد الخام المصرية المُصدَّرة إلي الخارج، إلا أن صفقات الوسطاء الأرمن فى هذا المجال كانت متواضعة جداً قياساً إلى صفقات الوسطاء اليونانيين واليهود والشوام، ولذا، لم يتضرر الوسطاء الأرمن عندما انخفض سعر القطن خلال عامى ١٨٦٦-١٨٦٧.(٧٤) وفى أواخر القرن التاسع عشر قام الأرمن بتصدير كميات قليلة من السجائر إلى فرنسا وألمانيا وبلچيكا وسيام وغيرها.(٧٥) واحتكر التاجر الأرمنى هايج اكيزلير تصدير ريش النعام إلى إنجلترا وفرنسا.(٧٦)

هذا، وقد نَشَطَ الأرمن فى تجارة الاستيراد لاسيما الدخان الذى

احتل ثقلاً كبيراً في ميزان وارداتهم. فقد حصل الخواجه خليل خياط- أرمنى سورى، برتغالى الجنسية - من الحكومة المصرية في ٢٥ أبريل ١٨٨٨ على حق احتكار استيراد الدخان العجمى، ثم تمتع بحق احتكار استيراد جميع أنواع الدخان من مناطقه المختلفة منذ أول يولية ١٨٩٠ حتى سنة ١٨٩٧. ولاشك أن احتكار الدخان قد عاد بأعلى الأرباح علي خليل خياط والدولة.[٧٧] كما برز الأرمن المصريون فى عملية استيراد البضائع الأوربية إلي الحبشة خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. فقد كان ملك الحبشة لا يُفضل التعامل مع الأوربيين ويُفضل التعامل مع الأرمن الذين سمح لهم بفتح بيوتات تجارية فى أديس أبابا. ولذلك ، تعلقت آمال كثير من التجار الأرمن المصريين فى الإثراء عن طريق تجارة الحبشة.[٧٨] فضلاً عن ذلك ، استورد الأرمن العديد من السلع مثل المواد الغذائية والمشغولات الصوفية والحريرية والقطنية ومواد البناء وأجهزة التصوير والإسطوانات والورق وأدوات الزينة والسلع الكمالية وغير ذلك.[٧٩]

وكذا، اشتغل عدد كبير من الأرمن بالقطاعى فى تجارة السلع المختلفة بدرجة دفعت كرومر Cromer - المعتمد البريطانى فى مصر - إلي وصف الجالية الأرمنية في مصر بأنها تتكون في الغالب من أصحاب محلات.[٨٠] وقد اشتهر الأرمن بشكل ملحوظ بتجارة الدخان بالقطاعى حيث انتشرت محلاتهم في القاهرة والإسكندرية والأقاليم. ويُلاحظ أن أغلبية تجار الدخان في مصر قد جاءوا من المناطق التى تشتهر بزراعة الدخان وصناعته في الدولة العثمانية مثل يقتوجيا وماردين وغيرهما. ويُلاحظ أيضاً أن أغلبية التجار الأرمن خارج القاهرة قد عملوا أساساً بتجارة الدخان.[٨١] بيد أن المحلات الأرمنية لم تكن

علي مستوى المنافسة مع مثيلاتها اليونانية واليهودية والأوربية. فقد اشتكت الصحافة الأرمنية المعاصرة بمرارة من أن اليونانيين قد سيطروا علي ميدان التجارة، واليهود يُنجزون أشياءً كالمعجزة، أما الأرمن فهم مُتخلفون وتقع محلاتُهم في أركان قديمة ولا تُعلق عليها لافتات وحوائطها مُتربَة ورديئة.(٨٢) كما لا يُخفى أن الحملات التى شنتها بعض الجرائد المصرية علي الأرمن نتيجة تصاعد ثورتهم ضد السلطان العثماني الذى كان لايزال يحتل مكاناً بارزاً في نفوس المسلمين، قد أدت إلى إهتزاز مكانة التجار الأرمن في السوق المصرى خاصة وأن هذه الجرائد قد ناشدت الجماهير بعدم معاملتهم لأنهم أعداء السلطان.(٨٣)

وهكذا، يُلاحظ أن قوة رأس المال التجارى - الاعتمادى للأرمن في مصر قد ضعفت تدريجياً خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر نتيجة إلغاء الاحتكارات الحكومية والتغلغل الأوربى : حرية التجارة، الامتيازات، البنوك، ديون الحكومة... الاحتلال البريطاني. وقد أدى تَدَفُّق رؤوس الأموال الأوربية بشدة إلي تحجيم مجال المكاسب الضخمة أمام كبار تجار الأرمن الذين اضطروا إلي أن يتحولوا إلي سماسرة في خدمة التجارة الأوربية. وبذا، ظلت قوتهم الاقتصادية ضعيفةً حتى تسعينيات القرن التاسع عشر قياساً إلى قوى الأوربيين واليونانيين واليهود.



٢- الزراعة

لقد ساهم الأرمن في الزراعة المصرية كأخصائيين وخبراء انتدبتهم الحكومة لاسيما خبراء زراعة النيلة والأفيون.

والحقّ، تُعد النيلة Indigo من المحاصيل الزراعية التى تُدر ربحاً وفيراً رغم كثرة تكاليفها. وقد كانت من أوائل المحاصيل التى احتكرها محمد على (١٨١٦) ومنحها قسطاً كبيراً من اهتمامه مما أدى إلي تحسين نوعها واتساع زراعتها وارتقاء صبغتها. وكانت مصر تزرع النيلة البلدية قبل حكم محمد على الذى استورد إلي جانبها بذور النيلة الهندية والصينية لجودة إنتاجهما.[٨٤]

ومما هو جديرٌ بالذكر أن محمد على قد استفاد كثيراً من خبرات الأرمن في زراعة النيلة علي نطاقٍ واسع. إذ كان معظم المبعوثين لاستيراد تقاوى النيلة وشتلاتها من الأرمن الذين تحصلُّوا عليها من بنى جنسهم ذوى الخبرة والشهرة في هذا المجال. ومن ناحية أخرى، استدعى محمد علي عدداً من الأرمن الأخصائيين بزراعة النيلة ليُعلموا المصريين زراعتها بأحدث الأساليب.

وهكذا، أرسل بوغوص يوسفيان بناءً على أوامر محمد على سنة ١٨٢٣ خبيراً بزراعة النيلة يُسمى بدروس الأرمنى إلي مناطق مختلفة لجلب تقاوى النيلة والخبراء المتخصصين بزراعتها . فأحضر «١٢٧٧» أُقة من النيلة الزرقاء وثلاثة خبراء أرمن في زراعتها من قبرص، كما أحضر ثمانية وخمسين قنطاراً من ذات الصنف وخبيرين أرمنيين في زراعتها من أزمير.[٨٥] وجلب بوغوص بذور النيلة من قبرص خلال

موسم ١٨٢٤.(٨٦) كما بعث بوغوص في نفس العام خبيراً أرمنياً يُسمى أرتين إلى المورة وقيصرية لاستيراد أجود أصناف النيلة. وقد عاد بـ «٣٥٠٠» شتلة وخبير أرمنى بزراعتها. وقد فرح محمد علي جداً بهذه الشتلات وأمر بمنح أرتين مكافأةً قدرها خمسين فرانسة نظير جلبه هذا الصنف الجيد ووعده بمكافآت أخرى بعد ظهور انتاجها. كما أمر بزراعتها في أخصب الأراضى وأجودها.(٨٧) وفى نفس العام أيضاً، استدعى محمد علي أربعين أسرةً أرمنيةً من البنغال Bengal بالهند ليُعلموا المصريين زراعة النيلة بأحدث الطرائق.(٨٨) ولذا، صدرت الأوامر فى عام ١٨٢٥ بزراعة النيلة فى جميع الأقاليم المصرية.(٨٩) وقد ظلت الأوامر تصدر إلي بوغوص يوسفيان لكى يجلب تقاوى النيلة وشتلاتها عن طريق بنى جلدته. ففى ٢٢ جماد أول ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) أصدر محمد علي أمراً إلي بوغوص يطلب منه استيراد تقاوى الصبغة الخضراء من أزمير عن طريق مجرديتش الأرمنى.(٩٠) كما أصدر أمراً آخر فى ١٧ شوال من نفس العام يأمره فيه باستيراد أغراس الصبغة الخضراء من قيصرية عن طريق معارفه.(٩١)

وبذا، تزايد محصول النيلة باستمرار أثر استيراد أجود الأصناف وانتداب أمهر الخبراء لزراعتها. وعندما ازداد المحصول خلال عام ١٨٢٦ أصدر محمد على أوامره إلي بوغوص لإجراء المداولات اللازمة مع الدول الأوربية من أجل تصدير النيلة وخوّل إليه تحديد الأسعار والكميات المصدرة.(٩٢) ثم ازدادت أسعارها في عام ١٨٣٠ فوسعت الحكومة من المساحات المُنزرعة واشترت جميع التقاوى الموجودة لدن الأهالى، بل واستوردت التقاوى اللازمة للعام القادم من بعض الجهات مثل أزمير. وفعلاً ، ظل المحصول يتزايد بكثرة حتى عام ١٨٣٧.(٩٣)

ولكن، منذ عام ١٨٣٨ انخفضت المساحات المزروعة بسبب مزاحمة النيلة الرخيصة القادمة من مزارع الهند، كما تدهورت جودة الصنف بعد عودة الخبراء الأرمن المُنتدبين من الهند، وبمرور الوقت اختفت التفرقة في حصاد المحصول واختلطت به نباتات لم تستوف نضجها بعد. وفي عام ١٨٤٤ قُدرت المساحة المزروعة نيلة بـ «٢٧.٠٠٠» فدان من الأراضى الغارقة في مصر الوسطى والصعيد وما لا يزيد عن «٣.٧٠٠» فدان من الأراضى المروية.[٩٤]

وكذا، اشتغل الأرمن أخصائيين بزراعة الأفيون Opium الذى كان يُستخدم فى إعداد بعض الأدوية، وقد تشجّع محمد علي لزراعة هذا النوع من المحاصيل النقدية فأصدر أوامره إلي بوغوص بك في ٢٥ ربيع ثان ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣) بضرورة جلب تقاوى الأفيون لزراعة «٥٠٠٠» فدان بالوجه القبلى وإحضار عشرين نفراً من الخبراء بزراعته.[٩٥] وفعلاً، جاء إلي مصر في العام التالي (١٨٢٤) عدداً من الأرمن الأزميريين المتخصصين بزراعة الأفيون.[٩٦] وجديرٌ بالذكر أن الأخصائيين الأرمن قد امتازوا بالمهارة وأقاموا عدة تجارب ثم أشاروا بما يلزم اتباعه في هذه الزراعة. وسار الفلاحون علي نصائحهم واتبعوا طرائقهم.[٩٧] وقد كانت نماذج الأفيون التى زرعها الأخصائيون الأرمن ذات جودة عالية حتى أنها فاقت مثيلاتها المصنوعة بالآستانة[٩٨]، بل صار الأفيون المعروف باسم «أفيون طيبة» ذات شهرة في السوق الأوربية.[٩٩] وبلغ محصول الأفيون في موسم ١٨٢١ حوالي «١٤.٥٠٠» أقة، وفي عام ١٨٣٢ «٢٥.٠٠٠» أُقة، وفي عام ١٨٣٣ حوالى «٢٥.٦٦٢» أقة، وقُدر المحصول في نهاية الثلاثينيات من «١٥.٠٠٠» إلي «٢٠.٠٠٠» أقة سنوياً. ثم انخفض الإنتاج مع مطلع الأربعينيات

حتى تنحى الأفيون تماماً من قائمة الصادرات بحلول عام ١٨٤٥.(١٠٠)

بيد أن أشهر مُساهمات الأرمن فى الزراعة المصرية هى إدخال أشجار الماندارين بواسطة يوسف أفندى. ففي عام ١٨٢٦ أُرسل يوسف أفندى الأرمنى إلي روڤيل Roville بفرنسا ضمن البعثة التعليمية الأولي لاستكمال دراساته العُليا في علم الزراعة.(١٠١) وعند عودته إلي مصر في عام ١٨٣٢ تعطلت السفينة في مالطة Malta، فبقى بها ثلاثة أسابيع مرت خلالها سفينة من الشرق الأقصى تحمل مشاتل الماندارين Man-darine = Tangerines وفاكهته. وقد لاحظ يوسف أفندى أنها سهلة التقشير وجميلة المذاق، فاشترى منها ثمانية مشاتل وعشرة صناديق وعندما وصل إلي مصر عرضها علي محمد على الذى أُعجب بها وأمر بزراعتها في ضياعه الخاصة بشبرا واضعاً يوسف أفندى مسئولاً عنها ، كما أمر بتسمية هذه الفاكهة باسم جالبها لكى تعرف الأجيال القادمة أن محمد على يعترف بجميل هؤلاء الذين يخدمون مصر بحب وتفان. وبهذا، جلب يوسف أفندى فاكهة الماندارين من الخارج وزرعها فى مصر. وقد أطلَّق عليها الفلاحون آنذاك «برتقال يوسف أفندى» وعُرف فيما بعد بـ «يوسف أفندى» أو اليوسفى. كما عُرف فى الأستانة باسم «يوسف چك».(١٠٢)

وهكذا، لم يترك الأخصائيون الزراعيون الأرمن تأثيراً دائماً على الإنتاج المصرى، إذ بمغادرتهم اختفت المساهمات التى أدوها للزراعة المصرية فيما عدا أشجار الماندارين التى أدخلها يوسف أفندى.



٣- الصناعة

لقد ظهر الأرمن في مجال الصناعات المختلفة بصفتهم أسطوات وأخصائيين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ففي عام ١٨١٨ تأسس في الخرنفش بالقاهرة أول مصنع لإنتاج الحرير ولكنه لم يُعط الإنتاج المُنتظر ثم أُقيمت المحاولة الثانية في مصنع بركة الفيل تحت إدارة الأرمن المُنتدَبين من الأستانة والذين كانوا أخصائيين في الأقمشة المطرزة والسيرما Syrma (تطريز خيوط بالذهب والفضة والأحجار الكريمة). [١٠٣] وكان مطلوباً من هؤلاء الأخصائيين تنظيم الإنتاج وتعليم أبناء البلد صناعة الحرير مثلما يُصنع تماماً فى الأستانة والهند.[١٠٤] وبناءً علي اقتراحاتهم زُرعت «١٠.٠٠٠.٠٠٠» شجرة توت لتنمية إنتاج الحرير في وادى طُليمات ومناطق في الفيوم وأسيوط.[١٠٥] وفعلاً، أنتج المصنع «٦٠.٠٠٠» أقة حرير سنوياً، وضاهت مُنتجاتُه درجة جودة مصنوعات الأستانة والهند، فضلاً عن تَعَلُّم كثير من المصريين صناعة الحرير على أيدى الأخصائيين الأرمن. [١٠٦]

كما شُيدت عدة مبيضات في شبرا وبولاق وشبين والمحلة الكبرى والمنصورة لتبييض المنسوجات وطبعها بالألوان المختلفة.[١٠٧] وقد اشتغل بعض الأسطوات الأرمن بهذه المبيضات. فعلى سبيل المثال، صدرت الأوامر إلي حافظ أفندى - ناظر مبيضة شبرا - في ٥ شوال ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩) بتعيين آرتين ابن الخواجه جرابيد رساماً للبصمخانة في المبيضة بمرتب شهرى «٢٠٠» قرش شريطة أن يُعلم صنعته (النقش علي القماش) للمصريين العاملين بالمبيضة.[١٠٨] ولكن آرتين احتكر هذه الصنعة وراح يُساوم الحكومة علي تعليم التلاميذ، فرفعت الحكومة راتبه

من «٣٠٠» قرش إلى «٧٠٠» قرش في عام ١٨٣٢ ومكافأة علي تعليم كل تلميذ هذه الصنعة كحافز عمل. ولكنه اعترض علي هذا بحجة أنه يعمل بمجهود ثلاثة أشخاص. ثم اشترطت عليه الحكومة إن لم يقبل هذا فسوف يُستبدل بآخر.[١٠٩] ويبدو أنه قبل هذا العرض إذ لم يتم العثور علي قرار بعزله أو استبداله. هذا، وقد ارتبط تصنيع اليازمات Yazma (الطُرح) بالأسطوات الأرمن القادمين من الأستانة [١١٠] حيث كانوا يقومون بإعدادها في المبيضات وتستخدمها النساء لتزيين رؤوسهن.[١١١]

وكذا، اشتغل الأرمن أسطوات وأخصائيين بمعامل النيلة التى أنشأها محمد على لإنتاج صبغة صالحة للتصدير. وقد احتكرت الحكومة إنتاج النيلة منذ عام ١٨١٦ واستقدمت أخصائيين أرمن من الهند لتصنيعها.[١١٢] وأنتج هؤلاء الأخصائيون نوعاً راقياً من الصبغة التى وُضعت في صناديق لتصديرها إلي الخارج.[١١٣] واشتهر بعض هؤلاء الأخصائيين مثل الخواجه بدروس الذى تعيَّن مُهندساً للنيلة بقسمى كفر نجم وأبى كبير بالشرقية ابتداءً من غُرة رمضان ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨) براتب شهرى «٢٠٠» قرش.[١١٤] وقد حققت النيلة مركزاً هاماً فى ميزان الصادرات ولكن تدهورت جودتها بعد مُغادرة الأخصائيين الأرمن مصر حتى تنحى تصديرها في عام ١٨٤٥.[١١٥]

وتعهد الخواجه هوڤانيس أبراهام بتصنيع شمع النحل في مصر منذ عام ١٨٣٠. وأُعطى مبلغ «٢٠٠٠» ريال كرأسمال يعمل به شريطةً أن يُسدده في خلال ثلاث سنوات.[١١٦] ولكنه بعد أن قام بهذا العمل فترة، إدعى الإفلاس وولي هارباً من مصر. [١١٧]

تلك، هى أهم مُساهمات الأرمن في مجال الصناعة المصرية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد ظهر الأرمن كأسطوات وأخصائيين مُنتدبين إلي مصر ليُمارسوا صناعةً بعينها يتطلبها السوق وفقاً لسياسة الاقتصاد الموجه. وقد تركوا بصماتهم بشكلٍ متفاوت علي الإنتاج. ففى حين نجح صانعو الحرير في تعليم صناعتهم للمصريين، لم يترك الصباغون أثراً دائماً عليهم.

ولكن ، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر ازداد تدريجياً دور الأرمن في تنمية بعض الصناعات لاسيما الدخان. وفي الواقع، ارتبطت صناعة الدخان في مصر بالسياسة الاقتصادية التى اتبعتها الدولة العثمانية بعد خروجها بديونٍ كثيرة من حربها ضد روسيا (١٨٧٧-١٨٧٨)، حيث اقترحت لجنة سداد الديون العثمانية نظاماً لتوفير النقود اللازمة وذلك بتوريد عُشر أرباح صناعات الحرير والملح والدخان. وبذا، أصبحت صناعة الدخان حكراً علي فرنسا منذ عام ١٨٨٢. وقد نتج عن هذا، إبعاد عمال المصانع من الأرمن واليهود واليونانيين الذين انتشروا في مناطق عديدة ومنها مصر.[١١٨] يُضاف إلي هذا، صلاحية جو مصر الجاف طوال العام لصناعة الدخان وقربها من مناطق تصدير الدخان الخام (اليونان وإيطاليا والدولة العثمانية) وتوفُّر العمالة اللازمة لها. كما أن تحريم الدين الإسلامى زراعة الدخان أو صناعته قد أفسح المجال لغير المسلمين - ومنهم الأرمن - للعمل في هذا المجال علي نطاقٍ واسع.[١١٩] .

وبذلك ، أسس الأرمن عدة مصانع لإنتاج الدخان في مصر مثل ماتوسيان ومليوكونيان وجامسراجان وإيبيكيان ومجريان وغيرهم. كانت

أغلبية العمال في هذه المصانع من العوام على اختلاف جنسياتهم. وكان الإداريون والمحاسبون والسكرتارية والفنيون وغيرهم من الموظفين - كلهم جميعاً من الأرمن. و قد تأسست هذه المصانع علي غرار مثيلاتها في أوربا وبها متخصصون لإعداد الدخان وورق اللف والعُلب. وتُعد أصعب مرحلة في صناعة الدخان هي عملية خلط الدخان المختلف المصادر والنوعية بحيث تُنتج توليفةً جديدةً باستخدام الميكنة بدلاً من الأيدي العاملة. ونتج عن هذا، إنتاج كميات كبيرة من نوعيات فاخرة ذات نكهة عالية الجودة.[١٢٠]

ويُعد مصنع «ماتوسيان» من أهم مؤسسات صناعة الدخان في مصر، وصاحباه «هوڤانيس وجرابيد ماتوسيان». اشتغل الأخوان ماتوسيان بصناعة الدخان وتجارته ببلدتي سامسون Samsun وبفرا Ba-fra بالدولة العثمانية. ثم جاءا إلى مصر في عام ١٨٨٢، فأسس هوڤانيس سنتئذٍ ورشةً في شارع فرنسا بالإسكندرية لتصنيع الدخان. ولكنها بأساليب بدائية بحيث لم يزد إنتاجها عن بضعة كيلوجرامات يومياً. كما أسس جرابيد في عام ١٨٨٦ ورشةً في العتبة الخضراء بالقاهرة على غرار ورشة أخيه بالإسكندرية.[١٢١] وقد انضم الأخوان في عام ١٨٩٦ في شركة واحدة سُميت «هوڤانيس وجرابيد ماتوسيان وشركاؤهم» ثم تغير اسمها في عام ١٨٩٩ إلي «مصنع ماتوسيان وشركائه». ويلغ رأسمال الشركة في نهاية القرن التاسع عشر حوالى «١٠٠٠٠٠» جنيه مصرى. وأسست الشركة مصانع كبيرة بالجيزة وطنطا والإسكندرية والإسماعيلية وأسيوط «شركة كيڤورك سركيسيان». وتكون مجلس الإدارة من الأخوين ماتوسيان وديران بيليبوسيان وبيزانط مصرفيان وبول هاجوبيان وأنضون زمريان وهوڤانيس

جاديفيان - وجميعهم من أسرة ماتوسيان وأقاربهم.(١٢٢)

ولعله من الجدير بالقول أن أسرة ماتوسيان قد ذاعت شهرتها قُبيل نهاية القرن التاسع عشر في إنتاج أجود أصناف الدخان. ولكنها قد استغلت هذه الشهرة في خلط كميات من أردأ أصناف الدخان بكميات ضئيلة من أجود الأصناف مما أدى إلى الإضرار بصحة المدخنين. كما كانوا يطرحون إنتاجهم المغشوش علي المستهلكين بأعلي الأسعار استناداً إلى شهرتهم. بيد أن الصحف المعاصرة قد وجهت تحذيرات للمدخنين من استخدام دخان ماتوسيان حفاظاً علي صحتهم، كما ناشدت مصلحة الصحة ونظارة الداخلية بضرورة التدخل لحل هذه المسألة التي كادت تطيح بصحة المدخنين. وفعلاً، تدخلت مصلحة الصحة لمراقبة دخان ماتوسيان مما أدى إلي إعادة الصنف إلى جودته الأولى.(١٢٣)

تأتي مصانع ميلكونيان في المرتبة الثانية بعد ماتوسيان. فقد اشتغل الأخوان كريكور وجرابيد ميلكونيان من قيصرية فى صناعة الدخان وتجارته برومانيا Romania. ثم جاءا إلي مصر فى خريف عام ١٨٧٥ حيث استأجرا محلاً بجوار جمرك الإسكندرية وعملا بادئ ذى بدء فى تجارة الدخان بالقطاعى ثم بالجملة. ثم أسسا خلال عامى ١٨٨٢-١٨٨٤ مصنعاً للدخان بالزقازيق، وآخر بالفيوم عام ١٨٨٨، وتوالي بناء المصانع بالإسكندرية وأسوان. وقد بدأت صناعاتهم بطرق بدائية ثم ازدهرت تدريجياً وفى نهاية القرن التاسع عشر أسسا مصنعاً على أحدث الطُرز الأوربية بالقاهرة ونقلا إليه مصنعى الفيوم والإسكندرية. وقد انتشر ممثلو مصانع ميلكونيان في جميع مدن مصر والسودان وأثيوبيا يُروجون لماركة «معدن».(١٢٤)

ويحتل مصنع الأخوين أرميناج وديكران جامسراجان المرتبة الثالثة. فقد تخصص الأخوان جامسراجان من يريقان في صناعة الدخان بالأستانة، ، ثم جاءا إلي مصر في عام ١٨٩٥ هرباً من المذابح وانضما مع صاحب مصنع سركيسيان في شركة عُرفت باسم «شركة الإخوة جامسراجان وسركيسيان لإنتاج الدخان». بيد أنها قد أفلست بحلول عام ١٨٩٧ فانفصل الأخوان جامسراجان وأسسا عامئذ شركة «الإخوة جامسراجان» بالزقازيق. وقد راجت ماركة «أبى نجمة» التى انتجاها في مصر والسودان.[١٢٥]

كما تأسست عدة مصانع أخرى ولكنها ليست بنفس مكانة المصانع السابقة. ففي يناير ١٨٨٥ تأسس مصنع دخان الخواجات مجريان ومانوج حكيميان ونشان أربچيان في شارع منصور باشا بجوار قنطرة الأمير حسن بالقاهرة. [١٢٦] وتأسس مصنع إيبيكيان بالإسكندرية عام ١٨٨٩ . وقد استهل نشاطه بكونه مكتباً لتسويق الدخان الوارد من الدولة العثمانية.[١٢٧] أما مصانع هاچيتيان فقد تأسست عام ١٨٩٦ بالقاهرة، وبدأت بإمكانيات ضئيلة جداً ثم توسع العمل باستخدام آلات حديثة. وقد غطى إنتاجها السوق المحلي وتم تصدير الفائض إلي أمريكا الشمالية وأوربا والسودان.[١٢٨] كما تأسست شركة سانوسيان في شارع الضبطية القديمة بالقاهرة عام ١٨٩٨.[١٢٩]

وهكذا، أسهم الأرمن النازحون إلى مصر في تنمية صناعة الدخان بتأسيسهم عدة مصانع بها تبوأت قمتها ماتوسيان وميلكونيان وجامسراجان. وقد استخدموا التقنيات الحديثة وقتئذ مما أدى إلي زيادة إنتاجهم الذى غطى السوق المحلي وما زاد تم تصديره للخارج.



٤- الحرف

عرفت مصر نظام طوائف الحرف Crafts منذ القرن العاشر إبان الحكم الفاطمى (٩٦٩ - ١١٧١). ويتلخص هذا النظام فى أن أصحاب الحرفة الواحدة يخضعون جميعاً لاتحاد عام يُعد بمثابة نقابة إجبارية. وتتكون الطائفة رأسياً من شيخ الطائفة ثم النُقباء فالمعلمين (الأسطوات) والصبية.(١٣٠) وتقوم هذه الطوائف بالإشراف الفنى على أعضائها. فتُشرف على عملية التصنيع وعلى نوعية المنتجات. وتشترك في تحديد الأسعار. وتقوم بتسوية الخلافات بين أعضائها وتهتم بالمنازعات مع العملاء. وقد أدى التمركز الجغرافي إلي شغل كل طائفة لقطاع معين من المدينة حيث تُقيم سوقاً لها. وبذا، تُمارس الطوائف دوراً إدارياً في الشارع الذى تُقيم به. وكان الحفاظ على الأمن أحد أوجه هذا الدور. يُضاف إلى هذا، أن الطوائف كانت أداة الربط بين السلطة وبين سكان المدن. وكان الشيوخ (ويُسمون باشى Bachi لدن الأرمن) يحتفظون بقائمة أسماء أعضاء الطائفة الأمر الذى يسمح للسلطات باللجوء إليهم عند الحاجة. وكان رؤساء الطوائف ينقلون أوامر الحكومة ويتحققون من تنفيذها ويجبون الضرائب المفروضة علي طوائفهم. كما كانت الحكومة تستشيرهم فى حالة حدوث أزمات اقتصادية. إذَنْ ، كانت الطائفة خلية أساسية «شبه إدارية» تُساعد السلطة على الإحاطة بالرعايا عن طريق المشايخ.(١٣١)

ولكن، تعرضت طوائف الحرف لعدة ضربات خلال القرن التاسع عشر أضعفتها تدريجياً، ومن ثم، أدت إلي تدهورها واختفائها. فقد أراد محمد على إقامة تصنيع حديث فأخضع العمال لنظام حكومى ولجزاءات

مثل إنقاص الأجور فضلاً عن سوء المعاملة والظلم. ورغم ذلك، ظل شيوخ الطوائف يحتفظون ببعض حقوقهم مثل توقيع العقوبات البدنية والغرامات . ثم اتجهت الحكومة خلال حكم سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣) إلي / تحديد سلطة المشايخ بإلغاء حقهم في توقيع الجزاءات. وعلي أثر إنشاء المحاكم المختلطة في مصر سنة ١٨٧٦ زادت ثقة الأجانب فى استثمار أموالهم في مصر فتدفقوا بأموالهم. وعندما احتل الإنجليز مصر في سنة ١٨٨٢ عملوا علي تشجيع الاستيراد من بلادهم وفرضوا قيوداً على الصناعات المحلية التى كانت تتعارض وسياستهم العامة. وفي ٩ يناير ١٨٩٠ صدر قانون ضريبة الحرف الحرة فوضع نهايةً لنظام الطوائف وساعد علي حرية الصناعة وحرية العمال. إذ أُعطيت الحرية لكل عامل مصرى أو أجنبى فى مُزاولة العمل الذى يروقه. يُضاف إلي ذلك، نمو المدن المصرية وتطورها خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر.(١٣٢)

فى هذا الاطار، شغل الحرفيون الأرمن مكاناً هاماً في ميدان الحرف بمصر خلال القرن التاسع عشر. ورغم تضررهم بشكل ملحوظ في ظل ظروف غزو المنتجات الأوربية السوق المصرى، إلا أنهم تماشوا سريعاً مع الأذواق الحديثة وتفوقوا في حرف الصياغة والخياطة والتطريز وصناعة الفراء وغيرها على النحو الآتى :

الصياغة

تُعد الصياغة أقدم الحرف وأهمها التي مارسها الأرمن في مصر. وتدخل في اطارها أيضاً صناعة الفضة والجواهر. وقد تجمع معظم الصاغة الأرمن منذ أواخر القرن الثامن عشر في خان الخليلى

بالقاهرة.[١٣٣] ويذكر كلوت بك Clot bey – ناظر مدرسة الطب خلال حكم محمد على – أن أغلبية صناعى الحلى فى مصر من الأرمن القادمين من الأستانة «... ولهم معرفة عجيبة بتركيب الأحجار الكريمة التى يُكلفهم بتركيبها العظماء والوجهاء من الأتراك. وفي حى مارجوش يشتغل الصُناع بالمرجان والكهرمان يتخذون منها العقود والمسابح...».[١٣٤] وجديرٌ بالذكر أن المسيحيين عموماً قد احتكروا حرفة الصياغة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية. وظلت هذه الحرفة تنمو في مصر من خلال توثيق العلاقات التجارية مع سوق الصياغة الشهير بالأستانة.[١٣٥]

وثمة عدد من الصاغة الأرمن الذين توظَّفوا في قصور الحكام لتلبية احتياجاتهم من الذهب والجواهر مما يدل علي براعتهم وشهرتهم وثقة الحكام فيهم. فقد ظل الخواجه يغيا الجواهرجى الرئيسى لمحمد علي وأسرته منذ عام ١٨١٨ حتي وفاته في عام ١٨٥٠.[١٣٦] واشتغل كل من مجرديتش أغا چيڤاهيرچيان والخواجه جرابيد جواهرجية في قصر سعيد باشا.[١٣٧] كما ظل الخواجه هوڤانيس الجواهرجي الرئيسى للقصر منذ بداية حكم إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) حتي نهاية القرن التاسع عشر.[١٣٨]

هذا، وقد التزم بعض الصاغة والجواهرجية الأرمن بالصاغة مثل الجواهرجي نيجوغوص الذى التزم بها في ربيع ثان ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩) وصدرت إليه التعليمات بمراعاة الدقة في المصاغات التى يُرسلها إلي الضربخانة.[١٣٩] كما صدرت إليه تعليمات بمراقبة المصاغات ومصادرة الناقص منها إلي ذمة الحكومة، والقبض علي الغشاشين، وتعيين خبراء

لمراقبة الدمغة وعيار المصاغ، وأخذ ثُلث بارة عن كل درهم من المصاغ الذى يُرسله أصحابه إلي الضربخانه لدمغه في نظير أجور عمال الدمغه.[١٤٠] ولكنه لم يلتزم بتعليمات الحكومة وارتكب عدة عمليات غش وتزوير وسرقة في المصاغ. فأُلقى القبض عليه وسُجِن بالقلعة في ٢٠ شوال ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩).[١٤١] كما التزم الجواهرجى الكسان بتوريد الذهب والفضة إلي الضربخانه منذ عام ١٨٣٨.[١٤٢] والتزم الجواهرجى هوڤاجيم بتوريد الذهب والفضة اللازمين لحوائج الجهادية.[١٤٣]

وقد نزح إلي مصر خلال حكم إسماعيل ثم نتيجةً لمذابح الأرمن علي أيدى العثمانيين خلال التسعينيات عددٌ كبيرٌ من الصاغة والجواهرجية الأرمن الذين اشتهروا بمهارتهم وخدمتهم ونقلهم إلي مصر العديد من الطُرز العثمانية والأوربية.[١٤٤] ويكفي دليلاً على احتكار الأرمن حرفة الصياغة والجواهرجية أن بلغ عددهم «١٠١» في القاهرة فقط خلال عام ١٨٨٢ مقابل «١٠٦» من المسلمين.[١٤٥] ويُعد عدد الصاغة والجواهرجية الأرمن كبير جداً قياساً إلي قلة أعداد الأرمن بعامة. ناهيك أن الرقم الآنف ينسحب فقط علي أصحاب المحلات وليس على جميع العاملين بالحرفة مما يعكس حجم الأرمن ومكانتهم في هذه الحرفة.

وجدير بالذكر أن الصاغة الأرمن قد اشتهروا بإنتاج الحلي والأساور والخواتم والحلقان ذوات الذوق الرقيق. كما برعوا في طلاء المعادن والخشب والعظم والجلد والزجاج بالماء الذهبى والفضى. ومن أشهر هؤلاء الصاغة عائلات: چيڤاهيرچيان وموميچيان ويرجينيان وعريفيان وكيڤوركيان وبندريان وخانتيميان وغيرهم.[١٤٦]

الخياطة

تُعد الخياطة ثانية أهم الحرف التى اشتغل بها الأرمن فى مصر. وقد انتشرت في القاهرة بعامة أعدادٌ كثيرةٌ من الخياطين المصريين الذين يُخيطون ملابس عادية ومتواضعة للعوام. ويصف كلوت بك كلاً من الخياطين الأرمن واليونانيين في مرتبة أعلى من أقرانهم المحليين لأنهم يُخيطون ملابس مُعقدة وزاهية للطبقة العليا. وفي حين كان الخياطون المصريون يُخيطون للرجال والنساء معاً، تخصص أقرانهم الأرمن في الخياطة لكل منهما علي حده.(١٤٧)

وثمة بعض الخياطين الأرمن قد ارتقوا إلي العمل في قصور الطبقة الحاكمة مما يدل على مهارتهم وشهرتهم. فمنذ عام ١٨٠٧ يُذكر «تاكفور تاغى» رئيساً لخياطى محمد على. فقد صدر أمراً إلي رئيس التجار محمود حسن أغا في ١٧ محرم ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨) بإعطاء مبلغ « ١٦٢٥ » قرش من أموال جمرك بولاق عن موسم ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨) إلى تاكفور تاغى رئيس الخياطين مُقابل أعماله لمحمد على وأسرته خلال الفترة من غُرة شعبان ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧) حتى ١٠ محرم ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨).(١٤٨) وعمل الخواجه جرابيد رئيساً للخياطين في قصر إبراهيم باشا. ففى أمر صادر فى ١٥ رمضان ١٢٣٤ هـ (١٨١٨) يُذكر جرابيد بصفته «ترزى باشى» إبراهيم باشا – أى كبير خياطيه – لإعطائه «٥٠٠٠» أردب أرز دمياطي مقابل أعماله.(١٤٩) كما يُذكر الخواجه بدروس بصفته رئيس الخياطين في قصر بولاق.(١٥٠)

ورغم تعرُّض الخياطين لضربة عنيفة بسبب تدفُّق الملابس الأوربية الرخيصة ذات الجودة خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر(١٥١)،

إلا أن الخياطين الأرمن تماشوا مع الأنواق الأوربية الحديثة. ولذا، ظلوا يتبوأون مكاناً مرموقاً في السوق المصرى.(١٥٢)

التطريز

يُعد التطريز أحد الفروع المُساعدة للخياطة. وقد كان الأرمن يُسيطرون علي هذه الحرفة في الأستانة ثم انتشرت عن طريقهم في مصر وظلوا يحتكروها حتى نهاية القرن التاسع عشر.(١٥٣) ويشهد كلوت بك علي مهارتهم بقوله: «... وهم بارعون فى صناعتهم، ولهم دراية تامة في تكليف الثياب بالقيطان الحريرى أو الذهبى يُنمقون به أشكالاً تطريزيةً جميلةً ورسوماً في غاية الحسن...». ويُنهي كلوت شهادته بأن قليلاً من الأوربيين يستطيعون التفوق عليهم.(١٥٤) كما اشتهر هؤلاء المطرزون بعمل مشغولات الفوط المطرزة بخيوط معدنية مبرومة، ومفارش المحمل الشريف المُطرزة بخيوط معدنية (سيرما) ومزودةً بأهداب من الخيوط المعدنية المبرومة.(١٥٥)

ومما هو جديرٌ بالذكر أنه قد تم استدعاء مطرزين أرمن من الأستانة لتزدية حاجات الطبقة العليا. فعلي سبيل المثال، تم استدعاء السيدة سيربوهى كالفايان من الأستانة ست مرات بين عامى ١٨٤٨ - ١٨٦٥ لتطريز جهاز العروسة وملابسها للأميرات المصريات في عُرسهن.(١٥٦)

وبغض النظر عن الاستفادة الواسعة من استخدام الميكنات والأساليب الغربية الداخلة علي التطريز خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر(١٥٧)، فقد ظل المطرزون الأرمن يحتفظون بمكانة واضحة بسبب تطريزاتهم ذات الذوق الرفيع. فقد ذاعت علي سبيل المثال شُهرة المطرز ديكران مجرديتش بالموسكى حتى الحبشة. فأرسل إليه ملكها

يطلب منه صُنع بُرنس مُرصَّع بالألماظ والجواهر النفيسة، فصنعه على أكمل منظر ورسم في ظهره صورة الحواريين الاثنى عشر. وعندما علم بذلك الخديو توفيق ، طلب رؤية البُرنس. ولما أُحضر إلى سراى عابدين ونظره جميع الحاضرين أعجبتهم صناعته البديعة ورونقه الباهر. عندئذ، أمر الخديو توفيق باعطاء ديكران لقب «طراز سمو الخديو». ومنذ ذلك الحين، أصبح ديكران وأسرته متخصصين فقط في تطريز ملابس العائلة الخديوية.(١٥٨)

صناعة الفراء

كانت حرفة صناعة الفراء من أقل الحرف انتشاراً في مصر بسبب اقتصار ارتدائه على طبقتي العلماء والعظماء. ويذكر كلوت بك أن العدد القليل من الفرائين في مصر كانوا من الأرمن واليونانيين.(١٥٩)

إعداد الأحذية (المركوبجية)

كانت هذه الحرفة من أشهر الحرف التى اشتغل بها الأرمن في مصر. إذ مارسوها بشكلٍ واسع في القاهرة والإسكندرية. وكانت الأحذية الشرقية التى يُعدونها «يمنى، بوستال، شبشب»، والأحذية الأوربية «جزم، بوت» بسبب متانتها وذوقها تُضاهى الأحذية المستوردة من أوربا.(١٦٠) وقد اشتهر كثيرٌ من الجزماجية الأرمن في القاهرة مثل الأسطى هاجوب الاستانبولى فى شارع قنطرة الأمير حسين. وترجع شهرته إلى حُسن اتقانه وجودة بضائعه.(١٦١)

الحفر على الأخشاب والمعادن

تُعد حرفة الحفر علي الأخشاب والمعادن وغيرهما من الحرف التى

اشتهر بها الأرمن في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر. فقد كان الخشب يُحفر وينُقش كى يُستخدم أدوات زينة في المنازل. أما الحفر على الحجر فكان يُستخدم فى الطبع الملون. وكان الحفر على الصلب يُستخدم في القوالب وبعض أدوات الزينة مثل الصور والمستلزمات اليومية للمنزل. أما الحفر علي الزنك فكان يُستخدم في الطباعة. ومن أشهر الحفارين عائلات: فنديان وكراكاشيان وآراكيليان وميناسيان وغيرهم.(١٦٢)

حرف أخرى

اشتغل الأرمن، إضافةً للحرف الرئيسية السابقة، بعدد من الحرف الأخرى ولكن في نطاق ضيق. فقد استدعى محمد علي عدداً من الأرمن «... أرباب صنائع مُعمرين ونجارين وحدادين وبنائين» (١٦٣) للعمل في المُنشآت والمصانع والمدارس والمُستشفيات والمُستودعات وغير ذلك. وقد ارتقى بعضهم إلي مصاف الفنيين العاملين في الورش الحكومية. إذ بسبب مهارة النجار آسادور فقد ارتقي إلي وظيفة رئيس النجارين العاملين في المهمات الحربية. وترجع شهرته إلي إجادته في صناعة السلاحليكات الخشبية.(١٦٤) وبرز من بين الحدادين كيڤورك بك رابائيليان الذى تعلم أسرار الحدادة في الأستانة ثم جاء إلى مصر فى عام ١٨٤٠ وأصبح حداد باشي - كبير الحدادين - محمد علي الذى منحه البكوية. واشتهر ڤاربيد (الأسطى) هوڤانيس بصناعة حدوة الحصان فى إسطبلات عباس الأول وسعيد وإسماعيل.(١٦٥) كما تُؤكد التعدادات أن قلةً ضئيلةً من الأرمن قد مارسوا حرف الميكانيكية

وتصليح الساعات وتصليح الآلات الموسيقية والحلاقة والنقاشة وصناعة الطرابيش والتنجيد والطباخة والطحين وصناعة الشربات.[١٦٦]

وهكذا، اشتغل الأرمن بعدد كبير من الحرف في مصر. ولكنهم قد تفوقوا كماً وكيفاً بشكل واسع في حرف الصياغة والخياطة والتطريز وإعداد الأحذية والحفر علي الأخشاب والمعادن. وبعامة، يُلاحظ ازدياد مجئ الحرفيين الأرمن إلي مصر خلال الفترات التي تشهد نشاطاً عمرانياً كما حدث إبان العقدين الثاني والثالث من حكم محمد علي وإبان حفر قناة السويس.

هذا، وقد جاء معظم هؤلاء الحرفيين من الأستانة - أكبر تجمع حرفي في الدولة العثمانية - بسبب انخفاض الأجور وازدياد المنافسة بها نتيجةً لازدحامها بالسكان فضلاً عن القلاقل السياسية.[١٦٧] ويُلاحظ أنهم جاءوا إلي مصر بحرفهم التي مارسوها واشتهروا بها في الأستانة ومواطنهم الأم باستثناء شريحة غير محددة الحرفة وبلا أدوات اقتصادية.[١٦٨]

ومما هو جديرٌ بالملاحظة أن الأرمن الحرفيين قد استقروا بمصر عموماً. بيد أنهم قد تمركزوا في القاهرة بسبب تركز الأرمن فيها بعامة فضلاً عن كونها أكبر مركز للحرف في مصر. ولم يتم العثور في أية مادة أُتيحت للبحث علي ما يُشير إلي أن الأسطوات الأرمن كانوا يُدربون صبية من غير جنسهم تحت أيديهم خلال القرن التاسع عشر. لذا، ظل أفراد عائلات أرمنية يحتكرون حرفهم طيلة القرن التاسع عشر. ولا يُمارسون غيرها كما يتضح من بعض أسمائهم مثل «چيڤاهيرچيان» (الجواهرجية) و«ترزيباشيان» (الخياطين) و«دميرچيان» (الحدادين). هذا، ولم يُدخل الأرمن أية حرف جديدة إلى مصر. ولكنهم احتكروا

بعض الحرف مثل التطريز بالمعادن (السيرما) والحفر على الأخشاب والزجاج والمعادن.

وأخيراً، حقق الحرفيون الأرمن نجاحاً ملحوظاً في مصر لأنهم أدركوا جيداً ما يتناسب مع ذوق السكان وعرفهم وعاداتهم.(١٦٩) وظل سوقهم ينتعش بدرجة كبيرة دفعت الصحافة الأرمنية إلي القول بأن شهرة شعبهم ترجع إلي مهارة الحرفيين.(١٧٠)



٥- ملكية الأراضى

تكونت ملكية الأرمن من الأراضى في مصر بطريقتين :

أولاً : المنح التى أنعم بها محمد علي وخلفاؤه على حاشيتهم وكبار موظفيهم.

ثانياً: شراء الأراضى من الأفراد والدولة.

بدايةً، لقد منح محمد علي مساحات واسعة من أراضى الأبعادية لأتباعه وكبار رجال دولته مُعفاة من الضرائب بهدف استصلاحها وزراعتها مما يُؤدى بالتالى إلي زيادة مساحة الأراضى المزروعة. وربما كان يهدف من وراء ذلك تكوين فئة من كبار المُلاك يعتمد عليها في الحكم. ومالبث أن منحهم في عام ١٨٣٧ حق توريثها لذريتهم ثم حق ملكيتها ملكية كاملة في سنة ١٨٤٢. وقد واصل خلفاؤه من بعده اتباع هذه السياسة. ويُعد منح هذه الأبعاديات البداية التاريخية لنشأة الملكيات الكبيرة في مصر.(١٧١)

في هذا الصدد، حصل الأرمن المتعاونون مع الحكام علي منح شأن العناصر الأخرى. فقد منح محمد علي في ٢١ جماد أول ١٢٥٤ هـ مساحة «٢٠٠» فدان من أبعادية البحيرة إلي أنضون أفندى الأرمنى - كاتب بوغوص بك.[١٧٢] ومنح في ٢٦ شعبان ١٢٥٧ هـ (١٨٤١) مساحة «٣٠٠» فدان في الرحمانية بالبحيرة إلي أرتين بك - تُرجمانه الأول عامئذ.[١٧٣] كما منح محمد علي في عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧) غيطانى بك الأرمنى - طبيبه الخاص - مساحة «٥٠٠» فدان من أبعاديات الجيزة.[١٧٤] وأنعم في ٢٥ شعبان ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧) بمساحة «٥٠٠» فدان من أطيان أبعادية فرتوه بالبحيرة على خسروف بك تشراكيان - تُرجمانه الأول.[١٧٥] ثم منحه عباس الأول في نهاية جماد أول ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) مساحة «٤٠٠» فدان أخرى بنفس المكان.[١٧٦]

وقد منح عباس في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) مساحة «٣٠٠» فدان من أطيان أبعادية كفر أبي حمص بالبحيرة إلى بنبه تاكوهى - زوجة المهندس يوسف حكيكيان.[١٧٧] ومنح في ١٢ ذى القعدة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) مساحة «٤٠٠» فدان من أبعادية دلجا بمعاونة ملوى في مديرية عموم قبلي إلى جرابيد كالوسديان - ناظر الضربخانة.[١٧٨] ثم منحه ستين فداناً من أبعادية العزيزية بمديرية الجيزة في ١١ رمضان ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠).[١٧٩] وكذا، منح آراكيل بك - شقيق نوبار - مساحة «٢٤٩٥» فدان من أطيان أبعادية أشمون جريس بالمنوفية بموجب أمر في ١٣ جماد أول ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠).[١٨٠]

وقد منح إسماعيل باشا في ٢ صفر ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣) مساحة «٢٠٠» فدان من أبعاديات مديرية الدقهلية إلى آبرام بك - تُرجمانه الثاني.[١٨١] كما منح مساحة «٣٠٠» فدان من أطيان أبعاديات مديرية

الدقهلية إلي دليو بك - طبيبه الخاص - بموجب أمرين في ٩ جماد ثان ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥) وفي غُرة ذى القعدة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥).[١٨٢]

ويُعد نوبار باشا أكثر الأرمن الذين أُنعم عليهم بمنح من الأراضى. فقد منحه محمد علي في ٩ رمضان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦) - وكان سنتئذ تُرجماناً ثانياً له - مساحة «٤٩٤» فدان من أبعاديات في الأقاليم الوسطى.[١٨٣] ومنحه عباس في ٨ جماد ثان ١٢٦٨ هـ (١٨٥١) - وكان سنتئذ تُرجمانه الأول - مساحة «٥٠٠» فدان من أبعاديات نواحى الكواوى ومنيل العروس وأبى عوانى فى مديرية المنوفية.[١٨٤] كما منحه سعيد باشا بأمر صادر في ٥ رمضان ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠) مساحة «٨٠٠» فدان من متروك وأبعاديات بمديرية المنيا وبنى مزار.[١٨٥]

وفوق هذه المنح التى ساهمت كثيراً في تكوين ملكيات الأرمن، فقد اشتروا أراضٍ عديدة من الأفراد والحكومة. ومما هو جديرٌ بالذكر أن الأخوين يعقوب والكسان ميساكيان - صيارفة القومبانية المصرية - ابنا أسادور الآجنى قد اشتهرا بشراء الأراضى. فقد اشتريا بموجب تقسيط في ٢٦ صفر ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤) مساحة أربعين فداناً في صفط اللبن بالجيزة من عمر أفندى - ناظر الجلد - مقابل «٣٩.٠٠٠» قرش.[١٨٦] واشتريا في ١١ شعبان ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤) مساحة «٢٢٤» فدان في ميت القائد بقسم ثان الجيزة من حسن حيدر بك مقابل «٢٥٠.٠٠٠» قرش.[١٨٧] وقد آلت إليهما أطيان بوغوص بك البالغة «١٥٠» فدان في المطرية ومُسطرد بالقليوبية في ٢٥ محرم ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦) وفاءً لديون اقترضها منهما.[١٨٨] كما اشتريا بموجب تقسيط في ٢٥ شعبان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦) مساحة «١٠٠» فدان فى مديرية

المنوفية من خليل أفندى - خازندار الجهادية - مقابل «٣٠,٠٠٠» قرش.[١٨٩] وقد آلت جميع هذه الأطيان في ٢٥ محرم ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨) إلي تاكوهى زوجة الكسان وطاريز زوجة يعقوب وأولادهما.[١٩٠]

وقد اشترى أبراهام ميناقيان الآجنى الأرمنى بموجب حجة في ٢٣ رمضان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥) مساحة «١٧٣» فدان من أطيان قمن العروس وكفر الشيخ عتمان بالبهنساوية التابعة للأقاليم الوسطى من عبد الرحمن بك - معاون جناب خديو - مقابل «٧٥,٠٠٠» قرش.[١٩١] كما اشترى بموجب تقسيط في ٢٦ ربيع أول ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧) مساحة «٣٦٤» فدان في ناحية أطفيح والعطف بالجيزة من أمين لطفي بك بالمعية الخديوية - مقابل «٣٠,٠٠٠» قرش.[١٩٢] واشترت صفية بنت الخواجه بدروس في ١٨ رمضان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥) مساحة «٢٤٩» فدان في نواحي بهنساوية من محمود بك بن محمد أفندي مأمور أشغال المحروسة مقابل «١٨,٠٠٠» قرش.[١٩٣]

كما اشترى رابائيل صباح الأرمنى الكاثوليكي التاجر بالحمزاوي بموجب حجة شرعية في ٢٥ ذى القعدة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١) مساحة «٤٩٤» فدان فى مُنشأة أبى مليج وبنى حلة بالأقاليم الوسطى من نوبار أفندى - تُرجمان أول عباس باشا - مقابل «١٢٠,٠٠٠» قرش.[١٩٤] واشترى مجرديتش الجواهرجى بموجب حجة شرعية في ٢٧ ربيع أول ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥) مساحة «٢٠٠» فدان من أطيان في مديرية بنى سويف والفيوم من خازار إسحق الصراف بحارة اليهود مقابل «٩٢٧٧٥» قرش.[١٩٥] واشترى يوسف السبع التاجر بمصر في ١٠

رجب ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) مساحة «١٣٢» فدان في نواحي قمن العروس وكفر الشيخ عتمان بمديرية بني سويف والفيوم من علي أفندى حيدر وكيل مديرية القليوبية.[١٩٦]

وكذا، اشترى نوبار باشا – ناظر الخارجية – بموجب حجة في ١١ ربيع أول ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) مساحة «٢٠٠» فدان في نواحي شراباص وكفر المياسرة بالدقهلية من موسيو لاويزون مقابل «١٤٦،٢٥٠» قرش.[١٩٧] كما اشترى في ١٤ شعبان ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) مساحة «٤٨» فداناً بنفس النواحي من محمد إبراهيم مقابل «٥٠،٠٥١» قرش.[١٩٨] واشترت ڤوليك هانم زوجة نوبار في غُرة رجب ١٢٨٨ هـ (١٨٧١) مساحة «٣٢» فداناً في ميت السيرج بالقليوبية من عبده باشا – رئيس قومسيون السكة الحديد – مقابل «٣٢،٧٥٠» قرش.[١٩٩] كما اشترى ميسروب سوكياسيان – مُطران الأرمن الأرثوذكس بمصر المحروسة – بموجب حجة في ١٦ ربيع أول ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢) مساحة «١٠٠» فدان في نواحي الهجارسة بمديرية الشرقية من أحمد راشد أفندى – مأمور قلم الوقائع – مقابل «٦٣،٢٧٥» قرش.[٢٠٠]

ومن ناحية أخرى، ظل انتقال أراضي الدولة للأفراد يتم حتى الاحتلال البريطاني عن طريق المنح أكثر منه عن طريق البيع. وترجع فكرة بيع أراضي الدولة الزراعية والقابلة للاستصلاح إلي حكم سعيد. ولكن في ظل الاحتلال البريطاني اتخذت ظاهرة بيع أراضي الدولة للأفراد شكلاً أكثر اتساعاً حيث كانت الأراضي المملوكة للدولة تتركز في ثلاثة قطاعات هي أراضي الأملاك الأميرية الحرة وأراضي الدومين ثم أراضي الدايرة السنية. وقد طُرحت جميعها للبيع.[٢٠١]

هنا أيضاً، اشترى الأرمن مساحات من هذه الأراضى المطروحة للبيع. فقد اشترى إستيبان المقيم بالمنيا بموجب حجتين شرعيتين محررتين فى ٢٣ ذى الحجة ١٢٨٠ هـ وغُرة صفر ١٢٨١ هـ (١٨٦٤) مساحة «٣٠٠» فدان من أطيان زهرة والطاهرة وبنى سموح بمديرية المنيا وبنى مزار من أطيان الميرى التى طُرحت للبيع مقابل «٢٠٠ . ٢٠» قرش.[٢٠٢] كما اشترى فى ٩ صفر ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) مساحة «١٤» فداناً في ناحية بني فجر بمديرية المنيا وبنى مزار مقابل «٤٦٩٠» قرش.[٢٠٣] ثم اشتري في ٢٠ رجب ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) مساحة «١٣» فداناً من أطيان العُهد السنية في ناحية زهرة بمديرية المنيا وبني مزار.[٢٠٤]

كما اشترى أوهان ميناس الترزى بحارة الحمزاوى في مصر المحروسة بموجب حجة في ٢٤ جماد أول ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢) مساحة ثمانية أفدنة في ناحية ترسا بمديرية الجيزة وأطفيح من أطيان الميرى مقابل «١٠٠ . ٦٠» قرش.[٢٠٥] واشترى ستة أفدنة بنفس الناحية بمبلغ «١٢ . ٤٤٧» قرش في ١٠ صفر ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣).[٢٠٦] واشترى الخواجه موقسيس كريكور الترزى بالسكة الحديد في مصر المحروسة بموجب حجة في ٢٠ جماد أول ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) مساحة «٣٠٨» فدان من أطيان زاوية سالم بمديرية البحيرة من أراضى الميري مقابل «٨٢٠ . ٣٣٣» قرش.[٢٠٧] وكذا، اشتري بوغوص باشا نوباريان وديكران باشا أبرويان مساحات تجاوزت الألف فدان من أراضي الدائرة السنية والدومين.[٢٠٨]

وهكذا، يُلاحظ أن معظم شرائح الأرمن قد امتلكوا أراض بمصر.

ولكن، في حين تكونت معظم ملكيات الموظفين ورجال الحاشية من المنح في الأغلب، تكونت ملكيات التجار والحرفيين من المشتروات أساساً. ويُلاحظ أيضاً ازدياد منح الأراضى للأرمن خلال حكم محمد علي مما يدل علي مكانتهم لديه وثقته فيهم فضلاً عن حجمهم في الجهاز الحكومى. ورغم كراهية عباس الأول لهم، إلا أنه أعطى عدداً غير قليل من منح الأراضى الذين كانوا علي علاقة شخصية به أو بأحد أفراد أسرته. وانخفضت المنح بشكل ملحوظ خلال حكمى سعيد وإسماعيل عن ذي قبل مما يعكس وضعية الأرمن وقتئذ.

ومما هو جديرٌ بالملاحظة أن ملكيات الأرمن قد تركزت في الجيزة والمنيا والمنوفية والدقهلية والقليوبية - وهى مناطق قريبة من نطاق تركُّزهم الأساسى فى القاهرة والإسكندرية. كما يُلاحظ أن المُلَّاك الأرمن قد أقاموا بعيداً عن أراضيهم وعهدوا بإدارتها وفلاحتها إلي آخرين عدا فئة قليلة جداً منهم قد استقرت وسط أراضيها وعاشت حياتها كاملة هناك مثل أسرة جُلبينكيان الذين امتلكوا أكثر من «١٥٠٠» فدان بالبحيرة.(٢٠٩) وقد أقاموا عليها مشروعات لتبييض الأرز وفرز القطن. أكثر من هذا، شيدُّوا كنيسة «القديس تاتيوس وبارتوغوميوس» في هذه الأراضى كى يُؤد فيها العمال والفلاحون شعائر دينهم.(٢١٠)

وقد استفاد بعض كبار مُلاك الأراضى من الأرمن العاملين في جهاز الدولة من وظائفهم وثرواتهم في تطوير وسائل الإنتاج بأطيانهم. فبعد هبوط الأسعار عقب نهاية الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) لجأ نوبار باشا وآخرون إلي استخدام الأسمدة الكيماوية والمحاريث والآلات

الخاصة بدرس القمح وانتقاء التقاوى عن طريق الفرز الآلي بهدف الحصول علي أعلي قدر من المحاصيل.[٢١١] ولا غَرْوَ فى هذا، إذ يُعد نوبار باشا من أكبر مُلاَّك الأراضى في مصر. فقد كان يملك إبان حكم إسماعيل «٢٩٤٤» فدان من الأراضى العُشورية وحدها مُوزعةً علي مديريات المنيا وبني مزار والمنوفية والدقهلية والقليوبية.[٢١٢]

وفي الحقيقة استغلت شريحة التجار والأثرياء الأرمن الكنيسة لاستثمار الأراضى سراً خلال القرن التاسع عشر. فقد كانت كنيسة الأرمن بمصر تتبع بطريركية القدس ذات الأراضى والعقارات الواسعة الموقوفة عليها من قبل الخيريين. وكانت كنيسة مصر تُديرها وتُرسل إيراداتها الضخمة إلي القدس. ولكن طمع التجار والأثرياء الأرمن بمصر في الاستئثار بهذه الإيرادات لأنفسهم، لذلك، سعوا إلي تأسيس مطرانية خاصة بهم في مصر ذات هياكل إدارية مستقلة حتى يتمكنوا من اختيار الموظفين المتماشين مع أغراضهم.[٢١٣] ومن ناحية أخرى ، استفادوا من بوغوص يوسفيان في الحصول علي إعفاءات وتسهيلات لكنيستهم من محمد علي.[٢١٤] ثم منعوا مطران مصر من إرسال إيرادات الأراضى والعقارات إلي القدس واشتروا بها أراض جديدة سجلوها باسم الكنيسة والفقراء حتى تكون معفاة من الضرائب وفي نفس الوقت لا يستطيع بطريرك القدس أن يُطالب بها.[٢١٥] وجديرٌ بالذكر أن الأرباح الباهظة التى تُدرُّها هذه الأراضى قد أغرت شريحة التجار والأثرياء المُهيمنين علي شئون الجالية الأرمنية وكنيستها فراحوا يشترون الأراضى ويُسجلونها باسم الكنيسة والفقراء ثم يستأثرون بإيراداتها لأنفسهم قبل أن تذهب إلي صندوق الكنيسة.[٢١٦]

كما استفادت الجالية الأرمنية من الموظفين الأرمن العاملين بالأشغال العامة مثل بوغوص يوسفيان وإستيبان آبرويان - والد ديكران آبرويان - وغيرهما. فقد كان هؤلاء الموظفون مؤثرين منذ أن أصبحوا مسئولين عن تطوير أنظمة الرى. كما كانوا علي دراية بخصوبة الأراضى المُخطط لاستصلاحها فيشترون لأنفسهم عن طريق عملائهم الأراضى البور ويُعيدون بيعها بسعر مُتضاعف. ومن ناحية أخرى، ساعدوا بني جنسهم في الحصول علي الأراضى التى ستُستصلح ويزداد إنتاجها.[٢١٧]



الهوامش

(١) محمد عفيفي، الأقباط فى مصر فى العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ١٧٤-١٧٩.

(٢) دار الوثائق القومية، محافظ الذوات تركي، رقم ٧، وثيقة رقم ٦ /٣، ترجمة أمر صادر في ١٣ ربيع ثان ١٢٣١ هـ؛ محمود متولي، الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص ٢٢٦-٢٢٨، ٢٣٩.

(٣) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٥٢. (بالأرمنية)

(٤) سوف يتم تفصيل هذا في الفصل الرابع عند تناول دور الصيارفة الأرمن في الإدارة المصرية.

(٥) ديوان خديو تركي، س٢/٤٢/١(٧٢٨)، ص٢٣، رقم ٧٧، مكاتبة من ديوان خديو إلى قرة كهيا في غرة محرم ١٢٣٥هـ؛ ديوان المعية تركي، س١/٥٠/٩(٤٠)، ص ٦٢، رقم ٣٤٢، أمر من الجناب العالى إلي الصراف آرام بالأستانة في غرة شوال ١٢٤٥هـ.

(٦) ديوان المعية تركى ، س ١/٤٧/٤(٩)، ص ٢٨، رقم ٢٥٧، مكاتبة من المعية السنية إلي الأغا ناظر السفن في ٨ ربيع ثان ١٢٣٧ هـ؛ محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، محفظة ٣، وثيقة رقم ١١، ترجمة أمر من الجناب العالي إلى بوغوص بك في غرة جماد أول ١٢٤٢هـ.

(٧) محافظ الأبحاث ، رقم ٥٠، محفظة ٣، ترجمة أمر من الجناب العالى إلي الخواجه بوغوص بك في ٢٩ شعبان ١٢٥٨هـ.

(٨) ديوان المعية تركى، س١/٥٠/٥(١٨)، ص ٣٧، رقم ٣٦٠، مكاتبة من الديوان إلي الخازندار في ٢٤ شوال ١٢٣٩ هـ ؛ محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، محفظة ٣، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي أرتين بك في ١٧ شعبان ١٢٦٣ هـ.

(٩) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص بك في ١٦ ربيع أول ١٢٣٦ هـ؛ رقم ٥٠، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي أرتين بك فى ١٧ رجب ١٢٦٤ هـ.

(١٠) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الخارجية، محفظة رقم ٣، قائمة بأسماء نظار الخارجية منذ عصر محمد على حتى عام ١٩١٤.

(١١) محافظ الذوات تركى، رقم ١، وثيقة رقم ٣٩ / ١ ترجمة أمر من محمد علي إلي الخواجه موقسيس صراف ميرمران أكرم حسن باشا فى ١٠ ربيع أول ١٢٢٠هـ.

(١٢) تراجم ملخصات دفاتر تركى، محفظة رقم ١، سجل رقم ١، معية تركى، وثيقة رقم ٢٩ في ٥ شعبان ١٢٢٥ هـ.

(١٣) محافظ بحر برا، رقم ٧، وثيقة رقم ٩١، ورقة ٨٨، ترجمة مكاتبة من محمد نجيب إلي الجناب العالي فى آخر رجب ١٢٣٥ هـ.

(١٤) ديوان المعية تركى، س١/٤٧/٢(٥)، ص ٣٧، رقم ٢٧٩، أمر من محمد على إلى الكتخدا في ٢٧ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ.

(١٥) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أوامر الخزينة تركى، محافظ ٢، ٣، ٤، ٥ خلال الفترة من ١٢٢٧-١٢٣٥ هـ.

(١٦) الجبرتى، المصدر السابق، ص ص ٤٤٨-٤٤٩.

(١٧) Madden, op. cit., p. 95.

(١٨) كانت التجارة في مصر خلال عصر محمد على تُجرى بطريقتين رئيسيتين هما نظام الاحتكار الحكومى ونظام الامتياز.

محمود متولي، المصدر السابق، ص ص ٥٢-٥٣.

(١٩) Hamont, op. cit., Vol. 2. p. 345.

(٢٠) الجبرتى، المصدر السابق، ص ٣٥٩.

(٢١) ديوان خديو تركى، س٢/٤٠/٢٦ (٧٨٥)، ص ١٠٦، رقم ١٦٤، أمر من الجناب العالي إلى ديوان خديو في ٩ ربيع ثان ١٢٤٨ هـ.

(٢٢) ديوان المعية تركى ، س١/٥١/٢ (٥٤)، ص ١١٦، رقم ٤٢٩، أمر من الجناب العالي إلي مختار بك في ٩ ذي القعدة ١٢٥٠ هـ.

(٢٣) نفسه، س١/٦٢/١ (٦٨)، ص ٢٥، رقم ٧٥، أمر من الجناب العالي إلي مختار بك في ٣ جماد أول ١٢٥١ هـ.

(٢٤) دار الوثائق القومية، ديوان المعية عربي، س ١/٢/٨ (٧٧)، ص ٤١٩، رقم ٣٣٦، مكاتبة من كتخدا باشا إلي مأمور واردات القصر في ٢٠ ربيع ثان ١٢٦٨ هـ

(٢٥) ديوان المعية تركى، س١/٥٠/٧ (٢١)، ص ٢٦، رقم ١٣٥، مكاتبة من المعية إلي الخواجه بوغوص في ١٣ شوال ١٢٤٠ هـ.

(٢٦) ديوان خديو تركى، س٢/٣٠/ ٤ (٧٣٣)، ص ٢٠، رقم ٩٩، مكاتبة من ديوان خديو إلي مديرى مديريات شرق أطفيح والأقاليم الوسطى لغاية أسوان فى ١٤ شوال ١٢٤٢ هـ.

(٢٧) ديوان المعية تركى، س١/٤٧/١٥ (٣٨)، ص ٥٣، رقم ٤٨٢، أمر من الجناب

العالى إلى عبد الرازق أغا مـأمـور المنصورة ومـحلة دمنة في غرة شـعـبان ١٢٤٥ هـ.

(٢٨) ديوان خـــديو تركي، س٢/٤٠/٣٦ (٧٨٥)، ص ١٢، رقم ٢٠، مكاتبـــة من المجلس العالى إلى ديوان خديو في ١٢ محرم ١٢٤٨ هـ.

(٢٩) نفسه، س٢/٢٨/٥ (٣٧٤)، ص ٥٤، رقم ٤١٦، أمر من الجناب العالي إلي ديوان خديو فى ١٥ جماد ثان ١٢٥٣ هـ.

(٣٠) مـحـافظ الذوات تركي، رقم ٤، وثيـقـة رقم ١/٢٤٤، ترجـمـة أمـر مـن الجناب العالي إلي مختار بك في ١٨ ربيع أول ١٢٥٢ هـ.

(٣١) ديوان خديو تركى، س٢/٥٦/١ (٨٠٦)، ص ١١٤، رقم ١٠٥، أمر من محمد على إلي مأمور ديوان الخديوى فى ٢ شعبان ١٢٥٠ هـ.

(٣٢) مـحـافظ الذوات تركي ، رقم ٧، وثيـقـة رقم ٧/٥٦، ترجـمـة أمـر من الجناب العالي إلي مفتش عموم الحسابات المصرية فى ١٤ رجب ١٢٥٣ هـ.

(٣٣) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أوامر الخزينة تركى، محافظ ٢، ٣، ٤، ٥ خلال الفترة من ١٢٢٧-١٢٣٥ هـ.

(٣٤) ديوان المعية تركى، س١/٥٠/٥ (١٨)، ص ٦، رقم ٦٤٥، مكاتبة من المعية إلي ناظر مبيضة بولاق فى ٢٨ربيع ثان ١٢٤٠ هـ.

(٣٥) نفسه، س١/٤٧/٣(٦)، ص ٨١، رقم ٧٥٥، أمـر من الجناب العـالي في ٢٢ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ.

(٣٦) نفسه، س١/٤٧/٧ (١٧)، ص ١٦، رقم ١٠٨، أمـر من الجناب العـالي إلي الخازندار في غرة صفر ١٢٣٦ هـ.

(٣٧) محافظ الذوات تركى، رقم ٩، وثيقة رقم ٢/٢٠٦، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف فى ٢٦ صفر ١٢٤٠ هـ.

(٣٨) ديوان المعية تركى، س١/٥٠/٧ (٢١)، ص ١٣٤، رقم ٦٣٧، أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص بك فى أخر جماد أول ١٢٤٢ هـ.

(٣٩) محافظ الذوات تركى، رقم ١٢، وثيقة رقم ٥/٢٦٩، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي الشيخ إسماعيل أفندى ناظر شونة الإسكندرية في ٨ ربيع ثان ١٢٤٤ هـ.

(٤٠) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، محفظة رقم ٢، أوامر ديوان التجارة، وثيقة رقم ١٢٧، أمر من الجناب العالي إلي بوغوص بك فى ١١ ربيع أول ١٢٤٣ هـ.

(٤١) نفسه، رقم ٥٠، أوامر ديوان التجارة والمبيعات ، أمر من الجناب العالى إلي أرتين بك فى ١٤ جماد ثان ١٢٦٣ هـ.

(٤٢) محافظ الذوات تركى، رقم ٥، وثيقة رقم ١/١٠٦، ترجمة أمر من الجناب العالى إلي الخواجه قرة بت مأمور جمرك بولاق في ١٣ ربيع ثان ١٢٢٧ هـ.

(٤٣) نفسه، وثيقة رقم ١٢٣ ، ترجمة أمر من الجناب العالى إلي إسحق وهوقانيس أمينى جمرك دمياط فى ١٧ شوال ١٢٣٠ هـ.

(٤٤) محافظ بحر برا ، رقم ٧، وثيقة رقم ٤، ترجمة مكاتبة من محمد نجيب إلى الجناب العالي في غرة صفر ١٢٣٥ هـ.

(٤٥) ديوان المعية تركى ، س١/٥٠/٥ (١٨)، ص ٢٣، رقم ١٦٧، مكاتبة إلي يوسف يعقوب الأرمنى ملتزم جمرك جدة في ٢٣ رمضان ١٢٣٩ هـ.

(٤٦) ديوان خديو تركى، س ٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ١٦٥، رقم ٣٩١، أمر من الجناب العالي إلى ديوان خديو فى ٢٢ شوال ١٢٤٥ هـ.

(٤٧) ديوان المعية تركى، س١/٦٢/١ (٦٨)، ص ٢٢٥، رقم ٣٦١، أمر من الجناب العالي إلى بوغوص بك في ٢٩ رجب ١٢٥١ هـ؛ ديوان المعية عربى، س١/٨/١٥ (٥٨)، ص ٢٢٩، رقم ٢٠٨، مكاتبة من المعية السنية إلي وكلاء دوائر القصر في ٢٦ محرم ١٢٦٧ هـ.

(٤٨) الجبرتى، المصدر السابق، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤٩) ديوان المعية عربى، س١/٨/٨ (٤٤)، ص ٦٩٥، رقم ٢٢٠، مكاتبة من المعية إلي مجلس الأحكام في ١٦ رجب ١٢٦٦ هـ.

(٥٠) نفسه، س ١/٢/٥ (٦٣)، ص ٨٠٤، رقم ٨٠٨، مكاتبة من المعية السنية إلي ديوان المالية في ١٦ رجب ١٢٦٧ هـ.

(٥١) الجبرتى، المصدر السابق، ص ٣٥٩.

(٥٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر عال من الجناب العالي إلى الخواجه بوغوص في ٢٢ شوال ١٢٣٨ هـ؛ رقم ٥٠، ترجمة أمر من الجناب العالى إلي بوغوص بك في ٥ ذى القعدة ١٢٥٧ هـ.

(٥٣) لمزيد من التفاصيل حول إنشاء هذا المصرف أنظر:

محمود متولي، المصدر السابق، ص ص ٥٣ - ٥٤؛ علي الجريتلى، تطور النظام المصرفى فى مصر، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة ١٩٦٠، ص ص ٢٠٠-٢٠٢؛ أمين مصطفى عفيفى عبدالله، تاريخ مصر الاقتصادى والمالى في العصر الحديث، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٤٧١.

(٥٤) Hamont. op. cit., Vol. 2, pp. 304-305.

(٥٥) ديوان المعية عربى، س١/١/٢٢ (٧٨)، صادر المعية إلى الدواوين والأقاليم، ص ١٢، مكاتبة من الديوان إلي الخواجه إسطفان (إستيبان) مترجم ديوان التجارة في ٢٧ ذى القعدة ١٢٣٨ هـ.

(٥٦) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، أوامر ديوان التجارة والمبيعات، مكاتبة من الديوان إلي الخواجه أبراهام أبرويان في ١٠ جماد ثان ١٢٣٨ هـ؛ مكاتبة من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص في ١٠ رجب ١٢٣٨ هـ؛ أمر من الجناب العالي إلي الخواجه أبرو في ١٣ شوال ١٢٥٩ هـ.

(٥٧) نفسه، أمر من محمد علي باشا إلي الخواجه بوغوص في ١٦ ربيع أول ١٢٣٦ هـ؛ رقم ٥٠، أمر من محمد على باشا إلي آرتين بك في ٢٦ جماد ثان ١٢٦٢ هـ؛ ديوان المعية تركى، س١/٥٠/٤ (١٤)، ص ٢١، رقم ٨٢، أمر من محمد على باشا إلى بوغوص بك في ٢٩ شعبان ١٢٣٨ هـ.

(٥٨) الجبرتى، المصدر السابق، ص ٣٨٤.

(٥٩) هيلين أن ريفيلين، الاقتصاد والإدارة في مصر فى مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفي ومصطفي الحسينى، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٧، ص ٢٥٤.

(٦٠) محافظ الذوات تركي، رقم ٥، وثيقة رقم ١/٢١٢، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف في ٣ صفر ١٢٤١ هـ.

(٦١) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجناب العالي فى ١٦ شعبان ١٢٤٤ هـ.

(٦٢) الجبرتى، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٦٣) محافظ الذوات تركى، رقم ٢، وثيقة رقم ٦/٧٢، ترجمة أمر من الجناب العالى إلى زكى أفندى المكتوبچى الخاص في غرة صفر ١٢٤٩هـ.

(٦٤) Ninet, John, Le Commerce Européen d'Importation en Egypte de la Bazar Égyptien, Berne, 1866, p. 9.

(٦٥) Deeh, op. cit., pp. 15-16.

(٦٦) Regny, E, de, Statistique de L'Egypte 1870-1873, Alexandrie, p.72.

(٦٧) Issawi, Charles, Egypt, An Economic and Social Analysis, London, 1946, p. 17.

(٦٨) محافظ ملخصات دفاتر تركي، رقم ٩، وثيقة رقم ٧٢، ترجمة مكاتبة من حافظ خليل باشا ناظر البحرية إلي كاتب ديوان خديو في غرة ربيع ثان ١٢٧٢ هـ.

(٦٩) ديوان المعية عربى، س١/١/١٣ (١٨٩١)، صادر الأوامر، ص ٥٨، رقم ٢٣، أمر كريم إلي نظارة المالية في ٢٣ ربيع ثان ١٢٧٥ هـ.

(٧٠) نفسه، س١/١/٢ (١٨٨١)، صادر الأوامر، ص ٣٦٣، رقم ٥٨، أمر كريم إلي محافظ المحروسة فى ٢٥ شعبان ١٢٧١ هـ.

(٧١) نفسه، س١/١/٧ (١٨٨٥)، صادر الأوامر ، ص ٧٠، رقم ١٥٦، أمر كريم إلى محافظ الإسكندرية فى ٢٩ ذى الحجة ١٢٧٢ هـ.

(٧٢) أرماقينى (النخلة)، ١٨٦٥/٤/١٦، القاهرة . (بالأرمنية)

(٧٣) Issawi, op. cit., p. 17.

(٧٤) تويوزيان، المصدر السابق، ص ٦٢. (بالأرمنية).

(٧٥) El-Gritly, Ali, "The Structure of Modern Industry in Egypt". L'Egypte Contemporaire, Le Caire, Vol. 38, 1948, p. 509.

(٧٦) تويوزيان، المصدر السابق، ص ١١٠. (بالأرمنية)

(٧٧) محمد فهمى لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤، ص ص ٤٧٩-٤٨١.

(٧٨) Pankhurst, Sylvia, Ethiopia, London, 1955, pp. 489-507.

(٧٩) الإتحاد المصرى ، عدد ١٠٤٣، الخميس ١٨٩١/٥/٣١؛ الأهالي، عدد ٣٥، الخميس ١٨٩٥/١/١٧؛ عدد ٣٧، الثلاثاء ١٨٩٥/١/٢٢؛ الإخلاص، عدد ٥، الجمعة ١٨٩٥/٦/٧.

(٨٠) Cromer, The Earl of, Modern Egypt, Edition 2, London, 1911. p. 630.

(٨١) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، ١٨٩٧، خانات المهنة ومحل الميلاد ومحل الإقامة.(بالأرمنية)

(٨٢) بيزنطيون، ١٨٩٨/١/٣٠، الأستانة. (بالأرمنية)

(٨٣) الأخبار، عدد ١٤١، الثلاثاء ١٨٩٧/١/٢٦؛ عدد ١٥١، السبت ١٨٩٧/٢/٦؛ البريد، عدد ٢٣٧، الخميس ١٨٩٨/١٠/٢٠؛ عدد ٢٤٠، الثلاثاء ١٨٩٨/١١/٢٢؛ عدد ٢٤١ الثلاثاء ١٨٩٨/١٢/٦.

(٨٤) أحمد أحمد الحتة، تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

(٨٥) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من محمد على باشا إلى الخواجه بوغوص في رجب ١٢٣٩ هـ.

(٨٦) محافظ الذوات تركى، رقم ٣، وثيقة رقم ٦ / ٤، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف في ٢٦ صفر ١٢٤٠ هـ.

(٨٧) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص فى ٢٤ جماد ثان ١٢٤٠ هـ.

(٨٨) هيلين أن ريڤيلين، المصدر السابق، ص ٢٢١.

(٨٩) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ- ١٩٢٨ م، الجزء الثانى، ص ٣٢٢.

(٩٠) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢٢ جماد أول ١٢٤٢ هـ.

(٩١) محافظ الذوات تركى، رقم ٩، وثيقة رقم ٢/١٢٣، ترجمة أمر من الجناب العالي إلى الخواجه بوغوص فى ١٧ شوال ١٢٤٢ هـ.

(٩٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص فى ١٧ رجب ١٢٤٢ هـ.

(٩٣) أحمد أحمد الحته، تاريخ الزراعة المصرية، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٩٤) هيلين أن ريڤيلين ، المصدر السابق، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٩٥) محافظ الأبحاث، المصدر السابق، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢٥ ربيع ثان ١٢٣٩ هـ.

(٩٦) هيلين أن ريڤيلين، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(٩٧) أحمد أحمد الحته، تاريخ الزراعة المصرية، ص ١٤٧.

(٩٨) Mengin, M. Felix, Histoire Sommaire de L'Egypte Sous Le Gouvernement de Mohammed Ali, Paris, 1839, p. 204.

(٩٩) أحمد أحمد الحته، تاريخ الزراعة المصرية، ص ٢٦٢.

(١٠٠) هيلين آن ريڤلين ، المصدر السابق، ص ص ٢٣٦-٢٣٧.

(١٠١) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدى عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، ١٩٣٤، ص ٤٤.

(١٠٢) El-Muwelhi, Ibrahim, "L'Introduction de la Mandarine en Egypte", La Bourse Egyptienne, Le Caire, 13/8/1940.

(١٠٣) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, p. 179.

(١٠٤) Mengin, op. cit., p. 204.

(١٠٥) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, op. cit., p. 179.

(١٠٦) عمر طوسون، الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا، الطبعة الثانية، الإسكندرية ، ١٩٣٢، ص ١٠.

(١٠٧) نفسه، ص ٩.

(١٠٨) ديوان خديو تركي، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ٩٥، رقم ٢١٨، مكاتبة من المجلس العالى إلي ديوان خديو في ٥ شنوال ١٢٤٥ هـ.

(١٠٩) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، جـ٢، ص ٤١٠.

(١١٠) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٥٠. (بالأرمنية)

(١١١) عمر طوسون، المصدر السابق، ص ٩.

(١١٢) هيلين آن ريفلين، المصدر السابق، ص ص ٢٢٠-٢٢١.

(١١٣) محافظ الذوات تركى، رقم ٩، وثيقة رقم ٢/٢٠٢، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف في ١٨ صفر ١٢٤٠ هـ.

(١١٤) ديوان خديو تركى، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ٥، رقم ١٠، مكاتبة من المجلس العالى إلي الديوان الخديوى في ٢٨ شعبان ١٢٤٥ هـ.

(١١٥) هيلين آن ريفلين، المصدر السابق، ص ص ٢٢١-٢٢٣.

(١١٦) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر في ١١ ربيع أول ١٢٤٦ هـ.

(١١٧) محافظ الذوات تركى، رقم ٢، وثيقة رقم ٦/٧٣، ترجمة أمر من الجناب العالى إلي زكى أفندى المكتوبجى الخاص في غرة صفر ١٢٤٩ هـ.

(١١٨) "Livre d'Or de la Fédération Egyptienne de l'Industrie". Le Caire, 1948, p. 201.

(١١٩) مليكه عريان، مركز مصر الاقتصادى، القاهرة، ١٩٢٣، ص ص ٩٦-٩٧.

(١٢٠) توبوزيان ، المصدر السابق، ص ١٠٠(بالأرمنية) ؛ مليكه عريان، المصدر السابق، ص ٩٦.

(١٢١) كارداشيان، المصدر السابق، جـ١، ص ٢٧٦. (بالأرمنية)

(١٢٢) توبوزيان، المصدر السابق، ص ص ١٠١-١٠٢. (بالأرمنية)

(١٢٣) البريد، عدد ٢٢٣، الثلاثاء ١٨٩٨/٧/٥؛ عدد ٢٢٤، الثلاثاء ١٨٩٨/٧/١٢؛ عدد ٢٢٥،الثلاثاء ١٨٩٨/٧/١٩؛ عدد ٢٢٨، الثلاثاء ١٨٩٨/٨/٩؛ عدد ٢٣١، الثلاثاء ١٨٩٨/٨/٣٠؛ عدد ٢٣٣، الثلاثاء ١٨٩٨/٩/١٣.

(١٢٤) كارداشيان، المصدر السابق ، ص ص ١٠٢-١٠٣. (بالأرمنية)

(١٢٥) توبوزيان، المصدر السابق، ص ص ١٠٢ - ١٠٣. (بالأرمنية)

(١٢٦) الزمان، عدد ٥٢٨، الثلاثاء ١٨٨٥/١/١٣.

(١٢٧) توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٣. (بالأرمنية)

(١٢٨) "Twentieth Century Impression of Egypt", London, 1909, p. 495.

(١٢٩) البريد، عدد ٢٣٥، الخميس ١٨٩٨/١٠/٦.

(١٣٠) اشترك أصحاب الحرفة الواحدة في فكرة الوعي بالمصالح الاقتصادية والدينية - الأخلاقية والإدارية والاجتماعية والمساعدة المتبادلة. وكان أعضاء الطائفة يشتركون معاً في الحياة اليومية بمرها وحلوها.

لمزيد من التفاصيل حول طوائف الحرف المصرية وعددها وتنظيمها وتركيبها البنائي ومزاياها وعيوبها انظر:

سليمان محمد النخيلى، تاريخ الحركة العمالية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص ٢٠-٢٣؛ صلاح أحمد هريدى، الحرف والصناعات فى عهد محمد علي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ١٤-٤٩.

(١٣١) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٩٨ -١٠٠.

(١٣٢) لقد تدفق المواطنون بكثرة إلي المدن خلال النصف الثانى من القرن التاسع

عشر مما زاد كثيراً من أعداد هؤلاء الذين لم يكونوا أعضاءً في الطوائف الحرفية مما جعل من الصعب علي هذه الطوائف الاحتفاظ باحتكاراتها. وكان نمو المدن المصرية مصحوباً بتحديث تدريجي لمهن وحرف معينة.

سليمان محمد النخيلي ، المصدر السابق، ص ص ١٨-١٩، ٢٤-٢٦؛ جبريل بيير، دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة، ترجمة: عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمي الجمال، مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٣٠١-٣١٢؛

Ninet. op. cit.. pp. 11-12.

(١٢٣) أنور عبد الواحد، قصة المعادن الثمينة، دار العلم، سلسلة المكتبة الثقافية، رقم ٨٩، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٨٢.

(١٢٤) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٤٨٤.

(١٢٥) علي زين العابدين، المصاغ الشعبى فى مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٢.

(١٢٦) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أمر إلي الخواجه بوغوص في ٢١ شعبان ١٢٣٢ هـ: ديوان المعية عربي، س ١/٢/١٢ (٩٨)، ص ٦٩٦، رقم ٨٧٢، صادر من المعية السنية إلي مجلس التجار في ١٨ شعبان ١٢٦٧ هـ.

(١٢٧) محافظ الذوات تركي، رقم ١٢، وثيقة رقم ٤٤٥، ترجمة مكاتبة من عثمان عصمت أمين جمرك الإسكندرية إلي الخازندار في ٢١ ذى القعدة ١٢٧٢ هـ؛

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٩٧.(بالأرمنية)

(١٢٨) أمين سامي، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٩١٣؛

Boudjikanian, Aida K.. "Les Rôles Socio-Economiques et Politiques des Arméniéns d'Egypte au XIX Siécle". Colloques Internationaux du CNRS. Paris. 1983. No. 607. p. 444.

(١٣٩) ديوان خديو تركي، س٢/٤٠/١٢، (٧٦٠)، ص ٤٧، رقم ١٣٥، مكاتبة من ديوان خديو إلى راغب أفندى ناظر الضربخانة في ١٠ ربيع ثان ١٢٤٥ هـ.

(١٤٠) نفسه، ص ٥٠، رقم ١٤٣، مكاتبة من ديوان خديو إلي راغب أفندي ناظر الضربخانة في ١٢ ربيع ثان ١٢٤٥ هـ.

(١٤١) نفسه ، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ١٥٤، رقم ٣٦٢، مكاتبة من المجلس العالى إلي ديوان خديو في ٢ شوال ١٢٤٥ هـ.

(١٤٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر صادر في ١٦ صفر ١٢٥٤ هـ.

(١٤٣) ديوان المعية تركي، س١/٥٥/٥ (٨٦)، ص ٢٩، رقم ٧٥، أمر عال إلي الكتخدا في ٢ شعبان ١٢٥٢ هـ.

(١٤٤) على زين العابدين، المصدر السابق، ص ص ٧٢-٧٣.

(١٤٥) على مبارك، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٠٠.

(١٤٦) تويوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٦: تعداد الأرمن الكاثوليك في عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة المهنة. (بالأرمنية)

(١٤٧) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٤٧٣.

(١٤٨) محافظ الذوات تركى ، رقم ٤، وثيقة رقم ١/٩٦، ترجمة أمر عال من محمد علي باشا إلي رئيس التجار محمود حسن أغا في ١٧ محرم ١٢٢٣ هـ.

(١٤٩) ديوان المعية تركى، س ١/٤٧/١ (٢)، ص ٣٣، رقم ٣٢٨، أمر من محمد على باشا إلى محمد أفندى ناظر الأرز برشيد في ١٥ رمضان ١٢٣٤ هـ.

(١٥٠) ديوان خديو تركى، س٢/٤٠/١٧ (٧٧٠)، ص ١٦٣، رقم ٢٤٣، مكاتبة من المجلس العالي إلي ديوان خديو في غرة ربيع ثان ١٢٤٦ هـ.

(١٥١) محمد فهمى لهيطة، المصدر السابق، ص ٤٥٥.

(١٥٢) تعدادات الأرمن الكاثوليك في عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة المهنة.(بالأرمنية)

(١٥٣) نادية يوسف خفاجي، فن الزخرفة بالعقد «فن المكرمية»، دار المعارف، سلسلة إقرأ ، رقم ٤٢٩، القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ٩٠-٩١.

(١٥٤) كلوت بك، المصدر السابق، ص ص ٤٧٣-٤٧٤.

(١٥٥) نادية يوسف خفاجي، المصدر السابق، ص ٩١.

(١٥٦) Boudjikanian. op. cit.. p. 444.

(١٥٧) سعد الخادم، تاريخ الأزياء الشعبية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٤، ٣٥.

(١٥٨) الزمان، عدد ٤٤٨، السبت ١١/١٠/١٨٨٤.

(١٥٩) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٤٧٤.

(١٦٠) صلاح أحمد هريدى، المصدر السابق، ص ٧٠؛ آلبويچيان، المصدر السابق، ص ٢٠٢.(بالأرمنية)

(١٦١) الزمان، عدد ٢٧٦، الخميس ١٣/٢/١٨٨٤.

(١٦٢) توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٦. (بالأرمنية)

(١٦٣) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٩٤.

(١٦٤) ديوان المعية عربي، س١/٨/٢٣ (٨٦ جـ١)، ص ١٥، رقم ٥، أمر صادر في ٢٧ ذي الحجة ١٢٦٨ هـ.

(١٦٥) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٩٠، ٣٠٩. (بالأرمنية)

(١٦٦) تعدادات الأرمن الكاثوليك في عامي ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة المهنة.(بالأرمنية)

(١٦٧) Karpat. Kemal H.. "Ottoman Population Records and the Census of 1881/82-1893". International Journal of Middle East Studies. London, 1968. No. 9. pp. 257-274.

(١٦٨) تعدادات الأرمن الكاثوليك في عامي ١٨٨٥، ١٨٩٧، خانة المهنة.

(١٦٩) حلمي محروس إسماعيل، دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٧٣:

Issawi. op. cit.. p. 35.

(١٧٠) أزاد بم (المنبر الحر)، ١٩٠٧/١/١٦، القاهرة.(بالأرمنية)

(١٧١) علي بركات، تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره علي الحركة السياسية (١٨١٣-١٩١٤)، دار الثقافة الجديدة. القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ٧١-٧٢

(١٧٢) دار الوثائق القومية، سجلات تقاسيط الأباعد العشورية، رقم ١٢٢٨. جـ٥، ص ٢١.

(١٧٣) نفسه، رقم ١٢٣٠. جـ ٧. ص ٥٧.

(١٧٤) نفسه، رقم ١٢٣٩. جـ ١٥. ص١٣١.

(١٧٥) نفسه، رقم ١٢٣٧، جـ ١٣، ص ٦٥.

(١٧٦) نفسه، رقم ١٢٣٩، جـ ١٥، ص ١٥٨.

(١٧٧) نفسه، رقم ١٢٣٨ ، جـ ١٤، ص ٨١.

بنبه تاكوهى هى شقيقة الأخوين أرتين وخسروف تشراكيان. وكانت تعمل وصيفة لوالدة عباس الأول.

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٤٢.(بالأرمنية)

(١٧٨) سجلات تقاسيط الأباعد العشورية، المصدر السابق، ص ١٩٣.

استدان عباس الأول مبلغاً كبيراً من المال من جرابيد كالوسديان عندما اضطر للرحيل إلي الحجاز في عام ١٨٤٧ لأسباب سياسية. وعندما تولي عباس حكم مصر كافأه في نظير ذلك بنظارة دار سك العملة بين عامى ١٨٤٩ -١٨٥٤.

كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٤٣. (بالأرمنية)

(١٧٩) سجلات تقاسيط الأباعد العشورية، رقم ١٢٤١، جـ ١٧، ص ٧٤.

(١٨٠) نفسه، ص ١٦٠.

(١٨١) نفسه، رقم ١٢٥٣، جـ ٢٩، ص ص ١٢٩-١٤١.

(١٨٢) نفسه، رقم ١٢٧٣، جـ ٤٨، ص ص ١٠-١١، ٢٢٠-٢٢٢.

(١٨٣) نفسه، رقم ١٢٧٣، جـ ١٣، ص ٣٤.

(١٨٤) نفسه، رقم ١٢٤٢، جـ ١٨، ص ٢٥.

(١٨٥) نفسه، رقم ١٢٤٥، جـ ٢١، ص ٩٤.

(١٨٦) نفسه، رقم ١٢٣٥، جـ ١٢، ص ٢١٩.

(١٨٧) نفسه، رقم ١٢٣٣، جـ ١٠، ص ٣٠.

(١٨٨) نفسه، ص ٩٤.

(١٨٩) نفسه، رقم ١٢٣٧، قسم ٢ من جـ ١٣، ص ٢٤.

(١٩٠) نفسه، رقم ١٢٨٠، جـ ٥٦، ص ص ٨٥-٨٦، ١٢٨-١٢٩.

(١٩١) نفسه، رقم ١٢٣٥، جـ ١٢، ص ١٤٨.

(١٩٢) نفسه، رقم ١٢٤١، جـ ١٧، ص٢.

(١٩٣) نفسه، رقم ١٢٣٥، جـ ١٢، ص ٢١٥.

(١٩٤) نفسه، رقم ١٢٤٢، جـ ١٨، ص ٤٦.

(١٩٥) نفسه، رقم ١٢٤٣، جـ ١٩، ص ٢١٥.

(١٩٦) نفسه، رقم ١٢٧٤، جـ ٥٠، ص ص ٨٤-٨٥.

(١٩٧) نفسه، رقم ١٢٨٣، جـ ٥٩، ص ٢١٦.

(١٩٨) نفسه، رقم ١٢٨٥، جـ ٦١، ص ص ٩٤-٩٥.

(١٩٩) نفسه، رقم ١٢٩٤، جـ٧٠، ص ص ١٩-٢٠.

(٢٠٠) نفسه، رقم ١٢٩٧، جـ ٧١، ص ص ٧٢-٧٤.

(٢٠١) على بركات، المصدر السابق، ص ص ١١١-١٢٢.

(٢٠٢) سجلات تقاسيط الأباعد العشورية، رقم ١٢٦٤، جـ٤٠، ص ص ٧٧-٧٩.

(٢٠٣) نفسه، رقم ١٢٧٣، جـ ٤٩، ص ٧١.

(٢٠٤) نفسه، رقم ١٢٨٩، جـ ٦٥، ص ١٢٤.

(٢٠٥) نفسه، رقم ١٢٤٩، جـ ٢٥، ص ٢٠٤.

(٢٠٦) نفسه، رقم ١٢٥٣، جـ ٢٩، ص ص ٤-٥.

(٢٠٧) نفسه، رقم ١٢٧٤، جـ٥٠، ص ص ٨-١٠.

(٢٠٨) رؤوف عباس حامد، النظام الاجتماعى فى مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧-١٩١٤، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦١.

(٢٠٩) ديوان المعية تركى ، س١/٥٧/٢ (٥٨)، ص ٢٢، رقم ٩٧، مكاتبة من المعية إلى ناظر دمنهور والرحمانية في ٤ صفر ١٢٤٩ هـ.

(٢١٠) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٠٧-١٠٨. (بالأرمنية).

(٢١١) رؤوف عباس حامد، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢١٢) على بركات، المصدر السابق، ص ١٧٤.

(٢١٣) Sanjian. Avedis. K. The Armenian Communities in Syria under Ottoman Dominion. Cambridige. 1965, p. 157.

(٢١٤) دار الوثائق القوميــة، سجــلات عابـدين تركى، س ٥/١=/١٠ (٢١٤)، ص ١٩، رقم ٨٤، أمر مــن الجناب العالى إلى شريف باشا في ١١ محرم ١٢٥٣ هـ.

(٢١٥) Sanjian. op. cit.. p. 128.

(٢١٦) Adalian. op. cit.. p. 123.

(٢١٧) Ibid.. pp. 123-124.



الفصل الرابع

الأرمن في الجهاز الحكومي

١- التعليم
٢- المالية
٣- السكك الحديدية
٤- التجارة والخارجية
٥- الحقانية
٦- الداخلية
٧- الأشغال

لقد أراد محمد على أن يُنشئَ أداةً حكوميةً تُساعدُه على إقامة دولة حديثة. لذا، لم يتردد في تعيين العناصر الملائمة لمشروعاته وإبعاد العناصر المناوئة لها. وارتكز تقلد الوظائف على أساس قدرات الشخص ومدى استفادة الحكومة منه. وفى هذا الصدد، استعان محمد علي بعناصر عديدة مثل الأتراك والأكراد والچراكسة والألبان والأرمن. كما استعان بالأوربيين على مضض لعدم ثقته في معظمهم لأنه يعرف جيداً أنهم يعملون لمصلحتهم قبل مصلحة الدولة. واتضح له أن أغلبهم غير كفء للمهام التي عُهِدت إليهم علاوة علي ارتفاع مرتباتهم.(١) ثم، بدأ محمد علي يستعين بالمصريين (أولاد العرب) بدلاً من الأتراك في أعقاب الحملة السورية الأولي في عام ١٨٣٢، وبدلاً من الفرنسيين والإيطاليين وغيرهم عقب تدخل القوى الكبرى ضده في عام ١٨٤١ لصالح السلطان العثمانى وحجمت إمبراطوريته وسلطاته.(٢) وجدير بالذكر أن تعيين المصريين قد أغضب الأتراك والأرمن الذين أخذوا يضعون العراقيل أمامهم ويترفعون عن العمل معهم حتى أن محمد علي قد طلب منهم نبذ أسلوبهم.(٣)

وكذا، اتُّبع محمد علي سياسة إرسال البعثات التعليمية إلي أوربا في مختلف التخصصات بهدف تكوين جهاز من الموظفين المُتقنين والمخلصين للمساهمة في تنفيذ مطمحه بتحويل مصر إلي مصاف الدول الحديثة بأسرع، وربما أقصر، الطرق الممكنة.(٤) هنا أيضاً، أرسل بعض أبناء الأرمن العاملين في خدمة محمد علي وخلفائه ضمن هذه البعثات. فقد أُرسل يوسف حكيكيان إلي إنجلترا لدراسة الهندسة ضمن بعثة عام ١٨١٧، وأُرسل أربعة من الأرمن الكاثوليك ضمن بعثة عام ١٨٢٦ إلي فرنسا(٥) وهم: الأخوان أرتين وخسروف تشراكيان وإسطفان دميرچيان

الذين تخصصوا في الإدارة ويوسف الأرمني الذى تخصص في الزراعة.[٦]

كما أُختير ستة من الأرمن ضمن طلبة بعثة الأنجال إلي فرنسا في عام ١٨٤٤ وهم: الأخوان إسطفان وأرتين خاتشادور والأخوان أوهان ويوسف إسطفان ونوبار أفندى الذين تخصصوا في الإدارة والقانون وبيترو أفندى الذى تخصص في الطب. وفي عام ١٨٥٥ أُرسل مارجوسوف الكبير ومارجوسوف الصغير لدراسة الطب والهندسة بفرنسا.[٧] وظل الأرمن يُرسلون ضمن البعثات التعليمية إلي أوربا. ولكن، انخفضت أعدادُهم بشكل ملحوظ في البعثات المتأخرة بسبب الإتجاه إلي إرسال المصريين بكثرة.[٨]

هنا، يُلاحظ عدة نقاط علي الطلبة الأرمن المبعوثين إلي أوربا:

أولاً : كان هؤلاء الطلاب جميعاً من أبناء الأسرات الأرمنية التى جاءت إلي مصر بطموحات في مستقبل أفضل لأبنائها.[٩]

ثانياً : أرسلوا جميعاً إلى فرنسا عدا يوسف حكيكيان. ولامناص فى أن هذا سيُؤثر فى صياغة اتجاهاتهم السياسية والثقافية بلا ريب.

ثالثاً: كان الأرمن، لكونهم مسيحيين، أكثر أعضاء البعثات استساغةً وانسجاماً وتفاعلاً مع الغرب.[١٠] ومن ثم، كانوا أكثر استفادةً مما سيكون له آثاره بعد عودتهم إلي مصر وتقلدهم وظائف.

رابعاً : تخصص معظم الطلاب الأرمن في العلوم التى يتطلبها بناء دولة حديثة مثل الإدارة والقانون والهندسة والطب.

خامساً : اندمج الأرمن مع أبناء محمد على وأحفاده الذين أُرسلوا
ضمن هذه البعثات ووَثَّقوا علاقاتهم بهم مما سيُؤثر، ولاشك،
في مُستقبلهم الوظيفى. ولا غَرْوَ أن ارتقى طلبة البعثات إلي
أعلى السلَّم الإدارى.

هذا، وقد أسس محمد علي المدارس المختلفة لإعداد الموظفين والتحق بها الأرمن مثل مدرسة القصر العينى التى تأسست في يولية ١٨٢٥ وغيرها.(١١) وجديرٌ بالذكر أن التعليم ظل طوال القرن التاسع عشر هو الممول الرئيسى للإدارة المصرية بالإداريين والفنيين، حتى أن الإنجليز بعد احتلالهم مصر قد وثَّقوا الصلة بين التعليم والوظيفة، فكان حاملو الشهادات يُرشحون تلقائياً لتقلد الوظائف. ومن ناحية أخرى، ظلت عملية التوظيف فى أيدى الحكام وحسب هواهم حتى صدور الأمر العالي فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ بتشكيل أول نظارة مسئولة فدخلت قواعد التوظيف فى دور التنظيم.(١٢)

وإضافةً إلي الأرمن المتعلمين الذين تقلدوا وظائف حكومية، فقد اشتغل عددٌ كبيرٌ نسبياً من الأرمن غير الحاصلين علي مؤهلات علمية بالوظائف الحكومية المختلفة. ولم يكن اشتغال الأرمن بالخدمة المدنية المصرية نتيجة لدورهم الاقتصادى، بل نتيجةً لعلاقات الأرمن الوثيقة بالحكام والحاجة إلي قدرتهم العملية. ومن ثم، عمل الأرمن تقريباً في معظم أجهزة الحكومة المصرية خلال القرن التاسع عشر كما سيأتى.



١- التعليم

يُعد جهاز التعليم[١٣] أهم أجهزة الحكومة المصرية التى اشتغل بها الأرمن خلال القرن التاسع عشر. إذ ساهموا نسبياً فى تنظيم البعثات التعليمية إلي أوربا وساهموا كثيراً في تنظيم التعليم وتطويره في مصر وفقاً لمتطلبات الحكومة.

كان بوغوص يوسفيان مسئولاً عن تنظيم البعثات التعليمية إلي أوربا. إذ أسفرت اتصالاته مع أصدقائه الأوربيين عن استبعاد إيطاليا لانتشار أنظمة الحكم الاستبدادى فيها وتعصبها دينياً ضد المسلمين. ولكنه آثر فرنسا التى اتسمت بتسامحها مع الغرباء ومؤسساتها التعليمية ذات المستوى الرفيع فضلاً عن مناخها الصحى. وقد اختار بوغوص عدداً كبيراً من أعضاء بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا، منهم أربعة أرمن كما سبق.[١٤] وظل بوغوص يُنظم البعثات إلي أوربا ويتراسل مع المشرفين والمسئولين هناك.[١٥] وأقام المبعوثون إلى إنجلترا عند صديقه الحميم بريجز Brigges. فقد أصدر محمد علي أمراً إلي ابنه إبراهيم باشا فى نهاية شعبان ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨) بإعداد سبعة عشر تلميذاً بواسطة بوغوص إلي بيت بريجز بإنجلترا كى يتعلموا فن البحرية.[١٦] وبذا، استفاد محمد على من العلاقات الشخصية لبوغوص يوسفيان.

وكذا، تقلد إسطفان دميرچيان (رسمى) إدارة المدرسة المصرية الحربية بباريس[١٧] وساعده خسروف تشراكيان سكرتير محمد على ومترجمه آنذاك. وكلاهما من خريجى بعثة عام ١٨٢٦ إلي فرنسا.[١٨] وقد وُضعت بعثة الأنجال المُرسلة إلي فرنسا سنة ١٨٤٤ لدراسة المواد العسكرية تحت إشراف إسطفان دميرچيان. وتُعد هذه البعثة أكبر

البعثات التى أرسلت إلى أوربا - تكونت بدايةً من سبعين طالباً - وأعظمها شأناً وآخر بعثة كبرى أوفدها محمد على.[١٩] هذا، وقد اشترك فى ٢٠ أبريل ١٨٤٤ كلٌ من إسطفان ووزير الحربية الفرنسى وچومار Jomard فى وضع لائحة تُنظم المسائل التعليمية والإدارية للطلاب. وفي ١٠ يونية ١٨٤٥ وصل الأمير حليم - ابن محمد على - إلي فرنسا ومعه اثنان وعشرون طالباً تحت إشراف خسروف تشراكيان الذى مكث شهوراً قلائل بباريس ثم عاد إلي مصر في نوفمبر ١٨٤٥. وقد وقع خلافٌ حول انتظام المبعوثين الجُدد فى المدرسة الحربية بباريس. فقد أراد وزير الحربية الفرنسى فصلهم عن الطلبة القدامى في مبنى خارج المدرسة ووضعهم تحت تدريب خاص. ولكن إسطفان عارض هذه الفكرة علي أساس أن محمد على لن يسمح بتشتيت الطلاب في أماكن متعددة.[٢٠] وظل إسطفان مديراً للمدرسة المصرية بباريس حتى أغلقها عباس الأول في مايو ١٨٤٩. وقد حققت فترة إدارته نجاحاً ملحوظاً عن بعثة ١٨٢٦ حيث أصبحت الإدارة موحدة ومنظمة، وسُمح للطلاب بحرية نسبية في اختيار مواد الدراسة.[٢١] ولذا، أُنعم عليه برتبة الشق الأول من رتبة الأميرالاى.[٢٢]

كما شارك الأرمن المبعوثون بعد عودتهم إلي مصر فى تنظيم المدارس العليا التى أسسها محمد على، بل ارتبط تأسيس بعض هذه المدارس وتنظيمها بشخصيات أرمنية. فقد، أُعيد افتتاح مدرسة الهندسة ببولاق فى ١٥ محرم ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤) وضمت إليها في شوال ١٢٥١ هـ (١٨٣٥) مدرستا المهندسين بالقناطر الخيرية والمعادن بمصر القديمة.[٢٣] بدايةً، تعين أرتين تشراكيان وكيلاً لها منذ مايو حتى ٢٠ أبريل ١٨٣٤.[٢٤] ثم تولي يوسف حكيكيان إدارتها منذ نوفمبر

١٨٣٤ حتى سبتمبر ١٨٣٨. وأُنعم عليه خلالها برتبتي قائمقام (١٨٣٧) وأميرالاى (١٨٣٨).[٢٥] وقد أصدر محمد علي أوامره إلي حكيكيان يحثه على ضرورة الجدية والحماس والدقة في التعليم حتى لا يتعرض للإيذاء.[٢٦] وتُعد هذه المدرسة من أهم المدارس التي أسسها محمد على لأنها أخرجت عدداً كبيراً من المهندسين الذين قدّموا خدمات جليلة لمصر.[٢٧]

وكذا، افتُتحت مدرسة الإدارة الملكية بالقلعة في ١٦ جماد أول ١٢٥٠ هـ (٢٠ أبريل ١٨٣٤) تحت إدارة أرتين تشراكيان وإسطفان دميرچيان لتخريج موظفين ومترجمين يقومون بنقل الكتب التي ترغب الحكومة في ترجمتها من الفرنسية والإيطالية إلي التركية والعربية.[٢٨] وجديرٌ بالذكر أن أرتين وإسطفان قد نظما دراسات تمهيدية لدراسة الإدارة تتكون من اللغة الفرنسية وعلم المحاسبة ومبادئ الهندسة والجغرافيا - علي نحو ما درساه بفرنسا - يتلقاها التلاميذ فى أوقات غير تلك المُقررة لدراسة مواد الإدارة. كما كان عليهما، زيادةً على التدريس، إعداد دروس في الإدارة المدنية لكى تُلقى على التلاميذ في مراحل تالية. ولكن لم يتمكن المديران لضيق وقتهما، من الإشراف الدقيق علي تنفيذ البرنامج التعليمى، فتعين لهما مساعدان.[٢٩] وقد نالت هذه المدرسة رعاية خاصة من محمد على لأنها ترجمت العديد من الكتب التى أراد قراءتها لنفسه. ورغم هذا، أُلغيت ونُقل تلاميذها إلي مدرسة الألسن فى نهاية سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٦).[٣٠]

وقد تأسست مدرسة الزراعة في عام ١٨٣٣ بعد عودة المبعوثين الذين درسوا الزراعة فى روڤيل بفرنسا - وبينهم يوسف الأرمنى - ثم

نقلها محمد على فى سنة ١٨٣٦ إلي نبروه بمديرية الغربية للاستفادة من اتساع مساحتها فى سهولة إجراء التجارب. واستدعى محمد علي من فرنسا ستة من الأخصائيين فضلاً عن الآلات الحديثة.(٣١) وقد أدارها في البداية مسيو جرانچان Grandjean وعمل معه يوسف الأرمنى مترجماً ومدرساً. بيد أن الأساليب التى استخدمتها البعثة الزراعية الفرنسية قد قوبلت بمعارضة شديدة من الأهالى والسلطات المحلية، فاستقال جرانچان وغادر مصر. ثم خلفه يوسف الأرمنى فى نظارة المدرسة بفضل وساطة الأرمن الموجودين في حاشية محمد على. ولكنه لم يُحقق نتائج أفضل، إذ أُديرت المدرسة بأسلوب ردئ وتكلفت المحاصيل التى زرعتها ضعف نفقات الإنتاج.(٣٢)

كما اشترك يوسف حكيكيان فى سنة ١٨٣٦ ضمن اللجنة المُنتدبة لتنظيم مدرسة المدفعية بطره.(٣٣) وتولى نظارة مدرسة الفنون والصنائع (العمليات) التى تأسست في سنة ١٨٣٩ وشهدت حكمها الذهبى إبان نظارته. ثم أغلقها سعيد باشا. ولكن نوبار باشا أعاد فتحها وتنظيمها خلال حكم إسماعيل.(٣٤) وكذا، تولى يوسف الكاشف تنظيم الشئون الإدارية كالضبط ورئاسة العمال من كتبة وخدم وغير ذلك في مدارس المعادن والهندسة والألسن.(٣٥)

وجديرٌ بالذكر أن يوسف حكيكيان وآرتين تشراكيان وإسطفان دميرچيان قد اشتركوا في معظم اللجان والمجالس التى أُعدّت لتنظيم التعليم وتطويره خلال حكم محمد علي بدايةً من لجنة تنظيم المدارس في سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٦) ثم مجلس شورى المدارس وديوان المدارس منذ ذى القعدة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٧) حتى لجنة تنظيم التعليم في سنة ١٨٤١.(٣٦)

وكذا، ساهم الأرمن فى عملية ترجمة الكتب اللازمة لإعداد المناهج التعليمية في المدارس المختلفة . إذ صدرت الأوامر إلي إسطفان وأرتين وحكيكيان ويوسف الأرمنى لترجمة الكتب من اللغات الأوربية إلى اللغتين التركية والعربية أو العكس.[٣٧] فعلى سبيل المثال، ترجم إسطفان بمفرده عدداً كبيراً من الكتب إلى اللغة التركية مثل «تعليمخانه الفرسان» فى سنة ١٨٣٤، واشترك مع حكيكيان وأرتين ويوسف الأرمنى ومختار بك وكانى بك في ترجمة أربعة أجزاء من كتاب «روضة العمران» من العربية إلى الفرنسية في سنة ١٨٣٥ . وقد ترجم يوسف حكيكيان كتاب «كيفية عمل البارود الأسود» من الإنجليزية إلي التركية في سنة ١٨٣٦ وغيرها.[٣٨] هذا، وقد رأس ميناس أفندى المترجم بديوان المدارس القسم التركى في قلم الترجمة الذى تأسس فى اطار تنظيمات لجنة التعليم فى سنة ١٨٤١.[٣٩]

وهكذا، قام الأرمن بدور هام في تنظيم التعليم وتطويره خلال حكم محمد على، ويُلاحظ أن جميع الأرمن العاملين في مجال التعليم كانوا ممن تلقوا تعليمهم العالي فى فرنسا علي نفقة الحكومة المصرية عدا يوسف حكيكيان الذى تعلم في إنجلترا.

كما كانت لهم رؤى خاصة عن التعليم لاسيما يوسف حكيكيان الذى كان يرى أن التعليم من وسائل ارتقاء العقل وأنظمة الحكم، ويُفضل إقامة مؤسسات تعليمية ذات مناهج موحدة تنخرط فيها جميع طبقات الشعب دون تفرقة وتُفرض على الجميع ضرائب تكون بمثابة ميزانية لها، ويتطلع إلي إقامة نظام تعليمى عالمى مُوحد كوسيلة لتوحيد المبادئ الأخلاقية في العالم كله.[٤٠] بيد أن أهم ملاحظات حكيكيان كانت

إشـارته إلي مـحـمـد علي بأهمـيـة تعليم البنات في مـصـر بدايةً من بنات أعلي الطبقات ونزولاً حتى بنات العامة.(٤١) ورغم هذا، لم يكن بإمكانهم تنفيذ شئ من فكرهم لأنهم مجرد منفذين للأوامر وليسوا صناعاً للقرار. ومـهـمـا يكن، يشـهـد هـامـون - عـدو الأرمن - بأن الأرمن العـامـلين في الجهاز التعليمى خلال حكم محمد على كانوا أنشط الأعضاء وأكثرهم تأثيراً.(٤٢)

أمـا خـلال النصف الثـانى من القـرن التـاسـع عـشـر فلم يظهـر من الأرمن فـي مـــجـــال التـــعليم ســـوى يعـــقـــوب أرتين باشـــا (١٥/٤/١٨٤٢-٢٠/١/١٩١٩) - ابن أرتين بك تشراكيان مدير التجارة والأمـور الخـارجـيـة سـابقـاً - الذى تولى منصب وكيل نظارة المعارف العمومية منذ أبريل ١٨٨٤.(٤٣) ومما هو جدير بالذكر أن يعقوب أرتين كان يطمح إلى تقلد منصب «ناظر». لذا، اجتـهد بكل طاقته منذ البداية في إعادة تنظيم شئون التعليم.(٤٤) ولكن، قُوبلت تنظيماته بتذمر شديد من قبل العاملين بنظارة المعارف. ولذا، قدم استعفاءه إلى الخديو توفيق بسبب الخلل الواقع في هيئة التعليم وفي سلوك القائمين عليه. ومن ذلك الخلل، مثلاً، أن كثيراً من التلاميذ يأتون إلي المدارس ليأخذوا الملابس ثم لا يعودون إليها، بيد أن توفيقاً رفض الاستعفاء لأنه أدرك الفوضى السائدة في جهاز التعليم فضلاً عن كفاءة يعقوب أرتين.(٤٥)

منذ ذلك الوقت، استـأثر يعقوب أرتين بنصيب كبير في تنظيم نظارة المعـارف يُساعده على ذلك إحـرازه ثقة جـميع النظار الذين توالوا علي نظارة المعارف، وانشغال هؤلاء النظار بأعمال نظارة الأشغال عندما كانوا يرأسونها مع نظارة المعارف وتركهم أعمال المعارف إلى يعقوب

أرتين حتى أنهم كانوا لا يذهبون إلي نظارة المعارف سوى يومين فقط في الأسبوع.(٤٦) وفي الحقيقة لقد ترك يعقوب أرتين بصمات ملموسة على إدارة التعليم وتنظيمه. فهو أول من طبق قوانين التعليم الموضوعة بكل دقة. واستن فكرة تقديم تقرير سنوى عن حالة التعليم إلي حاكم البلاد، ووضع لوائح الشهادات والدبلومات، وأول من فكر في مكافأة المؤلفين والمترجمين.(٤٧) وأوجد في عام ١٨٩٧ وظيفة «سكرتير عموم نظارة المعارف» لمساعدة الوكيل في جمع مُحررات أقلام النظارة من عربية وإفرنجية وترجمة وتفتيش لعرضها عليه، وعلي أن يكون مسئولاً بصفة خاصة عن إدارة التفتيش. وقد كانت هذه الأعمال من قبل واقعةً علي عاتق الوكيل بمفرده.(٤٨)

كما نَظَّمَ يعقوب أرتين مناهج الدراسة مع نخبة من الأساتذة خلال الفترة بين عامى ١٨٨٥ - ١٨٩٢ تم خلالها تصفية المناهج من المواد الزائدة وتركيزها على المواد العملية.(٤٩) وقد أولى يعقوب أرتين عناية كبيرة باللغات الأوربية حتى أنه شرع فى تدريس مناهج المرحلة الابتدائية باللغة الإنجليزية. بيد أن الخديو عباس حلمى الثانى (١٨٩٢-١٩١٤) رفض هذا وأقر فى ١٦ مايو ١٨٩٣ تدريس المناهج باللغة العربية.(٥٠) ويُعلل أرتين اهتمامه باللغات الأوربية على أنها ضرورية لمعرفة العلوم الحديثة وانتظام الإدارة.(٥١)

وقد جعل يعقوب أرتين الألعاب الرياضية مادةً أساسيةً في المناهج الدراسية.(٥٢) كما نَظَّمَ الامتحانات مع لجنة من نظار المدارس ومفتشيها ومدرسيها خاصةً امتحانات السنة النهائية بالمدارس الثانوية التى كان يسودها الارتباك. فأمرت اللجنة بتوحيدها تحت اسم «امتحانات شهادة

إتمام الدراسة الثانوية»، وأصبح النجاح فيها شرطاً أساسياً للالتحاق بالمدارس العالية.[٥٣] وكان يعقوب أرتين يحرص فى إعداد المدرسين على أن يكونوا من المتخصصين الذين تعلموا بهدف تعليم الآخرين وممن لديهم دراية تامة بطرق التدريس على أحدث الوسائل التعليمية.[٥٤] كما اهتم بعملية التفتيش علي المدارس وسعى إلى توسيع نطاقه فطالب الحكومة بضرورة توفير السيولة المالية لإعداد مفتشين أكفاء متفرغين لهذا العمل فقط. ولكن، ظل التفتيش حتى نهاية القرن التاسع عشر في طور التقنين.[٥٥]

هذا، وقد سعى يعقوب أرتين تدريجياً إلى إلغاء مجانية التعليم بسبب عجز ميزانية الحكومة عن الوفاء بجميع مصروفات التعليم واستفادة الأغنياء منها دون الفقراء ومنحها لأصحاب المحسوبية دون مراعاة للكفاءة. وفى نفس الوقت، طالب بزيادة المصروفات المدرسية بمقدار ما تُنفقه الحكومة علي التلميذ وإضافة هذه المصروفات إلي ميزانية نظارة المعارف لاستثمارها في تحسين المستويين الفنى والمعيشى للمدرسين وفى تطوير المؤسسات التعليمية الموجودة آنذاك فنياً وصحياً ثم فى إنشاء مدارس علي المدى البعيد.[٥٦]

بيد أن البعض قد ذهبوا إلى أن هذه الإجراءات كانت تهدف إلى تقييد نشر التعليم بين أبناء الشعب المصرى طبقاً للمخطط الإنجليزى بإلغاء المجانية وجعل التعليم بمصروفات مع تقليل عدد المدارس.[٥٧] ويعزو يعقوب أرتين عدم إنشاء مدارس جديدة إلى أنه لا يُمكن فرض ضريبة تعليمية علي الأهالى للإنفاق منها علي هذه المدارس نظراً لسوء حالتهم الاقتصادية، كما أن ميزانية الحكومة لا تسمح بالإنفاق علي

مستلزمات هذه المدارس.[٥٨] كما كان يرى أن فعالية عدد قليل من المدارس يُعد أفضل بكثير من تكاثر المدارس الرديئة.[٥٩] ولكنه فى نفس الوقت كان مؤمناً بقدرات الجيل الذى يُعد في المدارس المصرية من حيث تحمل عبء مسئولية نشر التعليم العام في المستقبل.[٦٠] كما ذهب البعض إلى أن يعقوب أرتين كان لا يُريد خيراً بنشر روح التعليم الإسلامى لأنه مسيحى.[٦١] في حين أثنى عليه البعض الآخر لخدمته التعليم نحو رُبع قرن بذل فيه جهوداً واسعةً فى تنظيمه وتطويره على أسس متينة.[٦٢] كما أُطلق عليه لقب «الأستاذ الكبير» بسبب تنظيماته المُثمرة في التعليم.[٦٣]

وجديرٌ بالذكر أن يعقوب أرتين قد اشترك خلال توليه منصب وكيل نظارة المعارف فى أعمال عدة لجان مختلفة. فعلى سبيل المثال، اشترك في عام ١٨٨٦ ضمن لجنة ترتيب مسألة الأجازات للموظفين. وترأس لجنة دراسة دفاتر الأطيان الزراعية لمنطقة سيدى غازى بالبحيرة . ومنذ ٢٠ يونية ١٨٨٦ أصبح عضواً فى «لجنة تحديد الأوزان والمسافات».[٦٤] وفى سبتمبر ١٨٨٦ كان رئيساً للبعثة المصرية المرسلة لحضور مؤتمر علماء اللغات الشرقية المُنعقد بڤيينا Vienna.[٦٥] كما كان عضواً دائماً بجمعية المعارف المصرية.[٦٦] ومنذ ٩ نوفمبر ١٨٨٧ أصبح يعقوب أرتين عضواً فى لجنة الآثار التاريخية.[٦٧] وفى نفس العام أيضاً كان عضواً في لجنة ضرائب التركات. وفي ديسمبر ١٨٨٧ اشترك في لجنة «إدخال نظام الترشيد فى الإدارة المصرية». ومثّل الحكومة المصرية في مؤتمر التلغراف الدولى الذى انعقد في ١٥ مايو ١٨٩٠ بباريس.[٦٨] ومنذ عام ١٨٩٥ كان ضمن لجنة مكافحة الآفات ودودة القطن، ونظّم المعرض

الزراعى الذى أقيم عامئذ بمصر.[٦٩] كما كان عضواً دائماً فى مجلس عموم الصحة.[٧٠]

ونتيجةً لتعدد أنشطة يعقوب أرتين فقد أُنعم عليه بعدة رُتب ونياشين مثل رتبة المُتمايز في ١٢ نوفمبر ١٨٨٢ ، ونيشان درجة ثانية من اليونان في ٢١ فبراير ١٨٨٤ ونيشان مجيدى درجة ثانية فى ١٣ مارس ١٨٨٤، ورتبة الميرميران في ٢١ أبريل ١٨٨٤ ، ونيشان درجة ثانية من النمسا في أول يولية ١٨٨٤، ونيشان درجة رابعة في ٥ نوفمبر ١٨٨٤، ونيشان درجة ثانية من روسيا فى ٩ مايو ١٨٨٥، ونيشان درجة ثالثة من إيطاليا في ٢٠ يونية ١٨٨٥، ورتبة روم بكريلى فى مارس ١٨٨٧، ونيشان مجيدى درجة أولى فى مايو ١٨٩١ وغير ذلك.[٧١]

علي أن يعقوب أرتين، وإن حظى بإعجاب توفيق، كان مكروهاً بشدة من عباس حلمى الثانى الذى اعتقد أنه حليفٌ للإنجليز.[٧٢] والحقيقة أنه يصعب تحديد الاتجاهات السياسية ليعقوب أرتين لأنه أقام علاقات ودية مع الخديو والموظفين وإنجلترا وفرنسا والباب العالى. وكان دائماً يُخفى بأسلوبه الدمث وجهات نظره حول المسائل الحساسة ولا يتهور بتصريحات حماسية أو مثيرة.[٧٣]

ومهما يكن، فقد قام يعقوب أرتين بدور هام في تنظيم التعليم وتطويره خلال الفترة التى تقلد فيها منصب وكيل نظارة المعارف. ويُساعده على ذلك ثقة النظار فيه وثقافته العلمية الواسعة ونشاطه الدائب فى العمل. وبعامة، تُعد الأعمال التى أداها الموظفون الأرمن في مجال التعليم المصرى خلال القرن التاسع عشر من أبرز أعمالهم في مصر.



٢- المالية

بدايةً، عمل الأرمن صيارفة على نطاق واسع فى جهاز المالية[٧٤] خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ويرجع هذا إلى ثقة محمد علي الشديدة فيهم فضلاً عن مهاراتهم في الأعمال المصرفية. وجدير بالذكر أن الأرمن قد استأثروا بوظيفة «صراف باشى» الخزينة - كبير صيارفة الخزينة - خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فحتى عام ١٨٢٥ كان يغيازار أميرا بدروسيان الآجنى صراف باشى الخزينة.[٧٥] ثم تقلد الخواجه يعقوب الأرمنى هذه الوظيفة بين عامى ١٨٢٦ - ١٨٣٠.[٧٦] وبعد وفاته في عام ١٨٣٠ تولاها ابنه يوسف[٧٧] الذى عُزل فى عام ١٨٣٢ وحل محله الخواجه كاسبار الأرمنى.[٧٨] وأخيراً، تقلدها الكسان - صراف القومبانية المصرية - حتى عام ١٨٥٠.[٧٩]

وقد خُول للصراف باشى امتيازات تُؤهله لاختيار الصيارفة وسن التشريعات الخاصة بهم ومُراقبتهم ومُراجعة حساباتهم الواردة إلى الخزينة الحكومية. وكان للصيارفة الذين يُعينهم فقط الحق فى تمويل المشروعات المختلفة التى تطرحها الحكومة وتسليف القروض بالفائدة للأشخاص والحكومة. كما تم جمع الضرائب المفروضة علي الفلاحين تحت إدارة كبير الصيارفة الذى عيّن تحت إشرافه صرافاً لكل إقليم وقسم وقرية.[٨٠]

ولما كان كبير الصيارفة أرمنياً طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر، فليس غريباً أن يكون معظم الصيارفة العاملين تحت إمرته من بنى جنسه. وتأكيداً لهذا يُمكن ذكر بعضهم علي سبيل المثال. فحتى عام

١٨١٩ كان الخواجه إستيبان الأرمنى صرافاً لجرجا تحت إشراف يغيازار كبير الصيارفة.[٨١] وتقلد الخواجه هوڤانيس وظيفة صراف الفيوم منذ عام ١٨٢٦ تحت إشراف الخواجه يعقوب كبير الصيارفة.[٨٢] وقد شغل أرمنى منذ عام ١٨٢٨ وظيفة صراف قسم محلة دمنة بالدقهلية باختيار يعقوب كبير الصيارفة.[٨٣] وحتى عام ١٨٢٨ كان الخواجه بدروس الأرمنى صرافاً للقصير.[٨٤] كما كان الخواجه أرتين صرافاً لدمنهور حتى هذا العام أيضاً.[٨٥] وكان صراف إسنا حتى عام ١٨٣١ أرمنياً يُسمى أواديك[٨٦] ثم خلفه أرمنياً يُسمى جرابيد.[٨٧] وكذا، تعين الخواجه كريكور صرافاً لجده تحت إشراف الخواجه يوسف كبير الصيارفة منذ عام ١٨٣١.[٨٨]

كما تقلد الأرمن وظيفة الصراف في عدد من المصالح والمؤسسات الحكومية. فمثلاً، عمل أبراهام الأرمنى صرافاً للجهادية حتى عام ١٨٢٦.[٨٩] ثم خلفه أرمنياً يُسمى الكسان حتى عام ١٨٣٦.[٩٠] وتولي أرمنى يُسمى الكسان وظيفة الصراف فى مصلحة الجير حتي عام ١٨٢٨.[٩١] وعمل الخواجه ميلكون الدياربكرى أميناً للخزينة حتى عام ١٨٣٠.[٩٢] وتعين كيڤورك صرافاً لديوان مبيعات الإسكندرية فى عام ١٨٣٥ تحت ضمان الكسان كبير الصيارفة[٩٣] وقد ظل الخواجه مجرديتش صرافاً لقومبانية البفتة حتى عام ١٨٥١.[٩٤] هذا، وقد شغل عدد من الأرمن وظيفة «صراف باشى الضربخانة» مثل كيڤورك من أودوكيا في عام ١٨٣٢ وهاجوب في عام ١٨٣٤ وهامبارتسوم كريكور أميرا بين عامى ١٨٣٥-١٨٤٠ ومهران جرابيد فى عام ١٨٤٧ وغيرهم.[٩٥]

بيد أن أكثر الصيارفة الأرمن قد أساءوا استغلال وظائفهم في اختلاس أموال كثيرة. فعندما علم محمد علي بتلاعب صيارفة الحكومة عموماً في الحسابات، أصدر أوامره في ٢٠ ذى الحجة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) بضرورة مراقبة نشاطهم ووضع نظام دقيق لهم.[٩٦] وفي ١٥ رمضان ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧) أصدر أوامره بجرد حسابات جميع الصيارفة العاملين في الأقاليم والدواوين والجمارك وتحصيل ما يعجز عندهم منهم ومن ضامنيهم وتبديل أماكنهم.[٩٧] وقد كشف هذا الجرد عن تلاعب واختلاسات بدرجة ملحوظة في حسابات الصيارفة الأرمن. لذا، لم يتوان محمد علي عن إصدار قرار في ٢٤ جماد أول ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨) بطرد جميع الصيارفة الأرمن المُستخدمين في الأقاليم والمأموريات وسائر الدواوين واستبدالهم باليهود والمصريين.[٩٨]

ولكن، لم يُطبق هذا القرار بشكل حاسم. إذ ظل الصيارفة الأرمن يُمارسون وظائفهم بسبب وعورة العمل المصرفى حيث أعرب الصيارفة الجدد عن جهلهم بالأساليب المصرفية التى يعمل بها الأرمن. فعلى سبيل المثال، أظهر الصيارفة اليهود الذين أُرسلوا إلي منوف فى عام ١٨٢٩ ليحلوا محل الصيارفة الأرمن أنهم يعرفون من أساليب الأرمن المصرفية عمليتى الوارد والمنصرف ويجهلون عمليتى الخصم والإضافة.[٩٩] كما اضطر محمد علي إلي إبقاء بعض الصيارفة الأرمن في وظائفهم بسبب ضخامة الإيرادات في بعض المصالح وقدرتهم علي إدارتها. فمثلاً، أصدر محمد على أوامره في ٢٩ ربيع أول ١٢٥١ هـ (١٨٣٥) بإبقاء الصراف كيفورك بسبب ضخامة العمل في مصلحة الإيرادات العمومية.[١٠٠] ورغم ثبات اختلاسات الكسان صراف الجهادية، إلا أن محمد علي قد أبقاه بسبب تعقيد ماليات هذه المؤسسة.[١٠١]

وهنا، تجدر الإشارة إلي أن هذا الفساد لم يكن قاصراً علي الأرمن فحسب، بل كان كل موظف في دائرته يقترف أعمالاً تخريبيةً تشمئز منها النفوس ويرتكب أعمالاً ابتزازيةً صارخة. وبذا، كانت الإدارة فاسدةً من قمة رأسها حتى إخمص قدميها.[١٠٢] ومهما يكن من أمر، فقد ظل الأرمن يُمارسون العمل المصرفى فى مصالح الحكومة المصرية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر. فقد بلغ عددهم أربعة عشر صرافاً في مصالح القاهرة المختلفة وفقاً لتعداد النفوس في عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٧).[١٠٣]

كما عمل الأرمن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في وظائف عديدة بالإدارة التابعة للمالية وفروعها ومصالحها المختلفة. فقد بدأ نوبار باشا أنيس - إنجليزى الجنسية - (١٨٥٢/١/٢١ - ١٩١٢/٤/١١) خدمته في الحكومة المصرية منذ أول أكتوبر ١٨٧٥ بوظيفة كاتب أول إفرنجى بديوان التجارة حيث كان يعرف اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية. ثم بمجلس النظار منذ ١٦ أكتوبر ١٨٧٨، وكاتب أول فرنسي بقومسيون الضرائب بالمالية منذ ٧ يناير ١٨٨٠، ومُفتش خزينة لمالية منذ ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢، ورئيس قلم السكرتارية بالمالية منذ أول يناير ١٨٨٣، ورئيس قلم الإدارة منذ أول يناير ١٨٨٤، وناظر إدارة السكرتارية بالمالية منذ أول يناير ١٨٩٢. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة خمسة وثلاثين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً.[١٠٤] والتحق ديكران أفندى أبيان بخدمة الحكومة في ٢ يونية ١٨٧٣ في وظيفة مُبيض بالخارجية، ثم مُترجم وكاتب درجة أولى فى إدارة الخزينة العمومية بالمالية منذ أول يناير ١٨٨١ حتى ١٥ مايو ١٨٩٠. وأخيراً، وكيل قلم بإدارة الأموال غير المقررة والدخوليات منذ

٣١ ديسمبر ١٨٩٤. وقد بلغت مدة خدمته في الوظائف الحكومية ثلاثين عاماً وعشرة أشهر وعشرة أيام. [١٠٥] وانتقل سركيس أراكيل الكاتب في إدارة الأموال المقررة إلى إدارة عموم الحسابات منذ ١٠ فبراير ١٨٩٢. [١٠٦]

ويُلاحظ اشتغال كثير من الأرمن فى مصلحة الجمارك التابعة للمالية فى وظائف مترجمين وكتبة ومعاونين ومثمنين ومخزنجية وغير ذلك. ورغم عدم حصول أغلبيتهم على مؤهلات علمية، كما يتضح من ملفات خدماتهم، إلا أنهم كانوا يُجيدون اللغات اللازمة للعمل في الجمارك. فمثلاً، اشتغل كريكور چواهرچيان (چيڤاهيرچيان) - جواهرجى من قبل - مثمناً للمجوهرات في جمرك الإسكندرية منذ أول أكتوبر ١٨٧٤. وكان يعرف اللغات العربية والأرمنية والتركية والإيطالية. وقد بلغت مدة خدمته فى الجمرك أربعة وثلاثين عاماً وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً. [١٠٧] كما اشتغل الكسان أفندى جرابيد - كاتب طرف التجار قبل ذلك - فى وظيفة كاتب عربى بجمرك الإسكندرية منذ ٢٢ أكتوبر ١٨٧٦. وبلغت مدة خدمته ثلاثين عاماً وثلاثة أشهر ويومين. [١٠٨] وبدأ بوغوص أفندى نشان عمله الوظيفى فى سنة ١٨٧٦ بوظيفة كاتب ثان اليومية بجمرك الإسكندرية، ثم عمل معاوناً علي الدرجة الرابعة منذ عام ١٨٧٩. وقد بلغت مدة خدمته ثمانية عشر عاماً وشهرين وعشرين يوماً. تقاعد عن العمل في ٧ مايو ١٨٩٣ بسبب ضعف بصره. [١٠٩]

وانتقل الكسان جرابيد (١٨٥٢/١/١-١٩١٦/٣/١٤) من العمل بوظيفة كاتب إفرنجي وعربى لدى تاجر إنجليزى إلي الخدمة معاوناً بجمرك الإسكندرية منذ ٤ مايو ١٨٧٧، ثم عمل مخزنجياً بجمرك

بورسعيد منذ يولية ١٨٧٨. وأخيراً، مأمور قسم الصادرات بعموم الجمارك المصرية منذ ٣٠ يناير ١٨٨٥. وكان يعرف اللغات العربية والإنجليزية والإيطالية والفرنسية. وبلغت مدة خدمته ثلاثة وعشرين عاماً وثمانية أشهر.[١١٠] كما بدأ سركيس أفندى كريكوريان - تاجر أخشاب قبل ذلك، روسى الجنسية - عمله الوظيفى منذ أول يناير ١٨٨١ فرازاً ومثمناً للأخشاب في مصلحة عموم الجمارك، ثم معاوناً بجمرك الإسكندرية منذ سنة ١٨٩٦. ويعرف اللغات التركية والعربية والأرمنية. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة المصرية ستة وعشرين عاماً وأربعة شهور وسبعة أيام.[١١١] وعمل كبريل أفندى شربوسيان - إيطالى الجنسية - باشمخزنجياً بجمرك الإسكندرية حتى ١٥ أغسطس ١٨٩٣.[١١٢]

وقد اشتغل أنضون أفندى جرابيد بمصلحة المطرية التابعة للمالية منذ ٦ أغسطس ١٨٩٠ حتى ٣١ ديسمبر ١٨٩٦. وكان يعرف اللغات العربية والفرنسية والإيطالية واليونانية.[١١٣] كما خدم بعض الأرمن في مصلحة وابورات البوسطة الخديوية التابعة للمالية مثل تاكڤور أفندى مليك الذى انتقل من الشركة العزيزية إلي العمل مخزنجياً بتوكيل وابورات المصلحة بالأستانة ابتداءً من ٨ مايو ١٨٧٠ حتى ١٨ أغسطس ١٨٨٧. وقد بلغ إجمالى خدمته في الحكومة احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً، منهم ستة عشر عاماً وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً في وابورات البوسطة الخديوية.[١١٤] وكذلك، أرداشيس أفندى كونچيان صراف توكيل الأستانة بمصلحة وابورات البوسطة الخديوية ابتداءً من أول يونية ١٨٨٠ حتى ٧ مارس ١٨٩٨. وقد بلغت مدة خدمته سبعة عشر عاماً وتسعة أشهر وسبعة أيام. وتقاعد

عن العمل لإصابته بروماتيزم وذبحة في الصدر وأجزيما مزمنة.[115]

وهكذا، باستثناء الصيارفة الأرمن الذين تلاعبوا في الحسابات إبان حكم محمد علي، فقد عمل الأرمن على امتداد القرن التاسع عشر فى معظم الإدارات والمصالح التابعة للمالية ومارسوا أعمالهم بكفاءة.



٣- السكك الحديدية

لقد ساهم الأرمن بشكل واضح في إدارة السكك الحديدية التى تأرجحت إدارتها وتبعيتها منذ إنشائها في عام ١٨٥٢ بين أكثر من مصلحة وإدارة ونظارة.[116] ففي البداية، تقلد نوبار نوباريان - تُرجمان أول سعيد باشا - نظارة «مصلحة عموم المرور والسكك الحديدية» منذ ٣ جماد ثان ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧) حتى ٢٣ شعبان ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨).[117] وقد لاقى تعيين نوبار في هذا المنصب ارتياحاً شديداً لدن العثمانيين والأوربيين لأنه جمع بين كونه رعيةً عثمانيةً علي دراية تامة بالعثمانيين ولغتهم، ولكونه تلقى تعليمه في أوربا وعلي دراية تامة أيضاً بلغاتها وتقاليدها. وكان العثمانيون ممتعضين من وضع أجنبى علي هذه الإدارة.[118]

وجديرٌ بالذكر أن نوبار شرع يُطور نظام السكك الحديدية باستيراد آلات وماكينات حديثة.[119] كما وظَّف نوبار أشخاصاً يحتاج العمل إليهم ورفع مرتبات العاملين الأكفاء من تلقاء نفسه دون الرجوع إلي

الوالي. ولكنه امتعض من سيطرة الأجانب على إدارة هذه المصلحة. وطفق يُحجم من سيطرتهم، فأقال الميكانيكيين الأوربيين الذين أضربوا عن العمل واستبدلهم بمصريين (أولاد عرب). عندئذ، ترددت مقولة «حياتنا في خطر». وتوالت احتجاجات القناصل وشركات البريد والنقل المختلفة والأمراء الذين لم يعترفوا بكفاءة المصريين. بيد أن نوبار أمر الميكانيكيين المصريين بممارسة أعمالهم، وبذلك استمرت الخدمة في إدارة السكك الحديدية وحركة القطارات دون انقطاع. كما قلل من استخدام السخرة في أعمال السكك الحديدية لأنها ليست اعتداءً على استقلال الإنسان وحريته فحسب، بل لأنها كارثة على ثروة مصر ورخائها أيضاً.(١٢٠)

وقد أدى هذا إلى امتعاض سعيد من نوبار. فاستغل مخالفته أمراً بخصوص سرعة إرسال مدافع طلبها بقطار مخصوص فأرسلها نوبار في قطار عادى وأمر بعزله.(١٢١) ورغم قصر هذه الفترة التى تولاها نوبار إلا أنها شهدت إيرادات مرتفعة.(١٢٢) كما اكتسب نوبار خلال هذه الفترة محبة موظفى والسكك الحديدية وعمالها الذين احتشدوا على شكل مظاهرة في محطة الإسكندرية لوداع نوبار الذى يرى فى هذا ظاهرةً تحدث لأول مرة في مصر حيث كان يُنظر إلي الموظف المعزول على أنه مُذنب ويُلحق به العار.(١٢٣)

وعندما تأسست نظارة الأشغال العمومية فى ١٠ شعبان ١٢٨١ هـ (١٨٦٤) برئاسة نوبار أُحيلت إليها إدارة السكك الحديدية . ولم يكن لها مدير خاص، بل كانت وظيفة نوبار تُسمى «ناظر الأشغال ومدير السكك الحديدية والتنظيم» حتى ٩ يناير ١٨٦٦ . وقد خوَّل إسماعيل لنوبار حق

الاقتراض واستبدال الموظفين من أجل جعل السكك الحديدية علي غرار مثيلاتها في أوربا.[١٢٤] وخلال هذه الفترة، اصطدم نوبار بإسماعيل الذى أمر بإنشاء خطى سكك حديد المنيا وبلبيس لخدمة أطيانه. وكان نوبار يرى تأجيل إنشاء هذين الخطين - رغم إفادتهما للبلاد - لأن هناك أولويات ملحة.[١٢٥] وفي يونية ١٨٦٥ انتشر وباء الكوليرا في مصر، فلجأ نوبار إلي مكافحة الوباء بتقديم وجبة غذائية جيدة للعاملين بالسكك الحديدية مما أدى إلي تقليل الضحايا إلى الحد الأدنى.[١٢٦]

وقد أُديرت السكك الحديدية وميناء الإسكندرية منذ ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ بواسطة لجنة خُماسية مُختلطة مكونة من إنجليزيين ووطنيين وفرنسى على أن يرأسهم إنجليزى.[١٢٧] هنا، تولى بوغوص نوبار - ابن نوبار باشا - منصب المدير الوطنى الثانى فى هذه اللجنة حتى ٢١ أبريل ١٨٧٩.[١٢٨]

كما تكونت إدارة السكك الحديدية وميناء الإسكندرية منذ ٢٥ ديسمبر ١٨٧٩ من ثلاثة مديرين: إنجليزى - ويرأس مجلس الإدارة - وفرنسى ووطنى.[١٢٩] وفى هذا، توالي ثلاثة أرمن على منصب المدير الوطنى بمجلس الإدارة وهم: تاكفور هاجوبيان منذ ٢٢ نوفمبر ١٨٨٦ حتى ١٨ أغسطس ١٨٨٨.[١٣٠] ويعقوب آرتين منذ ٤ سبتمبر ١٨٨٨ حتى ١٤ مايو ١٨٩١.[١٣١] وأخيراً، بوغوص نوبار منذ ١٨ مايو ١٨٩١ حتى ١٨ نوفمبر ١٨٩٨.[١٣٢] ويُعد بوغوص نوبار أكفأ هؤلاء المديرين. إذ اقترح العديد من المشروعات والأفكار لتطوير أنظمة السكك الحديدية. منها علي سبيل المثال اقتراحه في فبراير ١٨٩٢ إلى الحكومة باستخدام السكك الحديدية الضيقة بدلاً من العريضة علي نحو ما هو مُتَّبع في أوربا مما سيؤدى إلى توفير النفقات.[١٣٣]

وهكذا، ساهم أربعة من الأرمن زمنياً بحوالي عشرين عاماً في إدارة السكك الحديدية منذ إنشائها في عام ١٨٥٢ وحتى نهاية القرن التاسع عشر. ولما كانت إدارة السكك الحديدية تتسم بالطابع الأوربى، فقد كان الأرمن من أكثر العناصر في مصر صلاحيةً للالتحاق بالجهاز الإدارى للسكك الحديدية نظراً لكونهم مسيحيين ويُجيدون اللغات الأوربية. ويُلاحظ مما سبق أن نوبار وابنه بوغوص قد ساهما نسبياً في تطوير السكك الحديدية.

وإضافةً إلى هذه الوظائف الإدارية، فقد اشتغل بعض الأرمن في وظائف مُعاونين ومُفتشين وكُمسارية ونظار محطات وفنيين وكتبة وغير ذلك في مصلحة السكك الحديدية. ويُمكن ذكر بعضهم علي سبيل المثال. فقد بدأ يوسف بك مانوج (١٨٣٦/٧/٢٣ - ١٩٠٨/١٢/١١) حياته الوظيفية فى عام ١٨٦١ مُستخدماً بسكك حديد الزقازيق. ثم ارتقي حتى وظيفة وكيل تفتيش عموم التلغرافات بالسكة الحديد وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة أربعين عاماً وشهرين ويومين.[١٣٤] كما بدأ أنتيموس أفندى كولهليان الأزميرى عمله الوظيفي فى ١٨ يناير ١٨٦٥ تذكرچياً بمحطة كفر الزيات، ثم مُفتشاً للتذاكر بمحطة مصر منذ يولية ١٨٧٩. وناظراً لمحطة بنى سويف منذ مارس ١٨٩٧. وناظراً لمحطة أسيوط منذ يناير ١٨٩٩، ومعاون أول محطة مصر منذ أكتوبر ١٨٩٩. وكان يعرف اللغات الأرمنية والعربية والتركية والفرنسية والإيطالية واليونانية. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة تسعة وثلاثين عاماً وعشرة أشهر وستة عشر يوماً.[١٣٥]

وأيضاً، التحق أسادور شيردچيان الأزميرى (١٨٤٠ -

٢٩/٥/١٩١٥) - ابن مارتا أخت نوبار باشا - بخدمة الحكومة في ٢ يونية ١٨٦٥ بوظيفة أشارجى إنجليزى، ثم ارتقى حتى مُفتش مكاتب تلغراف قسم الإسكندرية بالسكة الحديد. وقد بلغت مدة خدمته أربعين عامًا وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً.(١٣٦) كما عمل عدد من الأرمن كمسارية في محطات السكك الحديدية المختلفة مثل أڤيديك كونچيان الذى عمل كمسرياً في محطة مصر منذ أول ديسمبر ١٨٧٣ حتى ١٥ مارس ١٨٨٩.(١٣٧) وتاكڤور أفندى چورچ (كيڤورك) الذى عمل كمسرياً في محطة المنصورة منذ أول يناير ١٨٨٣ حتى أول أغسطس ١٨٨٧.(١٣٨)



٤- التجارة والخارجية

يُلاحظ اشتغال كثير من الأرمن مترجمين وسكرتيريين وغير ذلك فى جهاز التجارة والخارجية.(١٣٩) ويرجع هذا إلي تضلُعهم في لغات عديدة، كما كانوا، لكونهم مسيحيين، من أكثر العناصر صلاحيةً للتعامل مع عملاء هذا الجهاز من الأوربيين وغيرهم حتى أن هامون قد أطلق علي هذا الجهاز لقب «الديوان الأرمنى» لكثرة الأرمن العاملين به.(١٤٠) فقد عمل في ديوان التجارة والأمور الإفرنجية عددٌ من المترجمين الأرمن مثل أنضون أفندى جرابيد الذى حصل على رُتبة البكباشية في سنة ١٨٣٤(١٤١) وآريستاجيس آلطونيان الذى أُنعم عليه برُتبة قائمقام فى سنة ١٨٤٦.(١٤٢)

وثمة عدد من الأرمن الذين عملوا مُترجمين بنظارة الخارجية مثل أراكيل أبرويان الذى اشتغل بكتابة التحريرات الإفرنجية منذ عام ١٨٦٦ حتى ١٨٧٣[١٤٣] وإسكندر بك بوزارى الذى ظل يرتقى حتى وصل إلى وظيفة رئيس قلم ترجمة نظارة الخارجية. وقد تقاعد عن الخدمة فى ١٦ يونية ١٨٨٤ لإصابته بفتق كبير مع نزلة شعبية مزمنة. وبلغت مدة خدمته في الحكومة تسعة وثلاثين عاماً وثلاثة أشهر وستة أيام.[١٤٤] وأيضاً، جرابيد بك شيردچيان الذى تعلم بالمدارس الأرمنية في أزمير، ثم تعيَّن منذ ٨ مايو ١٨٧٠ بواسطة خاله نوبار باشا في وظيفة كاتب بالقلم الإفرنجى بنظارة الخارجية، وأصبح منذ ٢٠ مايو ١٨٧٩ مُترجماً لوكيل إدارة قلم المحفوظات بالخارجية، ثم أميناً للمحفوظات الإفرنجية بنظارة الخارجية. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة المصرية تسعة وثلاثين عامًا وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً.[١٤٥] كما تعيَّن أرتين أفندى إستيبان [١٨٦٢-١٩٤١/٥/٢] بواسطة نوبار باشا مُترجماً بنظارة الخارجية وأخذ يرتقى حتى أصبح رئيس قلم في سنة ١٨٩٥. وكان يُجيد اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والتركية.[١٤٦]

وجديرُ بالذكر أن ديكران أبرويان [١٨٤٦/١/١٥ - ١٩٠٤/٦/٢٨] قد تقلد عدة وظائف بالخارجية قبل أن يتولي وكالتها ثم نظارتها. فقد بدأ حياته الوظيفية كاتباً بالقلم الإفرنجى بمصلحة السكك الحديدية منذ ٤ ذي القعدة ١٢٨١ هـ (١٨٦٥) بناءً علي طلب نوبار.[١٤٧] ثم انتقل إلي الخارجية - عندما تولي نوبار نظارتها - فى سنة ١٨٦٦ وتقلد بها وظائف كاتب سر ثم رئيس قلم إفرنجى وسكرتير خصوصى حتى يناير ١٨٨٢ عندما تعيَّن وكيلاً للنظارة. وكان يعرف اللغات الفرنسية

والإنجليزية والإيطالية والتركية واليونانية. وقد أُنعم عليه برُتبة صنف المُتمايز من الدرجة الثانية في سنة ١٨٧٨.[١٤٨]

وهكذا، يُلاحظ أن أغلبية الأرمن العاملين بجهاز التجارة والخارجية كانوا من المتعلمين الذين يُجيدون عدة لغات. لذا، فلا غَرْوَ أن عملوا مُترجمين أساساً.



٥- الحقانية

ثمة بعض الأرمن الذين توظفوا في السلك القضائي بالحقانية[١٤٩] ممن تلقوا دراساتهم القانونية جميعاً في فرنسا إما ضمن طلبة البعثات الحكومية مثل إسطفان خاتشادور (بعثة الأنجال في سنة ١٨٤٤) ويوسف عزيز بوزارى (بعثة عام ١٨٦٢)[١٥٠] أو على نفقة أسراتهم مثل يوسف تشراكيان والأخوين آرتين وجرابيد رايزيان وغيرهم.[١٥١] ويُمكن استعراض بعض هؤلاء. فمثلاً، أصبح إسطفان خاتشادور عُضواً بقومسيون التجارة منذ عام ١٨٦٣[١٥٢]، ثم مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختلطة بالإسكندرية منذ أول يولية ١٨٧٦.[١٥٣] وكذا، تعيَّن يوسف عزيز بوزارى (١٨٤٦/١١/١٤-١٩١١/٨/٢٠) مساعداً للنائب العمومي بمحكمة القاهرة المختلطة منذ ١١ يولية ١٨٧٨، ثم قاضياً للدائرة الأولي بمحكمة المنصورة المختلطة منذ أول نوفمبر ١٨٧٨، وأخيراً مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختلطة بالقاهرة منذ ٢٩ فبراير

١٨٩٦ . وكان يوسف عزيز يعرف اللغات الفرنسية والإيطالية والعربية والأرمنية. وبلغت مدة خدمته في الحكومة ثلاثة وعشرين عاماً وشهراً واحداً وعشرة أيام.(١٥٤)

وكذا، تقلد يوسف تشراكيان (١٨٤٤/٨/٢٣ - ١٩٢٣/٢/١١) - ابن أرتين تشراكيان - وظيفة قاضى الدائرة الأولي بمحكمة الإسكندرية المختلطة ابتداءً من ١٢ ديسمبر ١٨٨٦.(١٥٥) وأيضاً، تولى جرابيد رايزيان (١٨٥٠-١٩٠٣/١١/١٩) وظيفة مساعد النائب العمومى منذ ١١ يولية ١٨٧٨، ثم قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة منذ أول يولية ١٨٨٤، ومستشاراً بمحكمة الإستئناف منذ ٢١ يونية ١٨٩٤. وأخيراً، نائباً عمومياً للمحاكم المختلطة ابتداءً من ٢٠ نوفمبر ١٨٩٧.(١٥٦)

كما تعين أرتين رايزيان (١٨٥٣-١٩١١/١١/٢٨) مساعداً للنائب العمومى بمحكمة القاهرة المختلطة منذ ٨ سبتمبر ١٨٧٨، ثم قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة منذ ٢٩ يناير ١٨٨٤. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة ثلاثة وثلاثين عاماً وشهرين وعشرين يوماً.(١٥٧) وكذا، توظف بوغوص هاجوبيان في وظيفة مساعد النائب العمومى لدى محكمة الاستئناف والمحاكم المختلطة منذ ٧ فبراير ١٨٩٢.(١٥٨) ثم وكيل نيابة منذ ٢٥ يناير ١٨٩٥.(١٥٩)

وبخلاف هذه الوظائف الكبيرة، ثمة أرمن عملوا مُترجمين وكتبة ومُبيضين ومُحضرين وغير ذلك في المحاكم وإدارات الحقانية المختلفة. ويُساعدهم علي هذا إجادتهم للغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية التي استُخدمت في المحاكم دون العربية. وتأكيداً لهذا يُمكن ذكر بعض الأمثلة. فقد عمل أدولف كوربريان - فرنسى الجنسية - مُبيضاً بمحكمة

الإسكندرية المختلطة حتى ٥ يونية ١٨٩٤.[١٦٠] وتعين بدروس هوڤسيب مُحضراً بمحكمة المنصورة المختلطة بدايةً من ١٩ يناير ١٨٨٩.[١٦١] كما اشتغل أنضون ونيس شوبانيان مُحضراً بمحكمة مصر المختلطة منذ ١٩ مايو ١٨٩٢. وكان يعرف اللغات الفرنسية والإيطالية والعربية والتركية والأرمنية والإنجليزية.[١٦٢] وكذلك، تقلد يعقوب أغا تشراكيان - تاجر من قبل - وظيفة چاويش بقسم قضايا الحقانية ابتداءً من أول مايو ١٨٨٤ حتى ١٨ أكتوبر ١٨٩٥. وكان يعرف اللغات التركية والإنجليزية والفرنسية والأرمنية والعربية. وقد بلغت مدة خدمته احدى عشر سنةً وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً. وتقاعد عن العمل لإصابته بكسور في قدميه ويديه.[١٦٣]



٦- الداخلية

اشتغل بعض الأرمن في جهاز الداخلية [١٦٤] بالأعمال الكتابية والحسابية والترجمة والسكرتارية مثل يعقوب أفندى جرابيد (٦/١٠/١٨٥٦ - ٣١/٣/١٩١٦) الذى بدأ خدمته الحكومية في ٢٣ يونية ١٨٧٦ بوظيفة كاتب إفرنجي بنظارة الخارجية، ثم ارتقى فى عام ١٨٩٥ إلي وكيل قلم ببوليس مصر. وكان يعرف اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأرمنية. وقد بلغت مدة خدمته احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً.[١٦٥] وأيضاً، آرام بك باپازيان الذى بدأ عمله الحكومى منذ أول مارس ١٨٨٣ بوظيفة كاتب

إفرنجي بديوان عموم الجندرمة والبوليس حتى ٤ مارس ١٨٩٢، ثم وكيل قلم بمصلحة السجون منذ ٥ مارس ١٨٩٥، وكان يُجيد اللغات الأرمنية والتركية والعربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية. وقد أُنعم عليه بالرُتبة الثالثة في سنة ١٨٩٥. وبلغت مدة خدمته في الحكومة ثمانٍ وعشرين سنةً وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً.(١٦٦)

كما اشتغل بالداخلية أيضاً هوڤانيس بك هاجوبيان (١٨٥٦/٤/١ – ١٩١٧/١/١٨) الذى التحق بالعمل الحكومى فى أول أبريل ١٨٨٣ فى وظيفة وكيل رئيس قلم بديوان عموم البوليس، ثم رئيس قلم بقسم المحاسبة بالداخلية منذ أول يناير ١٨٩٥. وكان يعرف اللغات الأرمنية والتركية واليونانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعربية. وقد بلغت مدة خدمته ثلاثةً وثلاثين عاماً وتسعةَ أشهر وثمانية عشر يوماً.(١٦٧) وأيضاً، تقلد خاتشادور بك وظيفة تشريفاتى نظارة الداخلية منذ أوائل عام ١٨٧٤.(١٦٨) وانتقل حبيب أفندى إسكندريان الكاتب بقسم الضبطية بمحافظة مصر إلي البوليس مع ترقيته إلي الدرجة الرابعة بدايةً من ١١ يولية ١٨٩٨.(١٦٩)



٧- الأشغال

ثمة قليل من الأرمن الذين توظَّفوا فى بعض المصالح التابعة للأشغال.(١٧٠) ففي مصلحة الرى، عمل كالوسد مارجوسوف – ابن أخت

نوبار باشا - مُهندساً من الدرجة الأولى.[١٧١] وعمل كالباكچيان رساماً بمصلحة الري منذ ١٦ يونية ١٨٨٨.[١٧٢] وكذا، اشتغل هوڤسيب أفندي خانكي مُترجماً بإدارة مصلحة الرى منذ أول يناير ١٨٨٦.[١٧٣] هذا، وقد توظّف أرتين أفندى مهران رساماً بمصلحة التنظيم والإدارة.[١٧٤] وأنعم عليه الخديو عباس حلمى الثانى بالنيشان المجيدى من الدرجة الخامسة فى عام ١٨٩٧.[١٧٥] كما اشتغل تاتيوس موتافيان مُفتشاً للآثار في مصلحة الأنتيكخانة المصرية منذ عام ١٨٨١ حتى ١٨٨٧.[١٧٦]

وهكذا، يتضحُ مما سبق أن الأرمن قد خدموا تقريباً بمعظم المصالح الحكومية في مصر خلال القرن التاسع عشر. وعلي الرغم من عدم حصول بعضهم علي مؤهلات علمية، كما ثبت من ملفات خدمتهم، إلا أن إجادتهم عدة لغات قد ساعدهم علي الالتحاق بالوظائف المختلفة لاسيما تلك التى تحتاج إلي لغات في معاملاتها مثل مصالح الخارجية والجمارك والسكك الحديدية والمحاكم المختلطة وغير ذلك. وثمة حقيقة تُؤكدها دراسة ملفات الموظفين الأرمن مؤداها أن معظمهم قد بدأوا حياتهم العملية مُترجمين وكتبة إفرنجيين ناهيك عن اشتغالهم عموماً بالوظائف الإدارية والكتابية وإقلالهم في الوظائف الفنية.

هذا، وقد اتضح جلياً من ملفات خدمة الموظفين الأرمن حُسن سيرهم وسلوكهم مما أدى، مع كفاءتهم، إلي أن يخدموا فترات طويلة قاربت، بل جاوزت أحياناً، أربعين عاماً لدى بعضهم. ويُلاحظ أنهم قد تقاعدوا عن العمل إما لأسباب مرضية أو لتقدمهم في السن أو لوفاتهم أو لإلغاء المصالح التى يعملون بها عدا بعض الموظفين الأرمن الذين رُفتوا لسوء سلوكهم.[١٧٧]

بيد أن أهم نتيجة لاشتغال الأرمن بمعظم أجهزة الحكومة المصرية خلال القرن التاسع عشر وارتباطهم بالحكام على نحو وثيق أن أصبحوا علي دراية كبيرة بأوضاع البلاد وأنظمتها مما جعلهم مُؤهلين ، للقيام بدور أكبر، من مجرد موظفين أكفاء في الجهاز الحكومى بتعيينهم في عدة مناصب ذات ثمة سياسية. وسوف يتضح هذا خلال الفصل التالى.



الهوامش

(١) لقد منح محمد علي الوظائف في شكل هبات تُجرى لها رواتب أو تُستبدل بمعاشات أو (إحسانات) في حالة العجز عن أداء العمل. وقد تكون هذه الإحسانات إما مال أو أطيان زراعية. وتُقيد الماهية في «ديوان الروزنامة» وهو قيمة ما يستحق الموظف، وتُحرر له به «رُجعة» أو «سند» بقيمة استحقاقه من الديوان. وكان الموظف يتحول بمجرد تعيينه في الحكومة إلى أداة طيعة تُوجهه كيفما تشاء. لذا، أُطلقت كلمة «مُستخدَم» علي أي موظف في دواوين الحكومة مما يُوضح حرص الوالي علي التحكم في جهاز الموظفين وتوجيهه على النحو الذى يُريد. كما كان بوسع الحكومة أيضاً أن تتخلص من الموظف في الوقت الذى ترغب حين ترى أنه لم يعد قادراً على أداء المهام الموكولة إليه. ويتم ذلك عن طريق رفته ويُسمى وقتئذ «سقط»؛ أي أنه لم يعد صالحاً لتولي وظائف الميرى.

حلمي أحمد شلبي، الموظفون في مصر في عصر محمد على، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٢٤-٢٦، ٩٤-٩٥.

(٢) هيلين أن ريفلين ، المصدر السابق، ص ص ١٥٥-١٥٩.

(٣) تعاملَ محمد علي مع موظفيه على أنهم عبيدٌ لديه. وقد أدى ذلك إلي خلق مجتمع من الموظفين الحريصين علي مصالحهم الشخصية. ولم يكن هناك انتماء إلى النظام الذى أراده محمد على إلا بالقدر الذى يخدم مصالحهم. ولهذا، لجأ محمد على إلي التوازن بين عناصر الموظفين، فجعل وظائف الإدارة العُليا للأتراك والجراكسة والأرمن وغيرهم، وترك وظائف الكتبة

والعمل في الدواوين للأقباط. وقلما حصل الأقباط علي وظائف الإدارة ، بل إن الوظائف الديوانية (وظائف الكتبة والعمل في الدواوين) أسند رئاستها إلي أفراد من الأتراك والچراكسة والأرمن لضمان حدوث توازن بين كل هذه العناصر.

حلمى أحمد شلبي، الموظفون، ص ٢٧، ٣١، ٥٢.

(٤) Silvera. Alain. "The First Egyptian Student Mission to France Under Muhammed Ali". The International of Middle Eastern Studies. London . May 1980. No. 2, p. 17.

(٥) أرسل محمد علي في عام ١٩١٧ بعض الطلبة إلي إنجلترا لتلقي فن بناء السفن والملاحة ومناسيب الماء وصرفه والميكانيكا. أما بعثة عام ١٨٢٦ إلي فرنسا فتُعد أولي البعثات الكبرى إلي أوربا. وكان عدد البعثة في أول إرسالها أربعين طالباً، ثم لحق بهم أربعة آخرون فصار عددهم أربعة وأربعين طالباً. وقد رجع منهم خمسة قبل إتمام دروسهم لضعف صحتهم أو نقص كفاءتهم.

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ص ٤٠٨-٤١١.

(٦) عمر طوسون، البعثات التعليمية، ص ٣٥، ٣٩، ٤٤، ١٠٦.

(٧) نفسه، ص ص ٣٠٤- ٣٠٥، ٣٢٨-٣٣٢.

(٨) Heywarth-Dunne. J.. An Introduction to the History of Education in Modern Egypt. London. 1938.p. 262. 330.

(٩) Silvera, op. cit., p. 8.

(١٠) Heywarth - Dunne, op. cit., p. 159.

(١١) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٨٧، ٢٢١ - ٢٢٢.

(١٢) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية في فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص ص ٣٣٦- ٣٥٥، ٣٧٦-٤١٢.

(١٣) حول تطور جهاز التعليم فى مصر خلال القرن التاسع عشر انظر :

أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، نظام القضاء والإدارة ، القاهرة، ١٩٢٣، ص ٨٣؛ أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٨٤-٨٥، ٩٣-٩٦، ١٠٣-١٠٤، ١٢٨-١٣٣؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ١٤٣-١٤٦.

(١٤) ورد لدى Silvera أن بوغوص يوسفيان أرمني كاثوليكي المذهب. هذا خطأ، لأن بوغوص أرمني مسيحي على المذهب الأرثوذكسي. ويكفي أن كنيسة الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية قد تسمت «بوغوص - بدروس» نسبة إلى الأخوين بوغوص وبدروس يوسفيان اللذين تبرعا بمعظم نفقاتها.

Silvera, op. cit., p.8.

(١٥) محافظ الذوات تركى، رقم ٣، وثيقة رقم ٤/١٣٤، ترجمة أمر عال من الجناب العالى إلى بلال أغا ناظر الجروم فى غرة جماد ثان ١٢٤٢ هـ.

(١٦) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، جـ ٢، ص ٣٤٥.

(١٧) تأسست المدرسة المصرية الحربية بباريس تحت رئاسة وزير الحربية الفرنسية، وكان نظامها في البداية لا يتفق والروح الحربية من حيث مواد

الدراسة التى اتسمت بالطابع الثقافي. ثم أُدخلت بها العلوم العسكرية. وجديرٌ بالذكر أنها كانت مدرسة تحضيرية للمدارس الحربية العُليا بفرنسا. وقد التحق بها بعض من أهل للدراسة ببعض مدارس فرنسا المدنية. وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات. وقد انقسمت المدرسة إلي فصلين أحدهما للأقوياء والآخر للضعفاء. هذا، وقد ظلت هذه المدرسة مقراً لكل أعضاء البعثات التي أُرسلت إلي فرنسا فيما بعد . ولهذا، عُدت البعثات التى أُرسلت إلى فرنسا بعد بعثة عام ١٨٤٤ ملاحق لها.

زكى صلاح ومحمود مرسي، البعثات العلمية في القرن التاسع عشر، جزءان، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٩، الجزء الأول، ص ٤٩.

(١٨) Heywarth-Dunne. op. cit., p. 243.

(١٩) أطلق على باشا مبارك على بعثة عام ١٨٤٤ إلي فرنسا لقب «بعثة الأنجال» لأنها ضمت الأمير عبد الحليم والأمير حسين - الذى توفي أثناء تعلمه - من أبناء محمد علي والأميرين أحمد وإسماعيل (الخديو إسماعيل باشا) من أبناء إبراهيم باشا. وقد بلغت نفقاتها «٩٤٦١٥» جنيه.

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ص ٤١٧-٤٣٣.

(٢٠) ذكر هيوارث دان أن أرمنيين قد اشتركا في إدارة بعثة عام ١٨٤٤ إلي فرنسا وهما خسروف تشراكيان وخليل تشراكيان. يُخطئ هيوارث دان. لأن هذين الشخصين هما شخصٌ واحد. فقد أطلق إبراهيم باشا علي خسروف تشراكيان اسم خليل بعد أن عمل معه مترجماً أثناء معركة نصيبين في عام ١٨٣٩. كما منحه إبراهيم باشا لقب صاغ.

Heywarth-Dunne. op. cit., pp. 243-248;

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٣١. (بالأرمنية)

(٢١) Heywarth-Dunne, op. cit., p. 2 62.

(٢٢) أمين سامى ، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، جـ٢، ص ٥٥٨.

(٢٣) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٦٢.

(٢٤) "Artin bey...", p. 425.

(٢٥) ملف يوسف بك حكيكيان، رقم ٩٠٩، محفظة ٦١٩، عين ٣، دولاب ٥.

(٢٦) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٧٤، ٤٢٥.

(٢٧) عبد الرحمن الرافعى، عصر محمد علي، ص ٤٠٠.

(٢٨) Heywarth-Dunne, op. cit., p. 149.

(٢٩) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٣٢٧-٣٢٩.

(٣٠) Heywarth-Dunne, op. cit., p. 149.

(٣١) أحمد أحمد الحتة، تاريخ الزراعة المصرية، ص ص ١٥١-١٥٣.

(٣٢) ثمة أسباب عديدة قد أدت إلى تدهور مدرسة الزراعة بنبروه. فلم يُعد التلاميذ إعداداً كافياً يتناسب مع مدرسة خصوصية للزراعة. ولذا، انصرفوا إلي دراسة مبادئ فى النحو والخط والجغرافيا والحساب. كما أن نبروه لم تكن مكاناً ملائماً للمدرسة نظراً لبُعدها عن إشراف الحكومة المركزية في القاهرة. فضلاً عن رداءة التربة وعظم اتساعها وعدم ملاءمة البناء الذى يشغله حقل التجارب وفساد الإسطبلات والشون ووجودها في نفس المكان الذى تشغله غرف النوم وقاعات الدراسة.

أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، جـ٢، ص ٤٧١، ٤٧٢؛

أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٣٥٢ - ٣٥٥؛

Heywarth-Dunne, op. cit., pp. 151-152.

(٣٣) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٤٠٩-٤١١.

(٣٤) Heywarth-Dunne, op. cit., pp. 149-150, 357.

(٣٥) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٢٣٤، ٢٧٥، ٢٨٠.

(٣٦) Burton, F. Richard, Personal Narrative of a Pilgrimage to El Medina and Meccah, 2 Vols, London, 1857, Vol. 1, p. 123.

(٣٦) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٩٢-٩٥، ٩٨-١٠٠، ١٢٨-١٣٢.

(٣٧) ديوان المعية تركي، س ١/٥٨/٢(٤٤)، ص ٨٣، رقم ٤٦٠، أمر من الجناب العالي إلى ناظر الجهادية في ٣ جماد ثان ١٢٤٨ هـ؛ س ١/٥٥/١(٤٩)، ص ١٢١، رقم ٦٦٣، أمر من الجناب العالى إلى أدهم بك في ١٠ محرم ١٢٥٠ هـ: س١/٥٤/٢(٧٧)، ص٢١، رقم ١٢٧، مكاتبة من المعية إلي ناظر الجهادية في ٢٤ ربيع أول ١٢٥٢هـ.

(٣٨) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، جـ٢، ص ٤٠٦، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٦٨، ٤٧١.

(٣٩) انقسم قلم الترجمة إلى أربعة أقسام: ترجمة العلوم الرياضية، ترجمة الأدبيات، ترجمة العلوم الطبية والطبيعية. قسم الترجمة التركية.

أحمد عزت عبد الكريم: المصدر السابق، ص ١٣٢، ٢٤١-٢٤٤.

(٤٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٨٢-٨٣.

(٤١) تقرير جون باورنج منشوراً في : محمد فؤاد شكرى وآخران، بناء دولة مصر محمد على، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٦٦٦.

(٤٢) يذكر هامون مدير مدرسة الطب البيطرى خلال حكم محمد علي أن خصومه في مصر كانوا ديوان المدارس والأرمن والمجلس الخصوصى.

Hamont. op. cit.. Vol. 2, p. 280.

(٤٣) كان يعقوب أرتين خلال الفترة من ١٨٨٨/٩/٤ حتى ١٨٩١/٥/١٤ مديراً وطنياً فى إدارة السكك الحديدية. وقد تقاعد عن الخدمة فى ١٠ ديسمبر ١٩٠٦ لظروف صحية بعد أن خدم فى الحكومة المصرية اثنين وثلاثين عاماً وشهراً واحداً وعشرة أيام.

دار المحفوظات العمومية بالقاهرة، ملفات الموظفين، ملف يعقوب أرتين باشا، رقم ٢٣٠٤٩، محفظة ٨٩٩، عين ١، دولاب ٤٤.

(٤٤) Rae. W. Farser. Egypt To-Day. London. 1892, p. 300.

(٤٥) الزمان، عدد ٧١٢، السبت ١٨٨٥/٩/١٢.

(٤٦) أمين سامى، التعليم في مصر، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٧، ص ٨٩.

(٤٧) نفسه.

(٤٨) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المعارف، محفظة رقم ١٨، ترجمة مذكرة من سعادة وكيل المعارف محررة في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٧، رقم ٦٤.

(٤٩) يعقوب أرتين، القول التام في التعليم العام، ترجمة: علي بهجت، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٤، ص ٧١، ٨٣، ٨٧.

(٥٠) أحمد شفيق، مذكراتى في نصف قرن، القسم الأول من الجزء الثانى، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٦، ص ص ٤٩-٥٠، ٩١.

(٥١) يعقوب أرتين، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٥٢) Rae, op. cit., p. 191.

(٥٣) يعقوب أرتين ، المصدر السابق، ص ص ٨٦-٨٩.

(٥٤) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المعارف، محفظة رقم ١٨، صورة المحرر من نظارة المعارف إلى اللجنة المالية في ١٨٩٧/٧/٧.

(٥٥) يعقوب أرتين، المصدر السابق، ص ص ١١٣-١١٨.

(٥٦) نفسه، ص ٢٣، ٣٥-٣٦، ٤٦-٤٧، ٥٣-٥٤، ٦٠-٦١.

(٥٧) حسن الفقي، التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص ١١٠.

(٥٨) يعقوب أرتين، المصدر السابق، ص ١٩، ٣٢.

(٥٩) Miliner. Alfred. England in Egypt. London. 1903. pp. 303-304.

(٦٠) Rae. op. cit.. p. 301.

(٦١) محمد عبده، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، الكتابات السياسية، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص ٧٠٤.

(٦٢) أمين سامي، التعليم في مصر، ص ٨٩.

(٦٣) محمد شريف سليم، «يعقوب أرتين باشا» مقال في المقتطف ١٩١٩/٣/٥؛ مجلة التربية الحديثة، العدد الرابع، السنة العاشرة، أبريل ١٩٣٧، ص ٣٧٩.

(٦٤) Davidian , Seraphin. Genealogie et Biographie de S.E. Yacoub Artin Pacha. Le Caire. 1917. p. 16.

(٦٥) القاهرة، عدد ٢٢٧، الثلاثاء ١٨٨٦/٩/١٤.

(٦٦) القاهرة الحرة، عدد ٥٦٢، الإثنين ١٨٨٧/١٠/٣١.

(٦٧) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة الآثار، محفظة رقم ٤/٣/أ، ترجمة مذكرة من نظارة الأشغال العمومية إلى مجلس النظار وناظر الداخلية محررة في ١٨٩٦/٧/٢٣.

(٦٨) Davidian, op. cit., pp. 16-17.

(٦٩) الإخلاص، عدد ٢١، الخميس ١٨٩٥/١٠/١٣.

(٧٠) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الداخلية، مصلحة الصحة العمومية، محفظة رقم ٢/٢/أ، تقرير إلي مجلس النظار وناظر الداخلية محرر في ١٨٩٦/٧/٢٣.

(٧١) ملف يعقوب آرتين ، مصدر سابق؛ الزمان، عدد ٤٦٣، الأربعاء ١٨٨٤/١٠/٢٩.

(٧٢) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ٨٨، ٩٠.

(٧٣) Rae, op. cit., pp. 300-301.

(٧٤) حول تطور جهاز المالية فى مصر خلال القرن التاسع عشر أنظر: أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ص ٨١-٨٣؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ١٣٧-١٤١؛ عبد الرحمن الرافعى، عصر إسماعيل، جزءان، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، الجزء الأول، ص ٥٠.

(٧٥) ديوان المعية تركي، س١/٤٧/٢ (٥)، ص ٣٨، رقم ٣٨١، أمر من الجناب العالي إلى كتخدا في ٢٧ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ.

(٧٦) ديوان خديو تركي، س٢/٤٩/٦(٧٧٩)، ص ١٣٠، رقم ٨٤٣، مكاتبة من ديوان خديو إلي حسين بك ناظر المهمات الحربية في ٢١ صفر ١٢٤١ هـ؛ س٢/٤٠/٨ (٧٥٠)، ص ٨٥، رقم ١٨٩، مكاتبة من ديوان خديو إلى الخواجه يعقوب كبير صيارفة الخزينة في ٢٠ شوال ١٢٤٤ هـ.

(٧٧) نفسه، س٢/٤٩/٣ (٧٥٦)، ص١٠٢، رقم ٤٥٤، مكاتبة من ديوان خديو إلى الجناب العالي فى ١٣ ربيع ثان ١٢٤٦ هـ.

(٧٨) ديوان المعية تركي، س١/٥٨/٢ (٤٤)، ص ٨٨، رقم ٥٠٤، أمر من الجناب العالي إلي حبيب أفندى في ٩ جماد أول ١٢٤٨ هـ؛ س١/٥٥/١(٤٩)، ص ٥٥، رقم ٢٧٤، مكاتبة من المعية إلي حافظ أفندى ناظر الحرير فى ١٠ صفر ١٢٤٩ هـ.

(٧٩) ديوان المعية عربى، س١/٢/٢ (٥٨جـ٢)، ص ٢٧١، رقم٢٨٢، مكاتبة من المعية السنية إلي مأمور تحصيلات القومبانية في ١٧ ربيع أول ١٢٦٧ هـ.

(٨٠) Hamont, op. cit., Vol.1, p. 51.

(٨١) ديوان المعية تركي، س١/٤٧/٥(١١)، ص١، رقم ١، مكاتبة من المعية إلي متصرف جرجا في غرة محرم ١٢٣٥ هـ.

(٨٢) ديوان خديو تركي، س٢/٣٠/٢ (٧٣٢)، ص ٥١٥، رقم ٥٤، مكاتبة من ديوان خديو إلي حسين أغا مأمور نظام الفيوم في ١١ ربيع أول ١٢٤٢ هـ.

(٨٣) نفسه، س٢/٣٠/٧ (٧٣٩)، ص٩، رقم ٤٧، مكاتبة من ديوان الخديو إلي عبد الرحمن أغا ناظر قسم محلة دمنة في ٨ محرم ١٢٤٤هـ.

(٨٤) نفسه، س٢/٤٠/٨ (٧٥٠)، ص٣١، رقم ٦٥، مكاتبة من ديوان خديو إلى أحمد باشا في ١٣ رمضان ١٢٤٤ هـ.

(٨٥) نفسه، س٢/٤٠/١٥(٧٦٣)، ص١٥٤، رقم ٣١٥، مكاتبة من ديوان خديو إلي رستم أفندى مأمور نصف البحيرة في ٥ ذي الحجة ١٢٤٤ هـ.

(٨٦) نفسه، س٢/٤٠/٢٤ (٧٨٤)، ص٧٣، رقم ١٤٣، مكاتبة من المجلس العالى إلي ديوان خديو فى ٣ جماد ثان ١٢٤٧ هـ.

(٨٧) نفسه، س٢/٤٠/٢٦ (٧٨٥)، ص ٤٤، رقم ٧٥، مكاتبة من المجلس العالي إلي ديوان خديو فى ١٦ صفر ١٢٤٨ هـ.

(٨٨) ديوان المعية عربى، س١/٥/١ (٣)، ص ١٩٥، رقم ٩٥١، أمر من الجناب العالي إلي كتخدا ولي النعم والي جده في ٢٦ سشعبان ١٢٤٧ هـ.

(٨٩) ديوان خديو تركى، س٢/٤٩/٦ (٧٧٩)، ص ١٣٠، رقم ٨٤٣، مكاتبة من ديوان خديو إلي حسين بك ناظر المهمات الحربية في ٢١ صفر ١٢٤٢ هـ.

(٩٠) ديوان المعية تركى، س١/٥٥/٥ (٨٦)، ص٢١، رقم ٥٣، أمر عال إلي الوكيل باشى فى ١٠ رجب ١٢٥٢ هـ.

(٩١) ديوان خديو تركى، س٢/٤٠/٥ (٧٤٥)، ص ١٠٠، رقم ١٦٤، مكاتبة من مأمور ديوان خديو إلي مأمور أشغال المحروسة في ١٨ محرم ١٢٤٤ هـ.

(٩٢) نفسه، س٢/٤٩/٣ (٧٥٦)، ص ١٠٢، رقم ٤٥٤، مكاتبة من ديوان خديو إلى الجناب العالي فى ١٣ ربيع ثان ١٢٤٦ هـ.

(٩٣) ديوان المعية تركى، س١/٧٩/١(٦٢)، ص ٨٩، رقم ٦٤٨، أمر من الجناب العالي إلى باقى بك في ١٩ صفر ١٢٥١ هـ.

(٩٤) ديوان المعية عربي ، س١/٢/٥٩ (٨١ جـ ٥)، ص ٩٠٤، رقم ٨٠٦، مكاتبة من المعية إلى مجرديتش صراف قومبانية البفتة في ٢٩ شعبان ١٢٦٨ هـ.

(٩٥) Deny, John, "Sommaire des Archives Turques du Caire", Societé Royale de-Geographie d'Egytpe. Le Caire. 1930, p. 218, 259.

(٩٦) محافظ الذوات تركي، رقم ٢، وثيقة رقم ٢٤/١٩٧، ترجمة أمر عال من الجناب العالي إلي إبراهيم بك وكيل ناظر الغلال في ٢٠ ذى الحجة ١٢٤٢ هـ.

(٩٧) نفسه، وثيقة رقم ٤/٢٤٩، ترجمة أمر من الجناب العالى إلى أمين أفندى وكيل مبيع الأصناف في ١٥ رمضان ١٢٤٣ هـ.

(٩٨) ديوان المعية تركي ، س ١/٥٧/١ (٣٦)، ص ٢٥، رقم ٣١٦، أمر من الجناب العالي إلي المعية في ٢٤ جماد ثان ١٢٤٤ هـ.

(٩٩) ديوان خديو تركي، س٢/٤٠/١٢ (٧٦٠)، ص ١٠٧، رقم ٣٠٧، مكاتبة من ديوان خديو إلي محمد أفندى مأمور منوف فى ٢ جماد أول ١٢٤٥ هـ.

(١٠٠) ديوان المعية تركي، س١/٦٢/١ (٦٨)، ص١، رقم ١، أمر من الجناب العالي إلي برهان بك في ٢٩ ربيع أول ١٢٥١ هـ.

(١٠١) نفسه، س١/٥٥/٥ (٨٦)، ص٢١، رقم ٥٢، أمر عال إلى كتخدا في ١٠ رجب ١٢٥٢ هـ.

(١٠٢) هيلين آن ريڤلين، المصدر السابق، ص ١٥١.

(١٠٣) تعداد النفوس، محافظة مصر، رقم ٢٧٠، إجمالي السجلات فى عام ١٢٨٥ هـ، ص ٤٨.

(١٠٤) أصبح نوبار باشا أنيس مراقباً لسكرتارية المالية منذ أول أبريل ١٩٠٧. رُفت لوفاته في ١١ أبريل ١٩١٢.

ملف نوبار باشا أنيس، رقم ٢٤٩٥٠، محفظة ١٠٤٣، عين ٢، دولاب ٥١.

(١٠٥) رُفت ديكران أفندى أبيبيان في ٢١ يناير ١٩٠٣ بسبب إلغاء إدارة الأموال غير المقررة والدخوليات.

ملف ديكـــران أفندى أبيـبيـان ، رقـم ٢١٦٦٧، مـحـفظة رقم ٨٠٤، عين ٢، دولاب ٣٩.

(١٠٦) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المالية، محفظة رقم ١/٥/د، ترجمة مذكرة من اللجنة المالية إلي مجلس النظار بتاريخ ١٠ فبراير ١٨٩٢.

(١٠٧) تقاعد عن الخدمة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٩.

ملف كريكور جواهرجيان، رقم ٢٤٠٦٠، محفظة ٩٧٥، عين ٤، دولاب ٤٧.

(١٠٨) تقاعد عن العمل في ١٧ يونيه ١٩٠٥ بسبب ضعف بصره.

ملف الكسان أفندى جرابيد، رقم ٢٢٥٦٠، محفظة ٨٦٥، عين ٢، دولاب ٤٢.

(١٠٩) ملف بوغوص أفندى نشان، رقم ١٧٨٨٥، محفظة ٥٩٨، عين ١، دولاب ٢٩.

(١١٠) تقاعد الكسان جرابيد عن العمل فى ٩ مايو ١٩٠١ لإصابته بحمى وأمراض رئوية.

ملف الكسان جرابيد، رقم ٢٠٩٠٧، محفظة ٧٥٢، عين ٤، دولاب ٣٦.

(١١١) تقـاعـد سـركيس أفندى كـريكوريان عن العـمل في ٨ يونية ١٩٠٧ لضـعف بصره وإصابته بلس في البول.

ملف سركيس أفندي كريكوريان، رقم ٢٣٢، محفظة ٩١٤، عين ٤، دولاب ٤٤.

(١١٢) ملف كبريل أفندى شربوسيان، رقم ١٧٩٨٠. محفظة ٦٠١، عين ١، دولاب ٢٩.

(١١٣) ملف أنضون أفندى جرابيد، رقم ١٩٢٨٩، محفظة ٦٦٢، عين ٢، دولاب ٢٢.

(١١٤) ملف تاكفور أفندى مليك، رقم ١٤١٥١، محفظة ٤٧٤، عين ٤، دولاب ٢٢.

(١١٥) ملف أرداشيس أفندى كونچيان، رقم ١٧٩٦٦، محفظة ٦٨٨، عين ٣، دولاب ٣٣.

(١١٦) استمرت السكك الحديدية في مصر منذ نشأتها عام ١٨٥٢ وحتى عام ١٩١٩ حائرة من حيث إدارتها وتبعيتها، فهي تارة مصلحة قائمة بذاتها وتارة أخرى تتبع مصلحة أخرى وتارة ثالثة تتبع نظارة الأشغال والمعارف ورابعة تتبع محافظة مصر وخامسة تُديرها هى وميناء الإسكندرية لجنة أجنبية مختلطة وسادسة تتبع رئاسة مجلس النظار وغير ذلك حتى استقرت تبعيتها لوزارة المواصلات التى أُنشئت عام ١٩١٩. وللمزيد :

فاطمة علم الدين، تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٨٣-٨٨.

(١١٧) ملف نوبار باشا، مصدر سابق.

(١١٨) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، ص ١١٢.

(١١٩) محافظ الأبحاث، رقم ٤٥، ترجمة إفادة صادرة في غرة ذى القعدة ١٢٧٤ هـ مستخرجة من سجل رقم ٥٠٩ تركى، ص ٨٠.

(١٢٠) Nubar Pacha, Memoires, Introduction et Notes de M. Boutros Ghali, Librairie du Liban, Beyrouth, 1983, pp. 169-173, 182-184.

(١٢١) أمين سامي، تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ٣١٨.

(١٢٢) چون مارلو، تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨-١٨٨٢، ترجمة: عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٧٩-٨٠.

(١٢٣) Nubar Pacha. op. cit.. p. 186.

(١٢٤) محافظ الأبحاث، رقم ٤٧، ترجمة إفادة صادرة في ٩ رجب ١٢٨١ هـ، مستخرجة من سجل ٥٣٩ تركي، ص ٤٦؛ أمين سامي، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثاني من الجزء الثالث، ص ٥٥٢، ٥٨٢-٥٨٣.

(١٢٥) Nubar pacha. op. cit.. p. 246.

(١٢٦) تعيَّن نوبار في عام ١٨٥٠ مديراً للإدارة الصحية (الكورنتينه) خلفاً للمهندس يوسف حكيكيان.

Ibid.. pp. 250-253.

(١٢٧) «سكك حديد مصر في ١٢٥ عام ١٨٥٢-١٩٧٧»، مطابع السكة الحديد، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٩.

(١٢٨) فاطمة علم الدين، المصدر السابق، ص ٨٧.

(١٢٩) «سكك حديد مصر في ١٢٥ عام-» . المصدر السابق.

(١٣٠) نفسه، ص ٢٤؛ محافظ مجلس الوزراء، مصلحة السكة الحديد ، محفظة رقم ٢/١/أ، صورة أمر عال صادر في ٢٥ صفر ١٣٠٤هـ.

(١٣١) فاطمة علم الدين، المصدر السابق، ص ٨٧.

(١٣٢) نفسه؛ مصلحة السكة الحديد، محفظة رقم ٢/٢/أ، وثيقة رقم ١٩، مذكرة من بوغوص نوبار إلي رئيس النظار في ١٨٩٧/٤/٤.

(١٣٣) الإتحاد المصرى، عدد ١١١٥، الخميس ١٨٩٢/٢/١١: «سكك حديد مصر في ١٢٥ –»، ص ص ٢٢٤-٢٣٧.

(١٣٤) تقاعد يوسف بك مانوج عن العمل في ١٦ أكتوبر ١٩٠٠.

ملف يوسف بك مانوج، رقم ٢٣٧٣٧، محفظة ٩٥٢، عين ٤، دولاب ٤٦.

(١٣٥) تقاعد أنتيموس كولهليان عن العمل بسبب مرضه في ١٥ مارس ١٩٠٤.

ملف أنتيموس كولهليان، رقم ٢٢٠٩٢، محفظة ٨٣٥، عين ٤، دولاب ٤٠.

(١٣٦) تقاعد أسادور بك شيردچيان عن العمل بسبب الإصابة في ١٥ يونية ١٩٠٤.

ملف أسادور بك شيردچيان، رقم ٢٢٢٦٧، محفظة ٨٤٧، عين ٣، دولاب ٤١.

(١٣٧) ملف أڤيديك كونچيان، رقم ١٥٦٠٩، محفظة ٥٢٠، عين ١، دولاب ٢٥.

(١٣٨) ملف تاكڤور أفندى چورچ، رقم ١٤٢٣١، محفظة ٤٧٦، عين ٤، دولاب ٢٢.

(١٣٩) سوف يتم شرح تطور جهاز التجارة والخارجية في مصر خلال القرن التاسع عشر في الفصل القادم.

(١٤٠) Hamont, op. cit., Vol. 2, p. 280.

(١٤١) ديوان المعية تركى، س/١/٦٠/٢ (٥٩)، ص ٨٩، رقم ٢٩١، أمر من الجناب العالي إلي خازندار الإسكندرية في ٢٥ شعبان ١٢٥٠ هـ.

(١٤٢) محافظ الأبحاث، رقم ١١٧، أسماء موظفى الحكومة المصرية ابتداء من رُتبة البكباشى مُستخرجة من سجل رقم ٢٦٨ تركى عمل ما بين ١٢٦٥ – ١٢٦٨ هـ.

(١٤٣) ملف أراكيل بك، رقم ٥٧٤٢، محفظة ٢٣٧، عين ١، دولاب ١١: الوقائع المصرية، عدد ٥٣٦، الإثنين ١٨٧٣/١٢/٩.

(١٤٤) ملف إسكندر بك بوزارى، رقم ١٠٦٠٨، محفظة ٣٦٧، عين ٣، دولاب ١٧.

(١٤٥) ملف جرابيد بك شيردچيان، رقم ٢٣٧٨٩، محفظة ٩٥٥، عين ٤، دولاب ٤٦.

(١٤٦) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٩٤: الزمان، عدد ٤٤٦، الخميس ١٨٨٤/١٠/٩.

(١٤٧) ديوان المعية تركي، س١/٥٥/٢٣ (٥٢٩)، ص ٦٩، رقم ١٤، أمر إلي نوبار باشا في ٤ ذي القعدة ١٢٨١ هـ.

(١٤٨) تعيَّن ديكران سكرتيراً لمجلس النظار منذ ٣١ ديسمبر ١٨٧٨ حتى ١٨٨١.

ملف ديكران باشا، رقم ١٨٢٦٦، محفظة ٦١٢، عين ٤، دولاب ٢٩.

(١٤٩) حول تطور الجهاز القضائى فى مصر خلال القرن التاسع عشر :

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ص ٥٢٦-٥٢٧: عصر إسماعيل، جـ ١، ص ص ٥٠-٥٣: أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ٨٢: طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص١٢٥، ١٤٣.

(١٥٠) عمر طوسون، البعثات العلمية، ص ٣٣٣: زكى صالح ومحمود مرسى، المصدر السابق، ص ١٣٥ وما بعدها.

(١٥١) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٥٢، ٢٦٦، ٢٩٠، ٣٠٨. (بالأرمنية)

(١٥٢) "Livre d'Or les Juridictions Mixtes d'Egypte 1876-1926". Alexandrie. 1926. p. VI.

(١٥٤) توقف يوسف عزيز عن العمل في ٢٠ أغسطس ١٩١١ بسبب وفاته.

ملف يوسف بك عزيز، رقم ٢٤٧٩٩، محفظة ١٠٣١، عين ٣، دولاب ٥٠.

(١٥٥) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الحقانية، محفظة رقم ١/١/أ، مذكرة من سكرتارية مجلس النظار إلي نظارة الحقانية في ١٨٨٦/١٢/١٣.

(١٥٦) "Livre d'Or les Juridictions Mixtes d'Egypte, p. VI. XVIII. XXIII;

فهرست الأوامر العلية والدكريتات الصادرة في سنة ١٨٩٧، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٨، ص ٢٣.

(١٥٧) ملف أرتين بك رايزيان، رقم ٢٤٩١٣، محفظة ١٠٤٠، عين ١، دولاب ٥١؛ محافظ مجلس الوزراء، نظارة الحقانية، محفظة رقم ١/١/أ، مرسوم خديوى بتعيين أرتين رايزيان قاضى بمحكمة الإسكندرية في ١٨٨٤/١/٢٩.

(١٥٨) "Livre d'Or les Juridictions Mixtes d'Egypte, p. XXIV.

(١٥٩) فهرست الأوامر العلية والدكريتات الصادرة في سنة ١٨٩٥، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٦، ص ١٦.

(١٦٠) ملف أدولف كوربريان، رقم ١٨٣١٨. محفظة ٦١٤، عين ٤، دولاب ٢٩.

(١٦١) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الحقانية، محفظة رقم ٧/٢/١/أ، مذكرة من الحقانية إلى مجلس النظار، رقم ٢٨، محررة في ١٨٨٩/١/١٩.

(١٦٢) بلغت مدة خدمة أنضون ونيس شوبانيان في الحكومة ثمانية عشر عاماً وشهرين وسبعة عشر يوماً.

ملف أنضون ونيس شوبانيان، رقم ٢٤٤١١، محفظة ١٠٠٥، عين ٢، دولاب ٤٩.

(١٦٣) ملف يعقوب أغا تشراكيان، رقم ١٨٨٥١، محفظة ٦٣٩، عين ١، دولاب ٣١.

(١٦٤) حول تطور جهاز الداخلية فى مصر خلال القرن التاسع عشر:

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد على، ص ٥٢٦، أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨١؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ١٣٧.

(١٦٥) ملف يعقوب أفندى جرابيد، رقم ٢٧٣٣٨، محفظة ١٢٥٠، عين ٣، دولاب ٦١.

(١٦٦) ملف آرام بك پاپازيان، رقم ٢٥١٣٢، محفظة ١٠٥٩، عين ١، دولاب ٥٢؛ فهرست الأوامر العلية والدكريتات الصادرة في سنة ١٨٩٥، ص ١٥٠.

(١٦٧) تقلد هوڤانيس هاجوبيان وظيفة وكيل إدارة بقسم المُستخدَمين واللوازمات بالداخلية منذ أول نوفمبر ١٩٠١. رُفت لوفاته في ١٨ يناير ١٩١٧.

ملف هوڤانيس بك هاجوبيان، رقم ٢٧١٢٧، محفظة ١٢٢٣ ، عين ٤، دولاب ٦٠.

(١٦٨) الوقائع المصرية، عدد ٥٨٣، الأحد ١٨٧٤/٢/٢٩.

(١٦٩) البريد، عدد ٢٢٤، الثلاثاء ١٨٩٨/٧/١٢.

(١٧٠) حول تطور جهاز الأشغال العمومية فى مصر خلال القرن التاسع عشر:

أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ٨٤؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ١٤١-١٤٣.

(١٧١) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة الرى، محفظة رقم ٢/٢/أ، كشف بأسماء الخدمة بإدارة عموم المبانى الصناعية، رقم ٥، محرر في ١٨٨٦/٢/١٠.

(١٧٢) مصلحة الرى . محفظة رقم ٢/٢/ب، مذكرة من نظارة الأشغال العمومية إلي رئاسة مجلس النظار رقم ٦٨٣ محررة في ١٦/٦/ ١٨٨٨.

(١٧٣) نفسه، محفظة رقم ٢/٢/أ. كشف بأسماء الخدمة المصرح بتعيينهم لتفاتيش الرى بموجب قرار من مجلس النظار في ٢٤/١٠/١٨٨٥.

(١٧٤) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة التنظيم، محفظة رقم ٦/٤/أ، كشف بأسماء المُستخدَمين التملية بتفتيش مصر، رقم ٢.

(١٧٥) فهرست الأوامر العلية والدكريتات الصادرة في سنة ١٨٩٧، ص ٢٩.

(١٧٦) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة الآثار، محفظة رقم ٤/٣/أ، وثيقة رقم ٤٥، ترجمة مذكرة من نظارة الأشغال العمومية إلي رئاسة مجلس النظار، رقم ٦١٦، محررة في ٢٨/١٢/١٨٨٧.

(١٧٧) كان أنضون أفندى جرابيد المُفتش بمصحلة المطرية مثالاً للموظفين الأرمن الذين رُفتُوا لسوء سلوكهم. ويتضح من ملف خدمته أنه نال العديد من الجزاءات الإدارية والمالية. كما أثبت التحقيق الذى أُجرى معه أنه استغل مركزه في الحصول علي أسماك من الصيادين دون دفع ثمنها أو قيدها. وكان يستولي على أدوات المصلحة لنفسه مثل الغاز والشمع والأدوات المعدنية والملح وغيرها. كما كان يصرف الملح بشوانبه. وكان موظفو المصلحة يُتاجرون في الأسماك خلسةً من وراء الحكومة ويتقاسمون أثمانها معه. واستغل جرابيد عمال المصلحة في الخدمة بمنزله الخاص لأداء أعمال النظافة والطبيخ وغيرهما. كما كان يُشغل أشخاصاً من خارج المصلحة دون تصريح حكومى لهم بذلك. وكان المفتش جرابيد يغيب كثيراً عن عمله ناهيك عن سوء خلقه وسمعته.

ملف أنضون أفندى جرابيد، مصدر سابق.



الفصل الخامس

الدور السياسي للأرمن

١- الأرمن في البلاط

٢- أدارة الأقاليم

٣- النظارات

١- الأرمن فى البلاط

انتشر الأرمن فى بلاط الحكام، لاسيما محمد على، يُمارسون مهاماً متعددة. فقد كان يغيازار أميرا بدروسيان صراف محمد علي الخاص، وكان لابان ماماس باش ممون محمد علي حتى عام ١٨٣١ ثم خلفه ابن أخته هوڤانيس حتى عام ١٨٤١. وكان مايس حداده الخاص حتى عام ١٨٢٨ ثم خلفه هوڤانيس حتى عام ١٨٤١ ثم كيڤورك بك رابائيليان منذ عام ١٨٤٥. وثمة ترزى أرمنى لمحمد علي وصائغ أيضاً. وكذا، هناك أطباء أرمن للحكام مثل الطبيب چيوڤاني بوزارى طبيب محمد علي وإستيبان كيڤوركيان طبيب إبراهيم باشا وحريمه.[١]

ولامراء فى أن مثل هذه الأعمال قد جعلت الأرمن علي مقربة من الحكام وأدت إلي توثيق الصلة بهم. بيد أن أهم وظيفة مارسها الأرمن في البلاط، بل وأخطرها قاطبةً، هى وظيفة «التُّرْجُمَان» الخاص بالحكام. وتكمن أهمية هذه الوظيفة في جَهْل معظم الحكام باللغات الأوربية. ومن ثم، وقوف المترجمين علي أسرار الدولة برمتها. وبالتالى، غدا حتمياً علي الحكام انتقاء أخلص العناصر لتقلُّد هذه المهمة. ولامراء فى أنه تبعاً لهذا فقد تبوأ المترجمون مكانة خاصة لدى الحكام تمخض عنها قيامهم بدور هام في البلاط.

وهنا، تجدر الإشارة إلي أن وظيفة «التُّرْجُمَان» كانت معروفةً في مصر منذ العصر المملوكى (١٢٥٠ - ١٥١٧). وقد وصف حسين أفندى الروزنامجى عمل صاحبها بقوله: «وكانت خدمته الوقوف في كل ديوان لأجل تعريف الكلام بكل لسان».[٢] وثمة اثنان من التَّراجمة قد اشتهرا في الإدارة العثمانية بمصر وهما «ترجمان باشى» - أى كبير تراجمة

مصر - و«ترجمان صغير» - أى ترجمان قاضى عسكر أفندى. وقد انحصرت مهمتهما في الترجمة من التركية إلي العربية أو العكس.[٣]

أمَّا منذ حكم محمد علي فقد أصبح مطلوباً من التُّرجمان ليس فقط معرفة اللغتين التركية والعربية، بل لابد ، وهو الأهم، من إجادة لغات الدول الأوربية التى يتعامل معها الحكام. ومما هو جديرٌ بالذكر أن هذه الميزة قد توفرت لدن الأرمن الذين أجادوا عدداً من اللغات الشرقية والأوربية. لذا، عملوا مترجمين لمحمد علي وخلفائه بشكلٍ يكاد يكون احتكاراً. ولتأكيد هذا يُمكن رصد عدد ليس بقليل من الأرمن الذين عملوا مترجمين خصوصيين للحكام في مصر علي امتداد القرن التاسع عشر. فحتى عام ١٨١٠ عمل مجرديتش حكيكيان - والد المهندس يوسف حكيكيان - ترجماناً لمحمد على.[٤] وظل بوغوص يوسفيان الأزميرى ترجماناً لمحمد علي حتى عام ١٨٢٦ عندما عُيِّن في منصب ناظر ديوان التجارة.[٥]

هذا، وقد استَدْعَى بوغوص يوسفيان - ناظر ديوان التجارة - عدداً من أقاربه وأبناء موطنه (أزمير) ليعملوا مترجمين لدن محمد على. إذ بفضل وساطته تعين خاتشادور أوهانيسوف ترجماناً لمحمد علي منذ عام ١٨٣٠.[٦] وتقلد جرابيد (شارلو) نوباريان - شقيق نوبار - وظيفة ترجمان محمد علي بين عامى ١٨٣٠ - ١٨٣٩.[٧] وعمل ميناس ميكانيليان ترجماناً ثانياً لمحمد علي منذ عام ١٨٣٥.[٨] واشتغل آريستاجيس آلطونيان درى بهذه الوظيفة أيضاً لدى محمد علي.[٩] وكذا، عمل إسطفان دميرچيان ترجماناً في معية محمد علي منذ ٢٥ شوال ١٢٣٤ هـ (١٨٣٧).[١٠]

وأيضاً اشتغل أرتين تشراكيان بهذه الوظيفة بين عامي ١٨٣٩ - ١٨٤٤.[١١] ثم خلفه شقيقه خسروف تشراكيان الذى أصبح في عام ١٨٤٧ رئيساً لديوان المعية. كما عمل ترجماناً لحريم محمد علي وإبراهيم وعباس الأول.[١٢] وبدأ إسكندر بك بوزاري - ابن چيوڤاني بوزاري طبيب محمد علي الخاص - حياته الوظيفية ترجماناً ثالثاً لمحمد علي فيما بين عامي ١٨٤٢-١٨٤٨.[١٣]

وكذا، عمل نوبار نوباريان ترجماناً ثانياً لمحمد علي منذ ٤ جماد ثان ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤)، ثم ترجماناً لإبراهيم باشا وعباس حلمي الأول. وأصبح باشترجماناً في ٢٥ صفر ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠).[١٤] وقد ظل نوبار، علي فترات متقطعة، يقوم بمهام الباشترجمان خلال حكمي عباس الأول وسعيد وأوائل حكم إسماعيل بسبب إجادته واستقامته وحسن وقوفه علي الأمور والمصالح.[١٥] كما بدأ شقيقه أراكيل نوباريان - حاكم الخرطوم فيما بعد - حياته الوظيفية ترجماناً لإبراهيم باشا ثم أصبح باشترجماناً في ٢٨ صفر ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦) وأُنعم عليه بالرتبة الثانية المتمايزة.[١٦] ومنذ بداية حكم إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) عمل أبرام بك ترجماناً ثانياً له[١٧]، ثم رئيساً للمترجمين منذ ٢٨ جماد أول ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤).[١٨] وقد حلَّ شقيقه أبراهام محله رئيساً للمترجمين منذ عام ١٨٦٩.[١٩]

وهكذا، يتضحُ أن الأرمن قد استأثروا تقريباً بوظائف المترجمين الخصوصيين لمحمد علي وخلفائه. ويرجع هذا إلي ثقة الحكام فيهم، وإجادتهم اللغات، ولباقتهم في إدارة الأحاديث. ناهيك أن المترجمين الأرمن كانوا يُهَيْئُون الفرصة لبني جنسهم كي يشغلوا أماكنهم عندما يُعَيْنُون في وظائف أخرى. بيد أنه يُلاحظ ازدياد عدد مترجمي محمد علي

وإبراهيم وعباس الأول عن سعيد وإسماعيل. ويرجع هذا إلي عدم معرفة الأول بلغات أوربية، بينما تعلم الحكام بدايةً من سعيد في أوربا وعرفوا لغاتها مما أدى إلي قلة احتياجهم لمترجمين خصوصيين بدرجة كبيرة.

ورغم كثرة المخاطرالمحيطة بعمل المترجمين الخصوصيين، لاسيما مع حكام متقلبين في أهوائهم مثل محمد علي وخلفائه، إلا أن الأرمن قد نجحوا في اكتساب ثقتهم وحبهم بل وتفضيلهم ومحاباتهم. فمنذ فترة مبكرة من حكم محمد علي يُؤكد الجبرتى في أكثر من موضع أن الأرمن قد صاروا «أخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحبة» و «أصحاب الرأى والمشورة».[٢٠] ناهيك أن محمد علي كان يُوصى كثيراً باستخدام تراجمة أرمن لأنهم أكثر كفاءة وأعلي قدراً.[٢١] هذا، وقد كان محمد علي في وقت فراغه يُفضل الاستماع إلي قصة نابليون من خلال ترجمات أريستاجيس ألطونيان. وقد سرّته احدي ترجماته فأطلق عليه لقب «درّي» (اللؤلؤ) الذى التصق به منذ ذلك الحين.[٢٢] كما اختار محمد علي مترجمه الخاص آرتين تشراكيان كي يُترجم له كتاب الأمير لميكياڤيللى Machiavelli[٢٣] فأخذ آرتين يُترجم حوالى عشر صفحات يومياً، وعندما بلغ اليوم الرابع، سئم محمد على الاستماع إليه، وعلّق على آرتين قائلاً: «... أقولُ لك بصراحة إنه ليس لدى ميكياڤيللى شيئاً أتعلمه منه، بل أعرفُ جيداً حيلاً أكثر مما يعرف، ولستُ بحاجة إلي معرفة ما تبقى».[٢٤]

وقد أثنى الزائرون والرحالة الأجانب الذين زاروا مصر علي القدرات اللغوية وعلى لباقة المترجمين الأرمن العاملين في البلاط. فمثلاً، أهدى قيصر الروس نيشان القديس اسطانيسلاس من الطبقة الثانية إلى

خسروف تشراكيان في سنة ١٨٤٩.[٢٥] كما أشاد الرَّحَّالَةُ الإنجليزى السير ريتشارد بيورتون Burton خلال رحلاته بالقدرات اللغوية للمترجمين الأرمن العاملين فى البلاط المصرى بقوله: «لقد سمعتهم يتحدثون مراراً بأنقى لهجة وعبارة ممتازة، ويُتْقِنُون اللغات الأوربية بدرجة فائقة إلي جانب لغتهم الأم والتركية والعربية والفارسية والهندية».[٢٦]

وتَكْشف مذكرات نوبار عن نجاح المترجمين فى التسلل إلي عقول الحكام ونواياهم ومعرفة ما يدور فيهما خلال ساعات الصفاء والشكوى التى كان يحلو للحكام تبادل أطراف الحديث خلالها مع مترجميهم. ومن خلال هذه الأحاديث عرفوا طبائع أسيادهم ونقاط الضعف لديهم فضلاً عن العديد من الأسرار. فمثلاً، عندما توتَّرت العلاقات بين محمد على وابنه إبراهيم، أفصح إبراهيم لمترجمه وسكرتيره نوبار عن تَخَوُّفه من أن يُخطط والده لاغتياله. ثم تلقى إبراهيم خطاباً من أبيه مُفعماً بإتهامات وراءها خيانة، لذلك أمر رجالاته بأن يكونوا مُستعدين للاشتباك في حالة تعرُّضه لمحاولة اغتيال. ويُؤكد نوبار أن إبراهيم كان على يقين من أن أباه يُخطط لقتله، لذلك ظل مُستعداً لقتل أبيه.[٢٧]

وكذا، أفصح إبراهيم لنوبار خلال رحلاتهما في أوربا وجلساتهما الخاصة عمًّا يدور بخلده من طموحات عندما يتولي حكم مصر. فيذكر نوبار أنه عندما كان إبراهيم في فرنسا بكى لأنه رأى الريف الفرنسى جذاباً وأخضر فى حين كانت مصر بائسة. فقال لنوبار: «سوف أُغيِّرُ كل هذا إذا أطال الله في عمرى». وكان إبراهيم جالساً فى بيزا Piza في عام ١٨٤٧ فصاح بصوت عال قائلاً لنوبار: «لا لن أموت، لقد خلقنى الله لخير مصر، لأجعلها غنيةً ومزدهرةً، وليس من العدالة أن يُمِيتَنِى قبل أن

أجعلها مزدهرةً وسعيدة». ورغم قسوة إبراهيم المشهورة، إلا أنه كان مؤمناً بضرورة تطبيق العدالة ويتطلع دوماً إلي تنفيذها في مصر. هذا، وتجدر الإشارة إلي أن نوبار قد أدرك نقاط ضعف سيده. لذا، كان يُسَرِّى عنه كثيراً، وقت أزماته النفسية وثوراته، حتى وقت متأخر من الليل بأن يُعيد إلى مسامعه ذكريات انتصاراته الرائعة.(٢٨)

وأيضاً، تكشف مذكرات نوبار عن قيام المترجمين بدور الجاسوسية لصالح الحكام. فقد عيَّن محمد علي نوبار مترجماً وسكرتيراً لإبراهيم كي يُراقبه وينقل أخباره إلى ولي أمره بوغوص الذى سينقلها بدوره إلى محمد على.(٢٩) والحق، ليس هذا غريباً علي حاشية محمد علي التى كانت مسرحاً للمؤامرات والمنافسات وتكونت بداخلها التكتلات لاكتساب ثقته ورضاه. وقد شكَّل الأرمن تكتلاً فعالاً داخل هذه الحاشية بزعامة بوغوص يوسفيان.(٣٠) ويُؤكد هامون هذه الحقيقة بقوله: «إن الأرمن هم الأقوى في بلاط الوالى».(٣١)

كما قام المترجمون بتنفيذ بعض المهام الخاصة التى يُكلفهم بها الحكام. فعلى سبيل المثال، قام المترجم آبراهام بك بدور كبير في تحويل المناخ المعادى لإسماعيل في الأستانة إلي مناخ ودى مما جعله يحصل علي كثير من السلطات بفضل الرشاوى العديدة التى كان يمنحها عن طريق آبراهام ذى الشخصية الدبلوماسية.(٣٢)

وهكذا، يتضحُ أن المترجمين الأرمن قد وثَّقوا علاقاتهم بالحكام وأظهروا لهم إخلاصهم وتفانوا في خدمتهم. ويُعد هذا بمثابة البوابة الرئيسية التى عبروا منها إلي الوظائف الكبرى المتباينة. ولكن، يُلاحظ أن الذين تعلموا تعليماً متواضعاً لم يتخطوا أكثر من كونهم مترجمين

عدا بوغوص، أما المتعلمون تعليماً عالياً فقد كانت وظيفة المترجم بالنسبة إليهم بمثابة الخطوة الأولى نحو منصب حكومي أعلى. ولما كان هؤلاء المترجمون على اتصال دائم بالحكام، فقد وقفوا على كثير من الأسرار واكتسبوا مزيداً من الخبرات التي جعلتهم مؤثرين، وبحق، في الجهاز الحكومي المصري خلال القرن التاسع عشر . كما يُلاحظ أن هؤلاء المترجمين قد جاءوا من المدن المتحضرة في الدولة العثمانية خاصة أزمير عن طريق أبائهم أو قريب حميم لديهم مثل بوغوص يوسفيان الذى استدعى معظمهم من موطنه أزمير. ولهذا، انحصر معظمهم في عائلات يوسفيان ونوباريان وآبرويان - التي توثَّقت علاقاتها أكثر فأكثر بالقرابة والمصاهرة - وتشراكيان. وأخيراً، لا غَرْوَ أن ارتقى أفراد هذه العائلات إلى أعلي السُّلَم الإدارى بمصر عندما تقلدوا مناصب النظار وحكام الأقاليم التابعة لمصر على نحو ما سيتضح الآن.



٢- إدارة الأقاليم

ثمة أرمنيان قد أدارا الأقاليم التابعة لمصر وهما: أراكيل بك نوباريان حاكم الخرطوم وسنار وأراكيل بك أبرويان حاكم مصوع. وهما منطقتان واعرتان جغرافياً مكتظتان بالمشكلات السياسية والاجتاعية وغيرها.

بدايةً، شغل أراكيل بك نوباريان (١٨٢٧/١٢/٢٧-١٨٥٨/٩/١٢) - شقيق نوبار باشا - منصب مدير الخرطوم وسنار وملحقاتها منذ ٢

جماد ثان ١٢٧٣ هـ حتى ٦ ربيع ثان ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ - ١٨٥٨).[٣٣] وقد ارتبطت ظروف تَقَلُّده هذا المنصب بزيارة الوالي سعيد باشا إلي السودان وما نتج عنها. ففي يناير ١٨٥٧ توجّه سعيد باشا إلي السودان في زيارة تَفَقُّدَية أدرك خلالها معاناة الأهالي بشدة من فداحة الضرائب وظُلم الحكام. وطفق سعيد يُصلح أحوال السودان المتردية بعد أن كاد يُخليه لولا وساطة الأعيان. فأمر بإعفاء الأهالى من الضرائب المتأخرة عليهم وعَدَّلَ نظامها بحيث انخفضت انخفاضاً كبيراً، وأنشأ محطة في صحراء كروسكو لتسهيل نقل البريد والمسافرين بين مصر والسودان، وأنشأ نقطةً عسكريةً علي نهر السوباط لمنع تجارة الرقيق ومطاردة النخاسين. كما أصدر أوامره إلي مديرى الأقاليم السودانية بمراعاة العدالة بين الأهالي فى الضرائب والسخرة والقضاء.[٣٤]

ومن الناحية الإدارية، وسَّع سعيد في سودنة الإدارة نسبياً بإنشاء مجالس محلية تتألف أعضاؤها من رؤساء العشائر والعائلات السودانية، وعزل الموظفين الأتراك الذين أساءوا معاملة الأهالي واستبدلهم بسودانيين. كما ألغى منصب الحكمدارية العامة وقَسَّم السودان إلي خمس مديريات مستقلة عن بعضها: سنار وكردفان والتاكه وبربر ودنقله وتتبع كل منها حكومة القاهرة مباشرةً.[٣٥] كما ضمَّ الخرطوم إلي سنار في مديرية واحدة جاعلاً آراكيل بك نوباريان مديراً لها ومشرفاً عاماً على الإصلاحات التي أقرها نظراً لما يُوصف به من حُسن التدبير والسياسة.[٣٦]

ولكن، قُوبِل أراكيل بمعارضة شديدة من قبل أقوي القبائل السودانية وكادت معارضتهم تنقلب ضد حكومة القاهرة لأنها أقامت عليهم حاكماً

مسيحياً لأول مرة. عندئذ، استقر رأى ضباط أراكيل على ضرورة محاربتهم وإخماد معارضتهم بسرعة حتى لا تحذو القبائل الأخرى حذوهم. بيد أن أراكيل أبى أن يبدأ حكمه بمحاربة رعاياه وآثر مواجهة الموقف سلمياً. فتوجه أعزل السلاح إلى القبيلة المعارضة وتحاور مع زعيمها أبى سن حول ماهية معارضتهم: أهى ضد الحكومة أم ضده بصفته مسيحيا؟. أعرب أبو سن عن أنها ضده شخصياً بوصفه ممسيحياً . عندئذ، رد عليه أراكيل قائلاً: «إذا كان الأمر كذلك، فافعل بى ما تشاء حتى لا يُقال أننى كنتُ سبباً فى إراقة دماء الرعايا المخلصين لمولانا». فهزت هذه الكلمات مشاعر أبى سن الذى رد قائلاً: «لقد هزمتنى».[٣٧]

وبذا، نجح أراكيل فى استيعاب الموقف والقضاء على أول أزمة واجهته في مستهل حكمه وأصبح المعارضون من أهم أعوانه. عندئذ، شرع أراكيل يُنظم أحوال مديريته ويُشرف علي برنامج سعيد الإصلاحى. فاستبدل الكتبة والصيارفة غير المستقيمين في مديريته وباقى مديريات السودان بغيرهم من المؤهلين والأكفَاء الذين استدعاهم من القاهرة. وكَوَّن مجلساً للتجار يفصل في منازعاتهم. كما أسس فرقةً عسكريةً لكنها أُلْغِيَت بسبب صغر سن أفرادها وارتفاع نفقاتهم.[٣٨] وبذل مجهوداً كبيراً لجعل الخرطوم مدينة لائقة صحياً، فكلَّف L'Ori – موظف الصحة الرئيسى – بتحسين الصحة العامة للنهر المقابل للخرطوم.[٣٩]

ورغم صرامة أراكيل إلا أنه كان حاكماً مستنيراً نجح خلال حكمه القصير في تطبيق قسط من العدالة وتحجيم السخرة ووضع قوانين لضبط علاقات الأهالى. ولذا، أطلق عليه السودانيون لقب «الأمير العادل». ومع هذا، ظل يُعانى من اضطهاد بعض المسلمين المتشددين

ضده لكونه مسيحياً.[٤٠] وقد مات آراكيل على أثر إصابته بالدوسنتاريا أثناء عودته إلي الخرطوم بعد أن سوّى مشكلة رفض احدى القبائل دفع الضرائب فتَجرَّع دواءً شديداً لإيقاف المرض لكنه قضى عليه. ويذكر نوبار أنه كان يدعو شقيقه للعودة إلي مصر فكان أراكيل يرد عليه قائلاً: «إن أمنيتى هى مغادرة الخرطوم. ولكن، لمن أتركُ هؤلاء التُعساء؟».[٤١]

وثانيــةً، شَـغَلَ أراكـيل بك آبرويان (١٨٣٣-١٦/١١/١٨٧٥) من مُستخدَمى الخارجية منصب محافظ مُصَوَّعْ التابعة آنئذ لمديرية عموم شرقى السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر[٤٢] تحت رئاسة منزنجر Munzinger باشا[٤٣] منذ أول ديسمبر ١٨٧٣ حتى ١٦ نوفمبر ١٨٧٥.[٤٤]

وقد بدأ أراكيل بك حكمه بإنجاز عدة مشروعات من أهمها إنشاء خط حديدى بين مصوع وكسلا انتهي فى عام ١٨٧٤.[٤٥] كما احتك أراكيل بالقناصل الأوربيين الذين اتهموا إدارته بأنها تغض الطرف عن تجار الرقيق حتى أن أهالي مصوع يحصلون علي أرباح ضخمة من وراء هذه التجارة المحرمة. وأذا ع القساوسة الفرنسيون في أوربًا بأن مملكة الحبشة المسيحية قد تخربت علي أيدى أشخاص مسلمين من رعية الحكومة المصرية يُتاجرون في الرقيق بمساعدة الحكومة المحلية فى مصوع. إزاء ذلك، رأى أراكيل تشديد مراقبة تجار الرقيق بالسواحل المصرية وحتى تتأكد أُوربًا بالبراهين القوية أنه جار مجازاة تجار الرقيق وقمعهم.[٤٦]

وفي تلك الأثناء، أدت أطماع الخديو إسماعيل في ضم الحبشة لأملاكه إلي إرسال حملتين: الأولي بقيادة أرندروب بك Arendrupp[٤٧] للهجوم عليها من جهة الشمال عن طريق مصوع، والثانية بقيادة منزنجر باشا - مدير شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر - للهجوم

عليها من جهة الجنوب عن طريق ميناء «تاجورة» الواقع علي خليج عدن.[٤٨] وقد اشترك أراكيل - محافظ مصوع - ضمن حملة أرندروب فعمل بدايةً مترجماً لكبار الضباط لأنه كان يُجيد اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.[٤٩] ثم، طلب من الخديو إسماعيل الإشتراك عسكرياً في الحرب مع أرندروب فسمح له بذلك.[٥٠]

وتجدرُ الإشارة إلي أن أراكيل كان طموحاً يسعى إلى إحراز مكانة عالية، لذا، كان من أكبر أنصار الحملة علي الحبشة وأنشطهم. فقاد فرقةً عسكريةً مكونةً من «٨٠٠» سوداني ضمن حملة أرندروب التي زحفت بتهور عبر الجبال لمحاربة جيش الملك الحبشي يوحنا نيجوس البالغ عشرة أضعاف الحملة المصرية. وبعد اشتباك في منطقة تُسمى جونديت Gundet انهزم الجيش المصرى وأُبيدت فرقة أراكيل فيما عدا شخص واحد يُسمى حسين البربرى الذى وقع أسيراً.[٥١]

هذا، وقد اختلفت الآراء حول موت أراكيل أبرويان. فيذكر البعض أنه قُتل علي أيدى الأحباش[٥٢]، بينما يذكر آخرون أنه قد انتحر خشية الوقوع في الأسر.[٥٣] بيد أنه قد ورد في أوراق ربط معاش أراكيل عن كيفية وفاته: «أنه توجه إلى حرب الحبشة مع أرندروب بك بناءً على أوامر الحضرة الخديوية وقُتل علي أيدى الأحباش».[٥٤]

وهكذا، ساهم الأرمن في إدارة الأقاليم التابعة لمصر، ورغم صعوبة المناطق التى أداروها جغرافياً واقتصادياً وسياسياً، إلا أنهم نجحوا نسبياً فى إدارتها. أكثر من هذا، اشتركوا فى تنفيذ مشروعات مصر التوسعية فى إفريقية.



٣- النظارات

ارتقى الأرمن إلى أعلى المناصب في مصر بكونهم نظار ورؤساء نظارات. أكثر من هذا، ظلت بعض النظارات كالتجارة والخارجية حكراً عليهم ، أو تكاد، طوال القرن التاسع عشر. ناهيك عن تَقَلُّد نوبار باشا أكثر من نظارة إلى جانب رئاسته النظار ثلاث مرات. ولامراء فى أنها جميعاً مناصب جد هامة ذات حساسية قام الأرمن من خلالها بدور ملحوظ في السياسة المصرية على امتداد القرن التاسع عشر.

فى الابتداء، لقد استأثر الأرمن بمنصب المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية الذى تعددت مُسمياته علي امتداد القرن التاسع عشر. فعندما اتسعت تجارة مصر الخارجية بين عامى ١٨١٩ - ١٨٢٦ استلزم هذا تنظيم ديوان خاص للتجارة بالإسكندرية تَقَلَّد إدارته بوغوص يوسفيان - ترجمان باشى محمد علي - منذ ٤ أبريل ١٨٢٦ تحت مُسمى «ناظر ديوان التجارة». وعندما أُعيد تنظيم الإدارة في عام ١٨٢٧ نُظمت الأمور التجارية والخارجية في «ديوان التجارة المصرية والأمور الإفرنجية». وقد أداره بوغوص أيضاً تحت مُسمى «مدير ديوان التجارة المصرية والأمور الإفرنجية» حتى وفاته في ١١ يناير ١٨٤٤.[٥٥] ثم خلفه آرتين تشراكيان (شكرى) - ترجمان باشى محمد علي - في هذا المنصب تحت مُسمى «مدير التجارة والأمور الخارجية» منذ ٢٧ ذى الحجة ١٢٥٩ حتى ٨ ذى القعدة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٤/١/١٣-١٨٥٠/٩/١٤).[٥٦]

ويُلاحظ أنه بعد عزل آرتين لم يُعين عباس مديراً لهذا الديوان - ربما لانحسار العلاقات التجارية الخارجية إبان حكمه. واكتفي بتعيين إسطفان دميرچيان (رسمى) منذ غُرة ذى الحجة ١٢٦٦ حتى ١٧ صفر

١٢٧٠ هـ (٢٠/٩/١٨٥٠-٢٠/١١/١٨٥٣) تحت مُسمى «وكيل إدارة الأمور الأجنبية المصرية».[٥٧] كما عيِّن أراكيل نوباريان - ترجمان باشي - في ٢٧ رجب ١٢٦٨ هـ (١٨٥١) وكيلاً لديوان المبيعات والتجارة.[٥٨] وفي ١٢ ذي القعدة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣) فصل عباس ديوان الخارجية عن ديوان التجارة والمبيعات بالإسكندرية ونقله إلي القاهرة.[٥٩]

وعندما تولي سعيد حكم مصر في عام ١٨٥٤ عيِّن إسطفان دميرچيان رسمي في منصب «مأمور ديوان الأمور الخارجية» منذ ٢٣ محرم ١٢٧١ حتى ١٤ صفر ١٢٧٤ هـ (١٤/١٠/١٨٥٤-٢/١٠/١٨٥٧).[٦٠] وفي نهاية عام ١٨٥٧ نظَّم سعيد الدواوين الحكومية في أربع نظارات هي: الداخلية والمالية والحربية والخارجية.[٦١] وبخصوص منصب ناظر الخارجية، فقد شغله نوبار نوباريان منذ ٢٣ شعبان ١٢٨٢ حتى ٨ ربيع ثان ١٢٩١ هـ (١٠/١/١٨٦٦ - ٢٤/٥/١٨٧٤)، ثم منذ ٣ جماد أول ١٢٩٢ حتى ٧ ذي الحجة ١٢٩٢ هـ (٧/٦/١٨٧٥-٤/١/١٨٧٦).[٦٢] ومنذ ١٨ ذي الحجة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٥) تأسست نظارة للتجارة ، بسبب اتساع تجارة مصر الخارجية، وأُحيلت إدارتها إلي نوبار باشا بجانب نظارة الخارجية.[٦٣]

وأيضاً، عندما تشكلت أول نظارة مسئولة برئاسة نوبار باشا احتفظ لنفسه بنظارة الخارجية خلال نظارته الأولي منذ ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ حتى ١٩ فبراير ١٨٧٩، ثم خلال نظارته الثانية منذ ١٠ يناير ١٨٨٤ حتى ٧ يونية ١٨٨٨.[٦٤] وكذا، تقلد ديكران أبرويان - زوج ابنة نوبار -

منصب وكيل نظارة الخارجية منذ ٢٨ يناير ١٨٨٢ حتى ١٣ مايو ١٨٩١.[٦٥] ثم أصبح ناظراً للخارجية أربع مرات متتالية منذ ١٤ مايو ١٨٩١ حتى ١٥ أبريل ١٨٩٤ خلال نظارتي مصطفي فهمي الأولي والثانية ونظارة حسين فخري الأولي ونظارة مصطفى رياض الثالثة.[٦٦]

وهكذا، استأثر الأرمن بنصيب كبير في تقلُّد منصب المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية خلال القرن التاسع عشر كما يُؤكد الجدول الآتي[٦٧]:

مسلسل	الاســـــم	المدة بالايام	نسبة كل ناظر إلي جميع النظار	نسبة كل ناظر إلي النظار الأرمن	عدد المرات
١	بوغوص يوسفيان	٦٤٩٢	٢٤.١٠٪	٣٧.٥٤٪	١
٢	أرتين تشراكيان	٢٤٣٧	٠٩.٠٥٪	١٤.٠٩٪	٢
٣	إسطفان دميرچيان	٢٢٤٤	٠٨.٣٣٪	١٢.٩٧٪	٣
٤	نوبار نوباريان	٥٠٥٤	١٨.٧٦٪	٢٩.٢٢٪	٤
٥	ديكران آبرويان	١٠٦٨	٠٣.٩٧٪	٠٦.١٨٪	٤
٥	الإجمالى	١٧٢٩٥	٦٤.٢١٪	١٠٠.٠٠	١٢

إذن، شغل النظار الأرمن زمنياً مساحة «١٧٢٩٥» يوم من مجموع «٢٦٩٣٥» يوم هى عدد الأيام منذ تأسيس ديوان التجارة في ٤ أبريل ١٨٢٦ حتى نهاية القرن التاسع عشر بنسبة ٦٤.٢١٪.[٦٨] أما من حيث عدد الأشخاص، فقد تقلَّد خمسة أرمن من مجموع ثلاثة وعشرين شخصاً تعاقبوا على هذا المنصب خلال القرن التاسع عشر بنسبة

٧٣ . ٢١٪. ومن حيث عدد المرات، فقد شغل الأرمن اثنتى عشرة مرة من مجموع ثلاثين مرة تغيًّر خلالها المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية بنسبة ٤٠٪.

ومن حيث ترتيب المدد حسب إجمالي النظار: بوغوص ١٠ . ٢٤٪ ، نوبار ٧٦ . ١٨٪، آرتين ٠٥ . ٩٪، إسطفان ٣٣ . ٨٪، ديكران ٩٧ . ٣٪ . هنا، يُلاحظ بقاء بوغوص ونوبار فترات أكبر عن آرتين وإسطفان وديكران. ويرجع هذا بعامة إلي نجاح بوغوص ونوبار في موازنة علاقاتهما بالحكام والقوي الدولية خاصة إنجلترا، في حين تذبذبت علاقات الآخرين بالحكام والقوى الأوربية لاسيما إنجلترا التي مابرحت تضطهدهم حتى نجحت مساعيها في إقالتهم.[٦٩]

وجديرٌ بالذكر أنه قد تعددت مهام المسئول الأول عن جهاز التجارة والأمور الخارجية خلال القرن التاسع عشر . ففي النصف الأول، كان همزة الوصل الرئيسية بين الحكام والقناصل الأوربيين بمصر من حيث استخدام وساطتهم في قضاء مُستلزمات الحكام من بلادهم أو طلب مُساعدتهم في التخلُّص من رعاياهم المشاغبين أو حتي إبلاغهم بقطع العلاقات مع بلادهم. وكذا، كان عليه توجيه أوامر الحكام إلي وكلاء مصر التجاريين في الخارج لعقد صفقات البيع والشراء. وأيضاً، عقد الصفقات التجارية مع التجار الأوربيين المقيمين في مصر فضلاً عن تنظيم أحوالهم. أما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد تزايدت مهامه بسبب اتساع العلاقات المصرية الخارجية وتنوعها وتعقدها نتيجةً لحاجة أوربًا إلي القطن المصرى خاصةً خلال الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥)، وديون سعيد وإسماعيل من الدول

الأوربية وما ترتب عليها من علاقات متنوعة مع الدائنين وحكوماتهم. ناهيك عن ازدياد عدد المهاجرين الأوربيين إلي مصر منذ بداية حكم سعيد وبلوغهم الذروة علي عهد الاحتلال الإنجليزى وما نجم عن هذا من سوء استغلال نظام الامتيازات والمحاكم المختلطة وغير ذلك.(٧٠)

لذا، ترتب علي هذا اتساع اختصاصات الإدارة المصرية المسئولة عن الشئون التجارية والخارجية واحتلالها مكانة خاصة في الجهاز الحكومى نظراً لدقة معاملاتها. وأيضاً، استلزم هذا أن يتصف المسئول عن ذلك الجهاز بقدرات خاصة في معاملة الأجانب مما دعا إلي التدقيق في اختياره.(٧١) وجدير بالذكر أنه قد توافرت في الأرمن بعض الصلاحيات التى جعلتهم من أنسب العناصر للتعامل مع الأوربيين، إذ توثقت معرفتهم بأوربا عن طريق وساطتهم التجارية والدبلوماسية بين الأوربيين والعثمانيين، وعن طريق تعلمهم في أوربا وأتقانهم لغاتها ومحاكاتهم أساليب الأوربيين في الحياة والثقافة ناهيك عن كونهم مسيحيين.(٧٢) كما توثقت هذه المعرفة من خلال عملهم مترجمين في بلاط الحكام ومصاحبتهم الحكام في أسفارهم إلي أوربا.

وهكذا، كان الأرمن ، وهم رعايا عثمانيون، عارفين جيداً بأحوال الشرق والغرب وعاداتهما فى آن واحد. ومن ثم، آثر الأوربيون وغيرهم التعامل مع الأرمن في أغلب الأحيان. ويكفي دليلاً على هذا أن تعيين بوغوص في سنة ١٨٢٦ ناظراً لديوان التجارة قد لاقى ترحيباً واسعاً في الدوائر الأوربية التى آثرت التعامل معه عن أى باشا تركى.(٧٣) وكذا، أكد الخديو إسماعيل علي حساسية المعاملات الأجنبية وأهمية القائم عليها في إرادته التى أصدرها فى ٢٣ شعبان ١٢٨٢ هـ

(١٨٦٦/١/١٠) بتعيين نوبار ناظراً للخارجية بقوله: «كما هو معلوم لديكم أن معاملات الحكومة مع الأجانب من المواد الدقيقة والمهمة جداً، فبناءً عليه يجب أن يكون مقام نظارة الخارجية من أهم مقامات الحكومة، وحيث أن درايتكم ومعلوماتكم مشهورة ومُسلم بها في إدارة الأمور المهمة، فبناءً عليه اقتضت إرادتى إحالة مقام نظارة الخارجية إلي معاليكم...».(٧٤)

أما عن علاقات النظار الأرمن بالحكام والقوى الدولية، فقد ارتبطت بطبيعة النظام السياسى الاقتصادى السائد ونوعية تعليم هؤلاء النظار وعلاقاتهم الشخصية بالحكام والقوي الكبرى ناهيك عن مصالحهم ومواقفهم الخاصة من الأحداث فى بعض الأحيان. ولعل هذا يتضح جلياً من خلال رصد علاقاتهم بالحكام والقوي الدولية الكبري علي امتداد القرن التاسع عشر.

بالنسبة لعلاقة بوغوص يوسفيان بمحمد على، فقد ساءت في عام ١٨١٠ عندما اتهم البعض بوغوص باختلاس مبلغ من إيرادات جمرك دمياط الذى كان يُديره بالأصالة عن محمد علي، وفشل بوغوص فى تبرئة نفسه أمام الباشا الذى أمر باعدامه. ولكن بعض أصدقاء بوغوص قد أنقذوه من هذا المصير، ثم استدعاه محمد علي لتسوية الكشوفات التجارية التى تعرضت للارتباك والتشويش إبان غيابه.(٧٥)

بعد هذه الحادثة، توثقت العلاقات بشدة بينهما حتى أصبح بوغوص المرآة الشخصية لمحمد على والمخلص الوحيد له بين حاشيته. بالنسبة لمحمد علي ، فقد أدرك قدرات بوغوص التجارية والإدارية والدبلوماسية غير العادية فأراد الاستفادة منه، ومن ولائه، قدر الإمكان. أما بوغوص،

فقد شعر بالذنب تجاه محمد على وعاش دوماً في هلع من مزاجه المتقلب وشخصيته المرتابة.[٧٦] وفي نفس الوقت، أدرك بوغوص حاجات محمد علي وسياسته، فقرر، وبوعي، أن يقوم بدور مُفرخ المواهب من بنى جنسه لخدمة مشروعات محمد علي. وبذا، يُمهد الطريق أمام الأرمن للقيام بدور سياسى - اجتماعى في مصر زيادةً علي دورهم العام كتجار وأصحاب امتيازات. ونظراً لأن بوغوص كان وحيداً بلا زوجة أو ولد، ومن ثم، ليس بحاجة إلي اقتناء المال وتكديسه، فقد انصرف عن متابعة مصالحه الذاتية وصب رعايته الأبوية علي مجموعة من أقاربه ليحميهم ويُوجههم.[٧٧] وفعلاً، نجح بوغوص في تشكيل جماعة من الأرمن النابغين الذين خدموا في الإدارة المصرية مترجمين وسكرتيريين وكبار موظفين خلال حكم محمد على. وفوق هذا، ظلت سلائلهم في خدمة الحكومة المصرية حتى نهاية القرن التاسع عشر.[٧٨]

وكان محمد علي يُحب بوغوص ويرعاه بسبب ولائه وتفانيه في خدمته. فعندما علم محمد علي أنه مريض بالإسكندرية، أرسل إليه طبيبه الخاص جوانى وأمره ألاَّ يعود إلي القاهرة حتى يُشفى بوغوص.[٧٩] وكان محمد علي يشعر بالوحدة دائماً إلا في وجود بوغوص الذى لا مثيل له لأنه رجل ذكى وواع ومهذب وودود. كما كان الباشا علي دراية تامة بكل ما يجرى حوله من خلال بوغوص الذى عرف معلومات غزيرة عن الأسواق الأوربية والأحداث السياسية حتى قيل أنه «مستشار محمد علي وفيلسوفه وصديقه الوحيد».[٨٠] ورغم محبة محمد علي لبوغوص وثقته فيه، إلا أنه عندما كان يتكاسل عن أداء واجباته لا يتردد محمد علي فى أن يلفت نظره إلي ترك الكسل وبذل أقصى مجهود لإعلاء البلاد وإعمارها حتى لا يُعامله معاملةً سيئة.[٨١]

وقد اعتقد كثيرون بأن بوغوص قد اقتنى ثروةً ضخمةً مستفيداً من مكانته فى خدمة محمد علي. ولكنه لم يفعل هذا لأن تراكم الثروة لن يُفيده وهو بلا أسرة. ويُسجل نوبار في مذكراته أنه بفحص مُقتنيات بوغوص بعد وفاته لم يكن بها سوى تسعة عشر شلناً ، وسبعة عشر قيراطاً من الماس ملكاً لمحمد علي، وست أوراق بيضاء مختومة أعطاها محمد علي إياه أثناء سفره إلي السودان ولكنه لم يستخدمها ولم يستغلها.[٨٢] هذا، ولم يُحدد محمد علي راتباً منتظماً لبوغوص، بل ائتمنه علي أن يفعل ما يروق له. فكان عند حُسن الظن ولم تمتد يده إلي المساس بالمال العام.[٨٣] ولعل مثل هذا السلوك الصادر عن شخصية مرتابة مثل محمد علي إنما يدل علي ثقته التى لم يحظ بها سوى هذا الرجل.

وقد ارتبطت مكانة بوغوص في مصر بشخصية محمد علي. لذا، عندما داهمت محمد علي الشيخوخة ولم يعد قادراً على الإدارة، تعرض للمضايقات خاصةً من عباس الأول - كتخدا مصر حينئذ - الذى حدد له راتباً، فاستاء بوغوص كثيراً من هذا السلوك وأضرب عن الطعام والشراب حتى مات من الهزال في يناير ١٨٤٤ بالإسكندرية عن عمر يُناهز الاثنين والسبعين عاماً . وعندما علم محمد علي أن دفن بوغوص تم بدون مراسم عسكرية، هاج وأرسل خطاباً إلى حاكم الإسكندرية يُوبخه ويُهدده لتغاضيه عن إقامة جنازة عسكرية لبوغوص وأمره باستخراج الجثة وإعادة دفنها بمراسم عسكرية كاملة بأقصى سرعة.[٨٤] هذا، وقد حزن عليه محمد علي بشدة كعزيز لديه. وبمناسبة وفاته أصدر أوامره إلى ابنه إبراهيم باشا بالافراج عن جميع السجناء بالإسكندرية.[٨٥]

وجدير بالذكر أن بوغوص قد احتفظ بعلاقات ودية مع جميع الدول الأوربية والشرقية التي تعامل معها محمد على بسبب ذكائه وخبرته بالأمور التجارية والسياسية وحسن أخلاقه وحسن تصرفه. واستفاد محمد على من علاقات بوغوص الودية في إنجاز العديد من حاجاته.[٨٦] بيد أن بريطانيا كانت هى الدولة التي مال إليها بوغوص بدرجة كبيرة، ويرجع هذا إلي علاقات أسرتى يوسفيان وأبرويان- التى ينتمى إليهما بوغوص - التجارية والدبلوماسية في أزمير ببريطانيا. فقد عمل أبناء أسرتى يوسفيان وأبرويان وكلاء تجاريين للبيوتات الإنجليزية الكبيرة ومترجمين في القنصليات الإنجليزية بالدولة العثمانية. كما حل بوغوص محل خاله أراكيل أبرويان فى وظيفة مترجم أول بالقنصلية الإنجليزية في أزمير منذ عام ١٧٩٦. وفي عام ١٨٠٠ صاحب بوغوص القبطان الإنجليزى سيدني سميث Sidney Smith بصفته مترجماً أثناء الحملة الإنجليزية البحرية على الفرنسيين بمصر. ناهيك عن علاقات المصاهرة بين عائلات ثوربورن وبريجز الإنجليزيتين ويوسفيان.[٨٧]

وأخيراً، يُؤكد جميع من كتبوا عن فترة حكم محمد علي أن بوغوص كان أهم موظف في الإدارة المصرية وأنه الشخص الوحيد الذى شغل مكانةً قويةً عند محمد على لأنه لم يخن الثقة التى وضعها فيه.[٨٨] وأنه خدم مصر بكل جهوده وله أياد بيضاء فى نهضتها وثروتها. وكان آلة ذكاء على غاية الاستعداد في يدى محمد على.[٨٩]

وبعد وفاة بوغوص، وخلال الفترة الممتدة من ١٨٤٤ حتى ١٨٤٩ اختل التوازنان البدنى والعقلى لمحمد علي، فترك علاقات الحكومة المصرية بالدول الكبرى وبالجاليات الأجنبية في يدى أرتين تشراكيان

الذى خلف بوغوص في منصبه منذ ١٣ يناير ١٨٤٤ حتى ١٤ سبتمبر ١٨٥٠. وهو الرجل الثانى في سلسلة أهل الثقة من الأرمن الذين قاموا بدور همزة الوصل الرئيسية بين محمد علي والأوربيين.[٩٠]

وخلال الفترة التى تقلد فيها آرتين منصب المسئول الأول فى جهاز التجارة والخارجية، انتهج سياسةً مواليةً لفرنسا ربما لتعلمه بها وكونه كاثوليكياً. وقد تمثلت مظاهر هذه السياسة في إطلاق حرية التصرف للموظفين الفرنسيين داخل الحكومة المصرية، ومحاباة المقاولين الفرنسيين عند فتح عطاءات الحكومة، وابتداء مهندس فرنسى العمل في قناطر الدلتا منذ أبريل ١٨٤٧ طبقاً للتصميمات الفرنسية، ثم في تعزيز المهندس جاليس Galice الفرنسى لاستحكامات الإسكندرية طبقاً للمواصفات الفرنسية وغير ذلك.[٩١]

وفي مقابل هذه المحاباة لفرنسا، كره آرتين بريطانيا وناوئ سياستها وساهم في سحب الكثير من امتيازاتها بمصر. ولذا، عانى Murray القنصل البريطانى بمصر في هذه الفترة الكثير من الصعوبات في التفاوض حول العديد من الأمور الهامة. وأوعز آرتين إلى محمد علي بإلغاء أمره إلي جالوى Galloway الإنجليزى بانشاء خط حديد القاهرة - السويس لتقريب الطريق إلي الهند. كما بذل مجهوداً كبيراً في تحويل إدارة الشركة الهندية الشرقية الإنجليزية إلي إدارة الترانزيت المصرية، وفي حماية إدارة الجمارك والبريد والمحاكم التي تنظر في الشئون التجارية من هيمنة القناصل الإنجليز.[٩٢]

وفي نفس الوقت، اضطهد الإنجليز آرتين وسعوا أكثر من مرة إلي عزله. ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك خلال حكم محمد علي.[٩٣] أكثر من

هذا، اضطهد الإنجليز أقاربه وأصدقاءه. ففي عام ١٨٤٧ توجه الطبيب بيدان بك تشراكيان - من أسرة أرتين - على رأس فريق لتسليم ملكة بريطانيا هدايا من الحكومة المصرية. فأرادت الملكة الإنعام عليه بنيشان الفارس. عندئذ، ثارت الصحافة الإنجليزية ضدها لأن بيدان من أقارب أرتين، ومنحه هذا النيشان يُعد إذلالاً لهيبة بريطانيا. ولهذا، فشلت محاولة الإنعام بالنيشان علي الطبيب بيدان.[٩٤] ويُلاحظ أن بريطانيا هى الدولة الكبيرة الوحيدة التى لم تُنعم علي أرتين بأية نياشين، في حين أنعمت عليه الحكومات العثمانية بنيشان افتخار، والفارسية بنيشان الأسد والشمس، والروسية القيصرية بنيشان أنا العذراء، والإيطالية بنيشان سان چورچ فضلاً عن نياشين أخرى من الحكومات البروسية والفرنسية والبرتغالية.[٩٥]

وعندما تولي عباس الأول حكم مصر في ٢ أغسطس ١٨٤٩ أخذ ينقلب علي أكبر معاونى محمد علي الخصوصيين، لاسيما من ذوى التوجهات الفرنسية، الذين كانوا محل ثقته وعلي رأسهم أرتين الذى هرب من مصر في أغسطس ١٨٥٠، واشترك أرتين من منفاه في المؤامرات التى حيكت ضد عباس بالأستانة من أقاربه والصدر الأعظم رشيد باشا الذى كان متلهفاً على استخدام القوى المعارضة ضد عباس لاسترداد السلطة العثمانية الفعالة علي مصر . واستغل مرى - قنصل بريطانيا العام في مصر - غياب أرتين وتزايد المعارضة ضد عباس في الأستانة لزيادة النفوذ البريطانى فى مصر بالوقوف إلي جانب عباس وحمله مقابل هذا علي إنشاء الخط الحديدى الذى ألغاه محمد علي بناءً علي نصيحة أرتين.[٩٦]

وهكذا، يُلاحظ أنه في اطار الاقتصاد الموجه الذى ساد حتى نهاية حكم محمد علي ، تمتع ناظرا التجارة والعلاقات الخارجية بقسط كبير من النفوذ استمداه من ارتباطهما بمحمد علي وولائهما له وتنفيذهما لسياسته. ولكن، مع سيادة الحرية الاقتصادية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وتغلغل رأس المال الأوربي في السوق المصرى وارتباط المصالح به، لم تعد سياسة الولاء للحاكم تتفق وهذه التطورات.

لذا، أُقيْل ناظر الخارجية إسطفان دميرچيان في سنتى ١٨٥٣ و١٨٥٧ بسبب عدائه للرأسمال الأوربى خاصةً البريطانى.(٩٧) بيد أن نوبار نوباريان قد استثمر فرصة الحرية الاقتصادية وتطور الأوضاع السياسية في الوصول إلى عدة مناصب هامة بفضل تحالفه مع الرأسمال الأوربى.(٩٨)

وكذا، أسفر توغل رأس المال الأوربي عن الاحتلال البريطانى لمصر في عام ١٨٨٢، وأصبح الخديو توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) ألعوبةً في أيدى الإنجليز، ولكن ابنه عباس حلمى الثانى بدأ حكم مصر في يناير ١٨٩٢ باتباع سياسة عدائية ضد الإنجليز. وجديرٌ بالذكر أن ديكران أبرويان الذى تولي نظارة الخارجية منذ ١٤ مايو ١٨٩١ حتى ١٥ أبريل ١٨٩٤ قد أيده بشدة في هذه السياسة، وأبدى وطنيةً شديدةً أدهشت عباساً لدرجة أن قال: «كنتُ قبل أن أصير خديوياً أعرفُ أن ديكران باشا أرمنى. ولقد دُهشتُ لرؤيتى أرمنياً مثله أن يكون مخلصاً لمصر إلي هذه الدرجة». وفي نفس الوقت، تغيرت حكومة بريطانيا حيث حل جلادستون Gladstone الذى يميل إلى سرعة الجلاء عن مصر محل سالسبورى Salisbury المُؤيد لاحتلال مصر. لهذا، رأى ديكران، وهو علي وعيٍ تام

بالرأي العام البريطاني من خلال مطالعته للصحف الإنجليزية، في هذه الظروف فرصة مناسبة لخلع نير بريطانيا.(٩٩)

ومن ناحية أخرى، استاء عباس الثاني بشدة من مصطفي فهمي - رئيس النظار وقتئذ - بسبب استسلامه للسياسة الإنجليزية حتى صار «أداةً سهلةً جداً في يدى المعتمد البريطاني بمصر» مما جعل المصريون يُطلقون علي نظارته لقب «نظارة الأراجوزات» باستثناء ديكران أبرويان الذى أعطى لهذه النظارة توازناً نسبياً وأبى أن يكون أراجوزاً . ولذا، استغل عباس فرصة مرض مصطفي فهمى في أواخر ديسمبر ١٨٩٢ لتغيير نظارته وترشيح ديكران أبرويان رئيساً للنظار لأنه رجل صادق ونشيط ومستنير. والأهم، أنه ليس دُمية.(١٠٠)

بيد أن كرومر رفض هذا الترشيح خوفاً من المشاكل التى سيتعرض لها عندما يتولي ديكران النظارة، لذلك مابرح يُقاوم هذا الترشيح بكل ما أُوتى من قوة. فاقترح بدايةً علي عباس تعيين رئيس نظار مسلم أفضل من ديكران أبرويان الأرمنى المسيحى. وعندما رفض عباس هذا الاقتراح، أرسل برقيةً إلى روزبرى Rosbery - وزير خارجية بريطانيا - مفادها أن عباساً ليس علي معرفة وثيقة بالرأى العام ولا يفهمه، وطالبه بارسال برقية تُفيد بأن تعيين ديكران لا يتفق مع هيبة الحكومة المصرية مما سيجعل عباساً يتنحى عن تصميمه. وقد جاء رد روزبرى متفقاً مع رأى كرومر في أنه من الأفضل أن يكون رئيس النظار مسلماً وأن يتجنب تعيين ديكران بكل ما أُوتى من سلطة ونفوذ. ثم واصل كرومر تحديه لديكران وشدد الهجوم عليه مستنداً إلي أنه ليس مصرياً ولا يتفق مع المصريين في جنسهم ولغتهم وعاداتهم وديانتهم.

وأشاع كرومر أن ديكران يتظاهر بعدائه للإنجليز وليس جديراً بدرجة تُؤهله لتقلُّد هذه المهمة. أكثر من هذا، أعلن كرومر أن تعيين ديكران رئيساً للنظار سوف يدعو للأسف بدرجة قصوى لأنه سيُسبب العديد من المشكلات للإنجليز.(١٠١)

هذا، ويكمن السبب الحقيقى وراء اعتراض كرومر علي تعيين ديكران أبرويان رئيساً للنظار في أنه كان ماقتاً للإنجليز. وبالأحرى، كان يُريد العمل مع المصريين الوطنيين. كما خشى كرومر أن تُعاق سياسته وسلطته إذا حاول ديكران أن يحكم مصر طبقاً لأفكاره المستنيرة والتي لن يستسيغها كرومر علي الإطلاق.(١٠٢)

وقد صرح كرومر بأنه لن يتدخل في حالة اختيار عباس أى شخص لرئاسة النظارة خلفاً لمصطفي فهمى باستثناء ديكران الذى لا يُريد أن يراه في هذا المنصب. كما كررت الخارجية البريطانية تشديدها إلي كرومر بضرورة تجنب تعيين ديكران بقدر المستطاع. ونقل كرومر هذه التعليمات إلي عباس الذى أبدى تصميمه علي تعيين ديكران خلفاً لمصطفي فهمى. وفي ١٥ يناير ١٨٩٣ أُقيل مصطفي فهمى ورفض ديكران قبول منصبه خوفاً من تشكيل نظارة لا يُرجى دوامها.(١٠٣)

وتجدرُ الإشارة إلي أن ديكران ظل يُناوئ السياسة البريطانية في مصر حتى زيارة عباس الثاني للأستانة في مايو ١٨٩٣ والتي كان يبغي من ورائها كسب السلطان العثمانى إلي جانبه ضد النفوذ البريطانى. وبينما كان عباس يسعى وراء ذلك، طفق ديكران يطوف السفارات الأجنبية بالأستانة مدافعاً عن مصر التى استوطنها ومؤيداً حجتها، بيد أن السلطان العثمانى، الواقع تحت السيطرة البريطانية، قد خيَّب

أمالهما، فنصح عباساً بطريقة أبوية أن يُفوض أمره إلي الله ويرضى بما قسمه له ويُقيم دوماً علاقات حسنة مع الإنجليز، وأنذر ديكران بألا يتبع سياسة قد ينتج عنها قلاقل وألا يُشير علي الخديو بمثل هذا. عندئذ، توقف ديكران عن معاداة الإنجليز.[١٠٤]

ولكن، ظل الإنجليز ينظرون إلي ديكران علي أنه مصرى وطنى غير مخلص لهم. ويذكر كرومر أنه لا يُمكن توجيه أى لوم أدبى إليه علي عدم إخلاصه لأنه لم يكن ماقتاً للإنجليز بالمعنى المألوف للكلمة، بل كان يُعارض الخطوط العامة للسياسة البريطانية في مصر. ويعزو كرومر موقفه هذا إلي طموحاته الشخصية فى الوصول إلي رئاسة النظار.[١٠٥] بيد أن ديكران يُصرح علانيةً أنه ككل مصرى ينتظر الوقت الذى لا تحتاج فيه مصر إلي مساعدة القوة العسكرية الإنجليزية، ويتمنى استعادة مصر وحدها حكم السودان لأن به منابع النيل الذى هو حياتها.[١٠٦] ورغم ميوله إلي فرنسا - تعلم بها وصب تفكيره في قوالب فرنسية - إلا أنه لا يُحبذ احتلالها لمصر في حالة خروج بريطانيا لأنه يرى أن الخديو ومعيته قادرون علي تولى الحكم دون أية مساعدة أجنبية. ولكنه كان من أنصار استمالة فرنسا لتأييد المسألة المصرية ضد بريطانيا.[١٠٧]

وجديرٌ بالذكر أن ديكران أبرويان لم يستمد مكانته وشخصيته المميزة من مجرد قرابته لنوبار باشا ومصاهرته وتدربه سياسياً علي يديه فقط، بل لانتمائه إلي المدارس الفكرية السياسية الحديثة، وإخلاصه لمصر وسعيه جاهداً إلي تحقيق بعض آمال أهلها.[١٠٨] ورغم هذا، لم يكن مقبولاً لدى الكثيرين لكونه أرمنياً مسيحياً. ولكن، تجدر الإشارة

إلي أن معظم معاصريه قد وصفوه بأنه من أصغر الرجالات البارزين في الإدارة المصرية وأدهاهم وأكفأهم ويبزه قليلا من النظار الكبار في كفاءته.[١٠٩]

وهكذا، يتضح أن الأرمن قد قاموا من خلال تقلدهم منصب المسئول الأول في جهاز التجارة والخارجية بدورٍ هام في مجال العلاقات بين مصر والأستانة وأوربا. بيد أن نوبار باشا يُعد، وبحق، أهم الأرمن قاطبةً الذين ساهموا بدورٍ محورى فى السياسة المصرية خلال القرن التاسع عشر. فقد تقلد العديد من المناصب الكبرى في الحكومة المصرية قام من خلالها بدورٍ بارزٍ في السياسة المصرية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر. فإلي جانب مناصبه السابقة، أصبح نوبار أول ناظر للأشغال العمومية منذ ١٠ شعبان ١٢٨١ حتى ٢٢ شعبان ١٢٨٢ هـ (١٨٦٤-١٨٦٥).[١١٠] وكما سبق، تولي نوبار نظارة الخارجية منذ ١٠ يناير ١٨٦٦ حتى ٢٤ مايو ١٨٧٤، ثم منذ ٧ يونية ١٨٧٥ حتى ٦ يناير ١٨٧٦، وتأسست نظارة التجارة تحت إدارته في عام ١٨٧٥. وعندما تأسست النظارات المسئولة منذ نهاية حكم إسماعيل، شكل أول نظارة مسئولة منذ ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ حتى ١٩ فبراير ١٨٧٩، ثم شكلها ثانيةً خلال حكم توفيق منذ ٦ يناير ١٨٨٤ حتى ٧ يونية ١٨٨٨، ومرةً ثالثةً خلال حكم عباس حلمي الثانى منذ ١٦ أبريل ١٨٩٤ حتى ١١ نوفمبر ١٨٩٥.[١١١]

فى بداية حكم إسماعيل، أصبح نوبار ساعده الأمين ومستشاره الرئيسى وأداته التنفيذية لمعظم مشروعاته لاسيما المشروعات التي تحتاج إلي مفاوضات مع الأستانة والدول الكبرى. بيد أن العلاقات قد

اهتزت نسبياً بين إسماعيل ونوبار حينما تدخل الأخير من واقع عمله ناظراً للأشغال فى شئون دوائر إسماعيل الزراعية فضلاً عن إخفاقه في مفاوضات تقليص شروط امتياز حفر القناة ومفاوضات قرض السكك الحديدية بباريس فى أكتوبر ١٨٦٥. لذا، نقله إسماعيل في ١٠ يناير ١٨٦٦ من نظارة الأشغال إلى نظارة الخارجية ليكون مسئولاً عن العلاقات مع الأستانة والدول الكبرى وشركة قناة السويس.(١١٢)

ومنذ ذلك الحين، انشغل نوبار بعدة مفاوضات في الأستانة حول توسيع استقلال مصر الذاتي أسفرت عن صدور فرمانات ١٨٦٦ و١٨٦٧ و١٨٧٣ التى بمقتضاها تم تعديل نظام وراثة العرش المصرى بحيث يكون في أكبر أبناء الوالى، كما حصل إسماعيل على لقب «خديو» الذى ميزه عن بقية الولاة العثمانيين، وعلي حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية بشأن التجارة والمرور وبوليس الأجانب، وحق سن القوانين التى تمس الأوضاع الداخلية، وحق عقد القروض وزيادة عدد الجيش والأسطول. كما قام نوبار بمفاوضات متواصلة مع الدول المتمتعة بالامتيازات من أجل إصلاح النظام القضائى فى مصر أسفرت عن إنشاء المحاكم المختلطة في أوائل عام ١٨٧٦.(١١٣)

ثم، بدأت العلاقات تتأزم بين إسماعيل ونوبار عندما أخذ الأخير ينتقد سياسة إسماعيل المالية. ففي عام ١٨٧١ انتقد نوبار قانون المقابلة الذى نص علي إعفاء كل من يدفع ضريبة الأرض لست سنوات مقدماً من نصف الضريبة إلي الأبد. وحينما فكر إسماعيل في فرض رسوم جمركية داخلية علي البضائع المنقولة من إقليم إلى آخر شريطةَ أن يدفعها المصريون فقط، أصر نوبار علي تطبيقها علي الأجانب، وأمكنه

أن يفرض رأيه رغم معارضة القناصل. واستنكر نوبار استحواذ إسماعيل وأسرته علي «١٫٢٠٠٫٠٠٠» فدان من مجموع «٤٫٢٠٠٫٠٠٠» إلي «٤٫٤٠٠٠٫٠٠٠» فدان صالحة للزراعة في مصر. وأيضاً، استنكر القسوة المتبعة في تحصيل الضرائب واتجاه إسماعيل إلي فرض الاحتكار علي تجارة السودان. وكذا، اعترض علي سياسة إسماعيل التوسعية في إفريقية. كل هذا، أدى إلي إعفائه من الخدمة في ٢٤ مايو ١٨٧٤ ، ثم اضطر إسماعيل إلي إعادته للخدمة في ٧ يونية ١٨٧٥ نظراً لحاجته الشديدة إليه.[١١٤]

وفي ديسمبر ١٨٧٥ وصلت بعثة «كيف» Cave بناءً علي طلب إسماعيل لإجراء تحقيق في مالية مصر التى ازدادت سوءاً.[١١٥] وقد أدرك نوبار أن البعثة ترمى إلي تدخل بريطانيا في شئون مصر الداخلية. ولهذا، سعى إلي عرقلتها متفقاً مع الحكومة الفرنسية إيفاد «أوترى» المكروه لدن إسماعيل، في بعثة مالية إلي مصر لموازنة بعثة كيف.[١١٦] ولكن، تجدر الإشارة هنا إلي أن نوبار كان يطمح شخصياً من وراء نشاطه ضد بعثة كيف إلي التقرب لدى الباب العالي لتعيينه بسبب أصله الأرمنى والياً علي أرضروم التي كان ثمة مشروع بمنحها استقلالاً ذاتياً. ورغم فشل هذا المشروع، اكتسب نوبار إلي جانبه قناصل روسيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا فضلاً عن الباب العالي والقنصل الروسى بالأستانة الذين نصحوا إسماعيل بالتعقل وعدم الاستسلام للنفوذ البريطانى وحده.[١١٧]

عندئذ، تأزمت العلاقات بشدة بين إسماعيل ونوبار. إذ ازدادت انتقادات نوبار لسياسة إسماعيل الاقتصادية وللسخرة وجباية الضرائب

مقدماً والإنفاق الباهظ علي الجيش. كما انتقد إسماعيل في أنه يُحيط نفسه بمستشارى سوء لا يتنبئون بالعواقب ويسيرون بالبلاد صوب الخراب. وبالمثل، اتهم إسماعيل نوبار بأنه المحرك لبعثتى كيف وأوترى، وبحب السلطة وإدعائه الليبرالية رغم ميله للطغيان. وأيضاً، أدرك إسماعيل الورطة التى ورطه نوبار فيها بانشاء المحاكم المختلطة مما سيُؤدى إلي خضوع الحكومة المصرية ودوائر إسماعيل الزراعية لسلطتها القضائية، ومن ثم، اهتزاز سلطته المطلقة.(١١٨)

والحق، أن النزاع بين إسماعيل ونوبار كان يدور حول مستقبل مصر. لذا، أخطأ الخديو في تجاهل نصيحة نوبار بالاعتماد علي ألمانيا والنمسا وإيطاليا وروسيا ومقاومة أى تدخل في شئونه الداخلية. ولما شعر نوبار بفقده لثقة إسماعيل، استقال من نظارة الخارجية في ٤ يناير ١٨٧٦ وأمره الخديو بمبارحة مصر. وجديرٌ بالذكر أن نوبار قد شن من منفاه في أوربا حملةً ضخمةً ضد إسماعيل مستغلاً فيها تردى الأوضاع المصرية وخبرته بشئونها فضلاً عن تأزم العلاقات الدولية بعد تصدى بريطانيا للتوسع الروسى في البلقان. وكان نوبار منذ بعثة كيف قد اقتنع بأن جسامة ديون مصر لابد أن تُؤد إلى التدخل الأجنبي الذي ربما يقضى علي استقلال مصر تماماً. ولهذا، رأى أن أفضل وسيلة للحفاظ علي مصالح الشعب المصرى هى إما الاحتلال البريطانى لمصر أو فرض الحماية البريطانية عليها. وقد لاقت هذه الفكرة ترحيباً من بسمارك في برلين ومن العسكريين الإنجليز ووزارات الخارجية والهند والخزانة البريطانيين. وكذا، اتصل نوبار بكل من يهمهم ديون مصر ونصحهم بعدم إجراء تخفيض في فائدة الديون قبل اتخاذ الخطوات

اللازمة لتقدير قيمتها ومدى مقدرة مصر علي الدفع وإجراء تحقيق حول الأسباب التى أدت إلي الارتباك المالي.(١١٩)

وفعلاً، تشكلت لجنة التحقيق العُليا الأوربية فى ٢٧ يناير ١٨٧٨ لفحص إيرادات مصر أولاً ثم شملت فحص المصروفات فيما بعد بموجب مرسوم ٣٠ مارس ١٨٧٨.(١٢٠) وفي هذه الأثناء، ركز نوبار حملته ضد إسماعيل في مسألتين: **الأولى** أن سلطته المطلقة هى العقبة الأول في وجه أى إصلاح ودعا إلى تنازله عن سلطته لحكومة دستورية يدخلها بعض الأوربيين، **والثانية** أن أملاك الأسرة الحاكمة هى السبب الأولى فى شقاء مصر ودعا إلي إعادتها للدولة. وبايحاء من حملة نوبار، وتمشياً مع مصالح الدائنين قررت اللجنة تنازل إسماعيل عما بقي من أملاكه إلي الدولة فضلاً عن تنازله عن سلطته المطلقة لمجلس نظار يتكون بصورة يقبلها الدائنون.(١٢١)

وبات واضحاً أن نشاط نوبار ضد إسماعيل سوف يُرشحه لدى الأوربيين لتشكيل النظارة المقترحة. ويُعد هذا الترشيح بمثابة «العلاج المر» الذى كان علي إسماعيل ابتلاعه بعد ظروف طرد نوبار من الخدمة في عام ١٨٧٦.(١٢٢) وفعلاً، وصل نوبار إلي مصر في ١٥ أغسطس ١٨٧٨ بعد أن حصل على ضمانات من بريطانيا ضد احتمال إقالة إسماعيل لنظارته الجديدة. وبعد أن وافق إسماعيل علي قرارات لجنة التحقيق، كلَّف نوبار علي مضض فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ بتشكيل النظارة مُقراً مبدأ المسئولية الوزارية.(١٢٣)

وهكذا، بدا أن نوبار قد انتصر علي إسماعيل في هذه الجولة. بيد أن الظروف التى تألفت فيها نظارة نوبار (١٢٤) المعروفة بـ «النظارة

الأوربية» كانت سيئةً جداً. فرغم تأييد بريطانيا وفرنسا لنوبار، كان لابد من تأييد إسماعيل - الذى كان لايزال مُسيطراً علي الموقف - لكى تستطيع النظارة البقاء والاستمرار. ولكن نوبار أصر علي استبعاده عن أية مشاركة في الحكم وإحالته إلي مجرد حاكم اسمى. كما أن إسماعيل قد قبل النظام الجديد علي كره منه، لذلك حمل مشاعر فاترة نحو النظارة وأخذ يتحين الفرص لاسترداد سلطته. أكثر من هذا ، جهر إسماعيل بنفوره من نوبار ونظاره المسيحيين مما أدى إلي سخط الشعب عليه وتحميله كل ما أصاب مصر من مشكلات.(١٢٥)

وفي نفس الوقت، كان نوبار مكروهاً من المصريين الذين اعتبروه بمثابة أداة إنجليزية لفرض الحماية علي بلادهم، وأنه يدين بتعيينه للأجانب الذين يسندونه. واعتقد الموظفون المصريون أنه أُثرى علي حساب شعبهم بوصفه عميلاً للرأسماليين الأوربيين، ورأى فيه الفلاحون مؤسس المحاكم المختلطة التى أسلمتهم إلي شراهة المرابين اليونانيين، كما امتعضت منه الطبقات الثرية بسبب تصديه للمحسوبية والظلم والفساد التى عمت إدارة البلاد.(١٢٦) ناهيك عن جهله باللغة العربية وكونه مسيحياً من الأرمن المكروهين بشدة من المسلمين وقتئذ بسبب ثورتهم ضد السلطان العثمانى.(١٢٧)

علاوةً على هذا، تألفت النظارة في وقت كانت فيه الخزانة تُعاني الإفلاس، بحيث لم يقبض الجنود ومعظم الضباط رواتبهم مدى عشرين شهراً، وازداد شقاء الشعب بسبب عدم انتظام مياه النيل. وعلي حين كان ريفرس ويلسون Rivers Wilson - ناظر المالية - يملأ نظارة المالية بالإنجليز، خُفضت رواتب المصريين وأغلقت المدارس وأُحيلت مئات

الضباط إلي الاستيداع بحجة الاقتصاد دون قبض متأخرات رواتبهم. وباع الفلاحون محاصيل عام ١٨٧٨-١٨٧٩ مقدماً بربع قيمتها لكي يدفعوا الضرائب التي ازدادت وقتئذ.(١٢٨)

وفي اطار هذا الجو المفعم بالصعاب والمساوئ، لم يلتفت أحد إلي اهتمام نوبار بتطبيق قوانين المحاكم المختلطة وغيرها علي المصريين والأجانب سواء، وفرض الضرائب على الأجانب المقيمين في مصر، وتحجيم استغلال المناصب والفساد السائدين في الجهاز الإدارى.(١٢٩)

والحقيقة أنه لم يتوفر للنظارة الوقت الكافى لتنفيذ برنامجها الإصلاحى في الوقت الذى تعرضت فيه لسخط واسع النطاق، وطفق إسماعيل يستغل هذا السخط لإقالة نوبار بعد أن جنَّبه الخطر الذى كان يتهدده من جراء التحقيق. وقد جاءت الضربة التى أسقطت النظارة فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ عندما تجمهر أكثر من «٢٥٠٠» ضابط من المُسرحين الذين ساءت أحوالهم حول نوبار وويلسون وهاجموهما فيما عُرف بـ «حادثة الضباط». عندئذ ، تدخل إسماعيل مُسيطراً علي الموقف، وأعلن أنه لن يكون مسئولاً عن الأمن العام إلا إذا استرد سلطته علي البلاد كما اشترط استقالة نوبار الذى كان سبباً في تصدع مركزه. وعندما سأل القنصلان الإنجليزى والفرنسى نوبار عما إذا كان علي استعداد لحفظ النظام أجاب بالنفى وقدم استقالته في ١٩ فبراير ١٨٧٩.(١٣٠)

وعبثاً، حاولت بريطانيا إعادة نوبار إلي منصبه أمام إصرار إسماعيل علي استعداده لقبول أى حل في نظير عدم عودة نوبار إلي الحكم. وهكذا، بدا أن إسماعيل قد انتصر علي نوبار في هذه الجولة.

والحقيقة أنه رغم اقصاء نوبار عن الحكم، وتشكيل نظارة برئاسة الأمير محمد توفيق في ١٠ مارس ١٨٧٩، ظل مبدأ حرمان إسماعيل من سلطته موجوداً، وواصل الناظران الأجنبيان تحديهما له، كما أن النظار الوطنيين الذين عملوا مع نوبار - مثل رياض وعلي مبارك - واصلوا علاقتهم بنوبار.(١٣١)

هذا، وقد ظل نوبار بعيداً عن الخدمة في الحكومة المصرية منذ استقالته في فبراير ١٨٧٩، ولم يسمح له توفيق - الذى خلف إسماعيل بعد خلعه - بالعودة إلي مصر وأثر بقاءه في الخارج مُراعاةً للحالة السياسية.(١٣٢) وقد ظل هكذا حتي نشبت أزمة بين إڤلن بارنج Evelyn Baring(كرومر) - المعتمد البريطاني في مصر - ومحمد شريف باشا الذى شكل النظارة منذ أغسطس ١٨٨٢ حول مسألة إخلاء السودان في أعقاب كارثة هكس - جنوبي الأبيض بالسودان - في ٥ نوفمبر ١٨٨٣. وعندما لاحظ كرومر تصميم شريف علي عدم إخلاء السودان ، أبلغ حكومته بأنه لا يستطيع العثور علي نظار مصريين يقومون بتنفيذ الإخلاء. وبالتالي، يجب أن تكون الحكومة البريطانية مستعدةً لتعيين نظار إنجليز بصفة مؤقتة في حالة إرغام الحكومة المصرية علي الإخلاء. أكثر من هذا، هدد كرومر بتوليه إدارة البلاد مما أزعج الخديو ودفعه إلي قبول الإخلاء واستقالة شريف.(١٣٣)

عندئذ، عُرضت النظارة علي رياض باشا الذى رفضها من منطلق تأييده لشريف ولم يبق في الميدان سوى نوبار الأكثر مرونة الذي قبل تشكيل النظارة (١٣٤) في ١٠ يناير ١٨٨٤ علي أن يكون إخلاء السودان هو البند الأول في برنامجها.(١٣٥) وجديرٌ بالذكر أن إخلاء السودان يُعد

أكبر الانتقادات التي وُجهت إلي نظارة نوبار الثانية نظراً لأهمية السودان السياسية والاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لمصر.[١٣٦]

ورغم أن نظارة نوبار الثانية قد تشكلت علي أساس قبول النصائح البريطانية، إلا أن مدتها قد شهدت صراع نوبار ضد الاحتلال البريطانى لمنع تغلغله إلي سائر المناصب الهامة في الإدارة المصرية. فقد كان نوبار يستنكر بشدة تدخل أية قوة أجنبية في الشئون الداخلية لمصر. وكان من رأيه أن الاحتلال البريطانى العسكري يهدف إلي حفظ الأمن، أما إدارة البلاد فهى من شأن النظارة.[١٣٧] وكان نوبار يتشكك في قيمة استخدام الموظفين البريطانيين في الإدارة المصرية، كما انتقد بريطانيا في أنها قدمت كثيراً من النصائح وقليلاً من المساعدة في حين أن المطلوب هو العكس.[١٣٨]

ولذا، دخل نوبار في صراع مع الاحتلال البريطانى لزعزعته ومنع تغلغله في الجهاز الإدارى المصرى. في الابتداء، اصطدم مع كليفورد لويد Clifford Lioyed وكيل نظارة الداخلية حول إعادة تنظيم البوليس، وتصاعد خلافهما حتى هدد نوبار باستقالته فى أبريل ١٨٨٤. ثم استغل نوبار الخلاف بين لويد وبينسون ماكسويل Benson Maxwell الإنجليزى – النائب العام بالمحاكم الأهلية – حول سوء معاملة المسجونين، فتخلص من الأول في مايو ١٨٨٤ ثم من الثانى في يناير ١٨٨٥.[١٣٩] وعبثاً، حاولت بريطانيا تعيين مفتشين إنجليزيين عموميين بدلاً من لويد أمام إصرار نوبار الذى كان يري أن نظارة الداخلية مرتبطةٌ بحياة البلاد الخاصة والتدخل البريطانى فى شئونها يُحدث ارتباكات عديدة في حياة البلاد.[١٤٠]

ثم، واصل نوبار صراعه ضد التدخل البريطانى في الإدارة مستغلاً بدء مفاوضات أحمد مختار - دروموند وولف Drummond Wolff في أغسطس ١٨٨٥ من أجل تحديد موعد لجلاء القوات البريطانية عن مصر.(١٤١) فسعى إلي الحد من سلطات مفتشى الرى الإنجليز الذين كانوا يستغلون وظائفهم ويُكسرون اللوائح ويتصرفون كما لو كانوا فوق القانون. ولهذا، اصطدم نوبار كثيراً بـ سكوت مونكريف Scott Moncrieff وكيل نظارة الأشغال العمومية.(١٤٢) وكذا، مع إدجار ڤينسينت Edgar Vincent - مستشار نظارة المالية - الذى سعى إلي تطبيق سياسة مالية سوف تُرهق اقتصاديات البلاد.(١٤٣)

وفي أوائل عام ١٨٨٨ انتهز نوبار وفاة ڤالنتين بيكر Valentine Baker رئيس البوليس وسعى إلي إعادة تنظيم البوليس للتخلص من الضباط الإنجليز وإعادة تبعيته إلي مديرى المديريات وإلغاء مركزه الرئيسى في القاهرة. أكثر من هذا ، اشتكى نوبار السير إڤلن بارنج (كرومر) إلي حكومته.(١٤٤) وإلي هذا الحد أصبح الصدام مكشوفاً بين نوبار والمعتمد البريطانى في مصر، وسعى كلاهما للنيل من الآخر. في تلك الأثناء، كان الخديو السابق إسماعيل في زيارة للأستانة، فخشى توفيق - الذى كان علي علاقة سيئة بالسلطان وقتئذ - أن يكون ظهور والده في الأستانة إيذاناً بخلعه، ولهذا اعتمد علي نوبار في هذا الوقت مما شجع الأخير علي المضى قُدماً في صراعه ضد كرومر الذى اشتكاه إلي حكومته. بيد أن الخارجية البريطانية التى كانت قد أدركت ضعف مركز نوبار منذ فشل مفاوضات مختار - وولف في يولية ١٨٨٧ فضلاً عن شدة السخط عليه لملئه المحاكم بقضاة مسيحيين، أيدت قنصلها

العام وأوعزت إلي توفيق بقبول نصائح كرومر في الشئون الداخلية كي تقف بجانبه في الشئون الخارجية. عندئذ، آثر توفيق التأييد البريطاني علي تأييد نوبار الذى أُقيل فى ٧ يونية ١٨٨٨.(١٤٥) ويُعلق كرومر على إقالة نوبار بقوله: «كان أمام نوبار فرصة للبقاء رئيساً للنظار حتي آخر حياته، لكنه مع الأسف لم يتصرف نحو ذلك».(١٤٦)

وقد ظل نوبار بعيداً عن الخدمة في الحكومة المصرية منذ اقالته في يونية ١٨٨٨ حتى وقع الجفاء بين الخديو عباس الثانى ورئيس نظاره مصطفي رياض باشا علي أثر ما عُرف بـ «أزمة الحدود».(١٤٧) عندئذ، استقال رياض فرشح كرومر نوبار كى يخلفه في رئاسة النظارة بحجة عدم إمكان تطويع المسلمين برئيس نظار له ميول إسلامية متشددة. وفي ١٦ أبريل ١٨٩٤ شكَّل نوبار نظارته الثالثة (١٤٨) علي قاعدة التوفيق بين الموظفين البريطانيين والوطنيين.(١٤٩) ولكن، استسلم نوبار تماماً فى هذه النظارة للنفوذ البريطانى في الإدارة المصرية. وقد اتضح هذا من تعديله لنظام البوليس وإلغاء وظيفة مفتش عموم البوليس وتعيين مستر الدون جورست Eldon Gorst أول مستشار لنظارة الداخلية في ٣ نوفمبر ١٨٩٤ ثم تأسيس محكمة من شأنها محاكمة المتهمين بالاعتداء علي ضباط جيش الاحتلال وجنوده في ٢٥ فبراير ١٨٩٥.(١٥٠)

ثم، وقع الخلاف بين عباس الثانى ونوبار بسبب رفض الأخير رجوع الخديو الأسبق إسماعيل إلي مصر. فسعى عباس إلي التخلص من نوبار. بيد أنه قد أرجأ هذا خشية وقوع أزمة. ورغم شعور نوبار بموقف عباس، إلا أنه لم يُفكر في الاستقالة استناداً إلي كونه مؤيداً من الاحتلال. وكوسيلة للتخلص من نوبار، أعرب عباس إلي اللورد كرومر

عن رغبته في إعادة مصطفي فهمي - المعروف بولائه الشديد للإنجليز - إلي النظارة. عندئذ، لم ير الإنجليز داعياً للتمسك بنوبار الذى استقال في ١١ نوفمبر ١٨٩٥.[١٥١]

ويُعلق كرومر علي استسلام نوبار للسياسة البريطانية خلال نظارته الثالثة بقوله: «وإني أعتقدُ أن نوبار باشا يستحق شكر البلاد التى استوطنها علي الأعمال التي أتاها في مدة الثمانية عشر شهراً المذكورة إلي درجة تفوق كثيراً مدة توظفه الطويلة السابقة».[١٥٢] وأكثر من هذا، أنعمت عليه ملكة بريطانيا بنيشان النجمة الهندية من الدرجة الأولي في أعقاب استقالته نظير خدماته «الجليلة» لحكومتها.[١٥٣]

وهكذا، خدم نوبار فترةً طويلةً في الحكومة المصرية امتدت منذ أوائل الأربعينيات حتى منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر، عاصر خلالها، بل واشترك، في العديد من الأحداث المحلية والدولية التي مرت بمصر. هذا، وتكشف مذكرات نوبار عن وجهات نظره في حكام مصر الذين عاصرهم وخدم معهم وعن فترات حكمهم منذ محمد علي حتى إسماعيل. ورغم أنه يذكر مراراً في مذكراته أن انتقاداته للحكام ومواقفهم نابعةٌ من حبه لمصر، إلا أنه يُشتمُّ من بين سطور المذكرات أنها في الغالب كانت صدى قبوله ورفضه لدي هؤلاء الحكام.[١٥٤]

في الابتداء، أثني نوبار علي محمد علي وحكمه - وكان وقتئذ موظفاً صغيراً في معيته - فوصفه بـ «المتبربر العبقرى» صاحب التحول الكبير في مصر الحديثة، والتي اختفت بموته العبقرية التي كانت تُوجه مصر وتركت بصماتها علي كل شئ فيها حتي التربة والنيل. أكثر من هذا، ذهب نوبار إلي أن مصر هى محمد علي ذاته.[١٥٥]

ولازال نوبار موظفاً صغيراً أثناء حكم عباس الأول - ولم يكن وقتئذ غير ممقوت من عباس - فوصفه بأنه نموذج للأمير الشرقي. وكذا، وصفه بالكسل والتشكك والتهور في ارتكاب الجرائم، ووصف فترة حكمه بالصمت والركود، ولكنه أقر بأن المصريين لم يُعانوا في فترة حكمه من الضغوط المالية والاقتصادية التي أثقلت كاهلهم في عهد محمد علي.(١٥٦)

ومنذ حكم سعيد أخذ نوبار يتقلد بعض الوظائف الهامة ولكنه كان ممقوتاً - إلي حد - في ذلك الوقت، ولولا حاجة سعيد إليه لأقصاه عن الخدمة. وقد انتقد نوبار سعيداً بشدة في مساعدته الأجانب علي التغلغل داخل البلاد وانصياعه التام لرغباتهم، كما انتقده في عشقه لذاته وللمظاهر وافتقاره إلي الاحترام. ويُلخص نوبار رأيه في شخصية سعيد بقوله: «وُلد سعيد للتدمير وليس للتعمير». وفوق هذا، اعتبره نوبار من الأسباب الرئيسية لبدء مرحلة التدهور في مصر.(١٥٧)

أما أثناء حكم إسماعيل، فقد تقلد نوبار أكثر من منصب كبير رغم تأزم علاقاته مع إسماعيل الذى كرهه بشدة. وقد أبقاه إسماعيل في خدمته علي كره منه نظراً لحاجته الماسة إليه. وقد أدرك نوبار هذا، فبادله نفس الشعور كما يبدو من كتاباته عن إسماعيل وفترة حكمه التي شغلت أكثر من نصف مذكراته تقريباً. وينتقد نوبار إسماعيل دوماً في اهتمامه بالترف والبذخ والملذات والإسراف فضلاً عن أخذه قشور المدنية الحديثة وفتحه أبواب الاستدانة. ويُلقى نوبار علي عاتقه مسئولية الكوارث التى حلّت بمصر.(١٥٨)

وأخيراً، يلخص نوبار رأيه في سياسة حكام مصر والتطورات التي

مرت بمصر في أن محمد علي قد أحدث التطور في مصر بفضل أسلوبه في التفكير والعمل، ولكن سعيداً برعونته قد أوجد حالة من الاضطرابات في مصر يصعب اجتيازها، حتى جاء إسماعيل بسياسته المتخبطة فقلب أوضاعها تماماً حتى أفقدها استقلالها.(١٥٩)

هذا، وقد تعرض نوبار ذاته للعديد من الانتقادات خاصةً فيما يتعلق بتأسيسه المحاكم المختلطة وتعاونه مع الأوربيين. بالنسبة للمحاكم المختلطة، تُؤكد المراسلات التي تُبودلت بين إسماعيل ونوبار حول حيثيات تأسيسها أن نوبار كان يتحرك في مفاوضاته مع الدول صاحبات الامتياز بناءً علي رغبة إسماعيل وأوامره ونصائحه لإصلاح النظام القضائى المصرى المتردى.(١٦٠)

وبالتالي، لا يُعد نوبار وحده مسئولاً عن تأسيس المحاكم المختلطة. ورغم هذا، كان له فكره الخاص حول تأسيسها. فقد كان يرى أن استقلال مصر لا يتوقف علي امتياز من الباب العالى يُكلف البلاد ثمناً باهظاً، بل علي قوة مصر وحسن إدارتها. ويُعد ذلك في رأيه، مسألة جد صعبة طالما تُوجد سبع عشرة قنصلية إلى جانب الحكومة المصيرة لا تقل سلطة كل منها عن سلطة الخديو ذاته. ومن ثم، رأى نوبار أن يُمهد العدالة ويُقيم الإصلاح القضائى علي أساس الوحدة في التشريع والقضاء والتنفيذ، كما تطلع إلي إصلاح القضاء وجعله يُهيمن علي الخديو والأوربيين والمصريين علي حد سواء. وبذا، تسود العدالة بين الجميع وتُحجم سلطة الخديو المطلقة وسلطة القناصل الغاشمة.(١٦١)

بيد أن مشروع نوبار لم يتحقق علي هذا النحو بسبب مطامع الدول وأغراضها. فقد استسلم نوبار أمام إصرار أعداء مشروعه علي اقتصار

المحاكم المختلطة علي البت في القضايا التجارية والمدنية وإبقاء القضايا الجنائية من اختصاص السلطات القنصلية. ومالبثت هذه المحاكم أن تعرضت لانتقادات عديدة بسبب اختلاف قوانينها عن الشريعة الإسلامية، واستعمالها اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية بدلاً من اللغة العربية - لغة البلاد - واكتظاظها بقضاة أوربيين يتصفون في الغالب بالمحاباة لبني جنسهم وعدم نزاهة أحكامهم. ناهيك عن جهل معظم المصريين بقوانينها مما عرضهم لابتزاز الأفاقين والمرابين الأوربيين والشرقيين.(١٦٢)

وقد أصبح بمقتضى قوانين المحاكم المختلطة الحق لأى أجنبي في مقاضاة الخديو أو حكومته، بل كانت الحكومة ذاتها ملزمةً بتنفيذ أحكامها، مما أدي إلي تصويب ضربة عنيفة إلي ما كان يتمتع به ولاة مصر من حكم مطلق. وربما، كان هذا أهم ما يرمى إليه نوبار من وراء الإصلاح القضائى.(١٦٣) ورغم أن هذه المحاكم قد نالت من سلطة الخديو المطلقة ونظمت القضاء القنصلي وأدخلت مصر في دائرة التقنين الأوربي الحديث وخفضت من ضغط القضاء علي السياسة واستفاد المصريون من بعض أحكامها، إلا أنها كانت مظهراً من مظاهر النفوذ الأجنبي في مصر واستسلام حكومتها عن حقوقها المطلقة.(١٦٤)

أما فيما يتعلق بمسألة تعاون نوبار مع الأوربيين فهى حقيقة ثابتة لا تقبل النقاش. فقد كان نوبار من أنصار اشتراك العنصر الأوربى في حكم مصر. ولكن، رغم استعداده لاستغلال الضغط الأوربى في الضرب علي يد الخديو وحمله علي السير في طريق الصواب، فإن حجر الزاوية فى سياسته أن تحكم مصر نفسها، فهو يقبل النفوذ الأوربى ليس في

حد ذاته بل كوسيلة لتنفيذ سياسته الخاصة بمصر وحكومتها. ويرى نوبار أن العنصر الوطني لا تتوفر لديه الخبرة الكافية التى تُمكنه من حمل أعباء الإدارة دون مساعدة خارجية، وأنه ليس من الاستقلال بحيث يستطيع وحده أن يُواجه السلطة الخديوية المطلقة.(١٦٥) ولهذا، كان نوبار يتطلع باستمرار إلي قيام حكومة قوية يدخلها الأوربيون بديلاً عن حكم الخديو الاستبدادى ويكون هو علي رأس هذه الحكومة.(١٦٦) كما كان يُصرح كثيراً بأنه في حالة جلاء بريطانيا عن مصر، سوف يضع موظفاً أوربياً على رأس كل مصلحة لشدة الحاجة إليه.(١٦٧)

ورغم اعتقاد نوبار الراسخ بضرورة اشتراك الأوربيين في حكم مصر وإدارتها ومساعدته إياهم علي هذا، إلا أنه كان شخصيا آخر من يسمح لمقاليد الحكم بأن تفلت من يديه أو يكون مخلب قط في أيدى الأوربيين ، بل لم يتنازل عن قيد أنملة من سلطته إلي الأوربيين.(١٦٨) أكثر من هذا، سعى بحزم إلي تطبيق القوانين علي الموظفين المصريين والأوربيين علي حد سواء. كما كان يغضب ويثور عندما يتخطى الأوربيون حدودهم المتفق عليها.(١٦٩)

أما فيما يتعلق بعلاقة نوبار بالقوي الكبري، فقد كان نوبار علي علاقة وثيقة بها منذ شبابه المبكر عندما كان يعمل مترجماً لمحمد علي وإبراهيم وعباس ومصاحبته إياهم في رحلاتهم خارج مصر فضلاً عن قيامه بمعظم مفاوضات الحكومة المصرية مع الأستانة وأوربا. ناهيك عن تعلمه في أوربا وإجادته لغاتها.

بدايةً، لم يكن نوبار موالياً للباب العالي ورفض أكثر من مرة عروض ساستها عليه بتولي بعض المناصب العامة في الأستانة. وقد ارتكز نوبار

في رفضه علي أنه لا يُمكن التخلي عن مصر بسهولة، كما أن الحكم المطلق يسهل التصدى إليه في مصر عنه في الأستانة، وظل يُفضل دوماً أن يكون شخصاً عادياً في مصر علي ألاً يكون موظفاً لدي الباب العالى.(١٧٠) ولكنه في نفس الوقت قد فطن إلي دور الأستانة في صنع القرار بمصر، فوثّق علاقته بها عن طريق مصاهرته لأسرة يراميان التى تُعد من أشهر الأسرات الأرمنية في الأستانة وأوثقها علاقةً بالباب العالي. وبذا، أنجز نوبار كثيراً من المهام ونال كثيراً من المزايا والرتب والنياشين.(١٧١)

وقد كان نوبار يعتقد أن بريطانيا تهتم اهتماماً حقيقياً برخاء الشعب المصرى. لذا، وثّق علاقته بها وأيد مشروعاتها في مصر.(١٧٢) وفي نفس الوقت، كانت بريطانيا تسعى لدى الدول ، اسمياً فقط، كي تحصل أرمينية – موطن نوبار الأصلى – علي استقلالها التام عن الدولة العثمانية.(١٧٣) بيد أن بريطانيا كانت تبغى من وراء توثيق علاقاتها بنوبار أن تُقيم حماية بريطانية علي مصر. وقد تنبه نوبار إلي هذا وأخذ يُحارب التغلغل البريطانى في مصر قدر المستطاع.(١٧٤)

ورغم أن نوبار قد تلقى تعليمه بفرنسا، إلا أنه كان علي خلاف دائم مع حكومتها. ويرجع هذا إلي ظروف مشروع قناة السويس وأعمال فردينان ديليسيبس وانحياز نابليون الثالث Napoleon III إلي شركة قناة السويس أثناء نزاعها مع الحكومة المصرية فضلاً عن مقاومة فرنسا للإصلاح القضائى المصرى. كما كانت فرنسا لا ترتاح إلي نوبار بسبب ميوله البريطانية وعرقلته العديد من مشروعاتها في مصر.(١٧٥)

هذا، وقد حقق نوبار مركزاً مرموقاً في الساحة الدولية بسبب

علاقاته المتنوعة مع القوي الكبري ومهارته الدبلوماسية وقوة تقديره للأشخاص والأشياء.[١٧٦] ويكفي دليلاً علي هذا، أن أوربا قد رشحته حاكماً عاماً لبلغاريا Bulgaria. فعندما نشبت القلاقل في البوسنة والهرسك، انعقد مؤتمر أوربي في الأستانة يهدف إلي إدخال إصلاحات في إدارة الولايات المسيحية بالدولة العثمانية. وفي هذا المؤتمر، تم اقتراح تعيين نوبار في منصب حاكم عام لبلغاريا.[١٧٧] ورغم موافقة بريطانيا وفرنسا وألمانيا علي هذا الاقتراح، إلا أن هذا المشروع قد تجمد برمته نتيجةً لاندلاع الحرب الروسية – العثمانية في ٢٧ أبريل ١٨٧٧.[١٧٨]

كما أراد نوبار الاستفادة من مكانته الدولية في خدمة أرمينية موطنه الأصلي. فاقترح في مؤتمر برلين ١٨٧٨ مشروعاً لإصلاح بلاده يقوم علي تنظيم إدارتها تحت إشراف الدول الأوربية، وتعيين حاكم عام باختيار هذه الدول وبموافقة السلطان العثماني، وتنظيم القضاء والشرطة وغير هذا على أيدى موظفين أوربيين. ورغم موافقة بريطانيا وفرنسا علي هذا المشروع، إلا أنه قد أُخفق أمام معارضة الباب العالى والبطريرك الأرمنى في الأستانة .[١٧٩]

وقد ذهب البعض إلي أن نوبار كان يهدف من وراء هذا المشروع أن يُصبح نفسه حاكماً عاماً لأرمينية، بل ذهبوا أكثر من هذا إلي أنه يهدف إلي استقلال أرمينية استقلالاً تاماً عن الدولة العثمانية علي أيدى الإنجليز. ولذا، وفقاً لرأيهم، ظل يخدم المصالح البريطانية في مصر نظير ذلك.[١٨٠] والحق، أن هذا الرأى متأثر بتصاعد ثورة الأرمن ضد السلطان العثمانى الذى كان لا يزال يحتل مكاناً هاماً في مشاعر

المسلمين. ويكفي دليلاً على هذا، أن نوبار نفسه لم يكن يتمتع بشعبية لدن الأرمن. فقد طلب الأرمن مراراً من نوبار أن يتوسط لدى الدول الكبرى كي تتدخل لصالحهم، بيد أنه لم يفعل لتأكده من أنه لا تُوجد دولة أوربية علي استعداد للتدخل الفعلى ضد الباب العالي لأنهم يرغبون في بقائه حاجزاً ضد الطموحات الروسية في المياه الدافئة. وعلي هذا، اعتقد الأرمن أن نوبار لا يعبأ بقضيتهم.[١٨١]

ولم يكن نوبار محبوباً بين المصريين رغم أنهم قد أطلقوا عليه لقب «أبى الفلاح».[١٨٢] ويرجع هذا إلي كونه أرمنياً مسيحياً، وجهله باللغة العربية لغة الأهالي، وتأسيسه المحاكم المختلطة والأهلية، ومساعدته علي تغلغل رأس المال الأوربي في مصر ناهيك عن إصراره علي التحالف مع الأوربيين في حكم مصر. وكذا، أخطأ نوبار حينما تجاهل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت خلال سبعينيات القرن التاسع عشر. وبذا، لم ينجح في الخروج بنتائج صحيحة من حدوث الثورة العرابية.[١٨٣]

ورغم الحملة العنيفة التى شنتها بعض الجرائد المصرية ضد نوبار، إلا أنها لم تنكر أنه من أهم الشخصيات التى اتسمت «... بالحنو علي المصريين والرأفة بهم والاهتمام بمصالحهم والعناية بأمورهم والسهر علي أحوالهم...».[١٨٤] ويُؤكد نوبار هذه المقولة في مذكراته خاصةً عندما يتحدث عن تصديه للاستبداد والفساد والمحسوبية والسخرة والامتيازات والضرائب وغيرها من الأشياء التى أثقلت كاهل المصريين.[١٨٥]

كما يُؤكد نوبار في مذكراته علي حبه لمصر. ففي رسالة بعث بها من

الإسكندرية إلي زوجته في مدينة نيس الفرنسية في ٢٥ فبراير ١٨٦٧ قال فيها: «... إننى أحبُ مصر... ولا يُمكننا الحياة في مكان غيرها...». وفي رسالة أخرى يقول: «... فى كل مرة أُسافرُ فيها إلي الخارج، كنتُ أشعر بالحزن دوماً لبُعدى عن مصر. لذا، كنتُ اشتاق إليها وأشعرُ بفرحة شديدة عند عودتى إليها...». (١٨٦) بيد أن الإنجليز ظلوا يُشككون فى حب نوبار لمصر بدعوى أنه ليس مصرياً، وينظر إلي الأشياء من خلال كونه أرمنياً يُقيم بمصر.(١٨٧)

وهكذا، يتضحُ مما سبق أن الأرمن يعدون أهم الجاليات التى تقلدت مناصب ذات سمة سياسية في مصر خلال القرن التاسع عشر . ويُؤكد كرومر هذه الحقيقة بقوله: «إن الأهمية السياسية للأرمن ترجع إلي شغل كثير منهم المناصب العالية في الحكومة المصرية منذ حكم محمد علي. فقد كان الأقباط يشغلون وظائف متواضعة في الجهاز الحكومى، ولم ينجح السوريون حتى فى شغل الوظائف الثانوية رغم كفاءتهم. أما الأرمن فقد نجحوا فى الوصول إلى أعلى المناصب، وقاموا بدور مؤثر في إدارة الشئون العامة بمصر».(١٨٨)



الهوامش

(١) آلبويچيان، المصدر السابق، ص ص ٥٩-٦٥. (بالأرمنية)

(٢) جرت مناقشات بين حسين أفندى الروزنامجى - أحد موظفى الروزنامة على عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) وبين إستيف أحد رجال الإدارة المالية للحملة الفرنسية. وقد أسماها حسين أفندى «ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية». وحققها محمد شفيق غربال ونشرها تحت اسم «مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ - ١٨٠١» فى حولية كلية الآداب، جامعة فؤاد، المجلد الرابع، جـ ١، مايو ١٩٣٦، ص١٢، ٦٥.

(٣) ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٤٤٢.

(٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، ص ص ٧٢-٧٤.

(٥) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، جـ ٢، ص ٢٧٩، ٤٣٧.

(٦) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٦٧.(بالأرمنية)

(٧) Cattaui, René, Le Régne de Mohammed Ali d'Apres Les Archives Russes en Egypte, 3 Vols, Roma. 1933. Vol.2, p. 119. 186, 360. 348;

ديوان المعية تركي، س١/ ٦٠ /٢(٥٩)، ص ١٤١، رقم ٤٤٧، أمر من الجناب العالى إلى بوغوص بك في ٢٧ ذى القعدة ١٢٥٠ هـ.

(٨) محافظ الأبحاث، رقم ٧، ترجمة إفادة صادرة في غرة صفر ١٢٥١ هـ.

(٩) نفسه، رقم ١١٧، أسماء موظفى الحكومة المصرية ابتداء من رتبة البكباشى مستخرجة من سجل رقم ٣٦٨ معية تركى عُمل ما بين ١٣٦٥ -١٣٦٨ هـ.

(١٠) ملف إسطفان بك، مصدر سابق.

(١١) "Artin bey________", p. 428.

(١٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٥، ترجمة إرادة إلي مدير المدارس في ٦ شعبان ١٢٦٠ هـ؛

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٣١. (بالأرمنية)

(١٣) ملف إسكندر بك بوزارى، مصدر سابق.

(١٤) ملف نوبار باشا، مصدر سابق.

(١٥) أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٤٤٤.

(١٦) نفسه، تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ١٩٤؛

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢١٥. (بالأرمنية)

(١٧) محافظ الأبحاث، رقم ١٢٢، كشف بأسماء كبار موظفي الحكومة المصرية في أول عهد المغفور له جنتمكان إسماعيل باشا عُمل في ذى القعدة ١٢٧٩ هـ.

(١٨) ديوان المعية تركى، س١/٥٥/٢٣ (٥٢٩)، ص٤١، رقم ٥٤، أمر إلي ناظر المالية في ٢٨ جماد أول ١٢٨٠ هـ.

(١٩) أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٨٢٤.

(٢٠) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٢٦٢، ٢٨٤.

(٢١) ديوان المعية تركي، س١/٥٥/١ (٤٩)، ص ٦١، رقم ٣٠٦، أمر من الجناب العالي إلى سامى بك في ٢٦ صفر ١٢٤٩ هـ.

(٢٢) أرشالويس آراراديان، ١٨٤٧/٧/٢٥، أزمير.(بالأرمنية)

(٢٣) ميكيافيللي Machiavelli، كاتب وسياسى إيطالى، ارتبط اسمه بارتكاب الخطأ والجرائم والفسق في السياسات. وُلد في ٣ مايو ١٤٦٩ بفلورنسا Florence. وقد نشأ إبان العصر الذهبى لفلورنسا عندما كان يحكمها لورينزو دى ميدتشى Lorenzo de'Medici. كما شهد ميكياڤيللى هجوم الملك الفرنسى شارل الثامن Charles VIII علي فلورنسا وإسقاطه أسرة ميدتشى وتأسيسه جمهورية بها في عام ١٤٩٤. وقد عمل في عام ١٤٩٨ سكرتيراً بمحكمة فلورنسا ثم قاضياً ثانياً بها. وظل يتقلد وظائف متباينة حتى عام ١٥١٢. وجدير بالذكر أنه أقام علاقات حميمة مع الحكام واشترك في عدة مهام دبلوماسية وأنشطة سياسية ودرس التاريخ لاسيما تاريخ فلورنسا وروما القديمة مما ساعده علي الكتابات السياسية والتاريخية. وتجدر الإشارة إلي أنه ألَّف العديد من الكتب منها علي سبيل المثال Discourses Upon Livy (١٥١٨)، The Art of War (١٥١٩)، The History of Florence (١٥٢٥). بيد أن كتاب الامير The Prince (١٥١٣) يُعد أهم كتبه وأشهرها. ويتلخص هذا الكتاب في أن الغاية تُبرر الوسيلة. ومما هو جدير بالذكر في هذا السياق أن كثيراً من السياسيين قد تأثروا بهذا الكتاب. توفي ميكياڤيللى في ٢٢ يونية ١٥٢٧.

Collier's Encyclopedia, 24 Vols, New York, 1992, Vol. 15, pp. 163-166.

(٢٤) Senior, op. cit., Vol. 2, pp. 176-177.

(٢٥) أرشالويس أراراديان، ١٨٤٩/٤/١١، أزمير. (بالأرمنية)

(٢٦) يُعد الرحالة ريتشارد بيورتون (١٨٢١-١٨٩٠) من أهم كُتاب الرحلات الإنجليز وأشهرهم. وكان قد زار مصر في سنة ١٨٥٣ وأقام مدةً في القاهرة والسويس ثم حج إلي مكة ودخل المدينة المنورة متنكراً في زى تاجر عربى. وتُعد رحلته من أغزر الكتب وأحفلها بالمعلومات حول بلاد الشرق العربى. ومن أهم أعماله الأخرى ترجمته «ألف ليلة وليلة». وقد رافقه إدوارد بالمر (١٨٤٠-١٨٨٣) الذى زار شبه جزيرة سيناء وأقام بمصر حتى مصرعه علي أرضها.

Burton, op.. cit.. Vol.1, p. 118;

محمود علي مكى، «بدروپاث سولدان رحالة من بيرو فى مصر في منتصف القرن التاسع عشر»، الهلال، يونية ١٩٩٢، ص ص ٩١-٩٢.

(٢٧) Nubar Pacha, op. cit., p. 40.

(٢٨) Ibid., pp. 45-46, 50-53.

(٢٩) Ibid., p. 53.

(٣٠) هيلين آن ريڤلين، المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٣١) Hamont, op. cit., Vol.2, p. 280.

(٣٢) لمزيد من التفاصيل حول المهام التى قام بها آبراهام بك في الأستانة انظر:
Crabites, Pierre, Ismail the Maligned Khedive, London, 1933, pp. 161-206.

(٣٣) محافظ الأبحاث، رقم ١١٦، ملف بأسماء الحكام المصريين الذين تولوا شئون السودان.

(٣٤) صاحب سعيد باشا خلال هذه الرحلة عدد من الأشخاص مثل راغب باشا وذى الفقار باشا وإبراهيم بك النبراوى وديليسيبس والدكتور أباته ونوبار وأخيه أراكيل بك.

إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جزءان ، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣١٤ هـ، الجزء الثانى، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣٥) محمد فؤاد شكرى، مصر والسودان، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٦٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧٧.

(٣٦) أمين سامى، تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ص ٢١١-٢١٢.

(٣٧) Bertrand. Emile. Nubar Pacha 1825-1899. Le Caire. 1904. pp. 70-72.

(٣٨) أمين سامى، تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ص ٢٢١-٢٢٢، ٢٣٠، ٣٠٢.

(٣٩) Hill. Richard. A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan. Oxford. 1951. p. 58.

(٤٠) Ibid; Hanotaux. Gabriel. Histoire de la Nation Egyptienne. 7 Vols. Paris, 1940. Vols 5. p. 570.

(٤١) Nubar Pacha. op. cit.. p. 166.

(٤٢) تأرجحت إدارة مصوع بين جدة ومصر خلال حكم محمد علي. ولكن، منذ ١٢ سبتمبر ١٨٤٦ أُحيلت إدارة جمركى مصوع وسواكن إلي محمد علي الذي أحال إدارتها إلي مديرية التاكة. وفي عام ١٨٤٩ أُعيدتا إلي إيالة جدة. ثم ، سعى إسماعيل لاسترداد مصوع وسواكن لدى السلطان العثمانى الذى أصدر فرماناً في مايو ١٨٦٥ باحالة سواكن ومصوع إلي الإدارة المصرية. وفي ٩ محرم ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥) دخلت إدارة مصوع ضمن «حكمدارية التاكه ومصوع وسواكن». وفي ربيع أول ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠) فُصلت مصوع وسواكن وغيرهما من الأقاليم السودانية المطلة علي البحر الأحمر ومديرية التاكة عن حكمدارية السودان وشكِّل منها جميعاً محافظة عُرفت بـ «محافظة سواحل البحر الأحمر». وفي ١٥ رجب ١٢٨٨ هـ (١٨٧١) انفصلت مصوع وأصبحت محافظةً مستقلةً علي رأسها منزنجر محافظاً، ثم اتحدت إدارة مصوع وسواكن مرة أخري فى ١٤ محرم ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢) في محافظة واحدة تحت إدارة منزنجر. وفي ٢٨ ذى الحجة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٣) صدر أمر باحالة مديرية التاكة تحت إدارة منزنجر محافظ مصوع وسواكن وسُمى «مدير عموم شرقي السودان ومحافظ سواحل البحر الأحمر». وبسبب هذا التعديل عيِّن علاء الدين بك محافظاً لسواكن وأراكيل بك محافظاً لمصوع.

شوقى عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص ٤٠-٧١.

(٤٣) منزنجر سويسرى الجنسية، حضر إلي مصر ثم سافر منها إلي السودان والحبشة واستقر به المقام أخيراً في مصوع. وتزوج هناك بسيدة من أهالي إقليم «بوغوص» الذى كان تابعاً في ذلك الوقت للحبشة، وقد عينته فرنسا قنصلاً لها في مصوع بعد ذلك. ولما قامت إنجلترا بحملتها علي الحبشة

المعروفة بحملة «نابير» سنة ١٨٦٨ استعانت بمنزنجر لما له من المعرفة بأحوال هذه البلاد وطرقها. ومما يُذكر لمنزنجر أنه ساهم إلي حد كبير في الإصلاحات التي قامت بها الإدارة المصرية في مصوع وسواكن. كما أنه زار بربره تنفيذاً لأمر الحكومة المصرية وكتب تقريراً وافياً عنها وكان ذلك تمهيداً لامتداد التنظيم المصري إليها. وأُرسل إلي زيلع لبحث الطرق واستكشاف الجهات المؤدية منها وإليها. ومنزنجر هو الذي شجع الحكومة المصرية علي المغامرة بمحاربة الحبشة وهون عليها الأمر. وانتهز فرصة انشغال الملك يوحنا ملك الحبشة بمحاربة قبائل الجالا - وكانت العلاقات بين مصروالحبشة في ذلك الوقت متوترة - فسار علي رأس قوة من الجنود المصريين الذين تحت إمرته فاستولي علي «كيرن» عاصمة «بوغوص» . كما شجع كبار الأحباش علي نقض ولائهم للملك يوحنا . وقد زاد هذا من شدة التوتر بين البلدين وانتهى الأمر بقيام الحروب بين الطرفين. وقد قاد منزنجر نفسه احدى هذه الحملات علي الحبشة فأبحر من مصوع علي رأس أربعة بلوكات من الجنود المصريين لينزل في «تاجورة» وقد هُزمت هذه الحملة وقُتل عدد كبير من أفرادها منهم منزنجر وزوجته.

شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر، ص ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٤٤) ملف أراكيل بك، مصدر سابق.

(٤٥) لقد خلط ريتشارد هل بين أراكيل حاكم الخرطوم وسنار أثناء حكم سعيد وأراكيل حاكم مصوع إبان حكم إسماعيل من حيث علاقاتهما بنوبار باشا. فقد ذكر أن الأول قريب نوبار من ناحية أمه، بينما الثاني هو ابن أخت نوبار، والحقيقة أن الأول هو شقيق نوبار والثاني قريب نوبار من ناحية الأم.
Hill, op. cit., pp. 58-59.

(٤٦) شوقي عطا الله الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر ١٨٦٣-١٨٧٩، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٩، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

يذكر شوقي الجمل في صفحة رقم ١٤٣ من هذا الكتاب أن أراكيل بك محافظ مصوع هو ابن أراكيل باشا حاكم الخرطوم وسنار إبان حكم سعيد. يُخطئ شوقى الجمل. لأن أراكيل نوباريان - مدير الخرطوم وسنار - لم يحصل علي الباشوية ولم يتزوج . والحقيقة أن آراكيل بك حاكم مصوع هو ابن بدروس أبرويان قريب والدة نوبار باشا.

كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٨٩، ٢١٥. (بالأرمنية)

(٤٧) أرندروب بك من ضباط أركان الحرب، أصله دانمركي، ثم جاء مصر وتعرف إلي الجنراك استون باشا رئيس أركان الحرب، فرغب إليه الخدمة في الجيش المصرى فقبل.

عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، جـ ١، ص ١٤٨.

(٤٨) لمزيد من التفاصيل حول حروب إسماعيل في الحبشة أنظر:

عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص ١٤٤-١٥٢.

(٤٩) Simon, Gabriel. L'Ethiopie, Voyage en Abyssinie et Chez Les Gallas-Rais. 2 Vols, Paris. 1885. Vol. I. p. 110.

(٥٠) ملف أراكيل ، مصدر سابق.

(٥١) Simon. op. cit.. pp. 110-115.

(٥٢) ميخائيل شاروبيم، الكافي فى تاريخ مصر القديم والحديث، أربعة أجزاء ، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٠٠، الجزء الرابع، ص ١٥٠؛

Simon. op. cit.. p. 115.

(٥٣) إلياس الأيوبى، تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل باشا، جزءان . مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠، الجزء الثانى، ص ٨٢؛

Hill, op. cit., p. 59.

(٥٤) رُبِط معاش أراكيل إلي أمه ماريا كرامر أرملة أبراهام (بدروس) أبرويان القاطنة في فلورنسا بإيطاليا.
ملف أراكيل بك، مصدر سابق.

(٥٥) هيلين أن ريڤلين، المصدر السابق، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٥٦) أمين سامى، تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ١١.

(٥٧) ملف إسطفان بك، مصدر سابق.

(٥٨) محافظ الأبحاث، رقم ١١٧، أسماء موظفي الحكومة المصرية ابتداء من رتبة البكباشى مستخرجة من سجل رقم ٢٦٨ معية تركى عُمل ما بين ١٢٦٥-١٢٦٨ هـ.

(٥٩) نفسه، رقم ١٢٣، ترجمة أمر صادر إلي كاتب ديوان خديو في ١٣ ذى القعدة ١٢٧٠ هـ مستخرج من محفظة رقم ٢، معية تركى، ورقة رقم ٢٥، وثيقة رقم ١٥٧.

(٦٠) ملف إسطفان بك، مصدر سابق.

(٦١) عبد الرحمن الرافعى، عصر إسماعيل، جـ ١، ص ٥٠.

(٦٢) ملف نوبار باشا، مصدر سابق.

(٦٣) محافظ الأبحاث، رقم ١٢٣ ، ترجمة أمر صادر إلي نوبار باشا في ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ هـ.

(٦٤) محافظ مجلس الوزراء . مجلس النظار، محفظة رقم ٣/أ، كشف بأسماء العطوفة والدولة رؤساء النظارات المصرية من عهد تشكيل مجلس النظار في عام ١٨٧٨ وتواريخ تشكيلها واستقالاتها.

(٦٥) نفسه، نظارة الخارجية، محفظة رقم ٢، وثيقة رقم ٢، تعريب أمر كريم صادر في ١٨٨٢/١/٢٨؛ ملف ديكران باشا، مصدر سابق.

(٦٦) نفسه، مجلس النظار، محفظة رقم ٣ /أ، المصدر السابق.

(٦٧) تم إعداد هذا الجدول من مدد تولية النظار السابق ذكرها إضافةً إلى :

محافظ مجلس الوزراء، نظارة الخارجية، محفظة رقم ٢، قائمة بنظار الخارجية في مصر منذ عهد محمد علي حتى عام ١٩١٤؛ كما وردت نفس القائمة في: الأهرام، الأربعاء ١٩٢٣/٤/١١.

(٦٨) تجدر الإشارة إلي أن بوغوص يوسفيان قد تولي أثناء عمله باشترجمان محمد علي إدارة علاقات الأخير التجارية والخارجية والدبلوماسية قبل تأسيس ديوان التجارة في عام ١٨٢٦.

(٦٩) سوف يتم تفصيل هذا عند الحديث عن علاقات هؤلاء النظار بالحكام والقوي الدولية في جزء لاحق من هذا الفصل.

(٧٠) يونان لبيب رزق، الخارجية المصرية ١٨٢٦-١٩٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٢٥-٢٦، ٤٣-٤٥.

(٧١) نفسه، ص ص ٤١-٤٢.

(٧٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، ص ص ٩٣-٩٤؛

Rae, op. cit., pp. 181-182.

(٧٣) هيلين آن ريڤيلين، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٧٤) أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٦٣٤.

(٧٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه الحادثة وملابساتها أنظر:

چرچى زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، دار الهلال، القاهرة، ١٩٢٢، ص ص ٢٢٦-٢٢٨.

(٧٦) Nubar Pacha. op. cit., pp. 9-10.

(٧٧) Adalian. op. cit., p. 138.

(٧٨) Lutfi Al-Sayyid. Afaf. Egypt in the Reign of M. Ali. p. 76.

(٧٩) ديوان المعية تركى، س١/٥٢/٢ (٣٩)، ص ٤١، رقم ٣٠٨، أمر من الجناب العالي إلي الخواجه جواني في ٢ ذي القعدة ١٢٤٤ هـ.

(٨٠) Paton. A. A. A History of Egyptian Revolution. 2 Vols. London. 1863. Vol. 2. p. 83. 231.

(٨١) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أمر من الجناب العالي إلي بوغوص في ٤ جماد ثان ١٢٥٩ هـ.

(٨٢) Nubar Pacha. op. cit., pp. 8-9.

(٨٣) Lutfi AL-Sayyid. Afaf. Egypt in the Reign of M. Ali. p. 76.

(٨٤) Nubar Pacha. op. cit., p. 9.

(٨٥) Enkere. Gabriel. Ibrahim Pacha 1789-1848. Cairo. 1948. p. 443.

(٨٦) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، جـ ٢، ص ٥٢٠.

(٨٧) Carmont, Pascal. "Le Role des Armeniens en Egypte au XIX eme Siecle", Le Messager , Le Caire, 8/12/1991, No. 1719, p. 1. 3, 15/12/1991, No. 1729, p. 1, 3;

أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، جـ٢، ص ٥٢٨؛ هيلين آن ريفلين، المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٨٨) Mengin, op. cit., p. 182. 259; Hamont, op. cit., Vol. 1, p. 439, Vol.2, p. 117; Cattaui, op. cit., Vol.2, p. 26, 144, 163, 228.

(٨٩) أمين سامي، المصدر السابق، ص ٥٢٠.

(٩٠) چون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٦١-٦٢.

(٩١) نفسه، ص ص ٦٢-٦٣.

(٩٢) نفسه، ص ص ٥٣-٥٤؛ أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، جـ٢، ص ٥٣١؛

Paton, op. cit., p. 232.

(٩٣) Sabry, L'Empire Egyptien sous Ismail, p. 23.

(٩٤) آزكاسير (وطنى)، ١٨٤٧، ص ٢٠٥، أزمير. (بالأرمنية)

(٩٥) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٢٦. (بالأرمنية)

(٩٦) چون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٦٦ - ٦٨.

(٩٧) Senior, op. cit., pp. 163-164, 170, 220-222; Carmont, op. cit., p. 3.

(٩٨) سوف يتم الحديث عن نوبار في جزء لاحق من هذا الفصل.

(٩٩) كرومر ، عباس الثاني، ترجمة مطبعة التوفيق بمصر، بدون تاريخ، ص ص ٢٦-٢٨.

(١٠٠) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt and Cromer, A Study in Anglo-Egyptian Relations, London, 1960, p. 78, 103.

(١٠١) Ibid., pp. 103-104.

(١٠٢) Ibid., p. 104.

(١٠٣) كرومر ، المصدر السابق، ص ص ٢٢-٢٤.

(١٠٤) نفسه، ص ص ٥٤-٥٥.

(١٠٥) Cromer, op. cit., p. 632 .

(١٠٦) أحمد شفيق، المصدر السابق، القسم الأول من الجزء الثاني، ص ٧٤؛
Carmont, op. cit., 19/1/1992, No. 1725, p. 1,3.

(١٠٧) Rae, op. cit., p. 297.

(١٠٨) Adams, Francis, The New Egypt, A Social Sketch, London, 1893, p. 54.

(١٠٩) Rae, op. cit., p. 297, 300.

(١١٠) أمين سامي، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثاني من الجزء الثالث، ص ٥٥٢.

(١١١) محافظ مجلس الوزراء، مجلس النظار، محفظة رقم ٣ /أ، قائمة بأسماء العطوفة والدولة ورؤساء النظار المصرية وتواريخ تشكيلها واستقالاتها.

(١١٢) چون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(١١٣) عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، جـ ١، ص ص ٧٩-٨٦؛ جـ٢، ص ص ٢٦٧-٢٧٠.

(١١٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ٢٤-٢٧.

(١١٥) عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل ، جـ٢، ص ص ٦٥-٦٦.

(١١٦) چون مارلو، المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(١١٧) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٢٣.

(١١٨) نفسه، ص ٣٤: چون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٢٩٧-٢٩٨.

(١١٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٤٧-٤٩، ٥٧.

(١٢٠) عبد الرحمن الرافعى ، عصر إسماعيل ، جـ ٢، ص ص ٧٨-٨٠.

(١٢١) چون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.

(١٢٢) نفسه، ص ٣٣٥.

(١٢٣) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٦٣-٦٩.

(١٢٤) تشكلت نظارة نوبار بعد التعديل الذى دخل عليها من : نوبار باشا رئيساً لمجلس النظار وناظراً للخارجية والحقانية، رياض باشا للداخلية، راتب باشا للحربية، السير ريڤرس ويلسون للمالية، المسيو دى بلينيير للأشغال، علي باشا مبارك للمعارف والأوقاف.

فؤاد كرم، النظارات والوزارات المصرية، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ص ٧١-٧٨.

(١٢٥) Cromer, op. cit., pp. 50-53.

(١٢٦) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٧٢-٧٣.

(١٢٧) Cromer, op. cit., p. 56.

(١٢٨) أحمد عبد الرحيم مصطفي، مصر والمسألة المصرية ، ص ص ٧٢--٧٣.

(١٢٩) نفسه، ص ٧٤.

(١٣٠) Cromer, op. cit., pp. 58-63 .

(١٣١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٧٧-٨١.

(١٣٢) أحمد شفيق، المصدر السابق، جـ ١، ص ٩٠.

(١٣٣) طلعت إسماعيل رمضان، محمد شريف باشا ودوره في السياسة المصرية، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ٢٢٧-٢٤٤.

(١٣٤) تولي نوبار الرئاسة والخارجية والحقانية، وثابت للداخلية، ومصطفي فهمى للمالية، وعبدالقادر حلمي للحربية والبحرية، وعبد الرحمن رشدى للأشغال، ومحمود فلكي للمعارف العمومية.

فؤاد كرم، النظارات، ص ص ١٢٧ - ١٣٠.

(١٣٥) Milner, op. cit., pp. 73-7 .

(١٣٦) عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ١٢٠ - ١٢٣.

(١٣٧) Rae, op. cit., p. 304.

(١٣٨) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ٨٣.

(١٣٩) Milner. op. cit., pp. 91-92.

(١٤٠) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ٨٣.

(١٤١) عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، ص ص ٧٩-٨٥.

(١٤٢) Chafik. Ahmed. L'Egypte Moderne et les Influence Etrangeres. Le Caire, 1931, p. 155.

(١٤٣) Milner, op. cit., pp. 86-87.

(١٤٤) القاهرة، عدد ٦٥٥، الثلاثاء ١٨٨٨/٢/٢١.

(١٤٥) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية ، ص ص ٨٤-٨٥.

(١٤٦) Cromer, op. cit., p. 297.

(١٤٧) نشبت أزمة الحدود أثناء رحلة الخديو عباس حلمى الثانى إلى الوجه القبلي في يناير ١٨٩٤. فوصل إلى وادى حلفا يوم ١٨ يناير ١٨٩٤ وهناك عرض فرقة من الجيش المصرى كان يتولي قيادتها ضابط بريطاني، ولاحظ عباس نقصاً في نظام الجنود وتدريباتهم، فأبدى ملاحظاته في هذا الصدد إلي محمد ماهر باشا وكيل نظارة الحربية الذى كان يُرافقه في سياحته. ثم ندد بالجيش ونظامه، وذاعت هذه الملاحظات، فثارت ثائرة اللورد كيتشنر وعدها إهانة له. وجعل منها أزمة تتعلق بالكرامة الإنجليزية، فبادر بتقديم استقالته من منصبه، وأبلغ الأمر إلي كرومر الذى استشاط غضباً من مسلك الخديو، وأرسل إلي حكومته يستطلع رأيها فيما يجب عمله، فكان جوابها أن يُطالب الخديو إصدار أمره بشكر السردار وامتداح الضباط الإنجليز، وإبعاد ماهر باشا من منصبه، ومعنى هذا اعتذار الخديو عن ملاحظاته وبادر رياض

باشا رئيس النظار إلي نصح الخديو بالاعتذار والإذعان لمطالب الاحتلال. وانتهت الحادثة بالتسليم.

عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.

(١٤٨) تشكلت نظارة نوبار الثالثة من نوبار للرئاسة والداخلية، ومصطفي فهمى للحربية والبحرية، وحسين فخرى للأشغال والمعارف، وبطرس غالي للخارجية، وأحمد مظلوم للمالية، وإبراهيم فؤاد للحقانية.

فؤاد كرم، النظارات، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.

(١٤٩) كرومر، المصدر السابق، ص ص ٦٦-٦٧.

(١٥٠) عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل، ص ٣٢٩.

(١٥١) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ٩٦-٩٧.

(١٥٢) كرومر، المصدر السابق، ص ٦٧.

(١٥٣) المقياس، عدد ١٩ ، الأحد ١٨٩٥/١٢/٢٩.

(١٥٤) Nubar Pacha, op. cit., p. 94, 108, 211.

(١٥٥) Ibid., pp. 5-6, 74-77.

(١٥٦) Ibid., pp. 78-80.

(١٥٧) Ibid., pp. 143-145.

(١٥٨) Ibid., pp. 211-241.

(١٥٩) Ibid., pp. 535.

(١٦٠) مجموعة مراسلات بين إسماعيل ونوبار حول تأسيس المحاكم المختلطة مترجمة من الفرنسية إلي العربية في:

محافظ الأبحاث ، رقم ١١٥: ومجموعة أخرى نشرها إلياس الأيوبى في كتابه عن عصر إسماعيل، جـ ٢، ص ص ٥٣٨-٥٦٥.

(١٦١) محمد صبرى، تاريخ العصر الحديث، مصر من محمد علي إلي اليوم، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٣٠، ص ص ١٢٢-١٢٣، ١٤٤.

(١٦٢) طلعت إسماعيل رمضان، القضاء المصرى في ظل السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢، المنصورة، ١٩٩٠، ص ص ١٢-١٣: لطيفة محمد سالم، تاريخ القضاء المصرى الحديث، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٤٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١، ص ص ٧٤-٨٤، ١٠٦-١٠٩.

(١٦٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ٢١.

(١٦٤) طلعت إسماعيل رمضان، القضاء المصرى، ص ص ١٤-٢٠: لطيفة محمد سالم، المصدر السابق، ص ١١٦.

(١٦٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٦٥.

(١٦٦) چون مارلو ، المصدر السابق، ص ٣٦٣.

(١٦٧) أحمد شفيق، المصدر السابق، القسم الأول من الجزء الثانى، ص ١٩٧.

(١٦٨) Sabry, L'Empire Egyptien sous Ismail, p. 46.

(١٦٩) Chafik, op. cit., p. 155 .

(١٧٠) Nubar Pacha, op. cit., p. 391.

(١٧١) نجيب مخلوف، نوبار باشا وما تم علي يده، القاهرة، ١٩٠٤، ص ص ١٥-١٦.

(١٧٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ٦٥.

(١٧٣) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، الطبعة الثانية ، جزءان، مطبعة اللواء بمصر، بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

(١٧٤) إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ٨٢-٨٥، ٢٦١.

(١٧٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية ، ص ٨٠؛

Rac. op. cit., p. 304.

(١٧٦) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ١٦٤-١٦٥.

(١٧٧) نجيب مخلوف، المصدر السابق، ص ص ٦-٧.

(١٧٨) Nubar Pacha. op. cit., p. 478.

(١٧٩) Archarouni, Victoria, Nubar Pacha 1825-1899, Le Caire. 1960. pp. 223-233.

(١٨٠) مصطفي كامل، المصدر السابق، ص ص ٢٠٢-٢٠٦؛ أحمد شفيق، المصدر السابق، القسم الأول من الجزء الثاني، ص ١٩٥؛ البريد، عدد ٥١، الثلاثاء ١٨٩٥/٧/٢؛ الأهالي، عدد ١٣١، الاثنين ١٨٩٥/١١/١١.

(١٨١) نجيب مخلوف، المصدر السابق، ص ١٨٨؛

Archarouni, op. cit., 234-238.

(١٨٢) وأيضاً، أطلق اسم نوبار علي شارع في ميدان لاظوغلي، وعلي ترعة في مديرية التحرير، ومحطة سكة حديد طنطا، ونوع من القطن وحى كبير في شبرا الخيمة.

الإتحاد المصري، الخميس ١٨٩٠/٩/١٨.

(١٨٣) محمـــد عبده، المصدر السابق، ص ٧٠٤؛ إلياس الأيوبى، المصدر السابق، جـ ٢، ص ص ١٥٠-١٥١؛

توبوزيان، المصدر السابق، ص ٨٦.(بالأرمنية)

(١٨٤) الأهالي ، عدد ١٣٩، الإثنين ١٨٩٥/١٢/٩.

(١٨٥) Nubar Pacha, op. cit., pp. 83-84.

(١٨٦) Ibid., p. 280.

(١٨٧) Rac, op. cit., p. 304.

(١٨٨) Cromer, op. cit., p. 630.



الفصل السادس

الأرمن في المجتمع المصري

١- مجتمع الأرمن

٢- التعليم

٣- الصحافة

٤- الفنون

١- مجتمع الأرمن

يُمثل الأرمن في مصر نموذجاً من أنقي العائلات القوقازية الكبيرة، وتقرب ملامحهم من ملامح اليونانيين إلي حد كبير، ولكن هيئتهم تبدو أكثر كآبة وأجسادهم أكثر التفافاً، ووجوههم بيضاوية أكثر طولاً وعرضاً، وتعبيرات وجوههم أقل لطفاً وبشاشةً من اليونانيين مع لون أقل بياضاً، والنساء الأرمنيات جميلات للغاية. ولكن، السمنة الزائدة لديهن تفقدهن كثيراً من اللطف الطبيعي الذى يمتاز به جنسهن.(١) ويعيب الأرمني أنه منكمش علي نفسه، لا ثقة له بالغير، عصبى وعنيد.(٢) بيد أنه يمتاز بالمثابرة والاجتهاد(٣) وتقديس العمل. ويكفي دليلاً علي هذا، أن الأرمن قد اعتادوا علي العمل في يوم رأس السنة استبشاراً بحسن العمل خلال العام الذي مضى والذى سيأتى.(٤)

وينتمي الأرمن من الناحية القانونية إلي الطوائف الشرقية غير الإسلامية التي نزحت إلي مصر من المناطق التابعة للدولة العثمانية. وبذا، لا يُعد الأرمن «أجانب» لأنهم كالمصريين من رعايا الدولة العثمانية.(٥) ولكنهم كانوا معافين من الخدمة فى الجيش ويدفعون مقابل ذلك ما يُسمى بـ «البدلية العسكرية».(٦)

وينقسم الأرمن دينياً إلي : الأرمن الأرثوذكس، وهم أغلبية يخضعون لمطرانهم الخاص، والأرمن الكاثوليك، وهم أقلية يخضعون للسيادة الروحية لبابا روما. وباستثناء المتحدثين باللغة العربية، فهم يتشابهون في سماتهم وعاداتهم الاجتماعية مع أقرانهم في الدولة العثمانية. ورغم أن الخلاف بين الأرثوذكسية والكاثوليكية ضئيل ، إلا أن العداوة بين الأرمن كبيرة جداً. وجدير بالذكر أن بابا روما أصدر كثيراً من

المنشورات* علي صفحات الجرائد يُهنئ فيها الأرمن الذين تركوا كنيستهم الوطنية ودخلوا الكنيسة الكاثوليكية ويُحرض بقية الأرمن علي الاقتداء بهؤلاء الأشخاص. كما ثمة تأثيرات فرنسية تُلاحظ بوضوح علي الأرمن الكاثوليك.(٧)

وتجدر الإشارة إلي أن هناك طائفة أرمنية بروتستانتية قليلة جداً في مصر. ولذا، لم تكن لها كنائسها ومؤسساتها الخيرية. وكان الأرمن البروتستانت خلال عامى ١٨٦٠-١٨٦٥ يؤدون صلواتهم أيام الآحاد فى بيت بالقاهرة. وعندما ازداد عددهم نسبياً في عام ١٨٧٥ ذهبوا للصلاة في كنائس الأقباط. ثم امتنع معظمهم عن الصلاة في هذه الكنائس لجهلهم باللغة العربية التى تُقام بها شعائر صلاة الأقباط. ولكن، عندما تزايدوا بشكل كبير بعد مذابح عام ١٨٩٦ تعيَّن لهم، ولأول مرة، رئيساً يُنظم أحوالهم ويُقيم الصلاة هو إستيبان المرعشي في عام ١٨٩٦، وجاء بعده أريستاجيس تيكيان في عام ١٨٩٨.(٨)

ولم يكن للأرمن الكاثوليك رئيساً دينياً خاصاً بهم حتي عام ١٨٢٠ فبدأ رعاة الأرمن الكاثوليك بلبنان في إرسال قساوسة إلي مصر لمراعاة شئون طائفتهم وإقامة الطقوس الدينية بدلاً من الذهاب إلي الكنائس الكاثوليكية الأخرى. فأسس الأب سيروقبى أيقازيان كنيسة صغيرة في مصر القديمة في عام ١٨٣٢، ثم أسس الأب بارسيغ آقتاريان كنيسة بدرب الجنينة في عام ١٨٤١. ورغم المحاولات التى بذلها الأرمن الكاثوليك خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر للحصول علي تنظيم ملى معترف به من الحكومة المصرية، إلا أن ذلك لم يحدث آنئذ.(٩)

أما الأرمن الأرثوذكس فقد كانوا أكثر الطوائف الأرمنية تنظيماً.

فبعد التصديق علي الدستور الملى الأرمني بالأستانة في عام ١٨٦٣، صدرت أوامر بطريركية الأستانة إلي القاهرة بتشكيل مجلس يسير علي الدستور الأرمني.[١٠] وكان بالقاهرة «٢٢٣» أرمني لهم حق الانتخاب، وتم ترشيح «٢٧» شخصاً لاختيار تسعة منهم يُشكلون المجلس. كما تم تحديد موعد الانتخاب في يوم الأحد ١٢ أبريل ١٨٦٤ وأُرسلت خطابات إلي الناخبين.[١١] وفعلاً، حضر في يوم الأحد المذكور «١٣٣» ناخب. وأسفرت الانتخابات عن أول مجلس ملي أرمني في مصر ويتكون من : كريكور أفندي يغيايان وأزاريا أغا بدروسيان وشكيب أفندى نشانيان وكيڤورك بك رابائيليان وبوغوص أفندى جرابيديان وهوڤانيس أفندى بغداساريان وموڤسيس أغا أريجيان وخاتشير أفندى ميكائيليان. هذا، وقد أعلن الناجحون فور إعلان النتيجة أنهم سيُراعون أعمال الكنيسة والمدرسة والفقراء، وسيعملون علي حل المشكلات التي تنشب بين أفراد الجالية ، وسيُؤسسون صندوقاً لجمع الأموال التي ترد إلي الكنيسة من الضرائب والأطيان والأوقاف والتبرعات والإيجارات، وسوف يُعدون سجلات تحوى كل الأرمن الموجودين من كل الأعمار فضلاً عن تسجيل المواليد والزواج والوفيات. ولما كان هذا المجلس تحت إشراف المجالس السياسية والدينية في الأستانة، فهم علي استعداد دائماً لتقديم الحسابات والتقارير إليهم. وفي حالة حدوث مشكلة كبيرة بمصر تُرفع إلي مجلس الأستانة.[١٢] (أنظر ملحق رقم «١»)

وتنقسم مطرانية الأرمن الأرثوذكس في مصر إلي مطرانية القاهرة ومطرانية الإسكندرية، ولكل منهما جمعية عمومية تنتخب المجلسين الملي والروحانى للفصل في المسائل الدينية والأحوال الشخصية وسائر شئون

الطائفة، وكلتا الجمعيتان تُكونان جمعية عمومية بمثابة لجنة تشريعية للمطرانية لها الحق المطلق في انتخاب المطران أو عزله وفي تعديل اللوائح وغير ذلك. وتُوجد الرئاسة العُليا للأرمن الأرثوذكس في إيتشميادزين - المركز الروحى للأرمن في بلادهم.[١٣]

وينقسم الأرمن إلي شرائح اجتماعية لكل منها سماتها وتقاليدها. فتتبوأ الأرستقراطية الأرمنية - مثل عائلات يوسفيان ونوباريان وأبرويان وتشراكيان وحكيكيان ودميرچيان - قمة الهرم الاجتماعي. وتجدر الإشارة إلي أن هذه الأرستقراطية تندرج في شريحة الذوات أو أعيان (كبار ملاك الأراضي الزراعية) المجتمع المصرى وتتساوى معهم في الرتب والثروات والجاه.[١٤] ويذهب البعض إلي أن جذور عائلات يوسفيان وأبرويان ونوباريان تمتد إلي نواة واحدة هى أسرة بجرادونى Bagratides الملكية [١٥] التى هاجرت إلي أزمير بعد زوال حكمها في آنى.[١٦]

وفي الواقع كان للأرستقراطية الأرمنية تقاليدها المتأصلة التي أدت إلي توثيق العرى فيما بينهم بشدة. فقد احتفظت أسرتا أبرويان ونوباريان بذاكرة واعية لماضيهما الإقطاعي ساهمت في صياغة اتجاه أدوارهما الخاصة في الحياة. وسعت الأسرتان بعد زوال حكمهما وأملاكهما أن تستعيدا، عن طريق التجارة، الثروة والوضعية اللتين كانا قد اكتسباهما عن طريق الإقطاع. ورغم تلاشى وضعهما الطبقي كنبلاء، فقد ظلت الأسرتان متمسكتين بأصولهما النبيلة في الميلاد والتربية ومتشبثتين بالتقاليد الإقطاعية.[١٧]

وكذا، احتفظت الأرستقراطية الأرمنية بظاهرة «القيادة» التى تُوجه

شريحتهم وتُهيمن عليها. يصدق هذا علي بوغوص يوسفيان وأرتين تشراكيان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كما يصدق علي نوبار نوباريان وديكران آبرويان ويعقوب أرتين خلال النصف الثانى. ويُلاحظ وجود ظاهرة «التبنى الفكرى» بين الأرستقراطية الأرمنية. فمثلاً، تبنى بوغوص يوسفيان توجيه آل نوباريان فكرياً، وتبنى نوبار نوباريان توجيه آل أبرويان. ويدل استخدام هذه الشريحة لأسماء أجدادهم من القادة والزعماء المشهورين مثل نوبار وأراكيل وبوغوص وغيرهم علي رغبتهم في تخليد ذكراهم وطبيعة طموحاتهم المحفورة في نفوسهم التى يسعون إلي تحقيقها.[١٨]

ومما هو جديرٌ بالذكر هنا، أن أبناء هذه الشريحة قد تزاوجوا فيما بينهم للحفاظ علي تقاليدهم وتدعيم مكاسبهم الاقتصادية والاجتماعية. فقد تصاهرت، علي سبيل المثال، أسرتا تشراكيان وحكيكيان الكاثوليكيتين، وتزوج ديكران أبرويان الأرثوذكسى من زيبا ابنة نوبار نوباريان.[١٩] ورغم هذا، كانت تُثار بعض الأحقاد بين أبناء هذه الشريحة بسبب وصول بعضهم إلي مراكز حكومية مرموقة وعدم وصول آخرين، رغم كفاءتهم، إلي مثل هذه المراكز. فمثلاً، كان المهندس يوسف حكيكيان حزيناً بمرارة لأنه لم يتقلد منصباً مرموقاً كأقرانه الأرمن مثل أرتين تشراكيان وإسطفان دميرچيان ونوبار نوباريان. لذا، ظل يمتعض هؤلاء الأرمن معتبراً نفسه إنجليزياً لأنه تلقى تعليمه في إنجلترا.[٢٠]

هذا، وقد تلقت الأرستقراطية الأرمنية تعليمها في أوربا واصطبغت بأذواقها وثقافاتها. ورغم إجادة معظمهم اللغات الإنجليزية والإيطالية والألمانية وغيرها، إلا أنهم آثروا الحديث باللغة الفرنسية شأن طبقة

الأعيان في مصر. ويرجع هذا إلي تعلم معظمهم في فرنسا، ومن ثم، صبغوا حياتهم بالأذواق الفرنسية. فقد كان ديكران أبرويان علي سبيل المثال يُجيد اللغة الإنجليزية بطلاقة، لكنه آثر الحديث بالفرنسية التي كان يتحدث بها كالفرنسيين تماماً. كما كان مولعاً بقراءة الأدب الفرنسي أكثر من أى أدب أوربي آخر وشغوفاً باقتناء اللوحات النادرة للفنانين الفرنسيين.[٢١] ومما يُلفت النظر هنا، أن معظم أبناء هذه الشريحة كانوا لا يعرفون اللغة الأرمنية – لغة وطنهم الأم – كما لا يعرفون اللغة العربية، لغة الشعب المصرى الذى يعيشون في رحابه . يصدق هذا علي نوبار نوباريان وديكران أبرويان وغيرهما.[٢٢]

وقد كانت هذه الشريحة تعتقد أن مصر قادرةً عي التقدم بشكل مناسب شريطة أن تُترك لهم إدارتها. وينتقد ميلنر Milner وجهة نظرهم سلبياً لأنهم أقلية مسيحية في بلد مسلم وأن الحكومة تستخدمهم مجرد أدوات تنفيذية فقط.[٢٣] ويذهب كرومر معلقاً علي موقف ديكران آبرويان من السياسة الإنجليزية إلي أن المتمصرين كانوا أكثر من سواهم من فئات الشعب المصرى نقمةً وسخطاً علي السيادة البريطانية.[٢٤] وكذا، يشهد كرومر بأن الأرستقراطية الأرمنية، علي قلة أعدادها ، تُمثل صفوة عقلية في الشرق الأدنى.[٢٥]

وفعلاً، قامت هذه الشريحة بدور هام في الحياة المصرية بعامة وفي الحياة الأرمنية بخاصة. وتقلد أبناؤها أعلي المناصب الحكومية كما تبوأوا مكان الصدارة في الأرستقراطية المصرية وفي الجالية الأرمنية. وربما كان وصول أبناء هذه الشريحة إلي أعلي المناصب الحكومية وحصولهم علي أفخم الألقاب التشريفية بمثابة تعويض عن حكمهم

وأملاكهم اللذين فقداهما في موطنهم الأم قبل مجيئهم إلي مصر. ويُمكن القول بأن سلائل أمراء أرمينية قد أصبحوا باشوات في مصر.

وبعامة، كان معظم الأرمن يعيشون في مستوي لائق من البذخ الذى بدا منذ فترة مبكرة من القرن التاسع عشر حسبما يذكر الجبرتى مشيراً إلي الأرمن واليونانيين بقوله: «... فهم الآن أعيان الناس، يتقلدون المناصب، ويلبسون ثياب الأكابر، ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم وبأيديهم العصى يطردون الناس ويُفرجون لهم الطرقات، ويتسرون بالجواري بيضاً وحبوشاً، ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأغلي الأثمان، ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة علي البحر للنزاهة ومنهم من عمر له داراً وصرف عليها ألوفاً من الأكياس».(٢٦)

وتجدر الإشارة إلي أن منازل الأرمن الأثرياء كانت تحظى بكل مظاهر الفخامة والعظمة وتكتظ بالعبيد والخدم الذين تخصص كل منهم في عمل بعينه . فثمة الفراش الذى يُنظم المنزل ويُرتبه ، والسقاء الذى يُوفر المياه، والطباخ الذى يُعد الطعام، والقهوجي الذى يُحضر القهوة، والسايس الذى يرعى الحيوانات وغيرهم. فمثلاً، اكتظ منزل الخواجه الكسان ميساكيان – صراف القومبانية المصرية – بالعديد من الخدم مثل الحاج إبراهيم العربى وأحمد بن محمد وأحمد علي منصور وسليمان سليمان وأحمد سالم وقاسم محمد ومحمد عبد الله (السايس) وسعد محمد (سايس) وعبده يوسف (سايس) وأحمد سرور (سقا حريم) وغيرهم.(٢٧)

وفي حين كان معظم طبقة الحرفيين بمصر يعيشون في فقر وتقشف

ولا تزيد ممتلكاتهم عن غرفة بها حصيرة ووسادتين ومرتبة وبعض الحطام، كان الحرفيون الأرمن في مستوى معيشي أفضل من نظرائهم أبناء البلد. ويرجع هذا إلي وفرة ما يصنعونه وجودته الفائقة نتيجةً لنشاطهم وهمتهم وخبرتهم في أداء حرفهم منذ نعومة أظفارهم.[٢٨] وثمة دليل أثرى علي ارتفاع المستوى المعيشي للحرفيين الأرمن يبدو في هداياهم التى قدموها إلي كنائسهم. ففي عام ١٨١٨ أهدي الخياط مهديسى جرابيد كأساً ذهبياً إلى كنيسة القديس سركيس بالقاهرة، وأهدى الحداد مابيس فانوساً فضياً إلي كنيسة العذراء بـ «٢٢٨» درهم، كما أهدى الحداد هوڤانيس مصباحاً فضيا بـ «٢٦٣» درهم.[٢٩] وتبرع بعض الحرفيين بمبالغ كبيرة لتشييد كنيسة آسدڤادزادزين (العذراء) في عام ١٨٣٩ مثل الطباخ تاكڤور الذى تبرع بـ «٤٠٠٠» قرش وصانعى الأحذية في الجهادية الذين تبرعوا بـ «٢٥٠٠» قرش.[٣٠]

وتُوجد في سفح الهرم الاجتماعي الأرمنى شريحة من الفقراء الذين اعتمدوا فى حصولهم علي المال علي إعانات المجلس الملي والأثرياء الأرمن ومساعدة الحكومة المصرية. فتكتظ محاضر جلسات المجلس الملى الأرمنى بالعديد من قرارات الإعانة للفقراء مثل قراره في ١٧ أبريل ١٨٧٢ بمنح السيدة موڤسيس خمسة جنيهات شهرياً وقراره في ١١ أغسطس من نفس العام بمنح السيدة مينيشيه بشاريان خمسة فرنكات شهرياً وغيرهما.[٣١] وبناءً علي طلبات رعاة الأرمن، كانت الحكومة المصرية تُنعم علي فقراء الأرمن بالأموال والأطيان الزراعية والعقارات فضلاً عن الإعفاءات الضريبية وغيرها. ففى عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤) أحسنت الحكومة المصرية بخمسين جنيهاً لصالح فقراء الأرمن الكاثوليك.[٣٢] وبناءً علي طلب راعى الأرمن الأرثوذكس الأسقف

سوكياسيان، فقد وافقت الحكومة المصرية في عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٤) علي بناء سور حول مقابر الأرمن الفقراء بالإسكندرية.[٣٣] وفي عام ١٨٨٨ ألغت الحكومة الرسوم المفروضة علي الأوقاف التى تركها الخواجه هاجوب أشيكيان لصالح الفقراء بناءً علي طلب راعيهم.[٣٠] وبفضل مساعى ديكران آبرويان، وافقت الحكومة فى ٣١ يولية ١٨٨٩ علي إلغاء الرسوم المقررة على «١٢٣» فدان خراجية اشترتها الكنيسة فى بنى سويف لايقاف ريعها علي الفقراء.[٣٥]

هذا، وقد كان أبناء هذه الشريحة يثورون كثيراً ضد المجلس الملى والأثرياء مطالبين مزيداً من الإعانات. ففي خلال عامى ١٨٥٥ - ١٨٥٦ تصاعدت ثورتهم بدرجة دفعت الراعى الأول كبريل المرعشى إلى الاستنجاد بالحكومة المصرية التى أنعمت عليهم بـ «٤٠٠» فدان بناحية شربين تُخصص عوائدها للفقراء.[٣٦] وتجدر الإشارة إلي أن تحقيق مطالب هذه الشريحة قد ارتبط بمزاج الأثرياء وبطبيعة العلاقات القائمة بين طبقات الجالية. وجديرٌ بالذكر أن الأثرياء كانوا يستبدون بأمور الجالية ويُقلصون الحقوق المكفولة للفقراء ويضطهدون من يجرؤ علي المطالبة بحقه.[٣٧] وتُعلق الصحافة الأرمنية علي ذلك بقولها: «إن أعضاء المجلس الملي الأرمني في مصر يأمرون الناس كما يأمر الرجال الأفارقة زيجاتهم».[٣٨]

وأيضاً، تفشت بين الشرائح المتدنية من الأرمن بعض الأمراض الاجتماعية الناجمة عن الفقر مثل الخيانة الزوجية واللواط والزنا واللصوصية والمشاغبات وغيرها.[٣٩] كما كانت تنشب مشاجرات كثيرة بين أبناء هذه الشريحة من ناحية، وبينهم وبين رجال الدين والأثرياء الأرمن من ناحية أخرى.[٤٠]

أما الأرمن اللاجئون إلي مصر منذ بداية تسعينيات القرن التاسع عشر فقد تجمعوا بالمئات تحت الخيام والعشش في أفنية الكنائس والمدارس الأرمنية بالقاهرة والإسكندرية. وأُقيمت فى هذه الأماكن وفيما حولها وبالقرب منها كثير من المطاعم والمقاهى ومحال البقالة وبيع الدخان والحلاقة وغيرها لقضاء حاجات اللاجئين.[٤١]

فى ابتداء الأمر، قامت الكنيسة بتوفير حاجات اللاجئين من إيراد أملاكها وعقاراتها ثم ساعدتها «لجنة إعانة» مكونةً من عشرة أفراد من الأرمن الأثرياء الذين مانفكوا يُنظمون توزيع المساعدات ويُوفرون أعمالاً مناسبةً لبعض اللاجئين. وأيضاً قدمت إليهم مساعدات مالية وملابس وأحذية ووجبتين غذائيتين يومياً تشملان لحوم باستثناء يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع فقد قدمت إليهم وجبات خاصة بالصيام. وعينت اللجنة أيضاً طبيباً خاصاً وأعدت أجزاخانة لرعاية المرضى وتقديم الأدوية اللازمة إليهم بالمجان.[٤٢] كما صنع هؤلاء اللاجئون كثيراً من الأشغال اليدوية وعرضوها للبيع في ملجأ رودولف بالإسكندرية خلال يومى ٨-٩ من شهر ديسمبر ١٨٩٦ فاشتراها بعض الأثرياء الأرمن وغيرهم علي سبيل مساعدتهم.[٤٣]

بيد أنه مع بدايات عام ١٨٩٧ أخذت مساعدات لجنة الإعانة تتقلص رويداً رويداً، فأصبحت تُقدم للاجئين طبقاً واحداً فقط من الحساء وحوالي «١٠٠» جرام خبز يومياً، ثم أعطت خبزاً فقط، وأخيراً قطعت هذا الخبز أيضاً. أكثر من هذا، أنذرت اللجنة جموع اللاجئين بأن يُسارعوا في الابتعاد عن أفنية الكنائس والمدارس ويبحثوا عن حلول لمشاكلهم.[٤٤] وربما، يتماشى هذا منطقياً مع قرارات الحكومة ابتداءً

من يناير ١٨٩٧ «بترحيل الأرمن الذين لم يتيسر وجود شغل لهم إلي الأستانة العلية علي وابورات الحكومة المصرية بنصف أجرة».[٤٥] وفي حين كانت الحكومة المصرية تخشى من إيواء الأرمن اللاجئين علي علاقاتها بالسلطان العثماني، كانت لجنة الإعانة ووجهاء الأرمن يخشون علي علاقتهم ومصالحهم لدن الحكومة المصرية. ولهذا، تقلصت مساعدتهم بشكل ملحوظ إزاء الأرمن اللاجئين عندما أصدرت الحكومة المصرية قراراتها بترحيل الأرمن. وتصف بعض الصحف المعاصرة قرارات الحكومة المصرية إزاء الأرمن بأنها «... إجراءات لا تليق بحكومة حرة...».[٤٦]

وثمة ملاحظة مؤداها ارتفاع معدل حالات الزواج بين الأرمن في مصر خلال التسعينيات علي أثر تزايد هجرة اللاجئين. فمثلاً، ازدادت حالات الزواج داخل الطائفة الأرثوذكسية من أربع حالات خلال عام ١٨٩٢ إلي ثلاث عشرة حالة خلال عام ١٨٩٤ ، ثم عشرين حالة خلال عام ١٨٩٦ فثلاثين حالة خلال عام ١٨٩٨.[٤٧] ويرجع هذا إلي تزايد عدد الأرمن بعامة أنئذ ناهيك عن رغبة بعض اللاجئين بلا زيجات، فى الزواج والاستقرار بمصر حفاظاً على هويتهم وتقاليدهم.

وقد نجم تلقائياً عن ازدياد حالات الزواج ازدياد فى أعداد المواليد بين الأرمن. فقد ازداد عدد مواليد الجنسين بين الأرمن الأرثوذكس من أربعة وثلاثين مولوداً خلال عام ١٨٩٢ إلي تسعة وثلاثين مولوداً خلال عام ١٨٩٤، ثم إلي ثمانية وأربعين مولوداً خلال عام ١٨٩٦، ثم إلي خمسة وتسعين مولوداً خلال عام ١٨٩٨.[٤٨] وتدل زيادة أعداد المواليد بين الأرمن علي ارتفاع معدل خصوبتهم مما يُؤدى إلي زيادة التراكم

العددى في قاعدة هرمهم السكانى واتساعه وظهور ما يُعرف ديموجرافياً بـ «ظاهرة التجديد» (الإشباب) Rejuvenation[٤٩] التى سوف تنعكس طبيعياً على معدلات النمو السكانى الأرمني في مصر.

وأيضاً، واكب اتساع قاعدة الهرم السكانى الأرمنى ضيق في القمة بزيادة أعداد الوفيات بين كبار السن، فقد ازداد عدد الوفيات بين الأرمن الأرثوذكس من سبع وثلاثين حالة خلال عام ١٨٩٣ إلي خمسٍ وأربعين حالة خلال عام ١٨٩٤، ثم إلي تسعٍ وأربعين حالة خلال عام ١٨٩٦، ثم إلي خمسٍ وثمانين حالة خلال عام ١٨٩٨.[٥٠] ويُرجح أن أغلب المتوفين كانوا من الأرمن اللاجئين الذين اعتلت صحتهم أثر مشقات رحلة الهروب مع قلة النظافة وسوء التغذية.

وجديرٌ بالذكر أنه كان للأرمن خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر بعض المؤسسات الخيرية مثل «الجمعية الخيرية الأرمنية». ففي عام ١٨٨٦ أسس بعض وُجهاء الأرمن الكاثوليك هذه الجمعية أمام المحكمة المختلطة بحى الأزبكية في القاهرة. ويأتى علي رأس هؤلاء الوجهاء يعقوب أرتين باشا، والسيدة تاكوهى حكيكيان، وتيتو باشا حكيكيان ونخلة بك صالح ويعقوب أفندي فرحيان وغيرهم.[٥١] وقد وضع الأعضاء لائحة الجمعية في أربعة وخمسين بنداً وعرضوها علي مطران الأرمن الكاثوليك برناباس أكشهيرليان الذى رفضها خشية أن تدخل أملاك الكنيسة تحت سيطرة الجمعية. وعبثاً، حاول أعضاء الجمعية إقناع المطران بأنهم لا يرمون إلي هذا الهدف. بيد أن الأعضاء كانوا متحمسين بشدة لمشروع الجمعية فطبعوا لائحة الجمعية باللغة العربية ووزعوها علي الأرمن. ولم تمض فترة وجيزة حتى ازداد عدد الأعضاء

إلي أربعين شخصاً. ومابرحت الجمعية تُزاول نشاطها بعيداً عن الكنيسة التي أشاحت بوجهها عن تقديم أية مساعدات للجمعية. وقد منحت هذه الجمعية فقراء الأرمن الأموال والأرز والدقيق واللحوم والملابس المتنوعة في المناسبات والأعياد.(٥٢)

ولم يقتصر أعضاء هذه الجمعية علي الأرمن في مصر فقط، بل انضم إليها بعض الأرمن فى مناطق أخرى وساهموا في نشاطاتها. فمثلاً، جمع الخواجه إستيبان - أحد أعضاء الجمعية بمصوع - «٨١٥» فرنك من أهل البر والإحسان هناك لصالح الفقراء الذين ترعاهم الجمعية الخيرية الأرمنية بالقاهرة.(٥٣) كما كانت هذه الجمعية تلقى دعماً مالياً من الحكومة المصرية التي ترمى إلي تنشيط المشروعات الخيرية. فمثلاً، أنعم الخديو عباس حلمي الثانى في فبراير ١٨٩٤ بأربعين جنيهاً علي الجمعية الخيرية الأرمنية.(٥٤)

هذا، وقد أقامت الجمعية الخيرية الأرمنية العديد من الحفلات الفنية وخصصت إيراداتها لتلبية احتياجات الفقراء الأرمن فى مصر. فعلي سبيل المثال، أقامت في يوم الخميس ١٧ مارس ١٨٨٧ حفلاً موسيقياً راقصاً بدار الأوبرا الخديوية حضره الخديو توفيق وحرمه وحاشيته ونواب الدول الأوربية وعشرون سيدة من سيدات الطبقة الراقية من بينهن: زوجة إڤلن بارنج (كرومر) - المعتمد البريطانى في مصر - وزوجة القنصل الفرنسى في مصر وغيرهن فضلاً عن كثير من الأعيان ذوى الوجاهة والاحترام. ولما كان إيراد هذا الحفل مخصصاً لفقراء الأرمن، فقد تعهدت زوجة كرومر ببيع الشاى فجمعت «٩٠٠» فرنك وتعهدت ڤوليك هانم زوجة نوبار باشا ببيع القهوة فجمعت «٨٠٠» فرنك

وتعهدت زيبا زوجة ديكران أبرويان ببيع الشربات فجمعت «١٢٠٠» فرنك. و قد بلغ إجمالي إيراد هذا الحفل «١٥٠٠» جنيه وهو مبلغ ضخم لم تجمعه أية جمعية في مصر أنذاك.(٥٥) وتجدر الإشارة إلي أن هذه الحفلات الفنية - الخيرية لم تكن قاصرةً علي القاهرة فحسب، بل أُقيمت مثيلاتها في الإسكندرية أيضاً. فمثلاً، أقامت الجمعية الخيرية الأرمنية في يوم الخميس ١٨ فبراير ١٨٩٧ حفلاً فنياً بمسرح عباس حلمي بالإسكندرية استعرضت خلاله شركة التمثيل العربى رواية «صلاح الدين الأيوبى» بالمجان علي أن يُقدم إيرادها لصالح فقراء الأرمن.(٥٦)

وكذا، اعتادت الجمعية أن تحتفل سنوياً بمناسبة تصديق الحكومة العثمانية علي «نظامنامة الملة الأرمنية» في عام ١٨٦٢. فقد أقامت الجمعية، علي سبيل المثال، في يوم الأحد ١٢ يونية ١٨٨٨ حفلاً بهذه المناسبة في مقر قهوتها بالأزبكية امتد منذ الساعة الثالثة بعد الظهر حتى مطلع فجر اليوم التالى. وقد أرسل الخديو توفيق فرقة الموسيقى الأميرية للاشتراك في هذا الحفل الذى اشتمل أيضاً على أغان باللغات الأرمنية والتركية والعربية فضلاً عن مختلف الألعاب النارية والبهلوانية. وأثنى الحاضرون علي كفاءة اللجنة المنظمة وهمتها واتقانها لعملها وجاذبية برنامجها.(٥٧)

أما علاقات الأرمن بالعناصر المختلفة الموجودة فى المجتمع المصرى، فقد اختلفت من عنصر إلي آخر حسب سياسة الدولة إزاء هذه العناصر ووضعية الأرمن فى مصر ناهيك عن مصالحهم الذاتية.

بالنسبة لعلاقات الأرمن بالأتراك العثمانيين في مصر، فقد ارتبطت بوضعية الأرمن في الدولة العثمانية وقيامهم بدور مؤثر في حكومة

الأستانة دعا كلوت بك إلي وصفه قائلاً: «... والباحثُ في أحوال بلاد الدولة العلية يُخيل له أن السلطة العثمانية أصبحت بين الأتراك والأرمن ملكاً مشاعاً يستقل هؤلاء بالنصف من خيراتها». وتجدر الإشارة إلي أن الأرمن قد اعتادوا ملازمة الأتراك في انتقالهم من مكان إلي آخر. وبذا، جاء كثير منهم إلي مصر.[٥٨] ولذا، كان كبار الأرمن الذين هاجروا إلي مصر من الدولة العثمانية يعدون أنفسهم من الطبقة الحاكمة مما جعلهم يحتلون وضعاً فريداً بين الأقليات غير الإسلامية.[٥٩] ورغم أن البعض قد وصف علاقة الأرمن بالأتراك بأنها كانت علي وفاقٍ تام[٦٠]، إلا أن البعض الآخر قد ذهب إلي أن الأتراك كانوا ينظرون إلي الأرمن بعين العجرفة والصلف والكبرياء والسمو.[٦١]

ويذهب كرومر إلي أن الأرمني كان لا يستطيع في وجود باشا تركي أن ينس أنه رعية مسيحية وأن التركي هو حاكمه المستبد حتى عندما تأزمت العلاقات الأرمنية العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ويُؤكد كرومر ما ذهب إليه بملاحظة أرمني من الطبقة الوسطى يدخل حجرة باشا تركي. فعندما يصل الأرمني إلى باب الحجرة، يُكثر من تقديم انحناءات الاحترام بكل خشوع. ثم يُشير إليه الباشا باحتقار ليجلس، دون أن ينهض من مقعده، بيد أن الأرمني لا يفعل هذا في الحال، بل يضع يديه متشابكتين أمام جسده، ويرمي ببصره إلي الأرض، ويمشي بجوار الحائط خجلاً أو يُحاول أن يتقدم تدريجياً دون أن يرفع قدميه عن الأرض، ويجلس ببطء شديد علي حافة الكرسي أو الكنبه، ويضم ركبتيه أمامه ، ويضع يديه متشابكتين على صدره، ويظل في هذا الوضع الذليل حتى يُوافق الباشا المتغطرس علي أن يُوجه إليه كلمات قلائل. ويُشير كرومر إلي أن الأرمني المتعلم أو ذي المكانة العالية

لا يُؤدى كل هذه الحركات التى تُشبه البانتومايم (التمثيل الصامت). كما يُشير كرومر إلي أن الأجيال الجديدة من الأرمن كانت أقل خضوعاً للأتراك عن آبائهم وأجدادهم.(٦٢)

بيد أن علاقات الأرمن بالأتراك العثمانيين فى مصر قد اتخذت طابعاً عدائياً صارخاً خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر أثر اندلاع الثورة الأرمنية وإقامة المذابح. وباستثناء شريحة الموظفين التى آثرت دوام علاقات حسنة مع الحكومة المصرية والأتراك حفاظاً علي وظائفها وأوضاعها(٦٣)، طفقت شرائح الأرمن الأخرى تُناصب الأتراك عداءً وصل إلي حد قتلهم. فمثلاً، قتل أرمنى چاويشاً تركياً جهة الموسكى في أبريل ١٨٩٥ فحُكم عليه بالاعدام. ورغم التماس نحو ألفى مسيحى إلي الحكومة المصرية بالعفو عنه إلا أن الخديو عباس رفض التماسهم ونُفذ الإعدام في ٢٨ أبريل ١٨٩٥. وفى ٣ مايو ١٨٩٥ احتفل الأرمن باقامة صلاة على روح الجانى الأرمنى، ثم توجهوا بعد الصلاة إلي مدفنه ووضعوا عليه أكاليل الزهور وخطبوا بالأرمنية والفرنسية بما يعنى أنهم لا يعدونه آثماً بل شهيداً في المسألة الأرمنية.(٦٤) كما قتل أرمنيان جندياً تركياً بالقاهرة فى سبتمبر ١٨٩٥، وقد وكَّل وجهاء الأرمن المحامى المشهور آنئذ يوسف أفندى آصاف أمام المحاكم الأهلية للدفاع عنه.(٦٥) ورغم هذا، أصدرت محكمة مصر الابتدائية الأهلية حكمها بالإعدام شنقاً علي هذين الأرمنيين القاتلين. وعبثاً ، استأنف المتهمان هذا الحكم.(٦٦)

وإضافةً إلي حوادث القتل، شرع كثير من شباب الأرمن في التنديد بالأتراك عن طريق الأدب والفن. فمثلاً، قدمت جمعية من شباب الأرمن

في الإسكندرية رواية يدور موضوعها حول هجوم أفراد حزب الطاشناق علي البنك العثماني بالأستانة في عام ١٨٩٦. بيد أن الحكومة المصرية قد منعتهم خوفاً علي علاقاتها بالسلطان.(٦٧)

أما العلاقات بين الأرمن واليونانيين فقد كانت سيئةً جداً بسبب النزاع التقليدي بين كنيستهما الوطنيتين المتشددتين ناهيك عن منافستهما اقتصادياً. وتجدر الإشارة إلي نشوب العديد من المشكلات والمنازعات بين الأرمن واليونانيين في مصر وجميع أنحاء الدولة العثمانية حول المسائل الدينية. من ذلك نزاعهما ، علي سبيل المثال، حول ترميم كنيسة القيامة في القدس سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٥).(٦٨) ونظراً لكثرة هذه المنازعات وتنوع أسبابها فمابرحت الحكومة العثمانية تُصدر أوامرها « ... بمنع التداخل الواقع من بطاركة وأساقفة الروم الكاثوليك والأرمن ضد كنائس بعضهم وردع من يعتنق من أفراد تلك الطوائف مذهباً آخر وتبديل هيئة البطاركة والأساقفة إلي مثل ما حصل في دار السعادة وعدم امتياز بعضهم علي بعض».(٦٩)

هذا، ولم تقتصر هذه المنازعات حول المسائل الدينية فحسب، بل امتدت أيضاً إلي المسائل الشخصية. فقد نشب النزاع بين الخواجه يغيازار الأرمني - كبير صيارفة الخزينة - وأحد كبار التجار اليونانيين حول الزواج من فتاة نصرانية، ثم تصاعد نزاعهما إلي محمد علي الذى أمر بترك الحرية للفتاة كي تختار الشخص الذى تُريده.(٧٠) وكذا، أُصيب الثرى عبد الله أيقاز الأرمني الكاثوليكى بمرض عقلى مما دعا أسرته إلي توكيل مسيو عبده ديمترى الثرى اليونانى لمباشرة ثروته. بيد أن هذا قد أثار الأرمن الذين ناشدوا الحكومة المصرية بتشكيل مجلس

من الأرمن أو المسلمين لمباشرة الثروة بدلاً من عبده ديمترى اليونانى لأنه ليس من جنسهم ولا على ملتهم وسوف يُسبب توكيله استعار نيران البغضاء والعداوة في قلوب الأرمن.[٧١]

أما علاقات الأرمن باليهود فقد اتسمت بالمنافسة الاقتصادية حينما سيطر الصيارفة الأرمن نسبياً علي النشاط المصرفى الحكومى وغيره خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ونشط اليهود نسبياً خلال النصف الثانى باحتكارهم الصيرفة والبنوك وصناعة الأقمشة وغير ذلك.[٧٢] وكذا، قلق الأرمن خاصةً من بداية حكم سعيد (١٨٥٤-١٨٦٣) من تدفق العناصر الأوربية التى كانت تهدف إلى الكسب السريع بأى ثمن ناهيك أن الأوربيين كانوا مصدر تهديد للأرمن لما يتسمون به من همة ونشاط وكفاءة. هذا، وقد كان الأرمن يُدركون أن كل زيادة في نفوذ هذه العناصر تعنى إضعاف شأنهم.[٧٣]

وقد اتسمت العلاقات بين الأرمن والأقباط بالود إلي حد كبير، ولذا، كان مطران الأرمن في مصر يُساهم أحياناً فى تعيين وانتخاب بعض قساوسة الكنيسة القبطية ورهبانها فضلاً عن البت فى بعض مشكلاتها. فقد أصدر كتخدا باشا أمراً إلي القمص روفائيل رئيس دير ابشواى بمديرية الفيوم وبنى سويف في ٢٨ ذى الحجة ١٢٦٨ هـ (١٨٥٢) للاستعانة بمطران الأرمن في انتخاب بطريرك الأقباط.[٧٤] وكذا، أمر بارسال عبد الملك الهورى رئيس دير السيدة بالمخزن إلي مطران الأرمن لأجل انتخاب بطريرك للأقباط.[٧٥]

وكان مطران الأرمن يتدخل فى بعض الأحيان لحل مشكلات الطائفة القبطية خاصةً فيما يتعلق بطريقة تنصيب بطاركتهم. فمثلاً، ثار

الأساقفة بمصر في عام ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣) بسبب انتخاب بطريركهم علي غير القواعد المتبعة في ملتهم مما دعا الحكومة إلي مطالبة مطران الأرمن بالتـدخل لحل هذه المشكلة.(٧٦) وأيضـاً، كـان مطران الأرمن يتدخل لحل بعض المشكلات الخاصة بالأقباط . من ذلك علي سبيل المثال أن شنودة القبطى قد استولي علي قطعة أرض بالإسكندرية من أملاك عارف بك مدير الشرقية وباعها بادعاء أنها من أوقاف كنيسة الأقباط مما ترتب عنه نشوب أزمة بين عارف بك وشنودة القبطى. ثم أُحيلت هذه القضية إلي مطران الأرمن للتحقيق فيها وإجراء اللازم وتبليغ الحكومة ما ستُسفر عنه التحقيقات.(٧٧)

وجديرٌ بالذكر أن بعض الأقباط قد تركوا كنيستهم ودخلوا فى اختصاص كنيسة الأرمن. وربما، يرجع هذا إلي رغبتهم في الاستفادة من المزايا الاقتصادية التي يتمتع بها الأرمن وكنيستهم فى مصر. فمثلاً، تقدم إلي المجلس الملى الأرمنى القبطيان جرجس عبد الملك ومارجوس بن ملك وأسرتهما من الإسكندرية بطلب الدخول في اختصاص كنيسة الأرمن والتحول إلى الهوية الأرمنية. وقد وافق المجلس علي طلبهما شريطة أن يظلوا شرفاء.(٧٨) بيد أن بعض الأقباط قد استغلوا عملية التحول من كنيستهم إلي الكنيسة الأرمنية للاستفادة المادية. فقد احتال رجل قبطى من جهات الصعيد علي مطرانية الأرمن الأرثوذكس بقصد أن ينال منها عشرة جنيهات. ولكن، بطريقة غير خارجة عن حد شرف النفس. فأقبل علي المطرانية يحمل خطاباً فيه: «بما أننى أحبُ من صميم الفؤاد أن أترك الديانة القبطية وأتشرف بالدخول في الديانة الأرمنية فأرجو تفهيم ولدي عمَّا يجب علىَّ إجراؤه

لتشريفي باتمام مقصدى. وعلى سبيل الهدية برسم فقراء الملة الأرمنية قد أرسلتُ مع ولدى المذكور «١٠٠» أردب قمح و «١٥» أردب عدس وخمسة قناطير مسلى فالتمس قبولها على حقارتها. وثقوا بأننى في كل سنة أُرسل برسم فقرائكم هدية مثل هذه لأنى قطعتُ هذه الهدايا عن بطركخانة الأقباط وقررتُ جعلها برسم بطركخانتكم من الآن فصاعداً».
وبعد أن قرأ رئيس المطرانية هذا الخطاب أخذه العجب من إرسال هذه الهدية دون معرفة سابقة بهذا القبطى. وقد طلب القبطى منه عشرة جنيهات ليدفع منها عوائد الدخولية وبعض مصروفات ووعده باعادتها إليه فور وصول نقود له من والده. غير أن رئيس المطرانية قد لاحظ أن في الأمر ضميراً مستتراً وأبى أن يُسلمه المبلغ المذكور، فخرج القبطى المحتال صفر اليدين.[٧٩]

ولم تكن ثمة علاقات ودية بين الأرمن والمصريين المسلمين خلال القرن التاسع عشر. فقد كان الأرمن ينظرون إلي المصريين بعين العجرفة والصلف ويتظاهرون بالكبرياء عليهم كما كانوا يتحاشون مخالطتهم ويتقون لقاءهم.[٨٠] أما المصريون فقد امتعضوا كثيراً من الأرمن الذين استوطنوا بلدهم واستفادوا من اقتصاده. وكذا، حطمت السياسة الاجتماعية الحرة لمحمد علي البناء الطبقي فى مصر. فبدأ المسيحيون، وعلي رأسهم الأرمن، يُقيمون بمحاذاة النيل في المساكن المشيدة حديثاً آنئذ. ولم يكترث الأرمن بقواعد ملابس النصارى وحملوا الأسلحة النارية. ولذا، فقد ثار المسلمون مما دعا محمد علي في عام ١٨١٧ إلي أن يأمر المسيحيين بأن يعودوا إلي ارتداء العمامات الزرقاء ولا يركبوا الأحصنة والبغال. ومما أثار المصريون ضد الأرمن أن الآخيرين قد اصطفوا في الشوارع يرتدون ملابس زاهية ويحرسهم الخدم الذين

يُطهرون الشارع العمومى من الحشود بهرواتهم. وفي عام ١٨٢٠ أدى تشييد مبان جديدة في سوق خان الخليلى لتُؤجر للأرمن واليونانيين كمحلات ومستودعات إلي أزمة إسكان وارتفاع في أجور العمال.[٨١] وأيضاً، امتلك الأرمن خلال حكم محمد علي ثروات فاحشة وأراض وعبيد وتبوأوا أعلي المناصب ونالوا أفخم الألقاب.[٨٢]

وقد ظل المصريون يمتعضون الأرمن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما يتضح جلياً من اعتدائهم عليهم ونهبهم وسلبهم إبان أحداث الثورة العربية.[٨٣] وظل الموظفون (مسلمون وأقباط) يُناصبون الأرمن الموظفين في الجهاز الحكومي المصرى عداءً شديداً ويسعون في إزاحتهم عن مناصبهم.[٨٤] وبعامة، كان معظم المصريين يبغضون الأرمن لأنهم يبتزون أموالهم بوسائل الخديعة، ويُفضلون الأوربيين علي الأرمن لأنهم يرون فيهم سنداً يعتمدون عليه في وقت الحاجة.[٨٥]

ثم، تصاعدت كراهية المصريين للأرمن عندما ثار الأخيرون ضد السلطان العثمانى. وانبرت بعض الصحف المعاصرة تُهاجم «فئة الأرمن الذين يقطنون مصر ويتمتعون بالرفاهية والراحة في ظل الدولة العلية ويأكلون عيش المصريين ثم يُساعدون أعداء دار خلافتهم علي ما هم عليه من الثورات والأمور الممقوتة».[٨٦] وأيضاً، وصفت الأرمن بأنهم «قوم جاءوا إلي مصرنا لاستدار خيرها، وكانوا قد حضروا إليها صائعين لا درهم ولا دينار فأصبحوا ذوات ثروة ويسار احترفوا بحرفة المخانجية وبيع الحشيش وتهريب التنباك والدخان وغيره. وبهذه الوسيلة استحوذوا علي أموال المصريين غنيمة باردة. وهم عاثين فساداً في جميع أنحاء القطر... وكل هذا نتيجة إهمال رجال مصلحة خفر

السواحل وتغافلهم عن تهريبها. فنرجو من أولياء الأمر التنبه بشدة الانتباه ونطلب إلي إخواننا المصريين نبذ مبيوعات هذه الطائفة الغادرة عملاً بطاعة أمير المؤمنين».(٨٧)

بيد أن ثمة فئة ضئيلة جداً من المصريين أخذت منذ قُبيل نهاية القرن التاسع عشر تدعو المصريين إلي نبذ التعصب الجنسي والدينى بين المصريين والأرمن.(٨٨) وأيضاً، ذهب بعض الأرمن إلي أن «مصر هى الدولة الوحيدة في ظل الظروف السياسية المحيطة بالشعب الأرمني التى كنا نستطيع أن نعيش فيها حياة أرمنية كاملة، حياة بمدرستها وصحافتها ومسرحها ومؤسساتها المختلفة».(٨٩)

وأخيراً، لم تنقطع الصلة بين الأرمن في مصر وموطنهم الأم علي امتداد القرن التاسع عشر. وقد تمثلت مظاهر هذه الصلة في إنشاء أرمن مصر الأثرياء المدارس بمواطنهم الأم وإنفاقهم علي التلاميذ والتبرع للمؤسسات التى تخدم التعليم فضلاً عن نشر الكتب القومية. ولتأكيد هذا يُمكن ذكر بعض الأمثلة. فقد تبرع نوبار باشا بـ «٤٠٠٠» جنيه من إجمالى المصاريف البالغة «٥٠٠٠» جنيه لتأسيس مدرسة «شاهنزاريان» بالأستانة.(٩٠) وأسس تاكفور باشا هاجوبيان علي نفقته الخاصة مدرسة «تاروهيان» بأزمير - موطنه الأم - تخليداً لذكرى ابنته تاروهى التي توفيت في ريعان شبابها.(٩١) وكذا، تبرع التاجر الثرى بوغوص جرابيديان بـ «٢٠٠» جنيه ذهب سنوياً لصالح مدرسة «اولينا» ببلدة زيتون - موطنه الأصلى - لتغطية جميع نفقات المدرسة.(٩٢) وفي عام ١٨٩٨ أسس جرابيد ميلكونيان - صاحب مصانع ميلكونيان

للسجائر - صندوقاً لجمع أية تبرعات لإرسالها إلي مدرسة «آراميان» بقيصرية - موطنه الأصلى.[٩٣]

وجدير بالذكر أنه قد تأسست في عام ١٨٤١ بأزمير جمعية «سونياتس»، وهى أول جمعية أرمنية تؤسس لخدمة التعليم الأرمنى في الولايات الأرمنية الست. وتهدف هذه الجمعية إلي الاهتمام بالتربية والتعليم ونهضة القرى. كما أن سونياتس هى الجمعية الأرمنية الوحيدة التي كان لها أعضاء فى جميع أنحاء العالم.[٩٤] وقد اشترك الكثيرون من أرمن مصر الأثرياء فى تدعيم هذه الجمعية مالياً مثل : إستيبان آبرويان - والد ديكران باشا - والأخوين الصرافين يعقوب والكسان ميساكيان والطبيب إستيبان كيڤوركيان والتاجر جرابيد أغا كالوسديان وغيرهم.[٩٥] ويُعد نشر الكتب القومية والتعليمية والثقافية من الأمور التى اهتم بها الأرمن الأثرياء في مصر لتنمية الروح الوطنية ونشر الثقافة بين الأرمن. فقد ترجم الأب شخشخيان المخيطارى رواية «مغامرات تيليماك» للكاتب الفرنسى ڤينيلون من الفرنسية إلي الأرمنية وتم نشرها علي نفقة بوغوص بك يوسفيان في عام ١٨٢٦ . وكلف نوبار باشا المستشرق الفرنسى ڤيكتور لانجلوا بترجمة أمهات الكتب الأرمنية القديمة إلي اللغة الفرنسية علي نفقته الخاصة ليُساعد بذلك الدارسين عن أرمينية في أوربا.[٩٦] ونشر التاجر الثرى هاجوب آشيكيان علي نفقته عدداً كبيراً من الكتب القومية مثل كتاب «حرب ڤارتان» للكاتب يغيشيه، وكتاب «التعليم التركى للأرمن باللغة الأرمنية» وكتاب «تربية الأطفال والشباب» وغير ذلك. وفي عام ١٨٩٠ نشر آبراهام باشا بارتوغ - من كبار الملاك - كتاب «تاريخ القدس» للأسقف أسادور دير هوڤانيسيان علي نفقته الخاصة.[٩٧]

وأيضـاً، كـان الأرمن الأثرياء في مـصـر يُسـاعـدون الأرمن الذين يتعرضـون لأزمات مادية أو يُصابون بأضرار ناجمة عن كوارث طبيعية . وكذا، مسـاعدة الأرمن الذين تعرضـوا للإيذاء بسبب المذابح. ففى عام ١٨٨٠ ترأس تاكفور باشا هاجوبيان حملة لجمع التبرعات بالإسكندرية لإعانة الأرمن المنكوبين في الولايات الأرمنية العثمانية بسبب انتشار المجاعـات هناك. وقـد تم جـمع «٨٠٦» جنيـه أُرسلت إلى بطريركـيـة الأستانة لتوزيعها علي المحتاجين.[٩٨] وعندما احترقت قرية أرسلان بك في أوائل عـام ١٨٨٧، وهى قـرية بـهـا «٤٥٠» بيت وسكانـهـا حـوالى «٢٠٠٠» أرمنى، حيث أُصـيبـوا بنكبة كـبيـرة ترأس تاكـفـور باشـا هاجوبيان لجنة لجمع التبرعات في مصر لمساعدتهم.[٩٩] وتبرع نوبار باشـا بـ «٤٠٠» جنيه لإعانة المنكوبين في ساسـون بسبب المذابح.[١٠٠] وتشكلت لجنة من وجهاء الأرمن تجمع التبرعات لمساعدة المنكوبين من جراء المذابح، وكانت هذه التبرعات تُرسل تباعاً إلي البطريرك الأرمنى بالأستانة ماتيوس أزميرليان ليُوزعها على المحتاجين عن طريق المسيو جوسير مدير بنك الأنجلو إچيبشيان.[١٠١]



٢- التعليم

كانت الجالية الأرمنية أولى الجاليات سبقاً إلي إنشاء المدارس أثناء حكم محمد علي. ويرجع هذا إلي مكانتهم المؤثرة في البلاط وتوليهم عدة مناصب عالية أهلتهم لنيل حظوة محمد علي ورعايته.[١٠٢] فضلاً عن اهتمام الأرمن بالتعليم عموماً كوسيلة للحفاظ على هويتهم ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم.[١٠٢]

وتجدر الإشارة إلي أن أول مدرسة أرمنية في مصر قد تأسست في عام ١٨٢٨ بجوار كنيسة القديس سركيس في حارة زويلة بالقاهرة. وقد سُميت مدرسة «يغيازاريان» تخليداً لذكرى يغيازار أميرا بدروسيان - كبير صيارفة محمد على - الذى تبرع بجميع نفقاتها. وتُعد يغيازاريان من المدارس البدائية التى تكونت في الغالب من فصلين أو ثلاثة بالكاد، وتضم عدداً ضئيلاً من الأطفال الذين يدرسون اللاهوت واللغة الأرمنية بشكل أساسى على أيدي القساوسة المنتدبين من القدس والأستانة وأزمير.[١٠٤] وفي ١٥ سبتمبر ١٨٥٤ استُبدلت بمدرسة يغيازاريان مدرسة أحدث مكونة من طابقين سُميت مدرسة «خورينيان» نسبة إلي المؤرخ الأرمنى موسى خورين (موفسيس خوريناتسى)[١٠٥]، وقد شُيدت بجوار كنيسة العذراء فى درب الجنينة. وفى مايو ١٨٩٧ انتقلت إلي بولاق وتغير اسمها إلي مدرسة «كالوسديان» نسبة إلي التاجر جرابيد كالوسديان الذى أوقف معظم ثروته لخدمة التعليم.[١٠٦]

ويُرجح بأن مدرسة «آراميان» الواقعة في حي مطرق (ميدان كانتو) بالإسكندرية قد تأسست في أربعينيات القرن التاسع عشر التي شهدت نمو الجالية الأرمنية وازدهارها بالإسكندرية. ولكن، ظلت الدراسة غير منتظمة بها حتى أوائل الخمسينيات عندما تقلد إدارتها كل من كبريل ميسروبيان وغوجاس ماموريان وغازاروس كاسباريان فنظموها وطوروها.(١٠٧) ثم انتقلت آراميان في عام ١٨٦٧ إلي شارع أبي الدرداء وحملت اسم «بوغوصبيان» تخليداً لذكرى بوغوص بك يوسفيان - ناظر التجارة والأمور الإفرنجية أثناء حكم محمد علي - الذى كان قد تبرع بالأرض التى أُقيمت عليها المدرسة. وكانت فصول المدرسة الجديدة يدخلها الضوء والهواء بقدر مناسب، وبها أيضاً قاعات للأنشطة المدرسية المختلفة.(١٠٨)

هذا، ولم يقتصر تأسيس المدارس الأرمنية في مصر خلال القرن التاسع عشر علي القاهرة والإسكندرية فحسب، بل تأسست أيضاً بالزقازيق في أوائل التسعينيات علي نفقة الأسرات الأرمنية القاطنة هناك مدرسة صغيرة (كُتاب) تضم عشرة أطفال من الجنسين يدرسون اللغات الأرمنية والفرنسية والعربية وبعض المعلومات العامة علي أيدى مدرسين من بني جنسهم.(١٠٩)

وقد وقعت هذه المدارس تحت إشراف الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، واشترك في إدارتها والإشراف عليها كل من راعى الأرمن ولجنة سُميت بـ «لجنة رعاية المدرسة» مكونة من بعض أعيان الأرمن وغيرهم من الغيورين علي المصلحة العامة والمهتمين بالتربية والتعليم. وثمة لجنة خاصة بمدرسة خورينيان بالقاهرة وأخرى خاصة بمدرسة بوغوصبيان

بالإسكندرية. وقد شملت مهام هذه اللجان النواحى التنظيمية ووضع اللوائح وتعيين المدرسين ورفتهم وتحديد رواتبهم ووضع المناهج والإشراف علي الامتحانات وغير ذلك.(١١٠)

ولعله من الجدير بالذكر أن جميع المديرين والمدرسين بالمدارس الأرمنية كانوا من الأرمن الوافدين للعمل في مصر من الأستانة وأزمير باستثناء مدرسى اللغة العربية الذين كانوا في الغالب من المصريين المسلمين المتخرجين في الأزهر الشريف.(١١١) وتجدر الإشارة إلي أن مدرسة خورينيان كانت مشتركة وبها لجان سيدات ينتخبها المجلس الملي لرعاية التلميذات.(١١٢) أما مدرسة بوغوصبيان فقد ظلت في أغلب الفترات قاصرة علي البنين. ويرجع هذا إلي قلة عدد الفتيات الملتحقات بالمدرسة واللائى دخلن المدارس الأجنبية مما أدى إلي عدم توافر الأعداد الكافية لفتح قسم خاص بالفتيات.(١١٣)

ويُلاحظ أن جميع تلاميذ المدارس الأرمنية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانوا من أبناء الطبقات الدنيا، أما أبناء الأثرياء فقد أُرسلوا إلي المدارس الأجنبية في مصر أو إلي أوربا. ولذا، ظلت أعداد التلاميذ في المدارس الأرمنية قليلة جداً خلال القرن التاسع عشر. فمثلاً، بلغ عددهم ثمانية عشر تلميذاً في مدرسة بوغوصبيان خلال عام ١٨٥٢،(١١٤) وخمسة عشر تلميذاً وتلميذة في مدرسة خورينيان خلال العام الدراسى ١٨٦٤-١٨٦٥.(١١٥)

ومما يستلفتُ النظر أن التعليم لم يكن مجانياً بالمدارس الأرمنية فقط، ولكنها قدمت أيضاً لتلاميذها الكتب المدرسية والكراسات والأدوات الكتابية والزى الرسمى ووجبة غذائية. فمثلاً، في نوفمبر ١٨٦٦ قررت

لجنة رعاية مدرسة خورينيان شراء الكتب المدرسية ومستلزمات العام الدراسى بأكملها من الأستانة ومنحها مجانياً للتلاميذ.(١١٦) وكذا ، خصصت اللجنة « ١٠.٠٠٠ » قرش لتفصيل ملابس التلاميذ سنوياً.(١١٧)

هذا، ولم تكن للمدارس الأرمنية ميزانية ثابتة، بل اعتمدت فى توفير متطلباتها المالية على الأوقاف التى يتركها الأثرياء من أجل المشروعات الخيرية وعلى إيرادات الحفلات وبيع المشغولات اليدوية التى تصنعها الفتيات فضلاً عن التبرعات. فعلى سبيل المثال، أوقف التاجر الثرى جرابيد أغا كالوسديان معظم ثروته (تشمل « ٦٠٠ » فدان فى قرية الشيخ عثمان بالجيزة ومراكب في النيل وأموال وغير ذلك) لخدمة الأنشطة التعليمية.(١١٨) وتبرعت الجمعية الخيرية الأرمنية بالقاهرة في عام ١٨٨٧ بـ « ١٥٠ » جنيه لرفع مستوى التعليم بمدرسة خورينيان.(١١٩) وفي ١٨ مارس ١٨٨٧ أقامت الجالية الأرمنية احتفالاً راقصاً تحت رعاية السيدة ڤوليك هانم زوجة نوبار باشا خُصص دخله لمدرسة خورينيان.(١٢٠) كما خُصص دخل معرض المشغولات اليدوية التى صنعتها الفتيات بمدرسة خورينيان في عام ١٨٨٩ لشراء ملابس التلاميذ.(١٢١)

كانت مقررات مدرسة خورينيان بالقاهرة هى: لغة أرمنية يومياً، لغة فرنسية ثلاث مرات أسبوعياً، لغة عربية وإنجليزية مرتان أسبوعياً، الأشغال اليدوية للفتيات يومياً.(١٢٢) أما مقررات مدرسة بوغوصبيان بالإسكندرية فهى: اللغة الأرمنية وقواعدها، اللغة الفرنسية، الترجمة من اللغة الأرمنية وإليها، الدين والتاريخ الأرمنى والحساب والجغرافية، خاصة أرمينية وأوربا، والفيزياء والموسيقى والخط الأرمنى والفرنسى والرسم والتربية البدنية.(١٢٣)

هنا، يُلاحظ علي هذه المقررات أنها تهدف إلي الحفاظ على لغة الأرمن وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم خشية ذوبانهم في المجتمع المصرى.[١٢٤] وثمة أيضاً اهتمامها باللغات وعلي رأسها اللغة الأرمنية. إذ كان المدرسون يتكلمون مع الطفل في السنوات الأولى باللغة الأرمنية فقط ويهتمون بتنميتها لأن اللغة العربية كانت وسيلة التحدث لمعظمهم.[١٢٥] وأيضاً، اهتمت هذه المقررات باللغة الفرنسية لأنها لغة الثقافة والفكر وقتئذ. ودرست اللغة العربية بعد أن قل استخدام اللغة التركية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر. أما اللغة الإنجليزية فلم تدخل المقررات الأرمنية إلا بعد الاحتلال البريطانى لمصر في عام ١٨٨٢.[١٢٦] كما يُلاحظ اهتمامها بالتاريخ الأرمنى لدرجة أن الأرمن قد ثاروا بشدة عندما فكر السلطان عبد الحميد الثانى إلغاء مادة التاريخ الأرمنى من مقررات المدارس الأرمنية في جميع المناطق التابعة له. ولكنه قد عدل عن هذا لشدة اعتراض الأرمن.[١٢٧]

وجدير بالذكر أن مدارس الأرمن قد قامت بالعديد من الأنشطة الرياضية والفنية والثقافية بمناسبة احتفالات الجالية بأعيادها القومية. ففى ٢٤ فبراير ١٨٨٧ احتفلت مدرسة بوغوصبيان بذكرى ڤارتان[١٢٨] فأُجريت مسابقة ثقافية للتلاميذ، وذكر الأب خاتشادور باريجيان – راعى الأرمن – أن الهدف من هذا الحفل هو شحن الأرمن بالروح الوطنية. كما ربط ڤاهان ماماسيان – مدير المدرسة – هذا الحفل بالإرهاصات الثورية للأرمن ضد السلطان العثمانى، واختتم الاحتفال بضرورة استلهام العزيمة وروح النصر من ڤارتان.[١٢٩] كما أقامت مدرسة خورينيان في ٢٤ مايو ١٨٨٧ احتفالاً بمناسبة مرور سبعة وعشرين عاماً علي صدور الدستور الملي الأرمنى بالاشتراك مع الجمعية

الخيرية الأرمنية بالقاهرة.(١٣٠)

وزيادةً على هذا، كانت تُقام حفلة في نهاية العام الدراسى يتم خلالها مراجعة النتائج علانية واختبار التلاميذ في اللغات أمام الحاضرين من الأعيان والأجانب. وتُعلق موضوعات الإنشاء باللغتين الأرمنية والفرنسية علي الحائط ويختم مدير المدرسة الحفل بتلاوة التقرير السنوى عن المدرسة.(١٣١) كما كانت تُعقد اختبارات دورية لتقويم مستوى المدرسين كل في تخصصه. ففى أثناء احتفال مدرسة خورينيان بنهاية عامها الدراسى ١٨٩٦ - ١٨٩٧ تشكلت لجنة من يوسف عزيز بوزارى - القاضى بالمحاكم المختلطة - والأسقف هاجوب پاپازيان - راعى الأرمن - والأديب هاروتيون آلبيار لإجراء اختبار لجميع مدرسى المدرسة كل في تخصصه.(١٣٢)

ورغم هذا، لم تُحقق المدارس الأرمنية خلال القرن التاسع عشر الهدف من إنشائها، ألا وهو الحفاظ علي هوية الأرمن ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم. فقد آثر الأرمن الالتحاق بالمدارس الأجنبية عن مدارسهم بسبب سوء الإدارة وعدم انتظام المقررات ورغبتهم في تحقيق مستقبل أفضل بعد التخرج في المدارس الأجنبية. هذا، وقد أُغلقت مدرسة خورينيان أكثر من مرة بسبب قلة أعداد التلاميذ.(١٣٣) كما ظلت اللغة العربية هى لغة محادثتهم حتى أن الصحافة الأرمنية انتقدت هذا الوضع بقولها: «يجب علي مدرسة خورينيان أن تُعلم التلاميذ اللغة الأرمنية وتُذكرهم بأنهم إذا كانوا يعيشون في مصر إلا أن أصلهم أرمن».(١٣٤) ناهيك أنه لم تكن ثمة مدارس خاصة بالأرمن الكاثوليك أو البروتستانت الذين التحقوا بمدارس الأقباط والإرساليات الأجنبية.(١٣٥)

وجدير بالذكر أن بعض الأرمن قد أسهموا في تأسيس المدارس الخاصة والحضانات بمصر مثل السيدة أوجينى كريكوريان التى افتتحت في يولية ١٨٨٦ مدرسة خاصة في حى عابدين بالقاهرة لتعليم الفتيات: القراءة والكتابة باللغات العربية والتركية والفرنسية والإنجليزية فضلاً عن التفصيل والخياطة والرسم وشغل قصب الفضة علي الطُرز العثمانية والأوربية. وكذا، الصبيان من أربع إلي ست سنوات اللغات السابقة كتابة وقراءة علي أيدى متخصصين.(١٣٦)



٣- الصحافة

لقد أسهم الأرمن فى إصدار الصحف فى مصر بلغات متباينة. وفي الواقع، ارتبط ظهور الصحافة الأرمنية في مصر بتأسيس المجلس الملي الأرمنى فى عام ١٨٦٤ حيث اقترح أعضاؤه خلال مداولاتهم إصدار صحيفة باللغتين الأرمنية والتركية من أجل تنوير الأرمن. (١٣٧) وقد تعزز هذا الاقتراح بفضل مؤازرة مجرديتش كيڤسيزيان - راعى أرمن مصر المستنير والمولع بالصحافة - ونوبار باشا المشهور في مصر.(١٣٨) وفعلاً، صدرت في ١٦ مارس ١٨٦٥ صحيفة «آرماڤينى» (النخلة)، باكورة الصحافة الأرمنية في مصر، وهى صحيفة قومية وسياسية وأدبية كانت تصدر نصف شهرية. كان صاحب امتيازها هو هوڤسيب مانوجيان - الموظف بالحكومة المصرية ورئيس لجنة رعاية مدرسة خورينيان . أما جامع حروفها وطابعها ومحررها فهو الصحفى أبراهام

مراديان (٢١/١٠/١٨٣٣ - ١/٩/١٩٠٣)[١٣٩] الذى أُطلق عليه لقب «أبى الصحافة الأرمنية في مصر».[١٤٠]

وتجدر الإشارة إلي أن أرماڤينى قد انتهجت سياسة تملق السلطات العثمانية والمصرية والأرستقراطية ورجال الدين. فقد دعت الأرمن إلي التمتع بالحريات التى أغدقتها عليهم الحكومة العثمانية من منطلق رحمتها الواسعة وذكرت «... بأن الإرادة الإلهية قد وضعت الأرمن تحت حماية السلطات العثمانية التى لا تبدو كأى سلطة حاكمة، بل ترعي الشعب كالأب الراعى، لذلك ليس هناك مبرر للشكوى أو التذمر إطلاقاً»، كما وصفت أرماڤينى الحكومة المصرية بأنها تستحق امتنان الجميع.[١٤١] وسعت الصحيفة إلي تثبيت سلطة الكنيسة الأرثوذكسية وتدعيمها. وقد عبر أبراهام مراديان عن هذا في افتتاحية العدد الأول بقوله: «على كلٍ منا واجب لابد أن يؤُديه أولاً نحو ربه، ثم نحو نفسه، ثم نحو شعبه، ولا شك أن من أعطانا الحق في الحياة، ولازال يُعطينا، هو الله، لذلك يجب علينا أن نُطيعه طاعةً عمياء».[١٤٢] لذا، اعترض كثير من الأرمن علي منهج أرماڤينى ، وانتُقد كيڤسيزيان - أبوها الروحى - بشدة. في نفس الوقت الذى تعرضت فيه مصر لوباء الكوليرا مما دعا مراديان إلي إغلاق الصحيفة فى مايو ١٨٦٥ والرحيل إلي الأستانة.[١٤٣]

أما خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر فقد ظهرت في مصر عدة صحف أرمنية انتهجت جميعها - علي خلاف أرماڤينى - سياسة الهجوم علي السلطات العثمانية ومن يُواليهم كرد فعل الثورة الأرمنية ضد السلطان وما نتج عنها من حركات قمع ومذابح. وقد

اتسمت جميعها بالطابع السياسى الثورى وبترويجها فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية خاصةً وأن معظم محرريها كانوا من الأدباء والمفكرين الثوريين الهاربين من الاضطهادات العثمانية. ففى عام ١٨٨٩ أسس الأب «غيڤونت پاپازيان» صحيفة «نيغوص» (النيل) الأسبوعية بالإسكندرية.[١٤٤] ولكنها ما كادت تصدر في عددها الخامس مهاجمةً الباب العالي حتى أُقتيد الأب غيڤونت تحت الحراسة إلي الأستانة. ثم توقف إصدارها بناءً على طلب الحكومة العثمانية.[١٤٥]

وفي عام ١٨٩٧ أسس الأخوان الأديبان «ديكران وأرتين ألبيار» صحيفة «باروس» (المنارة) النصف أسبوعية بالإسكندرية، ولكنها قد توقفت أيضاً فى أوائل عام ١٨٨٩ بسبب معارضة السلطات العثمانية لما تنشره.[١٤٦] وجدير بالذكر أن صحيفة باروس هى الصحيفة الأرمنية الوحيدة التى تحدثت عنها بعض الصحف المصرية وتمنت لها دوام الإصدار.[١٤٧] وربما، يرجع هذا إلي شهرة مؤسسيها لدن المصريين.

وكذا، أسس «كريكور صرافيان» في عام ١٨٩٧ صحيفة «ليرابير» (جالب الأخبار) اليومية بالإسكندرية. وفي عام ١٨٩٩ أسس «سيمباد بوراط وسيمباد پاپازيان» صحيفة «نور أور» (يوم جديد) النصف أسبوعية بالقاهرة، ثم أسسا أيضاً في أبريل من نفس العام صحيفة «بيونيج» (العنقاء = طائر خرافى) النصف شهرية بالإسكندرية. وأيضاً، أسس «يغيشيه طوروسيان» - المدرس بمدرسة كالوسديان - صحيفة «أرشالويس» (الفجر) سنتئذ.[١٤٨]

هنا، يُلاحظ ظهور عدد كبير من الصحافة الأرمنية في الإسكندرية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ويرجع هذا إلي أن الإسكندرية قد استوعبت عدداً كبيراً من الأرمن الهاربين، كما كانت

لموقعها الجغرافي مناسبةً لاتصال الثوريين الهاربين بموقع الأحداث في الأستانة حتى أنهم قد فكروا في اتخاذها نقطة مركزية تنطلق منها ثورتهم ضد السلطان. ناهيك عن تواجد جالية أرمنية مزدهرة بها. (١٤٩)

وهكذا، تأسست الصحافة الأرمنية في مصر منذ عام ١٨٦٥ ، أى بعد سبعة وستين عاماً من معرفة مصر بالطباعة عند مجئ الحملة الفرنسية وبعد أربعة وأربعين عاماً من افتتاح مطبعة بولاق. وقد اتسمت بأنها موجهة أساساً إلي الأرمن بلغتهم سواء فى مصر أو خارجها، وتُعبر بالدرجة الأولى عن قضاياهم الخاصة ومشاكلهم الداخلية. وتباينت وجهات نظرها إزاء الدولة العثمانية، إذ تملقتها عندما كانت العلاقات الأرمنية العثمانية ودية، وهاجمتها عندما ساءت علاقاتهما أثر تصاعد ثورة الأرمن ضد الدولة العثمانية. ولذا، أُغلقت معظمها واقتيد محرروها إلي السجن والنفى.

هذا، ولم تقتصر إسهامات الأرمن في مجال الصحافة على إصدار صحف بلغتهم القومية فحسب، بل شاركوا أيضاً فى إصدار الصحف في مصر باللغات التركية والعربية والأوربية. فقد تقلد أريستاجيس آلطونيان (١٨٠١ - ١٨٥٨) نظارة جريدة الوقائع المصرية بين عامى ١٨٤٠-١٨٤٤.(١٥٠)

ولكن، يُعد أديب إسحق من أبرز الأرمن الذين أسهموا في نهضة الصحافة المصرية وتطور الفكر المصرى علي الرغم من قصر فترة تواجده بمصر خصوصاً وقصر عمره عموماً، إذ توفي قبل أن يُكمل العقد الثالث من عمره.

وُلد أديب بن عبد الله الأرمني الكاثوليكى فى ٢١ يناير ١٨٥٦

بدمشق. وأدخله والده مدرسة الآباء العازاريين فتلقى فيها مبادئ العربية والفرنسية. ثم اشتغل بالجمرك في الحادية عشرة من عمره نظراً لحاجة أسرته الشديدة إلي المال، وأثناء عمله بالجمرك تعلم اللغة التركية وتمكن من مطالعة كتب الإنشاء في العربية والفرنسية والتركية وراسل المجلات الأدبية، ولم يُكمل الثانية عشرة من عمره حتى اجتمع من نظمه نحو ألف بيت أكثرها في الغزل وبعضها في المدح والعتاب والرثاء. وانتقلت أسرة أديب إلي لبنان مما أتاح له فرصة التعرف علي نخبة كبيرة من الأدباء، وانتظم في سلك الجمعية الماسونية التي أُنشئت في عام ١٨٧٢ ببيروت، ثم قام بتحرير جريدتي «ثمرات الفنون» و«التقدم».[١٥١]

وجاء أديب إلي القاهرة أثناء حكم الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) واتصل بجمال الدين الأفغاني وحضر كثيراً من دروسه في المنطق والفلسفة الأدبية والعقلية، ثم أوعز الأفغاني إليه بإنشاء جريدة «مصر» الأسبوعية التي أصدر أول أعدادها في ١٣ يولية ١٨٧٧ بالاشتراك مع سليم نقاش، ثم أسسا «التجارة» اليومية معاً في عام ١٨٧٨.[٢[illegible]] بيد أن أديب إسحق قد انتقد الحكومة بشدة مما دعاها إلى إصدا[illegible]رها بإلغاء جريدتيه في أواخر عام ١٨٧٩. فسافر أديب إلي فرنسـ[illegible] صدر هناك جريدة «مصر القاهرة» وتعرف بكثير من رجال فرنسا حتى كتبت عنه بعض الصحف الفرنسية. هذا، وقد كتب أديب مقالات كثيرة عن الشرق كما أَلَّف كتاباً بعنوان «تراجم مصر في هذا العصر». وانتهز فرصة وجوده في باريس وتردد علي المكتبة الأهلية واطلع فيها علي طائفة كبيرة من المؤلفات الفرنسية والمخطوطات العربية. ثم عاد إلي بيروت بسبب شدة مرضه بالصدر فتولي تحرير جريدة «التقدم» للمرة

الثانية واستمر نحو سنة.[١٥٣]

عاد أديب إسحق إلي مصر في أواخر عام ١٨٨١ وعُين ناظر قلم الإنشاء والترجمة بنظارة المعارف وأذنت له الحكومة بإصدار جريدته «مصر» وعُين أديب في الوقت ذاته سكرتيراً لمجلس النواب ونال البكوية من الرتبة الثالثة ثم أحال امتياز الجريدة إلي شقيقه عوني إسحق ليتفرغ هو لمهام منصبه وظل رغم هذا يُحرر القسم الأكبر منها. ولما وقعت أحداث الثورة العرابية بمصر إضطر أديب إلي العودة إلي بيروت. وبعد احتلال الإنجليز لمصر عاد أديب إليها مرة أخرى محاولاً إعادة إصدار جريدته فلم يتمكن من هذا وأُبعد إلى بيروت بعد أن وُضع في السجن بضع ساعات. تولى أديب في بيروت تحرير جريدة «التقدم» للمرة الثالثة واستقر به المقام هناك إلي أن توفي فى ١٢ يونية ١٨٨٥ عن تسع وعشرين سنة.[١٥٤]

هذه ، إلمامة سريعة بسيرة أديب إسحق. أما الآن فنستعرض دوره في مجال الصحافة المصرية وتطويرها مع بيان أهم آرائه وأفكاره السياسية. والحق، يُعد أديب إسحق من كبار كتاب المقالة الصحفية وخير من يُمثل فن المقالة في الأدب العربى الحديث. فقد اشترك - كما سبق - في تحرير جريدتى «ثمرات الفنون» و «التقدم» ببيروت وإنشاء جريدتى «مصر» و«التجارة» بمصر و«مصر القاهرة» بباريس. وسوف يتم التركيز نسبياً علي جرائد «مصر» و «التجارة» و«مصر القاهرة» لأنها وثيقة الصلة بمصر.

فيما يتعلق بجريدة «مصر»، فقد أنشأها أديب إسحق ولم يكن عنده من معداتها إلا عشرون فرنكاً. ولكن، لم يكد يظهر العدد الأول منها

حتى أُعجب الناس بهذه الجريدة وتسابقوا إلي اقتنائها، وأصبح الناس يتحدثون بعبارة أديب إسحق ومزاياها ويحفظون أقواله كما يحفظون الحكم والأمثال. وقد أحدث هذا حركة في الأفكار لما كانت تقوم به الجريدة من نضال من أجل قضية الوطن وبسبب هذه المقالات الثورية التي كان أديب إسحق يكتبها بعنف وينقد فيها الحكومة نقداً جارحاً مما جعلها تتعرض للإلغاء.(١٥٥)

وتجدر الإشارة إلي أن «مصر» تُعد في مقدمة الجرائد السياسية من حيث نضج التفكير وسلامة التعبير. فقد اشتمل كل عدد منها علي مقال في السياسة الداخلية أو الخارجية، ونُشر فيها علي التوالي رواية فرنسية مُعربة، وعرض فيها أديب لمعاني الأوربيين وأسلوبهم في تناول الحياة، كما خصص احدى صفحات الجريدة للعناية بشئون بلد شرقي، بينما توزعت الأخبار الداخلية في بقية صفحاتها.(١٥٦) وخلاصة القول، كانت «مصر» عنواناً للكفاح من أجل الديمقراطية وحريات البلدان الشرقية، وقد تعرضت هذه الجريدة للإلغاء في أواخر عام ١٨٧٩ ثم أُعيد إصدارها في أواخر عام ١٨٨١ وصدر العدد الأول منها في ٣ نوفمبر ١٨٨١.(١٥٧)

ولم يكتف أديب إسحق بجريدة «مصر» ولكنه أصدر بالاشتراك مع سليم نقاش في عام ١٨٧٨ جريدة «التجارة» . وقد قصرها أديب في البداية علي شئون التجارة، وهي تُعد بهذا من المصادر الهامة فيما يتعلق بالنشاط التجاري لمصر أثناء حكم الخديو إسماعيل، وفيها لون من التخصص لم يكن معروفاً في كثير من صحف الشرق الأدنى خلال القرن التاسع عشر.(١٥٨) ولكن، لم يطل تخصص «التجارة» بشئون التجارة بل ازدلفت إلي السياسة وأخذت تُنافس شقيقتها «مصر» في

هذا.[١٥٩]

أما جريدة «مصر القاهرة»، فقد أنشأها أديب إسحق في باريس وصدر العدد الأول منها في ٢٤ ديسمبر ١٨٧٩ ، وكانت تصدر نصف شهرية. وكان أديب يكتبها بخط يده أو خط مساعده عبدالله مراش. وأخذ أديب فى باريس يُردد شكواه من الظلم الذى يرضخ فيه المصريون والشرقيون عموماً، ويتغنى بالحرية التى ينعم بها الفرنسيون والأوربيون.[١٦٠]

وقد ترك أديب إسحق بعض مؤلفات وترجمات علي جانب كبير من الأهمية وإن كان قد فُقد بعضها. من مؤلفاته: ١- رواية غرائب الإتفاق (فُقدت)، ٢- كتاب نزهة الأحداق في مصارع العشاق، ٣- كتاب آثار الأدهار، وهو معجم تاريخى جغرافى مرتب هجائياً صدر الجزء الأول منه فى سنة ١٨٧٥ ، ٤- تراجم مصر في هذا العصر، وقد عرض فيه الكثير من كبار الشخصيات المصرية من الحكام والنظار والعلماء وغيرهم. ومن أهم ترجماته: ١- رواية آندروماك، ٢- رواية شارلمان، ٣- رواية الباريسية الحسناء، ٤- جزء من كتاب المعاصرين (لم يُطبع)، ٥- كتاب في الأخلاق والعادات، ٦- كتاب في الصحة. وزيادةً علي هذا ، نظم أديب إسحق قصيدة تاريخية وصف فهيا حوادث مصر سنة ١٨٨٢. هذا، وقد جُمعت آثار أديب إسحق المطبوعة والمخطوطة ورثاء الشعراء فيه وأقوال الجرائد في شأنه في كتاب سُمى «الدرر». وقد جمع شقيقه عوني إسحق هذه المقالات.[١٦١]

أما فيما يتعلق بآراء أديب إسحق السياسية فيُمكن استعراضها من خلال مقالاته التى كتبها في جرائده وعلي ضوء أهم الدراسات عنه.

وجديرٌ بالذكر أن الحرب الروسية العثمانية بين عامي ١٨٧٧ - ١٨٧٨ كانت أهم القضايا السياسية علي المستوى الخارجي التى تشغل بال الصحافة آنئذ. فقد كتب أديب في جريدة «مصر» عام ١٨٧٧ مقالاً بعنوان «الملك والرعايا» تحدث فيه عن الملك الاستبدادى والملك الشورى ليصل من ذلك إلي السخرية بنوع الحكم الروسى القيصرى. ويقول: «ولم يكف الروسية بقاؤها مستبدةً علي حين تحول سائر الدول إلي الشورى، حتى كانت سبباً فى توقيف غيرها عن ذلك القصد النبيل فإنها قد منعت الدولة العثمانية حيناً عن نجاز ما شرعت فيه من إصلاح داخليتها وتنظيم شُوارها بهذه الحرب التى دعى إليها الغرور علي أن الدولة لم يكن يمنعها من ذلك مانع، فإنها لم تُهمل ذلك الشأن مع اهتمامها بالدفاع عن وطنها». ويُبين أديب أن الحماس الذى ظهر في هذه الحرب لم يكن نتيجةً للتعصب الدينى كما زعم البعض وإنما هى غيرة وطنية تجددت فيهم بما رأوه من حُسن مقاصد حكومتهم. ويذكر أن العثمانيين جميعاً علي اختلاف مذاهبهم ومآربهم قد جادوا بالأرواح والأموال دفاعاً عن وطنهم.(١٦٢)

وظل أديب طوال فترة الحرب الروسية العثمانية يُتابع أخبارها علي صدر صحيفتى «مصر» و«التجارة». كما استمر بعد الحرب في عرض مشاكل الدولة العثمانية داخلياً وخارجياً مبيناً أنه لا يبث الشكوى اعتراضاً أو انتقاداً «وإنما هى نفثة مصدور يبعث عليها قُرب اليأس من النجاح بما نري من استقرار الخلل واستمرار الفساد». هذا، وقد تمثلت وسائل إصلاح شأن الدولة في رأيه فى جمع الكلمة العثمانية وضم العصبة الشرقية بهدف درء الخطر الأجنبى.(١٦٣)

وكان منهج أديب إسحق قائماً على تقوية الدولة العثمانية والعمل علي توحيد الشعوب التى تتألف منها. ورغم أن أديب كان عصبي المزاج فإنه كان في مجال السياسة من دُعاة الاعتدال بقدر المستطاع. وكانت عنايته بأخبار الدولة العثمانية وبالشام لا تقل عن عنايته بأخبار مصر.(١٦٤) ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن أديب إسحق قد دعا إلى ضرورة قيام جامعة عربية تضم العرب جميعاً، ولم ينس ترديد أمجاد العرب العلمية والسياسية والأدبية، غير أنه يأخذ عليهم الضعف والاستكانة وتشتتهم إلي مذاهب مختلفة وترك أمورهم للقضاء والقدر.(١٦٥)

ويذكر أديب أن سبب ضعف الشرقيين العداء الناجم عن التعصب في أمور الدين والطاعة العمياء للمستبدين. وفي اعتقاده «أن الشرقيين لن ينالوا المفقود عن قُربه ولن يحفظوا الموجود علي قلته إلا بالتآزر والاتحاد وحسم أسباب التنافر والفساد وعدم دفع عجلة التمدن والتهور وسلطة الحرية بالتعصب». ويرى أن الأمم القوية لاسيما الأوربية تسعى جاهدةً لنهب كنوز الشرق وتقسيم أقطاره المتفرقة. ونوّه أديب بأنه لا سبيل إلي مقاومة أطماع الغرب إلا بالاتحاد وأنه من الممكن تحقيق ذلك عن طريق الدعوة من أقاصى آسيا إلي أقاصى إفريقيا للعمل على جمع الكلمة ولم الشمل. وبذا، كان أديب يدعو إلي الوحدة الشرقية وقيام دولة شرقية.(١٦٦)

وقد انتقد أديب أوضاع مصر المالية والإدارية والسياسية في بداية حكم الخديو توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) في مقالة بعنوان «أحوالنا» نُشرت فى جريدة «مصر». كما عارض أديب بشدة الامتيازات الأجنبية والتدخل

الأجنبى. وسخر من الحياة النيابية في مصر ودعا إلي إصلاحها علي أسس سليمة، ونادى بإصلاح أحوال مصر الداخلية.(١٦٧) وجديرٌ بالذكر أن أديب إسحق قد اتخذ موقفاً سلبياً من الثورة العرابية، فقد كان أديب إبان الثورة من أصحاب الدعوة إلي الاعتدال في طلب الحرية. لذا، سخط عليه رجال الثورة العرابية ومنعوا جريدته «مصر» من أن تكون لسان حالهم. واستعاض الثوار يومئذ صحف أديب صحفاً أخرى أهمها جريدة «المفيد» التي أخذت تُهاجم الصحافة السورية في مصر مما اضطر كثيراً من السوريين إلي الهجرة من مصر ومن بينهم أديب إسحق الذى هاجر إلي بيروت. وخلاصة القول، أن أديب كان ناقماً علي الثورة العرابية ولكنه استاء جداً لما أسفرت عنه من احتلال بريطانيا لمصر واختلال الأمن بها.(١٦٨)

أما منهجه الاجتماعى، فقد ركز علي الاهتمام بالأخلاق والتعليم العام، فالجهل – فى رأيه – ضعف، والضعف يُؤدى إلي الرذيلة، كما كان من أكبر المدافعين عن حقوق المرأة، والداعين إلي رُقيها. ورغم هذا، كان هو شخصياً «أدنى إلى التحلل من القواعد الدينية». وعندما كان في باريس كان «يستجيب لدواعى الشباب، فكان لا يُرى إلا مخموراً».(١٦٩)

ويُعد أديب إسحق من رواد النهضة الحديثة في النثر والترسل، فهو من صفوة الأدباء الذين نهضوا بالنثر العربى من عقاله، وأضفوا على الكتابة الصحفية جُملاً، ونفثوا منها روحاً، ووهبوا لها حياةً وحركة.(١٧٠) ويُمكن القول، أن أديب إسحق قد دخل الصحافة من باب الأدب، وهى ظاهرة ليست جديدة علي الصحافة المصرية والعربية، فهكذا كان الوضع بالنسبة للكثيرين ممن مارسوا الكتابة الصحفية، وبخاصة في هذا

الوقت المبكر من حياة الصحافة المصرية، عندما كان المقال متقدماً على الخبر، وكانت الصحف لا تزال تخلو من التقارير والتحليلات والتعليقات. وعلي هذا، كان الأدب هو المدرسة التى اتقن فيها أديب إسحق استخدام الألفاظ، واستعراض القدرات اللغوية مما كانت الصحف تحتاجه في ذلك الوقت.(١٧١)

ويمتاز أسلوب أديب إسحق في الكتابة الصحفية بالجنوح إلي الزينة اللفظية كالسجع والجناس والطباق (المقابلة)، والميل إلي إيراد كلامه مورد الحكمة وصوغه في قالب المثل وخطابية الأسلوب في كثير من المواضع فيما كتب، والاستشهاد في مقالاته بالمأثور من الكلام مثل الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأشعار، فضلاً عن خياله الواسع في كثير مما يكتب.(١٧٢) ويُؤكد الكثيرون أن أديب إسحق قد طور كثيراً في لغة الكتابة الصحفية وأسلوبها بمصر. إذ بفضله انتقل الإنشاء الصحفى من العبارة الضعيفة الركيكة إلي الرشاقة والطلاوة مع استخدام عبارة متينة صحيحة. فقلده الكُتاب في عبارته وفي أسلوبه.(١٧٣)

وهكذا، يتضح أن أديب إسحق يُعد من أبرز أعلام النهضة الفكرية، أديباً وسياسياً، في مصر الحديثة والعالم العربى رغم قلة إنتاجه في عمره القصير. بيد أن إسهامات الأرمن في مجال الصحافة المصرية لم تكن بيضاءً برمتها، إذ تعاونت فئة منهم مع الاحتلال البريطانى ووروجت لمخططاته مثل الكسان صرافيان صاحب جريدة الزمان وإسكندر كريكور صاحب مجلة الزراعة.

لقد أسس الكسان صرافيان صحيفة «الزمان» في ٦ مارس ١٨٨٢،

وهى أول صحيفة يومية تصدر في القاهرة.(١٧٤) وعندما احتل الإنجليز مصر في عام ١٨٨٢، كانت الزمان أولى الصحف التي رحَّبت بهذا الاحتلال ووقفت بجانبه.(١٧٥) وأخذت تُروج على امتداد جميع أعدادها لقوة بريطانيا العظمى وتُسوغ مزايا احتلالها لمصر أمام الرأى العام، بل دعت المصريين في أكثر من موضع إلي قبول الاحتلال والتعاون مع قواته وسلطاته من أجل «خير» مصر.(١٧٦)

ولم تكتف الزمان بتأييد الاحتلال البريطانى وترويج مخططاته، بل ناصبت عداءً لجميع خصوم بريطانيا في الداخل والخارج. فقد انتقدت العُرابيين بضراوة، واشتدت انتقاداتها للثورة المهدية في السودان ووصفت أصحابها بالعُصاة السودانيين.(١٧٧) ولما كانت جريدة «الأهرام» ذات ميول فرنسية فقد انتقدتها الزمان بشراسة وشوَّهت كل أخبارها وأشبعتها سخريةً في جميع أعدادها.(١٧٨) كما شنَّت حملات لاذعة علي أعداء بريطانيا خارج مصر خاصةً روسيا وفرنسا. وقد ذهبت الزمان إلي أن بريطانيا هي الدولة الأم الكبرى في العالم. وأن قوتها تفوق قوتى روسيا وفرنسا بفضل اقتصادها المزدهر وقوتيها البرية والبحرية.(١٧٩) وأيضاً، أولت الزمان اهتماماً بالغاً بنشر أخبار أرمينية والأرمن سواء ما يحدث منها في الدولة العثمانية أو أوربا أو مصر. وطالبت الباب العالى دوماً بتطبيق الإصلاحات التي أقرتها معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ بخصوص الولايات الأرمنية.(١٨٠)

ورغم أن الزمان كانت مُؤيدةً من قبل الإنجليز إلا أنها قد توقَّفت عن الإصدار في ٢٤ أكتوبر ١٨٨٣ لمدة ثلاثة أشهر، ثم في ٩ فبراير ١٨٨٥ لمدة شهر.(١٨١) كما أن الإنجليز كانوا لا يُفوتُون أية هفوة من صرافيان

ضدهم. فقد ثاروا ضد الزمان عندما لمحت بطريق غير مباشر إلي مساوئ اللورد رور سبروك الحاكم البريطاني العام في الهند وكادوا يعتقلون صرافيان.[١٨٢]

هذا، وقد تمني صرافيان احتلال بريطانيا للأستانة حتى يتحرر الأرمن من الحكم العثمانى، واشتدت انتقاداته ضد الباب العالى الذى أصدر فرماناً بمنع دخول الزمان إلي الأستانة أو أية منطقة تابعة له.[١٨٣] وبذل السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٩) كل سلطته للقبض علي صرافيان، لكن كرومر - المعتمد البريطانى في مصر - رفض تسليم صرافيان إلي السلطنة العثمانية كمجرم سياسى.[١٨٤] ثم، رأت الحكومة المصرية والسلطات البريطانية إغلاق الصحيفة فى ٢٩ يولية ١٨٨٦ خوفاً من تعثر مفاوضات وولف - مختار الغازى حول تحديد موعد لجلاء القوات البريطانية عن مصر.[١٨٥] وقد رفع صرافيان التماسين للحكومة المصرية ومجلس العموم البريطانى في لندن راجياً إعادة فتح جريدته مرة أخرى وموضحاً أنه خدم بريطانيا خدمات صادقة يُعد بمقتضاها من المخلصين لحكومتها.[١٨٦] بيد أن الحكومة المصرية لم تلتفت لالتماسه وشرعت، إرضاءً للباب العالي، فى طرده من مصر. ولكن، تدخل الإنجليز وأرسلوه إلى قبرص الواقعة تحت حمايتهم.[١٨٧]

وكذا، شجّعت بريطانيا حركة القوميات لدن العناصر المتباينة في الدولة العثمانية بهدف تمزيقها من الداخل ونسف كيانها. وفي هذا، روّجت فكرة «إسرائيل للإسرائيليين» وساعدت علي إصدار الصحف الداعية لهذه الفكرة في مصر.[١٨٨] وتجدر الإشارة إلي أن بعض الأرمن

قد اشتركوا تحت ضغط الإنجليز في الحملة الدعائية لإنشاء وطن قومى لليهود مثل إسكندر كريكور الذى أصدر مجلة «الزراعة». وقد خصصت هذه المجلة كثيراً من صفحاتها للدفاع عن اليهود وإثبات أنهم شعبٌ مزارع - علي عكس ما يُشاع عنهم - مستدلةً على ذلك بتقدم زراعتهم في يافا وبمشروعات البارون روتشيلد لشراء خمسة ملايين متر مربع في شرق الأردن لزراعتها. وقد كان الهدف من كل هذا تجميع اليهود الشرقيين من رعايا الدولة العثمانية حول فكرة الاستقرار في وطن قومى في فلسطين ثم إنشاء دولة إسرائيل.(١٨٩)

وبذا، نجح الاحتلال البريطاني في استقطاب بعض الأرمن العاملين في مجال الصحافة لمساعدته علي تثبيت أقدامه وتسويغ مشروعاته وترويج مخططاته.

وأيضاً، اشترك الأرمن في إصدار الصحف باللغات الأوربية في مصر مثل الكسندر بيزيرچيان الذى أصدر مجلة "The Sphinx" بالإنجليزية في عام ١٨٩٣، وديكران كيليجيان بالاسم المُستعار «كون دى كلانيج» الذى أصدر صحيفة "La Bourse Egyptienne" بالفرنسية في عام ١٨٩٩.(١٩٠)

وهكذا، أصدر الأرمن في مصر صحافة خاصة بهم تُعبر عن قضاياهم أساسا، وأسهموا في إصدارصحف باللغة العربية تُدافع عن حقوق المصريين، وأخرى وقفت بجوار الاحتلال البريطاني وروجت لمشروعات الاستعمارية المتباينة.

وأخيراً، يجب التنوية عمَّا أسداه يعقوب أرتين باشا وكيل نظارة المعارف للثقافة المصرية وغيرها. إذ يُعد يعقوب أرتين، وبحق، من أبرز

المثقفين في مصر بخاصة ولدن الأرمن بالأخص. تلقى تعليمه في أوربا وعرف اللغات: الأرمنية والتركية والعربية والفارسية واليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية.[١٩١] بيد أنه استغرق في الثقافة الفرنسية حتى أنه قد كتب جميع أعماله باللغة الفرنسية. وتجدر الإشارة إلي أنه قد اشتهر بعملين كبيرين هما: "L'Instruction Publique en Egypte" (طُبع بباريس ١٨٩٠) الذى ترجمه علي بهجت إلي اللغة العربية بعنوان (القول التام في التعليم العام)، و "La Propriéte Founciére en Egypte" (القاهرة ١٩٠٨) الذى ترجمه سعيد عمون إلي اللغة العربية تحت مُسمى (الأحكام المرعية في شأن الأراضى المصرية). ويُعد هذان العملان دراستان علميتان استندتا إلي المادة الوثائقية المودعة بالأرشيفات الحكومية. هذا، وقد كان يعقوب آرتين يُفضل أن تتحدث الجداول والإحصائيات عن نفسها من أن يُقدم تفسيراً مباشراً للأشياء.[١٩٢]

هذا، وقد كان يعقوب آرتين باحثاً مدققاً كتب بعض الدراسات المتخصصة بعمق مثل كتابه «السياق» الذى يتناول نوعاً من الكتابة المستعملة فى إدارات مصر المالية إبان الحكم العثمانى.[١٩٣] ويرجع الفضل إلي يعقوب آرتين في لفت الأنظار إلي مجال أدبى كان الأدباء المصريون يُهملونه إهمالاً تاماً، ألا وهو مجال القصة والأغنية الشعبيتين. ومما يستوجب الذكر هنا، أن هذه القصص وتلك الأغانى لم يُفكر في جمعها إلا بعض التجار من أدعياء الأدب ممن كانوا يبيعونها فى طبعات رديئة وبأسلوب رخيص في الأحياء الشعبية. ولم يُفكر في جمعها وتصنيفها من المثقفين إلا اثنان هما: أولاً يعقوب آرتين باشا ثم العالم

الأثرى الفرنسي جاستون ماسبيرو بعده بسنوات عديدة. هذا، وقد جمع يعقوب أرتين القصص الشعبية ونشرها باللغة الفرنسية فى فرنسا تحت عنوان "Les Contes Populaires de la Valée du Nil"(القصص الشعبية في وادى النيل) . وقد نُشرت هذه القصص في فرنسا لبيان صور من الفلكلور المصرى. وحينما درس يعقوب أرتين القصص الشعبى الذى يُسميه العامة «حواديت» لاحظ تعدد الموضوعات التى يدور راوى هذه الحواديت حولها. ويرجع هذا، حسبما يري أرتين، إلي الغزوات المتعاقبة لمصر من شعوب ذوى حضارات متباينة.(١٩٤)

وفوق هذا، كتب يعقوب أرتين العديد من المقالات باللغة الفرنسية في مجلة "Bulletin Institut Egyptien" خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٨٨٢ - ١٩٠٩ تناولت الثقافة والأدب والتاريخ المصرى ناهيك عن تراجم بعض مشاهير الأرمن في مصر.(١٩٥)



٤- الفنون

ظهر الأرمن في مجالات الموسيقي والمسرح والفنون الجميلة خلال القرن التاسع عشر. ومما ساعدهم علي الظهور في هذه المجالات أنها كانت غير مستساغة لدن المسلمين وقتئذ.

بدايةً، استدعى حكام مصر - خاصةً سعيد وإسماعيل وتوفيق - عدداً من الموسيقيين الأرمن المشهورين في الأستانة للعزف في قصورهم

علي غرار ما يحدث في قصور السلاطين. وقد كان معظمهم ممن تتلمذوا علي أيدى بابا هامبارتسوم ليمونچيان - جالب النوتة الموسيقية إلي الأستانة - وممن تخصصوا في العزف علي الآلات الموسيقية الشرقية. فمثلاً، حقق الكسان طمبورى (١٨١٥- ١٨٦٤) شهرةً فى عزف الطمبور بالأستانة. لذا، استدعاه سعيد باشا ليعزف علي الطمبور في قصره مقابل أربعين جنيهاً في الشهر بين عامى ١٨٥٤ - ١٨٥٩ . وحقق نيظان زينوب (١٨١٠-١٨٦٦)-الابن الرابع لبابا هامبارتسوم ليمونچيان - شهرةً زائعةً فى عزف الناى بالأستانة . ولهذا، استدعاه إسماعيل باشا للعزف فى قصره بين عامي ١٨٦٣ - ١٩٦٦.[١٩٦] ثم ، استدعى إسماعيل من الأستانة عازف ناى أرمنى يُسمى أسديج حمامچيان (١٨٣٢-١٩٠٩) ليحل محل كريكور بيكياريان - رئيس جوق السلطان - ويُمارس نفس العمل في القاهرة.[١٩٧] وكذا، استدعي أيضاً الموسيقار الأرمنى ديكران تشوهاچيان (١٨٣٨-١٨٩٨) الذى وضع عدة ألحان صارت تُرددها فرقة الموسيقى الخديوية.[١٩٨]

ويُعد نيظان أمين بوزارى الأرمنى (١٨٤٨-١٩٣٥) أشهر عازفى الناى في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر. تعلم العزف علي آلة الناى علي أحد المولوية ونبغ فيه إلي حد جعله يتفوق علي أستاذه. وكان يستخدم في عزفه قطعةً واحدةً طوال السهرة، لا يستبدلها بأخرى مهما تغير المقام الذى يعزف منه؛ كما هو الحال مع عازفي الناى الذين يستخدمون لكل مقامٍ قطعة معينة. وأيضاً، كان يمتاز في عزفه بطول النفس وصفائه وحلاوته. هذا، وقد عزف نيظان تقاسيم: بياتى،حجاز، صبا، رصد ، سيكا التى سجلتها شركة بيضافون الموسيقية بالقاهرة علي إسطوانات. وجديرٌ بالذكر أن نيظان كان العازف الأوحد فى قصور

الحكام وكبار الشخصيات. ليس هذا فحسب، بل ذاعت شهرته خارج مصر حيث مكث علي سبيل المثال ثلاثة شهور في قصر سلطان المغرب ليعزف العديد من الألحان الشرقية.(١٩٩)

وإضافةً إلي هؤلاء الموسيقيين الخصوصيين المنتدبين للعمل في قصور الحكام، أخذت الفرق المسرحية الأرمنية تترى إلي مصر من الأستانة لتقديم عروضها الفنية منذ أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر. وتُعد فرقة سيروڤبى بنجليان أشهر الفرق الأرمنية التي جاءت إلي مصر لتقديم عروضها الفنية بل وأنجحها قاطبةً. وقد تكونت هذه الفرقة من ستة وثلاثين ممثلاً وممثلةً تحت إدارة يغيازار مليكيان. واشتهر من أعضاء هذه الفرقة: مارديروس ميناجيان وداقيت تريانتس وميكائيل تشبراسد وهاروتيون الكسانيان وزابيل حكيميان ويرانوهي كراكاشيان وغيرهم.(٢٠١)

وتجدر الإشارة إلي أن الفرق الأرمنية قد استعرضت برامجها الفنية المسرحية بنجاح في الأستانة وأوربا قبل مجيئها إلي مصر في ديسمبر ١٨٨٤.(٢٠٢) وابتداءً من يناير ١٨٨٥ حتي مايو ١٨٨٨ أخذت تُقدم عروضها الفنية باللغات الأرمنية والتركية والأوربية علي مسرحى الأزبكية والأوبرا بالقاهرة ومسرحى زيزينيا والهمبرا بالإسكندرية.(٢٠٣)

ومن أشهر المسرحيات التى قدمتها الفرق الأرمنية في مصر: «ليبليبچى خورخور أغا»، «الزيبك»، «حيلة عريف»، «سيمون السارق»، «الجنة والنار»، «عروسة الماضى»، «أورڤيه في الجحيم»، «كوسه كحيه»، «الموغول الكبير»، «بنت مدام إنجو»، «هيلين الجميلة»، «چيروڤيلييه چيروڤيلا» وغيرها.(٢٠٤) وقد استمدت هذه الأعمال معظم موضوعاتها

من واقع الحياة العثمانية، لاسيما الحياة الريفية، والصراعات الطبقية ناهيك عن العلاقات العاطفية التقليدية في الآداب العالمية. وتجدر الإشارة إلي أن هذه المسرحيات التي غلب عليها الطابع الموسيقي الغنائي الراقص قد تم عرضها في قوالب كوميدية هزلية، كما كان معظم القائمين عليها أرمن بدايةً من كتبة النص وواضعي الموسيقي والألحان إلي الممثلين والمخرجين وغيرهم. وتأكيداً لهذا، يُمكن استعراض نماذج من هذه الأعمال الفنية.

بدايةً، لقد كتب ديكران كاليمچيان النصوص الموسيقية لمسرحية «حيلة عريف» ووضع ألحانها الموسيقار الأرمني ديكران تشوهاچيان، وهي باكورة أعماله الفنية، وكان جميع الممثلين بلا استثناء من الأرمن. وجديرٌ بالذكر أن هذه المسرحية قد لاقت نجاحاً واسعاً عند عرضها الأول في عام ١٨٧٢ بالأستانة ونجاحاً أوسع عند عرضها ثانيةً في عام ١٨٧٤ بالأستانة أيضاً. وتدور أحداثها حول زيارة أحد المسئولين العثمانيين إلي احدي القرى، فيُرسل عريفه إلي أهالي هذه القرية ليُبلغهم خبر زيارته إليهم. ولكن، يلتبس الأمر علي أهالي القرية ويعتقدون أن هذا العريف هو المسئول ذاته فاستقبلوه استقبالاً حافلاً مما دعاه إلي التورط في تقمص دور المسئول خاصةً بعد أن أعجبته فتاة تُسمى مريم من بنات القرية. واجتمع أهالي القرية أمام المسئول الزائف يعرضون عليه مشاكلهم حول تخفيض الضرائب وتعبيد الطرق وتطهير الترع والقنوات وتوفير متطلبات الزواج للشباب. فيعدهم العريف (المسئول الزائف) بتنفيذ كل متطلباتهم. وأخيراً، يصل المسئول الحقيقي إلي القرية فتنكشف حقيقة العريف. بيد أن هذا المسئول كان متسامحاً طيب القلب فعفا عن العريف ووعد أهالي القرية بتنفيذ مطالبهم. وتنتهي

المسرحية بالأغاني والأفراح.[٢٠٥]

وثمة أنموذج أخر مثل «ليبليبيچى» (بائع الحمص) الذى كتب نصوصها الموسيقية تاكڤور ناليان ووضع ألحانها ديكران تشوهاچيان. وتُعد ليبليبچى أشهر المسرحيات التى قدمتها الفرق الأرمنية وأقواها فنياً. وتدور أحداثها حول الصراع الطبقى بين الأثرياء والفقراء في احدي المدن العثمانية عندما أراد خورشيد بك الثرى جداً الزواج من «فاطينة» ابنة خورخور أغا بائع الحمص الفقير الذى رفض هذا الزواج وحاربه ويُريد تزويج ابنته من رجل في مستواهم الاجتماعى. ثم خطف خورشيد بك الفتاة إلي قصره، وحاول جميع بائعى الحمص في المدينة كلها أن يُعيدوها إلي أبيها ولكنهم لم يستطيعوا ذلك. وفي النهاية ، وافق الأب علي زواج ابنته من هذا الثرى. وأيضاً، وضع كاريكين رشدوني النصوص الموسيقية لمسرحية «كوسه كحيه» (بدون لحية) التي تدور أحداثها حول علاقة عاطفية بين فتاة جميلة تُمسى «جول» وراعي الغنم «ايبيش» وتنتهى تقليدياً بزواجهما بعد تعرضهما لمشكلات عديدة.[٢٠٦]

وفوق هذا، ثمة بعض المسرحيات التي استمدت موضوعاتها من أعمال عالمية ذائعة الصيت مثل «بنت مدام إنجو» و«چيروڤيليه چيروڤيلا» للمؤلف الموسيقي الفرنسى شارل لوكوك Charles Lococq (١٨٣٢-١٩١٨) و«هيلين الجميلة» للمؤلف الموسيقي الفرنسى العالمى چاك أوفينباخ Jacques Offenbach (١٨١٩-١٨٨٠).[٢٠٧]

وهنا، يُلاحظ أن ثمة اختلاف واضح، من حيث الهدف، بين الفرق الأرمنية والأوربية. ففي الوقت الذى سعت فيه الفرق الأرمنية إلي استعراض فنونها وإحراز الربح، ركَّزت الفرق الأوربية علي نشر ثقافتها

وفلسفاتها ومخططاتها بين الجماهير خاصةً الفرق الوافدة من الثالوث الاستعماري إنجلترا وفرنسا وإيطاليا.[٢٠٨]

ويذهب البعض إلي أن جماهير الفرق الأرمنية كانت قاصرةً علي بني جنسهم أو من يعرفون لغتهم فقط.[٢٠٩] ولكن، يتأكد من الصحافة المعاصرة أن كثيراً من عناصر الشعب وعلي رأسهم الخديو وأفراد أسرته كانوا من مشاهدي العروض المسرحية الأرمنية التى قُوبلت بنجاح جماهيرى كبير. فعند العرض الأول لمسرحية «ليبليبيچى خور خور أغا» اكتظ مسرح الأزبكية بالمشاهدين حتى أن كثيراً ممن حجزوا مقاعد لم يجدوا مكاناً يجلسون فيه. أكثر من هذا، أُعيد عرض المسرحية ثلاث مرات متتالية بناءً علي رغبة المشاهدين.[٢١٠]

وقد كانت الفرق الأرمنية علي مستوى المنافسة مع مثيلاتها الأوربية في النواحى الفنية بل فاقتها أحياناً. فعلي سبيل المثال، عرضت فرقة أرمنية مسرحية «چيروفيليه چيروفيلا» الفرنسية علي مسرح الأزبكية، في نفس الوقت التي كانت تعرضها فرقة فرنسية علي مسرح الأوبرا، فانجذبت الجماهير واحتشدت في مسرح الأزبكية مما أدى إلي رحيل الفرنسيين إلي أوربا رغم ريادتهم في الفن المسرحى.[٢١١] بيد أن أهم ما حققته الفرق الأرمنية من وراء عروضها الفنية في مصر هو تعاقد احداها مع نظارة الأشغال للعمل علي مسرح الأوبرا خلال موسم ١٨٨٦.[٢١٢] وكذا، تعاقُد سيروقبى بنجليان ويغيازار مليكيان مع نظارة الأشغال علي تزويد المسرح الخديوى بالأوبرا بثلاثين ممثلاً وممثلةً من الأرمن الذين يُجيدون اللغة التركية.[٢١٣]

هذا، وقد استفادت الفرق الأرمنية من تواجد شخصيات أرمنية

مرموقة مثل ديكران آبرويان ويعقوب آرتين وبوغوص نوبار كأعضاء في «لجنة التياترات» التابعة لنظارة الأشغال.[٢١٤] ولم تقتصر استفادتها علي استدعائها للعمل علي مسارح الدولة فقط، بل شملت أيضاً مساعدتها مالياً في حالة تعثرها . فمثلاً، توقفت عروض فرقة بنجليان في مارس ١٨٨٨ علي أثر وفاة الأمير حسن - شقيق الخديو توفيق - مما أوقعها في أزمة مالية.[٢١٥] إضطر بنجليان علي أثرها إلي رهن مؤلفات الموسيقار الأرمنى ديكران تشوهاچيان ونوتات أوبريتاته الموسيقية وملابس الفرقة مقابل قرض ولكنه مع هذا لم يف بمتطلبات الفرقة.[٢١٦]

بيد أنه بفضل وساطة بعض كبار الموظفين الأرمن في الحكومة المصرية خاصةً الأعضاء منهم في «لجنة التياترات»، فقد أحسنت الحكومة بـ « ٢٥٠ » جنيه للفرقة نظير الخسائر التى ألمّت بها من جراء وفاة الأمير حسن.[٢١٧] علي أن هذه المنحة جاءت في وقت بدأت فيه الفرقة تفقد شعبيتها بين الجماهير. وعبثاً، حاول بنجليان أن يسترد شعبيته بين الجماهير عن طريق تخصيص إيراد بعض الحفلات للمدارس الخيرية التي يتعلم بها الفقراء.[٢١٨] كما دبَّ الخلاف بين بنجليان وفرقته حول توزيع منحة الحكومة. بيد أن أسوأ ما ارتكبه بنجليان من أخطاء هو انتقاده الخديو توفيق بطريق غير مباشر أثناء مشاهدة الأخير شخصياً مسرحية «ليبليبيچى» مما عرَّضه لغضب الخديو وحاشيته.[٢١٩]

ورغم تصاعد المسألة الأرمنية خلال تسعينيات القرن التاسع عشر، فقد ظلت الفرق الأرمنية تفد إلي مصر من الأستانة. ففي فبراير ١٨٩١

قدّمت فرقة أرمنية عروضها الموسيقية الراقصة في قاعة كونليانو بالإسكندرية.(٢٢٠) كما أقام ڤهرام سيڤاچيان في أبريل ١٨٩٣ حفلةً موسيقيةً بدار الأوبرا تحت إشراف أحمد مختار الغازى - المعتمد العثمانى فى مصر.(٢٢١) هنا، يُلاحظ أن فرق التسعينيات لم تُستقبل بنفس الجماهيرية التى استُقبلت بها فرق الثمانينيات. ويرجع هذا بالأساس إلي تعاطف المسلمين مع السلطان العثمانى ضد ثورة الأرمن ناهيك عن الدعاية السيئة التى شنتها بعض الجرائد المصرية ضد الفرق الأرمنية واتهامها بالدعوة إلي الانحلال والرذيلة والكفر.(٢٢٢)

ولم تقتصر إسهامات الأرمن في مجال المسرح علي الإنتاج الفني باللغات الأرمنية والتركية والأوربية فحسب، بل ساهمت فئة قليلة منهم في الإنتاج المسرحى باللغة العربية خاصةً الأرمن الكاثوليك النازحين إلي مصر من بلاد الشام هرباً من معارضة طائفتهم بشدة الفن المسرحى.(٢٢٣) ومما هو جديرٌ بالذكر هنا، أن أديب إسحق الأرمني الكاثوليكى قد اشترك مع سليم نقاش في تمثيل أول رواية عُرضت باللغة العربية في مصر ألا وهى رواية أندروماك أو شارلمان.(٢٢٤)

ولكن، تُعد فرقة (جوق) يوسف خياطيان الأرمنى الكاثوليكى أهم إسهامات الأرمن في مجال المسرح العربى. فقد قدمت هذه الفرقة عدداً من العروض المسرحية في مصر مثل «شارلمان» ، «العلم المتكلم»، «المظلوم» ، «هارون الرشيد» وغير ذلك.(٢٢٥) وبعامة، اتسمت هذه المسرحيات بالطابع الدرامى الجاد، واستوحت موضوعاتها من مواقف تاريخية أدبية ذات مغزى اجتماعى إصلاحي. ولكنها لم تكن فنياً علي مستوى المنافسة مع مثيلاتها الأجنبية. فمما يُذكر مثلاً عن فرقة يوسف

خياط أنها لم تجد سيدات تقمن بالأدوار النسائية فعهدت بها إلي غلمان لم يُتقنوا أدوار النساء مما أدى إلي اهتزاز عروضهم بعض الشئ.(٢٢٦)

وهكذا، شارك الأرمن في نشأة الفن المسرحي وتطويره في مصر. ورغم كثرة إنتاجهم باللغات الأجنبية، إلا أنهم قدموا صورةً متكاملةً نسبياً عن مكونات العمل المسرحي للكُتاب والممثلين والجماهير.

وأيضاً، اشترك الأرمن في تأصيل بعض الفنون الجميلة بمصر خاصةً التصوير الشمسي. والحق ، أن كثيراً من الفنانين المصورين في العالم قد انجذبوا إلي مصر خلال القرن التاسع عشر بسبب الاهتمام الدولي بتاريخها وفنها وعاداتها فى أعقاب الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) وما نتج عنها من استكشافات خاصةً حجر رشيد، ويُغذى هذا الاهتمام من الخلف الميول الرومانسى التقليدى إزاء الشرق بعامة. وتقنياً، امتاز مناخ مصر بهوائه النقي وضوئه القوي العمودى مما يُلائم متطلبات التصوير. وأخيراً، أصبحت صور مصر الخلابة مطلوبة تجارياً باستمرار في السوق العالمى.(٢٢٧)

ولكن، قُوبل التصوير بمعارضة شديدة من قبل التقاليد الإسلامية التى سمحت باستخدام الصور المجردة والهندسية وحرّمت الصور الآدمية. ولهذا، لم يُمارس المسلمون هذا العمل، فى حين مارسه الأوربيون والأرمن المسيحيون علي نطاقٍ واسع. هنا، يُلاحظ أيديولوچياً ارتباط المصورين الإنجليز والفرنسيين علي وجه الخصوص بالاهتمامات السياسية والفكرية لبلديهما في مصر، علي خلاف الأرمن الذين زاولوا التصوير لتحقيق الربح فقط. وجديرٌ بالذكر أن الأرمن قد استفادوا من التقنيات الحديثة في مجال التصوير وفتحوا استوديوهات كبيرة ذوات إمكانيات فنية رائعة علي غرار مثيلاتها الأوربية.(٢٢٨)

ثم، تطور التصوير الشمسى تقنياً وفلسفياً وتجارياً علي المستوى العالمي منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر. ولم تكن مصر بمنأى عن هذا التطور خاصةً بعد تزايد حركة المرور فيها أثر افتتاح قناة السويس. وكذا، أصبح التصوير وسيلةً ضروريةً لتوثيق التحديث الذى طرأ علي مصر.[٢٢٩] لهذا بعامة والمذابح بخاصة، فقد توافدت أعداد كبيرة من المصورين الأرمن إلي مصر منذ تسعينيات القرن التاسع عشر. ومن أشهرهم: صباح وخاتشيك[٢٣٠]، ليكيچيان وشركاؤه[٢٣١]، مجر أيڤازيان[٢٣٢] وغيرهم.

وجديرٌ بالذكر أن نشاطات هؤلاء المصورون الأرمن لم تقتصر علي القاهرة فحسب، بل امتدت أيضاً إلي الإسكندرية والمنصورة والزقازيق وأسيوط والأقصر.[٢٣٣] ومما يدل علي براعة المصورين الأرمن وتقدير الحكومة المصرية لهم أن ليكيچيان قام بتمثيل مصر في المعارض الفنية التى أُقيمت في باريس وشيكاغو منذ نهاية القرن التاسع عشر.[٢٣٤]

وأخيراً، اشتهر الأرمن منذ نهاية القرن التاسع عشر بالرسوم الشعبية المطبوعة التى استُبدلت ببعض الرسوم التى كانت تُصور يدوياً علي المخطوطات وغير ذلك. وتركزت هذه الرسوم في تصوير الأساطير الشعبية مثل قصص «عنتر» و «سيف بن ذى يزن» و«الظاهر بيبرس». وجديرٌ بالذكر أن نشأة هذه الرسوم قد ارتبطت بدخول الطباعة في مصر لاسيما طباعة الصور الملونة علي الحجر التى اشتهر بها الأرمن.[٢٣٥]



الهوامش

(١) حلمى محروس إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢) چان أحمرانيان، من هم الأرمن؟، أصدقاء الثقافة الأرمنية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٠.

(٣) Madden, op. cit., p. 95.

(٤) الزمان، عدد ٨١٤، الأربعاء ١٣/١/١٨٨٦.

(٥) فؤاد كرم، الأجانب في مصر، الجنسية المصرية، الطوائف الدينية في مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩.

(٦) محافظ مجلس الوزراء، الطوائف والجاليات الأجنبية، محفظة رقم ١/أ، وثيقة رقم ٢٨، مكاتبة إلي نظارة الحربية في ٤ أغسطس ١٨٨٥؛ الأهالى ، عدد ٩٢، الإثنين ١/٧/١٨٩٥.

(٧) فؤاد كرم، الطوائف الدينية في مصر، ص ٧٤؛ القاهرة الحرة، عدد ٨١٤، الأربعاء ٥/٩/١٨٨٨؛

Mac Coan, J.C., Egypt as it is, London, 1877, p. 34; Madden, op. cit., p. 96.

(٨) كارداشيان ، المصدر السابق، جـ ١ ، ص ص ٢٨٢-٢٨٣.(بالأرمنية)

(٩) اعترفت الحكومة المصرية بالتنظيم الملي للأرمن الكاثوليك في عام ١٩٠٥ بفضل مساعى يعقوب أرتين باشا الأرمني الكاثوليكى وكيل نظارة المعارف والسيد بيزانت مصرف من أسرة ماتوسيان الأرمنية الكاثوليكية.

داڤيتيان ، المصدر السابق، ص ص ١٨-١٩، ٢٣-٢٤، ٤٣-٤٤. (بالأرمنية)

(١٠) لمزيد من التفاصيل حول تأسيس المجلس الملى الأرمنى وتطوره انظر:
Kazazian, Anne. "Espaces Communautaires, Projection Nationals la Communauté Arménienne d'Egypte. 1863-1950". Colloque la Réforme Sociale en Egypte, IFAO, Le Caire, 10-13/12/1992, pp. 1-6.

(١١) جلسات المجلس الملي الأرمنى بالقاهرة، الجلسة التحضيرية الأولي فى ٣/٤/١٨٦٤ ، ص ص ٢-٣. (بالأرمنية)

(١٢) نفسه، الجلسة التحضيرية الثانية في ١٢/٤/١٨٦٤، ص ص ٣-٥. (بالأرمنية)

(١٣) فؤاد كرم ، الطوائف الدينية في مصر، ص ١٧٥.

ولمزيد من التفاصيل حول المجالس الملية أنظر: «الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية ١٨٨٣-١٩٣٣»، جزءان، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٧، الجزء الأول، ص ص ٢٥٧-٢٦٧.

(١٤) رؤوف عباس حامد، المصدر السابق، ص ص ١٠٧-١٠٨؛
Milner, op. cit., p. 332.

(١٤) تأسست مملكة بجرادونى في عام ٨٨٥ وظلت حتى عام ١٠٤٥. وقد اتخذت بدايةً باجران عاصمة لها ثم قارس حتي استقرت عاصمتها فى أنى. وكان آشود الأول البجرادى أول ملوكها (٨٨٥-٨٩٠) ، وكان جاجيق الثاني آخر ملوكها (١٠٤٢-١٠٤٥) . ويزعم البجراديون أنهم من أصل يهودى وينتمون للملك داود. وكان زعيم أسرة بجراد يحمل ألقاباً وراثية منها «تاجادير» أى (واضع التاج). وكذا، لقب «أسبد» أى (قائد الفرسان).

لمزيد من التفاصيل حول أسرة بجرادوني ومملكتها أنظر:

Iskander, Fayez Naguib, Les Richesses de l'Arménie au Temps des Bagratides (885-1045), Nubar Printing House, Le Caire, 1987, pp. 5-16.

(١٦) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٨٧، ١٩٦. (بالأرمنية)

(١٧) Adalian, op. cit., p. 135.

(١٨) Ibid., p. 136; Adams, op. cit., p. 54.

(١٩) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٤٩، ٢٢٦. (بالأرمنية)

(٢٠) Lutfi AL-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, p.97.

(٢١) Rae, op. cit., pp. 181-190, 299

(٢٢) Cromer, op. cit., p. 631;

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٠٠. (بالأرمنية)

(٢٣) Milner, op. cit., p. 333.

(٢٤) كرومر، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢٥) Cromer, Op. cit., p. 630.

(٢٦) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٢٢٥، ٤٤٩.

(٢٧) تعداد النفوس، محافظة مصر، قسم عابدين، ل١/٨٤/١ (١٦٠)، ص ١٠٥، ١١٩، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٩؛ ل١/٨٤/٢ (١٦١)، ص ٢٢٨، ٢٨٣، ٢٩٩، ٤٢١؛ ل ١/٨٤/٣ (٨٦٢) ص ٦٣٤.

(٢٨) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٢٩) تُوجد هذه التحف والهدايا بمتحف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.

(٣٠) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ١، ص ص ٦٩-٧٠.

(٣١) جلسات المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة، الجلسة الرابعة في ١٨٧٢/٤/٧، ص ١١، قرار ٤؛ الجلسة التاسعة فى ١٨٧٢/٨/١١، ص ٢٠، قرار ٣. (بالأرمنية)

(٣٢) ديوان المعية تركى، س١/٥/٢٤ (٥٣٣)، ص ١٢٣، رقم ٨٥٠، مكاتبة إلي مهردار خديو في ١١ صفر ١٢٨٠ هـ.

(٣٣) محافظ المعية تركى، رقم ٥٠، وثيقة رقم ٥٠/٢٧٧، مكاتبة من مطران الأرمن إلي المعية في ٢١ شعبان ١٢٩٠ هـ.

(٣٤) محافظ مجلس الوزراء، الطوائف والجاليات الأجنبية، محفظة رقم ١/أ، وثيقة رقم ٥٠، مذكرة من نظارة الحقانية إلي مجلس النظار في ٤ جماد أول ١٣٠٥ هـ.

(٣٥) نفسه، وثيقة ر قم ٦/٢٧٧، مذكرة من نظارة الحقانية إلي مجلس النظار في غرة ذى الحجة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٩/٧/٣١).

(٣٦) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ١، ص ١٨١. (بالأرمنية)

(٣٧) تويوزيان، المصدر السابق، ص ٦٩. (بالأرمنية)

(٣٨) سيون ، عام ١٨٧٠، ص ١٧٤، القدس.(بالأرمنية)

(٣٩) ديوان المعية تركى، س١/٤/٥ (٧٢٧)، ص ١٤٤، رقم ٩١٦، مكاتبة من الديوان إلي بلال أغا في ٢٨ صفر ١٢٤٢ هـ؛ الزمان، عدد ٢٨٥، الأربعاء ١٨٨٤/ ٢/٢٦؛ عدد ٨١١، السبت ١٨٨٦/١/٩.

(٤٠) الزمـان، عـدد ٨٧٧، السـبت ٣/٢٧ /١٨٨٦؛ القـاهرة الحـرة، عـدد ٩٩٦، الإثنين ٤/١٥ /١٨٨٩؛ عدد ٩٩٨، الأربعاء ١٧/٤/١٨٨٩.

(٤١) برقانت أوديان، الأعمال الكاملة، الجزء الرابع، بريقان،١٩٦٥، ص ١١٠.(بالأرمنية)

(٤٢) توبوزيان، المصدر السابق، ص ص ١١٩ - ١٢٠.(بالأرمنية)

(٤٣) الإتحاد المصرى، عدد ١٦٠٥، الخميس ١٠/١٢/١٨٩٦.

(٤٤) توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٢٠. (بالأرمنية)

(٤٥) الإتحاد المصرى، عدد ١٦١٨، الأحد ٢٤/١/١٨٩٧.

(٤٦) الأخبار ، عدد ١٤٠، الإثنين ٢٥/١/١٨٩٧.

(٤٧) ليڤون أچيميان، الكتاب السنوى للأرمن في مصر ، القاهرة، ١٩٢٥، ص ٢٥. (بالأرمنية)

(٤٨) نفسه.

(٤٩) فتحى أبو عيانه، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٥٠) ليڤون أچيميان، المصدر السابق. (بالأرمنية)

(٥١) القاهرة، عدد ١٦٧، الثلاثاء ٢٩/٦ /١٨٨٦.

(٥٢) داڤيتيان، المصدر السابق، ص ص ٨٤-٨٦. (بالأرمنية)

(٥٣) القاهرة الحرة، عدد ٢٩٣، الثلاثاء ٢٩/٣ /١٨٨٧.

(٥٤) الهلال، عدد ١٢، ١٥/٢/١٨٩٤، ص ٤٠٩.

(٥٥) القـاهرة الحـرة، عـدد ٢٨٣، الخـمـيس ١٧/٣ /١٨٨٧؛ عـدد ٢٨٤، السـبت

١٨٨٧/٣/١٩؛ عدد ٣٨٥، الأحد ٢٠/ ٣/ ١٨٨٧.

(٥٦) الإتحاد المصرى، عدد ١٦٢٥، الخميس ١٨٩٧/٢/١٨؛ عدد ١٦٢٦، الأحد ١٨٩٧/٢/٢١.

(٥٧) القاهرة الحرة، عدد ٧٤١، السبت ١٨٨٨/٦/٢؛ عدد ٧٤٣، الإثنين ١٨٨٨/٦/٤.

(٥٨) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٥٩) الكسندر شولش، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٦٠) Madden, op. cit., p. 95.

(٦١) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٦٢) Cromer, op. cit., pp. 630-631.

(٦٣) الزمان، عدد ٨٨٤، الإثنين ١٨٨٦/٤/٥.

(٦٤) محمد فريد، مذكرات، تحقيق: رؤوف عباس حامد، القسم الأول، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٦٥) السيار، عدد ٧، الثلاثاء ١٨٩٥/١١/١٩.

(٦٦) المقياس، عدد ١٨، الخميس ١٨٩٥/١٢/١٩.

(٦٧) فصل الخطاب، عدد ٧، ١٨٩٧/١/١٢.

(٦٨) محافظ بحر برا، رقم ١٨، وثيقة رقم ٤٦، مكاتبة من محمد حمد الله قاضى القدس إلي الجناب العالي في ٥ شوال ١٢٥٢ هـ.

(٦٩) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، جـ ٢، ص ٢٩٦.

(٧٠) تراجم ملخصات دفاتر تركي، محفظة رقم ٢، دفتر ٢، معية تركي، وثيقة رقم ١٣٨، ترجمة أمر إلى الكتخدا بك في ١٨ صفر ١٢٣٤ هـ.

(٧١) الزمـــان، عـــدد ٤٣٨، الخـــمـــيس ١٨٨٤/٩/٢٥؛ عـــدد ٤٥٧، الأربعـــاء ١٨٨٤/١٠/٢٢.

(٧٢) Landau, Jacob. M. Jews in Nineteenth Century Egypt, New York, 1969. p. 13, 136.

(٧٣) حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية، ص ١٥٠.

(٧٤) ديوان المعية عربي، س٢٢/١/١ (٧٨)، ص ٧٧، رقم ١٥٠، مكاتبة من المعية إلي مديرية الفيوم وبني سويف في ٢٨ ذي الحجة ١٢٦٨ هـ.

(٧٥) نفسه، ص ٧٨، رقم ٨، مكاتبة إلي مديرية أسيوط وجرجا في ٢٨ ذي الحجة ١٢٦٨ هـ.

(٧٦) نفسه، س ١٣/٢/١ (٩٨)، ص ٤٨٣، رقم ٣٨٥، أمر من الباشا إلي بطريك الأرمن في ٢٣ ربيع أول ١٢٦٩ هـ.

(٧٧) نفسه، س٢٢/١/١ (٧٨)، ص ٤٤٧، رقم ٣٥٧، مكاتبة من المعية إلي بطريك الأرمن في ١٥ ربيع أول ١٢٦٩ هـ.

(٧٨) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، الجلسة الرابعة في ١٨٦٤/٥/٧، ص ص ١١-١٢، قرار رقم ٢٣ . (بالأرمنية)

(٧٩) القاهرة الحرة، عدد ٧٠١، الأحد ١٨٨٨/٤/١٥.

(٨٠) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٨١) الجبرتي، المصدر السابق، ص ص ٣٦٠-٣٦٢، ٣٩٨، ٤١١، ٤٤٨-٤٥٠.

(٨٢) Adalian, op. cit., p. 140.

(٨٣) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المالية، محفظة رقم ١/١/أ، وثيقة رقم ٢٣، قائمة بأسماء أرباب الطلبات الذين أدعوا بنهب محلاتهم مدة الثورة.

(٨٤) Milner, op. cit., p. 327; Rae, op. cit., p. 120.

(٨٥) الأهالي، عدد ١٣، الإثنين ٢٢/١٠/١٨٩٤.

(٨٦) البريد، عدد ٢٣٥، الثلاثاء ٦ /١٠/١٨٩٨.

(٨٧) نفسه، عدد ٢٤٠، الثلاثاء ٢٢/١١/١٨٩٨.

(٨٨) أحمد السيد أبو السعود، مصر والأرمن، القاهرة، بدون تاريخ ، ص ص ٣-١٦.

(٨٩) لوسابير، ٢٩/١٢/١٩٠٤، الإسكندرية. (بالأرمنية)

(٩٠) بيزنطيون، ١٥/١/١٨٨٩، الأستانة. (بالأرمنية)

(٩١) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٧٢.(بالأرمنية)

(٩٢) أرشالويس أراراديان، ٦ /١١/١٨٧١، أزمير. (بالأرمنية)

(٩٣) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ١٥٨. (بالأرمنية)

(٩٤) هوڤانيس دير بدروسيان، الحركة التعليمية باللغة الأرمنية في تركيا، مطبعة جريدة أريف، القاهرة، ١٩٨٣. ص ٤٤٤. (بالأرمنية)

(٩٥) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٤٧، ٥٢، ١٨٨، ٢٦٨، ٢٧٣، ٣٤٩. (بالأرمنية)

(٩٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٦٩.(بالأرمنية)

(٩٧) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٨٦، ١٠٨.(بالأرمنية)

(٩٨) نفسه، ص ٢٧٣. (بالأرمنية)

(٩٩) القاهرة الحرة، عدد ٣٢٠، الإثنين ١٨٨٧/١/٣.

(١٠٠) الإخلاص، عدد ٣٠، الخميس ١٨٩٥/١١/٢٨.

(١٠١) الإتحـاد المصـرى، عـدد ١٥١٤، الخـمـيس ١٨٩٦/١/١٦؛ عـدد ١٥١٦، الخميس ١٨٩٦/١/٢٣؛ عدد ١٥١٨، ١٨٩٦/١/٣٠؛ عدد ١٥٨٧ ، الخميس ١٨٩٦/١٠/٨.

(١٠٢) Heywarth. Daunne, op. cit., p. 271.

(١٠٣) رزق جرجس، «المدارس الأجنبية ومدارس الإرسـاليات»، مقـال منشور في مجلة التربية، عدد ٤، أبريل ١٩٣٧، القاهرة، ص ٢٤٥.

(١٠٤) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ص ٣١٧-٣٢٠. (بالارمنية)

(١٠٥) وُلد موسى خورين (موفسيس خوريناتسى) فى أواخر القرن السـادس فى قـرية خـورين من لواء مـوش، وتلقى تـعليمـه الابتـدائى في دير مـوش علي الرهبان، ثم سافر إلي أثينا لاكمـال دراسته علي غرار ما كان يفعله أبناء جيله، وهناك أتقن اللغة اليونانية ودرس العلوم الفلسفية وتاريخ هيرودوت وغيره، ونال مرتبةً علُيا بين مثقفي قومه وحتى بين اليونانيين، وصـار أعظم شاعر ومؤرخ في عصره. ولذا سُمى «أبا الشعراء والمؤرخين الأرمن».

وبعد انهاء دراسته في بلاد اليونان عاد إلي بلاده، ولم يكن في مبدأ الأمر من قيمة لعلمه ومقدرته بسبب الاضطرابات السياسية في بلاده، ولكن بعد

سكون الفتن وزوال القلاقل نال عطف الأمير ساهاج بجرادونى الذى أعجب بعلمه وثقافته وفطنته فأمره أن يكتب تاريخ الأمة الأرمنية وتعهده له بجميع نفقاته الشخصية ونفقات كتابه.

وعَكَفَ خورين علي تمحيص الكتب القديمة والحديثة التى تتطرق إلي البحث عن أمته وثقافتها وحياتها الاجتماعية والأدبية ، فدقق التوراة وتاريخ هيرودوت وإلياذة هوميروس واستخلص منها التاريخ الأساطيرى الأرمنى، ونَسَبَ العرق الأرمنى إلي يافث بن نوح عليه السلام. وهو أول مؤرخ أرمنى وأبو الشعر الكلاسيكى وتمتاز قصائده بفخامة الألفاظ وجزالة المعانى، وتُعزى عظمته إلي إجادته المعانى أكثر من عنايته بالألفاظ.

ويجمع الأدباء والمؤرخون الأرمن منهم والأجانب علي أن «تاريخ الأمة الأرمنية» لموسى خورين له قيمة فريدة بين المؤلفات الأرمنية والأجنبية. وتجدر الإشارة إلى أن كتاب «تاريخ الأمة الأرمنية» قد تُرجم إلي اللغات: السويدية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية والألمانية والإيطالية. وقد ترجم خورين كتاب يوسيبيوس من اليونانية إلي الأرمنية ووضع جغرافية المملكة الأرمنية. وقد عاش خورين معيشة بائسة فى أواخر أيام حياته بعد وفاة الأمير ساهاج بجرادونى حتى أنه اختتمها محتاجاً إلي القوت اليومى رغم علومه ومكانته.

ك.ل. إستارچيان، تاريخ الثقافة والأدب الأرمنى، مطبعة الإتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥٤، ص ص ٢٤-٣٥.

(١٠٦) جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٨٣؛

(١٠٧) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٤١٠. (بالأرمنية)

(١٠٧) آرشالويس آراراديان، ١٨٥٢/١/١٨؛ ١٨٥٣/١/٢، أزمير. (بالأرمنية)

(١٠٨) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٣، ص ٨. (بالأرمنية)

(١٠٩) أرمينية، عدد ٣٧٠، ١٨٩٤/١٢/٥، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١١٠) جلسات المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة، جلسة رقم ٢٦ فى ١٨٦٦/٢/٩، قرار رقم ١، ص ص ١٦٢-١٦٤؛ جلسة رقم ٧٠ فى ٦/٢٨/ ١٨٦٨، قرار رقم ٤.

(١١١) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ص ٤١٩-٤٢٤؛ جـ٣، ص ص ٧٢-٨٠.(بالأرمنية)

(١١٢) جلسات المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة ، ص ١١٦، جلسة رقم ٢٨، فى ٣ /١٨٦٦/١٢، قرار رقم ٢. (بالأرمنية)

(١١٣) جلسات المجلس الملي الأرمنى بالإسكندرية، جلسة فى ١٨٨٨/١٢/٢٩؛ جلسة في ١٨٩٣/٨/٥؛ كارداشيان : المصدر السابق، جـ ٣، ص١٥. (بالأرمنية)

(١١٤) آرشالويس آراراديان ، ١٨٥٢/١/١٨، أزمير. (بالأرمنية)

(١١٥) أرماڤينى ، ١٨٦٥/٤/١٦، القاهرة. (بالأرمنية)

(١١٦) جلسات المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة، ص ١١٣، جلسة رقم ٢٤ في ١٨٦٦/١١/١٨، قرار رقم ١.(بالأرمنية)

(١١٧) نفسه، ص ١١٧، جلسة رقم ٢٨ فى ١٨٦٦/١٢/٣٠، قرار رقم ٥. (بالأرمنية)

(١١٨) نفسه، ص ص ٧٢-٧٣، جلسة رقم ٣٤ في ١٨٦٥/١/٢٢، قرار رقم ٢٢٨.

(١١٩) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٤١٦. (بالأرمنية)

(١٢٠) أرمينية ، ١٨٨٧/٣/٢٠، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١٢١) نيغوص (النيل) ، عدد ٤، ١٨٨٩/١/٢٥، الإسكندرية. (بالأرمنية)

(١٢٢) كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢، ص ٤١٤.(بالأرمنية)

(١٢٣) أرمينية، عدد ٦٣، ٣٠ /٣ /١٨٨٧، مارسيليا.(بالأرمنية)

(١٢٤) جرجس سلامة، المصدر السابق، ص ص ٨٢-٨٤.

(١٢٥) أرماڤينى، ١٨٦٥/٤/١، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٢٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٩١. (بالأرمنية)

(١٢٧) القاهرة الحرة، عدد ٩٨٥، الثلاثاء ١٨٨٩/٤/٢.

(١٢٨) تحتفل الكنيسة الأرمنية سنوياً بذكرى حروب القائد الأرمنى ڤارتان ماميجونيان ضد الفرس عندما شن الأخيرون سلسلة حروب ضد الأرمن لتحويلهم عن اعتناق المسيحية إلي عبادة النار. وكان هذا خلال الربع الثانى من القرن الخامس الميلادى.

Meinardus, op. cit., pp. 135-136.

(١٢٩) أرمينية، عدد ٦٠، ١٩/ ٣/ ١٨٨٧، مارسيليا.(بالأرمنية)

(١٣٠) أريڤيلك، عدد ١٠٣١، ٢٤/ ٦/ ١٨٨٧، الأستانة.(بالأرمنية)

(١٣١) أرماڤينى، ١٨٦٥/٤/١؛ أرمينية، عدد ٨٦، ٢٢/ ٦/ ١٨٨٧.(بالأرمنية)

(١٣٢) أريڤ (الشمس)، ١٦/ ٧/ ١٩٢٥، القاهرة.(بالأرمنية)

(١٣٣) جلسات المجلس الملى الأرمني بالقاهرة، ص ص ٢٠٢-٢٠٤، جلسة رقم ١٠٠ فى ١٨٧١/١١/١٤. (بالأرمنية)

(١٣٤) أرمينية، عدد ٣٥، ٧/٢٣ /١٨٩٤، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١٣٥) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم محمد علي إلي أوائل حكم توفيق ١٨٤٨-١٨٨٢، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٨٣٧.

(١٣٦) الزمان، عدد ٩٧٥، الجمعة ١٨٨٦/٧/٢٣.

(١٣٧) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، ص ٦٢، جلسة رقم ٢٧ في ٦ /١٨٦٤/١١، قرار رقم ١٩٦.(بالأرمنية)

(١٣٨) ديكران كيفوركيان، «نظرة حول نشأة الصحافة الأرمنية في مصر»، أريف فى ١٠/ ٣ /١٩٧٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٣٩) أرماڤيني ، ١٦/ ٣ /١٨٦٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٤٠) أصدر مراديان قبل مجيئه إلي مصر فى عام ١٨٦٣ صحيفة «هايرناسيره (الوطنى) بنيكوميديا Nicomedia بين عامى ١٨٥٢ - ١٨٥٣، ثم أصدر «باريس» في باريس بين عامى ١٨٦٠ - ١٨٦٣.

ڤاهان زارتاريان، مذكرات، القاهرة، ١٩٣٩، ص٥. (بالأرمنية)

(١٤١) أرماڤيني، ١٨٦٥/٤/١٦؛ ١٨٦٥/٥/١، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٤٢) نفسه، ١٨٦٥/٤/١٦. (بالأرمنية)

(١٤٣) زارتاريان، المصدر السابق، ص ٦. (بالأرمنية)

(١٤٤) ديكران كيفوركيان، «الصحافة الأرمنية في مصر ١٨٦٥-١٩٦٦» ، أريف في ١٩٧٠/٥/١١، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٤٥) زارتاريان، المصدر السابق، ص ٧. (بالأرمنية)

(١٤٦) كيفوركيان، الصحافة الأرمنية في مصر. (بالأرمنية)

(١٤٧) الإتحاد المصرى، عدد ١٦٥٠، الخميس ١٨٩٧/٥/٢٧.

(١٤٨) كيفوركيان، الصحافة الأرمنية في مصر؛ إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٥١، ص ص ٣٤٨-٣٤٩.

(١٤٩) أرمينية، ١٨٩٧/٥/٢٨؛ توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٤٧. (بالأرمنية)

(١٥٠) محافظ الأبحاث، رقم ١١٧، أسماء موظفى الحكومة المصرية ابتداء من رتبة البكباشى مستخرجة من سجل رقم ٣٦٨، معية تركى.

(١٥١) عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، جزءان، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠، الجزء الثانى، ص ١٠؛ جرجى زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ص ٦٩.

(١٥٢) فيليب دى طرازى، تاريخ الصحافة العربية، أربعة أجزاء، بيروت، ١٩٣٣، الجزء الرابع، ص ١٦٤، ٢١٤، ٢١٦.

(١٥٣) عبد اللطيف حمزة، المصدر السابق، ص ١٢.

(١٥٤) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق وفكره السياسى ١٨٥٦-١٨٨٥»، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد الثانى، ١٩٧٨، ص ص ٥٠-٥١.

(١٥٥) نفسه، ص ص ٥٢-٥٣.

(١٥٦) إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، القاهرة، ١٩٤٤، ص ١٤١.

(١٥٧) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ١٤٢.

(١٥٨) إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، ص ١٤٢.

(١٥٩) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ٥٤.

(١٦٠) أشرف محمود صالح، دور الأرمن في الطباعة والصحافة، دار الوزان للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ١٧٦-١٧٧.

(١٦١) أديب إسحق «الدرر» ، بيروت، ١٩٠٩؛ يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، جزءان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، الجزء الثاني، ص ١١٢؛ چرچى زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ص ٧٠.

(١٦٢) مصر، عدد ١، ٣ /٧ /١٨٧٧.

(١٦٣) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ص ٥٧-٥٩.

(١٦٤) نفسه، ص ٦٠.

(١٦٥) مصر، عدد ٢، ١١/٧ /١٨٧٩.

(١٦٦) نفسه، عدد ٢٠، ١٨٧٩/١١/١٤.

(١٦٧) نفسه، عدد ٢، ١١/٧ /١٨٧٩؛ التجارة، عدد ١٨٧٩/١١/١٧؛ مصر القاهرة، عدد ٥، ٢/٢٠ /١٨٨٠.

(١٦٨) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ص ٧١-٧٣.

(١٦٩) عبد اللطيف حمزة ، المصدر السابق، ص ١٤، ٢٥، ٤٨.

(١٧٠) نفسه، ص ٤٥.

(١٧١) أشرف محمود صالح، المصدر السابق، ص ١٨٤.

(١٧٢) عبد اللطيف حمزة، المصدر السابق، ص ص ٥٠-٥٤.

(١٧٣) چرچى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، أربعة أجزاء، دار الهلال، القاهرة،

بدون تاريخ، الجزء الرابع، ص ٥٧.

(١٧٤) فيليب دى طرازى ، المصدر السابق، جـ ٤،ص ١٦٤؛ جرجى زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، ص ٥٨.

(١٧٥) سامى عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٩٢.

(١٧٦) الزمان، عدد ٦١٠، الإثنين ٢٥/٥/١٨٨٥، عدد ٧٠١، الإثنين ١٨٨٥/٨/٣١.

(١٧٧) نفسه، عدد ٥٤٦، الإثنين ٢ /٢ /١٨٨٥.

(١٧٨) نفسه، عدد ٤١٣، الأربعاء ٢٧ /٨ /١٨٨٤؛ عدد ٦٦٦، الثلاثاء ١٨٨٥/ ٧/٢١.

(١٧٩) نفسه، عدد ٥٤٤، الأربعاء ١١/ ٣ /١٨٨٥؛ عدد ٦٠٦، الجمعة ٨/٥/١٨٨٥.

(١٨٠) نفسه، عدد ٤٤١، الإثنين ٢٩ /٩ /١٨٨٤؛ عدد ٤٤٦، الخميس ٩/١٠/١٨٨٤؛ عدد ٦٠٠، ١/٥/١٨٨٥؛ عدد ٨٩٧، الثلاثاء ٢٠ /٤/١٨٨٦.

(١٨١) لويس عوض، تاريخ الفكر المصرى الحديث، أربعة أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثاني، ص ٢٦٥.

(١٨٢) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الداخلية، محفظة رقم ١/٣/أ، خطاب من رئيس تشريفات خديو إلي نظارة الداخلية في ١٨/٩/١٨٨٤.

(١٨٣) الزمان، عدد ٦٩٥، الإثنين ٢٤/٨/١٨٨٥؛ عدد ٨٢٧، الخميس ٢٨/١/١٨٨٦؛ القاهرة، عدد ١٨٤، الأربعاء ٢١/ ٧/ ١٨٨٦.

(١٨٤) سامى عزيز، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(١٨٥) نظارة الداخلية، محفظة رقم ١/٣ / أ، قرار بإغلاق جريدة الزمان فى ١٨٨٦/٧/٢٩.

(١٨٦) سامى عزيز ، المصدر السابق، ص ١٩٣.

(١٨٧) القاهرة، عدد ٢٠٥، الأحد ١٨٨٦/٨/١٥؛ الصادق، عدد ١٨٨٧/١١/٥.

(١٨٨) مثل «نهضة إسرائيل» و «الحقيقة».

(١٨٩) سامي عزيز، المصدر السابق، ص ص ١٩٣-١٩٤؛ لويس عوض، المصدر السابق، ص ص ٢٧٨-٢٧٩.

(١٩٠) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، ص ٣٤٨؛

أرشاج البوبجيان، المصدر السابق، ص ٢١٨. (بالأرمنية)

(١٩١) كارداشيان، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٤٩. (بالأرمنية)

(١٩٢) چاك كرابس چونيور، كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، دراسة في التحول الوطني، ترجمة: عبد الوهاب بكر، سلسلة الألف كتاب الثانى رقم ١١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٥٢.

(١٩٣) نُشرت هذه الدراسة تحت عنوان "Le Siyak en Egypte Turquie" في Revue du Monde Musulman. وخط «السياقت» هو نوع من الكتابة التى كانت تُستعمل بواسطة «المباشرين» في الإدارات المالية في مصر العثمانية كديوان الروزنامة. ولما كانت سجلات الإيرادات والمصروفات من الوثائق التي لا يُسمح بخروجها من الخزينة أو حتى إطلاع الآخرين عليها دون إذن خاص من الروزنامجي والوالى فإن هذه السجلات قد كُتبت بخط

«السياقت» الذى طُور من أجل الأغراض المالية. أُختُرِع هذا الخط من اللغة العربية وأُدخل إلي نظام العمل بالخزينة فى القرن السادس عشر الميلادى بواسطة الناسخين الذين أُرسلوا إلي الخزينة من الباب العالي. وقد جعل إيجاز هذه الكتابة، منها نموذجاً للاستخدام في المساحات المحدودة المتوفرة في السجلات. كذلك فإن خلو هذا الخط من علامات التمييز العربية العادية ومخالفته للقواعد المعتادة في تشكيل الحروف العربية وربطها جعله مبهماً للجميع باستثناء هذا النفر من الأشخاص الذين لُقنوا أسرار تشكيله واستعماله. و هكذا، أصبح هذا الخط «السياقت» هو أسلوب الكتابة الشفرى في السجلات المالية التي كان «المباشرون» الأقباط يستأثرون بالعمل فيها، وبمضي الوقت أصبح هذا النوع من الكتابة يُورث لأبناء هؤلاء المباشرين بحيث أصبحت وظيفة «المباشرين» هذه حكراً عليهم.

چاك كرابس چونيور، المصدر السابق، ص ٢٦٣، هامش رقم ٧، تعليق المترجم.

(١٩٤) يُقسم يعقوب أرتين القصص الشعبية إلي خمس مجموعات:

أولاً : قصص أدخلت إلي مصر علي أثر هجرات الشعوب الأسيوية إليها. وفي هذه المجموعة أدرج أرتين القصص التى تدور حول الجن وروح الخير وروح الشر والله والشيطان والملائكة.

ثانياً: قصص يُستشعر فيها التأثير اليونانى أو الأوربى الذى يبدو واضحاً من ظهور حيوانات مثل الماعز والكباش والطاووس.

ثالثاً : قصص صادرة عن العرب الرُحل أو اليهود أو البربر في شمال إفريقيا، أى قصص سامية الأصل بصفة عامة. وتدور هذه القصص حول عادة ذات أصل دينى مثل الختان والطلاق والحق.

رابعــاً: قصص ذات أصل زنجي حيث يظهر عادةً الغول أو الغولة للإشارة إلي الشر في القصة.

خامساً: قصص مصرية أصيلة تُمثل روح الشعب المصرى وما يتميز به من ايكال أمره إلي القدر وطريقته الساخرة المرحة في تقدير الأمور.

سادساً: قصص يظهر فيها تأثير ألف ليلة وليلة وقصص عنتر وأبي زيد الهلالي وغيرها من الملاحم الشعبية.

كوثر عبد السلام البحيرى، أثر الأدب الفرنسي علي القصة القصيرة، سلسلة دراسات أدبيـة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهـرة، ١٩٨٥، ص ص ٦٢-٦٥.

(١٩٥) من مؤلفات يعقوب أرتين ومقالاته علي سبيل المثال:

- Zal Kader et Bab-Zouelah, 1886.
- Mémorandum sur l'Enseignement des Jeunes Filles, Soumises à S.A. le Khedive Abbas Pacha Helmy, 1892, Le Caire.
- Boghos bey Youssef (1768-1844), Le Caire, 1894.
- Le Nil Blew (Bahr-Agrak), Son nom Originaire et Véritable, 1896, Le Caire.
- Une lampe armoire de l'Emir Sehiethan dans le Petit Palais des chawps Elysée de Municipalité de Paris, 1896, Le Caire.
- De l'eau de Nil et de l'eau souterraine, Alexandire, 1896.
- Rapport à son Excellence Hussein Fakhry Pacha, Ministre de l'instruction publique, le Caire, 1895.
- Seize "Haddouta", Contes populaires Racontés au Caire et

Recueillis par Yacoub Artin Pacha, Le Caire, 1903.

- Contes Populaires du Sudan Egyptien, Paris, 1909.

- Rapport à l'Institut Egyptien sur le 16e Congrés des Orientalistes, Athénes, Le Caire, 1912.

كارداشيان، المصدر السابق، جـ٢ ، ص ٢٥٠. (بالأرمنية)

(١٩٦) أريستاجيس هيسارليان، تاريخ تدوين الموسيقى الأرمنية و سير الموسيقيين الوطنيين ١٧٦٨-١٩٠٩، الأستانة، ١٩١٤، ص ص ٣٨-٤١، ٤٦. (بالأرمنية)

(١٩٧) أرشاج ألبويچيان، المصدر السابق، ص ٢١٤. (بالأرمنية)

(١٩٨) الزمان، عدد ٦٧٥، الجمعة ٣١ /٧ /١٨٨٥.

(١٩٩) تجدر الإشارة إلي أن نيظان أمين بوزارى قد كُفَّ بصره في العشرين من عمره علي أثر صدمة نفسية. تزوج سيدةً إنجليزية وأنجبا ولداً وثلاث بنات. ومما هو جديرٌ بالذكر هنا أنه قد تتلمذ عليه العديد من العازفين في مصر لعل أشهرهم «جرجس سعد العريف» الذى كان يعمل بفرقة السيدة أم كلثوم.

ناهد أحمد حافظ، الغناء في القرن التاسع عشر، سلسلة كتابك، رقم ١٧٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٦٢؛ كارداشيان ، المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٩١.

(٢٠٠) زاغيج (الوردة)، عدد ٥٤٧، ٢٢ /٣ /١٩٠٣، الأستانة. (بالأرمنية)

(٢٠١) شاراسان، المسرح الأرمني فى تركيا والمشتغلين به (١٨٦٠-١٩٠٨)، الأستانة، ١٩١٤، ص ٤٠، ٨٤، ٨٩، ١٣٤. (بالأرمنية)

(٢٠٢) الزمـــان، عـــدد ٤٩١، الإثنين ١/١٢/١٨٨٤؛ عـــدد ٥١٢، الخـــمـــيس ٢٥/١٢/١٨٨٤.

(٢٠٣) نفسه، عدد ٥٢٢، الثلاثاء ٦ /١/١٨٨٥؛ عدد ٥٩٦، الإثنين ٢٧/٤/١٨٨٥؛ القـاهرة، عـدد ٦٧١، الأحـد ١١/٢ /١٨٨٨؛ القـاهرة الحـرة ، عـدد ٧٣٧، الإثنين ٢٨/٥/١٨٨٨.

تجـدر الإشـارة إلي أن فـرقـة بنجليـان خـلال فـتـرة تواجـدها في مـصـر (١٨٨٥-١٨٨٨) عـادت إلي الأستـانـة لتقديم عروضـها هناك ثم رجعت إلي مصر.

(٢٠٤) الزمـــان، عـدد ٥٤٨، الأربعـاء ٤/٢/١٨٨٥؛ القاهرة، عـدد ٦٨١، الخمـيس ٢٢ /٣/ ١٨٨٨، عدد ٦٨٦، الأربعاء ٢٨/٣/ ١٨٨٨، عـدد ٦٩٠، الإثنـــين ٢ /٤/١٨٨٨؛القاهرة الحرة، عدد ٦٩١، الثلاثاء ٣ /٤/١٨٨٨، عدد ٦٩٤، السبت ٧ /٤/١٨٨٨، عدد ٦٩٧، الثلاثاء ١٠/٤/١٨٨٨.

(٢٠٥) كارنيج إستيبانيان، موجز تاريخ المسرح الأرمني الغربي، جزءان، يريڤان ١٩٦٩، الجزء الثاني، ص ص ٢٠١-٢٠٣. (بالأرمنية)

(٢٠٦) نفسه، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٢٠٧) Jacob, Arthur, Dictionary of Music, Fifth Edition, London, 1991, p. 218, 280.

(٢٠٨) أحمد شمس الدين الحجاجي، النقد المسرحي في مصر ١٨٧٦-١٩٢٣، سلسلة كتابات نقدية، رقم ١٧، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ١٤-١٥.

(٢٠٩) نفسه، ص ١٤.

(٢١٠) الزمان، عدد ٥٤٦، الإثنين ١٨٨٥/٢/٢.

(٢١١) القاهرة ، عدد ٦٨٤، الإثنين ١٨٨٨/٣/٢٦.

(٢١٢) محافظ مجلس الوزراء ، نظارة الأشغال، محفظة رقم ٢/١، مذكرة من نظارة الأشغال إلى مجلس النظار في ١٨٨٦/٦/١٧.

(٢١٣) نفسه، مذكرة من نظارة الأشغال إلي مجلس النظار في ١٨٨٨/٤/١٩.

(٢١٤) الإتحاد المصرى، عدد ١١٣١، الخميس ١٨٩٢/٤/٧.

(٢١٥) القاهرة، عدد ٦٨٢، السبت ١٨٨٨/٣/٢٤.

(٢١٦) متحف الأدب والفن بيريڤان، أرشيف سمباد كيسيچيان، محفظة رقم ١ تحت عنوان ذكريات من تاريخ المسرح الأرمني الغربى، ص ٢٢٣.

(٢١٧) القاهرة الحرة، عدد ٦٩٦، الإثنين ١٨٨٨/٤/٩؛ عدد ٧١١، الخميس ١٨٨٨/٤/٢٦.

(٢١٨) القاهرة الحرة، عدد ٧٠٣، الثلاثاء ١٨٨٨/٤/١٧.

(٢١٩) أرشيف سمباد كيسيچيان، المصدر السابق، ص ص ٢١٦-٢١٧.(بالأرمنية)

(٢٢٠) الإتحاد المصرى ، الخميس ١٨٩١/٢/٢٦.

(٢٢١) أريڤيلك (الشرقى)، عدد ٢٧٦٣، ١٨٩٣/٤/٢٠، ص ٣. (بالأرمنية)

(٢٢٢) البريد، عدد ١٧١، الثلاثاء ١٨٩٧/٣/٣٠.

(٢٢٣) عبد المعطى شعراوى، المسرح المصرى المعاصر أصله وبداياته، سلسلة الألف كتاب الثانى، رقم ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص ٥٧-٥٨.

(٢٢٤) الهلال، عدد ٧، ١٨٩٦/١٢/١، ص ٢٦٠.

(٢٢٥) الزمان، عدد ٥٩٧، الثلاثاء ١٨٨٥/٤/٢٨.

(٢٢٦) أحمد شفيق، المصدر السابق، جـ ١، ص ٥٧.

(٢٢٧) التُقطت أول صورة فوتوغرافية في مصر لـ «حاكم القاهرة» في ١٨٣٩/١١/٧. وكُتبت عليها عبارة «هذا من عمل الشيطان».

Zevi, Filippo, Photographers and Egypt in XIX Century, Firenze, 1984, pp. 13-14.

(٢٢٨) Ibid., pp. 15-16.

(٢٢٩) Ibid., pp. 18-19.

(٢٣٠) الإتحاد المصرى، الأحد ١٨٩٠/٦/١٥؛ ١٨٩٠/٦/٢٦.

(٢٣١) الهلال، عدد ٤، ١٨٩٢/١٢/١، ص ١٨٠.

(٢٣٢) الأخبار، عدد ٢٠١، الإثنين ١٨٩٧/٤/١٢.

(٢٣٣) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٩٧، خانتا المهنة ومحل الإقامة. (بالأرمنية)

(٢٣٤) يرفانت أوديان، المصدر السابق، ص ٤٧٦.

(٢٣٥) سعد الخادم، تصويرنا الشعبى خلال العصور، سلسلة المكتبة الثقافية ، رقم ٩٥، دار العلم، القاهرة، ١٩٦٢، ص ص ١٢٣-١٢٤



خاتمة

خاتمة

وهكذا، يتضح من دراستنا أن الجالية الأرمنية تُعد من أقدم الجاليات في مصر، ليس هذا فحسب، بل ومن أنشطها وأشهرها. وقد تكونت هذه الجالية نتيجةً لظروف أرمينية الطاردة جغرافياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً . وفي المقابل ، عوامل الجذب التي تميزت بها مصر علي امتداد تاريخها. وقد اتضح جلياً تطور الجالية الأرمنية في مصر علي مدار القرن التاسع عشر، وظهرت منها صفوة مدنية ذات طموحات دفعتهم إلى منافسة الجاليات الأخرى في محاولة لاثبات جدارتهم بأية طرق. وكذا، غدت الجالية الأرمنية مضرب المثل في الثراء.

هذا، وقد حققت الجالية الأرمنية فى مصر ازدهاراً يُضارع، بل يفوق أحياناً، مثيلاتها فى الأستانة وأوربا. ولكن ، لم تكن الجالية الأرمنية كبيرة العدد، ، بل تُعد من أصغر الجاليات الموجودة فى مصر. ورغم هذا، نفذت بعمق وتأثير إلي مجالات الاقتصاد والإدارة والسياسة وأسهمت في التحولات الجذرية التي طرأت عليها إبان القرن التاسع عشر. كما استفادت من ذات التحولات.

فاقتصادياً، أسهم الأرمن بكونهم جالية تجارية وبعملهم وكلاء تجاريين لمصر في عملية «تتجير الزراعة المصرية» ودمج الاقتصاد المصرى بالسوق العالمى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. إذ تميز الأرمن بالكفاءة والخبرة المطلوبتين لتنفيذ المشروعات الاقتصادية مما ساعد محمد على فى استخدامهم «أدوات تنفيذية» لسياسته الاقتصادية. ولكن، لوحظ ضعف قوة رأس المال التجارى - الاعتمادى للأرمن تدريجياً خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر بسبب إلغاء

نظام الاحتكار الذى كان بؤرة النشاط المالى والتجارى للأرمن متزامناً مع تغلغل رأس المال الأوربى بغزارة في السوق المصرى أثر الحرية الاقتصادية والامتيازات الأجنبية وانتشار البنوك وغير ذلك. وقد نتج عن هذا ضعف قوة رأسمال كبار التجار الأرمن الذين تحولوا اضطرارياً إلي مجرد سماسرة في خدمة التجارة الأوربية.

أما إدارياً وسياسياً، لم يكن اشتغال الأرمن في الخدمة المدنية المصرية نتيجة مباشرة لنفوذهم الاقتصادى رغم أن كثيراً ممن اشتغلوا بالإدارة المصرية كانوا من أبناء العائلات التجارية، ولكنهم قد انبثقوا نتيجة لعلاقات الجالية الحميمة بالحكومة المصرية. ويُمكن وصف وظيفة الإداريين الأرمن بأنها «أداة» أعدتها الحكومة لتنفيذ سياساتها. وهنا، كان الموظفون الأرمن علي وعى تام بأن الحكومة المصرية قد استقدمتهم لأداء مهمة بذاتها. لذا، كانوا يتسلحون جيداً بأدوات النجاح قبل مجيئهم حتى يُثبتوا جدارتهم فينالوا ثقة الحكام ومكافأتهم.

وفعلاً، نجح الأرمن كثيراً في إثبات جدارتهم ونيل ثقة الحكام مما أهلّهم للقيام بدور أكبر في الإدارة المصرية يتخطى دورهم مجرد «موظفين أكفاء» إلى «المشاركة السياسية». ويُلاحظ أن الأرمن الذين عملوا في المجالات السياسية قد بدأوا حياتهم الوظيفية «مترجمين» خصوصيين للحكام، وهى الوظيفة التي نفذوا منها إلي «المناصب السياسية» خاصةً تلك التي تتعلق بالشئون الخارجية . وبذا، أسهم الأرمن بمجهود كبير فى وضع أسس السياسة الخارجية المصرية باستئثارهم منصب المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية خلال القرن التاسع عشر. وهنا، كان الأرمن «نافذة» مصر علي أوربا، بل

كانوا «أداةً» من أدوات التقارب بينهما ناهيك عن كونهم شرقيين يُجيدون التعامل مع الدول الشرقية أيضاً.

وثمة حقيقة مؤداها أن الجالية الأرمنية هى الجالية غير الإسلامية الوحيدة التي وصل بعض أفرادها إلي أعلي المناصب الحكومية في مصر. ليس هذا فحسب ، بل شاركوا سياسياً فى تشكيل مجرى بعض الأحداث المحلية والدولية، وحققوا شهرةً دوليةً خلال توليهم مناصبهم. ورغم هذا، لا يُمكننا وصف الأرمن بأنهم «سياسيون» لأنهم لم يرتكزوا علي تأييد شعبى أو دعامة بيروقراطية، بل ارتكزوا أساساً إلي رعاية الحكام أو القوى التى تُؤازرهم، ولم يحظ وجودهم بأية قابلية شعبية، فطالما كانت علاقتهم حميمة بالحكام أو القوي التى تُساندهم، تقدموا باطراد . وإذا تدهورت العلاقات تقهقروا عكسياً. هذا، ولم يعمل الأرمن لحساب دولتهم شأن الجاليات الأخرى فى مصر. لذا، اجتهدوا في إثبات جدارتهم بانجاز المهام التى تُوكل إليهم بتفوق. ويُؤكد هذا أنهم كانوا مجرد خبراء متعلمين ومتمرسين يُجيدون تنفيذ ما يُعهد إليهم، وأن الحكام قد انتقوهم ليكونوا أدواتهم في تنفيذ ما يصبون إليه.

بيد أن النجاح الذى حققه الأرمن في مصر قد أثار غيرة جميع العناصر الموجودة وحسدها وحقدها. ومما هو جدير بالذكر هنا، أن نجاح الأرمن في مصر القرن التاسع عشر يعود بالأساس إلي ظروف مصر التي أتاحت فرص الاستثمار والارتقاء. وفي المقابل، توفرت صلاحيات لدن الأرمن أهلّتهم لاستثمار ظروف مصر علي نطاق واسع. ورغم هذا، لم ينخرط الأرمن في المجتمع المصرى وظلوا متشبثين بهويتهم الأرمنية وعلى اتصال دائم بكل ما يربطهم بمواطنهم الأم.

وبعامة، أفاد الأرمن مصر بمجهوداتهم وخبراتهم، وفي المقابل، نالوا حياة كريمة ومناصب مرموقة وألقاباً تشريفية وثروات ضخمة استفاد بها الأرمن فى مصر ومواطنهم الأم وسائر المهاجر الأرمنية.

وأخيراً، يُلاحظ أن الأرمن في مصر حتي تسعينيات القرن التاسع عشر كانوا «**مُهاجرين**» ، أما منذ التسعينيات فقد أصبحوا «**مُهجرين**». هنا، اختلف نمط الأرمن تماماً، ومن ثم، تباينت سماتهم وطبائعهم وأهدافهم وأدوارهم مما يستدعى دراسة خاصة لهذا النمط الجديد من الأرمن فى مصر. **أليس كذلك؟**.



الملاحـــق

ملحق رقم «١» : وثائق تأسيس المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة.

ملحق رقم «٢» : معجـــم

ملحق رقم «٣» : الخـــرائط والرسوم والأشكال.

ملحق رقم « ١ »

وثائق تأسيس المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة

الجلسة التحضيرية الأولى لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى في مصر

الأحـد ٢ أبريـل ١٨٦٤

اقترحتُ* في صبيحة يوم الجمعة السابق علي راعى الأرمن بمصر** ما كنتُ أهدف إليه. عَقَدَ راعي الأرمن اجتماعاً حضره الآباء ميسروب سوكياسيان - ممثل الأستانة لتنفيذ الدستور الملي الأرمنى بمصر - وميكائيل وميناس فضلاً عن أعضاء لجنة إعداد الانتخابات المكونة من : شكيب أفندى نشانيان والمهندس هوڤسيب أفندى وهايرابيد أغا كريكوريان وخاتشيك أغا ماسچى. أخبرتُهم بهدف زيارتنا فشكرونا ووعدونا بأن يفعلوا كل ما في وسعهم من أجل الشعب. ثم سألتُ راعى الأرمن عن كيفية تشكيل اللجنة التى ستُعاوننى فى إعداد الانتخابات. عندئذٍ، علمتُ أنها قد تشكلت بطريقة غير رسمية. لذا، طلبتُ تدوين جلسات اللجنة حتى تأخذ الصفة الرسمية. وقد كان المقصود من هذا **أولاً**: تقديم ما يدور في الجلسات إلي السلطات حتى تسمح لنا بعقد الاجتماعات والاستمرار في عملنا. **ثانياً**: حتى لا نبعد عن الهدف الأساسى وهو الإعداد لتطبيق الدستور الملى. **ثالثاً**: ليعرف المُنتَخِبون حقوقهم وواجباتهم ويُشاركون بأصواتهم في الانتخابات في اليوم المحدد لها.



---

* الأب ميسروب سوكياسيان مبعوث بطريركية الأستانة لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى بمصر.

** كان راعي الأرمن في مصر سنة ١٨٦٤ المطران كبريل المرعشى ويُساعده مجرديتش كيڤسبزيان.

الجلسة التحضيرية الثانية لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى بالقاهرة

الاثنين ٤ أبريل ١٨٦٤

اجتمع معظم أعضاء لجنة إعداد الانتخابات برئاسة راعى الأرمن وبإدارة الأب ميسروب سوكياسيان لتنفيذ الدستور الملى بالقاهرة وفقاً لما ورد من المجلس التنفيذى الملى بالأستانة. نظروا بادئ ذى بدء إلي جميع المحادثات والإجراءات التى تمت دون التصديق عليها ودون تسجيل محاضر عنها علي أنها غير قانونية. لذا، تشكلت لجنة من وجهاء الأرمن لإعداد أسماء المرشحين لتسهيل الأمور علي العوام . وقد تكونت هذه اللجنة من: بوغوص أفندى جرابيديان وسركيس أغا داقيتيان وهاجوب بوغوصيان. ثم، تقرر جعل عدد أعضاء المجلس الملى تسعة أفراد ينقسمون إلي رئيس المجلس ونائبه وثلاثة مديرين وممثلين عن الكنيسة وممثلين عن العقارات والتركات. وأخيراً ، سجلنا هذه القرارات في المحضر الذى أغلقناه في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً.

إمضـــــاء :

نشـــــان شـــكيـــب

ميكائيل خاتشادوريان



الاجتماع الأول

انعقدت لجنة إعداد الانتخابات برئاسة راعى الأرمن وبمساعدة الأب ميسروب في الكنيسة لأن اللجنة قد تلقت خطاباً من السلطات الحكومية تُبلغهم فيه بأنها ستُتابع عملية الانتخابات. لذلك، اجتمعنا وبدأنا إعداد الأسماء المرشحة. وبعد فحص أسماء الناخبين وتطبيق المادة «٦٧» من الدستور الملى الأرمنى عليها، اتضح صلاحية «٢٤٦» اسم، وبعد استبعاد «٢٣» اسماً غير موجودين بالبلاد أو متوفين أصبح العدد «٢٢٣» لهم حق الانتخاب. وبما أن عدد أعضاء المجلس المراد تشكيله يتكون من تسعة أفراد يتم اختيارهم من سبعة وعشرين عضواً، فقد تقرر تسجيل هذه الأسماء في قوائم وتعليقها بفناء الكنيسة والتنبيه بأنه ليس في استطاعة أى ناخب انتخاب اسم خارج القوائم. وعندما أدركت اللجنة أن بعض الأرمن يقطنون بعيداً عن موقع الانتخابات وربما لا يُخبرهم أحد بما تم، فقد قررت اللجنة إرسال خطابات لجميع الناخبين. وأيضاً، إرسال خطاب إلي السلطات الحكومية. وبذا، انتهي الاجتماع في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً.



نص الخطاب الذى أرسلته مطرانية الأرمن إلى الناخبين

يسر لجنة إعداد الانتخابات أن تُخبركم أنه قد تحدد يوم الأحد الموافق ١٢ أبريل ١٨٦٤ لإجراء انتخابات المجلس الملي الأرمنى بالقاهرة في حضور الأب ميسروب ممثل الأستانة. لذا، يُرجى من سيادتكم

الحضور وإعطاء صوتكم وليس للغائبين حق الاحتجاج تبعاً للمادة «٧٤» من الدستور الملي.

تحريراً في يوم الخميس ٧ أبريل ١٨٦٤.

إمضاء:

الأب ميسروب خاتشادوريان

بوغوص جرابيديان

سركيس داڤيتيان



الإجتماع الثاني

الأحد ١٢ أبريل

اجتمع الأعضاء في حضور المرشحين جميعاً وراعى الأرمن والأب ميسروب. أعلن الأب ميسروب لجموع الحاضرين بأن كل شخص بلغ خمسةً وعشرين عاماً لديه حق الانتخاب وترشيح من يشاء. بدأت الانتخابات في تمام الساعة الرابعة والنصف مساءً بتسليم كل ناخب بطاقة انتخابية، وقد ظلت الانتخابات حتى الساعة التاسعة.

ثم فتحت اللجنة صندوق الانتخابات لفرز ما به من بطاقات. بلغ عدد البطاقات الموجودة بالصندوق «١٣٢» بطاقة.

أحرز سبعةُ أعضاء فوزاً كبيراً في حين حقَّقَ المرشحون الآخرون

نجاحاً متواضعاً ، وها هو ترتيب الناجحين وفقاً لأعلي الأصوات.

١- كـــريكور أفندى يغـــيــايان (١٠٩ صـــوت).

٢- آزاريا أغـــا بدروســـيـــان (١٠٣ صـــوت).

٣- شكيب أفندى نشـــانيـــان (٩٢ صـــوتاً).

٤- كـــيـــڤــورك بك رابائيليـــان (٧٨ صـــوتاً).

٥- بوغـــوص أفندى جـــرابيـــديان (٧٢ صـــوتاً).

٦- مـــوڤـســـيس أفندى هـاجـوبيـان (٧٢ صـــوتاً).

٧- هوڤـانيس أفندى بغـداسـاريان (٧٢ صـوتاً).

٨- مـــوڤـســـيس أغـــا آلايـچـــيـان (٦٣ صـــوتاً).

٩- خـــاتشـــيـر أفندى مـــيكائيليـــان (٦٢ صـــوتاً).

طالب الشعب الأرمني راعيه بأن يُبلِّغ المرشحين كتابياً ويدعوهم لتقلد مهامهم واعتماد النتيجة. إلي هنا تم غلق المحضر.



نص خطاب دعوة المرشحين الناجحين لتقلد مهامهم

تمت الانتخابات بعاصمتنا أمس الأحد ١٢ أبريل لترشيح المجلس الملي علي أساس الدستور الملي الصادر بالأستانة. وبما أن سيادتكم من

الناجحين فنهنئكم وندعوكم للحضور غداً في تمام الساعة الثانية ظهراً لتشكيل المجلس. ولكم وافر التحية.



بيان مطرانية الأرمن الأرثوذكس

نُخبر أفراد الشعب المؤمن بأنه قد تم انتخاب أعضاء للقيام بإدارة شئون الجالية بعد ترشيحهم علي أساس الدستور الملي الصادر من الأستانة. وقد تمت الانتخابات يوم الأحد ١٢ أبريل وتم انتخاب تسعة أعضاء بالأغلبية.

إن الأعمال التي سيقوم بها المجلس الملى ستكون وفقاً للمادة «٥٢» من الدستور كما يلي: الحفاظ على الكنيسة وتشكيل لجان لرعاية شئون المدرسة ورعاية شئون الفقراء والبت في المنازعات والحفاظ على الأمن العام. وأيضاً، الحفاظ علي عقارات الكنيسة والمدرسة إن وُجِدَتْ، وسوف تُخصص ميزانيات للمدرسة والشئون الاجتماعية. وفي حالة حدوث عجز لتمويل هذه الخدمات من عقارات الكنيسة والمدرسة ومن التركات سيُقرر المجلس رسوماً خاصة علي الجالية وفقاً لما جاء في المادة «٩١» من الدستور الملي. وسوف يُؤسس صندوقاً لتجميع الرسوم المقررة علي الأشخاص وعوائد الكنيسة وعوائد المدرسة، وأيضاً لجمع أموال التركات والتبرعات ، وسوف تُخصص من هذا الصندوق متطلبات الكنيسة والمدرسة والشئون الاجتماعية وفقاً لما جاء بالمادة «٥٢» من الدستور الملى، وسوف يتولي المجلس الملى الإشراف الإدارى علي هذا

الصندوق. وسوف يُخصص للمجلس الملى حجرة تكون بمثابة ديوان يُسجل به أسماء الأرمن القاطنين بالقاهرة بطريقة منظمة فضلاً عن تسجيل حالات الزواج والوفاة والمواليد وفقاً لما ورد بالمادة «٥٣» من الدستور الملى. ولما كان المجلس الملى تتولاه اللجنة التشريعية فإنه دائماً سيكون تحت إمرة اللجنة التنفيذية ويمدها بالبيانات المطلوبة. وعندما تحدث مشاكل بين الأرمن فعليهم التوجه إلي المجلس الملي الذى سوف يرفع الأمر إلي اللجنة التشريعية.

وبهذه العريضة نُباركُكم ونرجو أن تُنفذوا هذه المهمة المنوطة بكم علي أكمل وجه.

تحريراً في يوم الأربعاء ١٣ أبريل ١٨٦٤.

مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.

إمضاء:

نشان شكيب

الأب ميكائيل خاتشادوريان

سركيس داقيتيان

* * *

الجلسة الأولي للمجلس الملي الأرمني بالقاهرة

الثلاثاء ١٤ أبريل ١٨٦٤

أبلغنا بالأمس راعى الأرمن في خطاب بأننا قد رُشحنا لنكون ضمن المجلس الملي ودعانا لحضور الجلسة الأولي المنعقدة اليوم لتحديد

الاختصاصات. انعقدت الجلسة الأولي في حضور معظم الأعضاء عدا موقسيس أغا آلايچيان وهوڤانيس أفندى بغداساريان لانشغالهما الشديد وقد بعثا باستقالتهما. وبحضورنا اليوم نحن السبعة أعضاء سألنا راعى الأرمن عن سبب اجتماعنا. أخبرنا راعى الأرمن بأنه قد دعانا لتوزيع الاختصاصات بعد أن هنأنا لاختيارنا من قبل الشعب الذى منحنا ثقته الكاملة لنتولي إدارة أمور الجالية بإخلاص ووفقاً للدستور الملى. وقد تم اختيار السيد أزاريا أغا بدروسيان رئيساً للمجلس بأربعة أصوات ، واختيار هوڤانيس أفندى بغداساريان سكرتيراً بثلاثة أصوات، واختيار بوغوص أفندى جرابيديان وموقسيس أغا أمينى الصندوق. وتم احضار بطاقات الانتخابات وقائمة أسماء المُنتَخَبين ومنها تم اختيار شخصين أخرين بدلاً من المستقيلين علي أساس أغلبية الأصوات. فاختير بدروس أفندى زكى الذى أحرز «٥٣» صوتاً وشاڤارش آلبياريان أغا الذى أحرز «٥٣» صوتاً وتم تعيين شاڤارش أغا سكرتيراً بدلاً من هوڤانيس أفندى الذى كان قد سلَّم استقالته وذلك بالموافقة المطلقة. وقد سلَّمنا قائمة الناخبين والمُنتَخبين لراعى الأرمن الذي طالبناه بتجهيز السجلات وكل ما يلزم حتى يوم الجمعة حيث قررنا عقد اجتماعاتنا كل يوم جمعة. وبهذا، أُغلق المحضر في تمام الساعة السابعة مساءً.



المصـــدر

أرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة، دفاتر المجلس الملى، رقم «١» ص ص ١-٧. (بالأرمنية)

ملحق رقم « ٢ »

المعجـــــم

١ - إبادة. Genocide

هى محاولة محق أو إفناء طائفة أو شعب قومى أو سلالى أو عرقى أو دينى أو سياسى.

٢- أبعادية. Plantation

يُعرِّف الجغرافيون الاقتصاديون «الأبعادية» بأنها مزرعة ذات مساحة كبيرة نسبياً تُستغل عادةً لإنتاج محاصيل نقدية علي نطاقٍ واسع. وهى في أغلب الأحوال من بقايا نظم الإقطاع أو بدع الاستعمار. أما الأبعادية التي ورد ذكرها داخل الدراسة فقد عرَّفها المتخصصون بأنها «الأراضى القابلة للزراعة التي شملها المسح الشامل الذى أجراه محمد علي فى عامى ١٨١٢-١٨١٤ ولم تُفرض عليها ضرائب». وتتكون أساساً من أراضى الشراقى والبور. وكانت تُمنح أحياناً بشرط عدم تأجيرها وأحياناً أخري بغير شروط. لكن كانت جميعها تُمنح «رزقة بلا مال»... أي معفاة من الضرائب.

٣- احتكار. Monopoly

يُعرف الاقتصاديون الاحتكار بأنه رأس المال الذى يُركز بين يديه أكبر قدر من وسائل الإنتاج ويضع تحت تصرفه أكبر قدر من المال بهدف تحقيق أكبر قدر ممكن من

الأرباح. وينشأ الاحتكار عادةً من محاولة الرأسمالي توسيع دائرة نشاطه بحيث يُسيطر علي أكبر قدر ممكن من السلع الانتاجية أو السلع الاستهلاكية. سواء تم ذلك علي حساب القضاء علي رأسماليين أخرين أصغر منه وأضعف أو علي حساب زيادة استغلال العمال أو عن طريق نهب موارد الأمة وإفساد الحكم. والعنصر الأساسى في تكوين الاحتكار هو وجود الخمول القادر علي تقديم المال اللازم لتحقيق التركيز في السلع في أيدى عدد أقل من الرأسماليين. وقد كان «نظام الاحتكار» بؤرة سياسة محمد علي الاقتصادية حيث أصبح المالك الوحيد لأراضى مصر، والتاجر الوحيد لحاصلاتها، ثم الصانع الوحيد بمصر.

٤- أردب .

كلمة مصرية قديمة. وقد كان «أردب الغلال» هو وحدة المكاييل في مصر قبل حكم محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٩) الذى حدد الأردب بـ «٦» ويبة و «٤٨» ملوة و «٣٨٤» رُبعة و«٧٦٨» ثُمنة. ثم بدَّل محمد علي المكاييل إلي موازين واتبع في هذا النظام المئوى الفرنسي حيث أصبح أردب القمح يزن «٣٠٠» رطل وأردب الفول يزن «٣٢٠» رطل وأردب الشعير يزن «٣٤٠» رطل وأردب العدس يزن «٣٢٠» رطل.

٥- أسطى. Usta

«أُستا» في اللغة الفارسية مشتقة من الكلمة الفارسية المعربة «أستاذ»، وفي التركية «أوستة». والأسطى، هو الصانع الذى وقف علي الصناعة ومهر فيها أو أُجيز ليعمل مستقلاً . وتُجمع علي «أسطوات».

٦- أغا. Agha

يرى البعض أنها كلمة فارسية الأصل تعنى «السيد» وتُنطق آقا. ويرى آخرون أنها تركية من المصدر «أغمق» وتعنى «الكبر وتقدم السن». وتُطلق في التركية علي الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلي الخادم الخصى الذى يُؤذن له بدخول غرف النساء.

٧- إفادة.

الخطابات الصادرة من المكاتب الإدارية إلي ديوان الحاكم.

٨- أفندى. Effendi

كلمة يونانية الأصل تعني «السفاح» ، «القاتل»، «الجلاد»، «الظالم». دخلت اللغة التركية وأصبحت تعنى «المولى».

«السيد»، «القارئ». وقد استعملها العثمانيون لقباً للرجل الذي يقرأ ويكتب ولقباً لبعض كبار الموظفين. أُلغى هذا اللقب في تركيا في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤. وبَطُلَ استعماله في مصر بعد عام ١٩٥٢.

٩- التزام.

امتياز علي أراضى الدولة وعقاراتها المختلفة تمنحه الحكومة لشخص يتعهد بجباية الضرائب نيابةً عن الحكومة.

١٠- أميرا. Amira

من الكلمة العربية «أمير». وأميرا، لقب عثمانى منحه السلاطين للأرمن الأثرياء الذين تعاونوا معهم منذ منتصف القرن الثامن عشر. وقد كان يُطلق عليهم قبل ذلك «خوجه» و «شلبى».

١١- باب عالى. High Port

رمز إلي مقر الوزارة في عهد الدولة العثمانية. وهو مقر الوزارة العثمانية ويُرمز إليها بالباب العالي ويتصدرها الصدر الأعظم. ويُقال أن للباب العالي أصلاً في تاريخ مصر القديمة. وكان الأصل في كلمة «بر عا» أى البيت الكبير ثم تحولت إلي سيد البيت وهو «الفرعون».

١٢- باشى. Bachi

= باشى. كلمة تركية تعنى «رئيس» أو «كبير».

١٣- باشا . Pasha

من الألقاب المدنية . وهو لفظ فارسي من «پا» أى «قدم» و«شاه» أى «ملك» ثم أصبح له معني إصطلاحى خاص هو «الرأس» أو «الرئيس». ويُطلق هذا اللقب فى مصر علي رجال الجيش إذا صاروا ألوية، وعلي أعيان المدنيين ووكلاء النظارات والوزارات ومحافظى الأقاليم وكبار التجار وملاك الأراضى. وقد أُلغى هذا اللقب في مصر سنة ١٩٥٢.

١٤ - بصمخانة.

«بصم» من التركية «باصمق» أى أن يطأ برجله، أن يضغط ، أن يطبع. «خانة» كلمة فارسية تعني «دار». وتُطلق علي مكان تصنيع الصبغة.

١٥- بك. Bey

كلمة تركية تعنى «كبير»، «ثرى». وهو لقب مدنى أُلغى في مصر سنة ١٩٥٢.

١٦- تقسيط.

= سند أو حجة. وتعني التمكين أو التذكرة التي تُعطى لشخص لتمكينه من شيء.

١٧- جاثليق. Catholicos

«جاثليق كل الأرمن» هو لقب البطريرك الأعلي لجميع الأرمن، ورئيس الكنيسة الأرمنية الرسولية، وخليفة القديس كريكور المضيء - مؤسس المسيحية في أرمينية. تعاقب «١٦١» جاثليق منذ كريكور المضيء حتى ڤاسكين الأول (١٩٥٥-١٩٩٤). ويُعادل جاثليق الأرمن بابا روما. ويقوم الجاثليق في حالات كثيرة بدور السلطة فيما يتعلق بالشعب الأرمني.

١٨- جزية.

الضريبة المفروضة على الذكور البالغين من أهل الذمة من نصارى ويهود.

١٩- حجة. Deed

الورقة التي تحوى حكماً شرعياً أو تُثبت اتفاقاً بين رجال الإدارة يتم علي يد القاضي وتُعرف بـ «الحجة الشرعية».

٢٠- حرملك .

أى مكان «الحرم» أو النسـاء. ويُطلق الحرملك علي الجناح المُخصص للسيدات في القصر.

٢١- خازندار.

أمين الخزانة . الموظف المختص بحفظ خزينة مصر: أى ماليتها وهو من أهم أتباع الحاكم.

٢٢- خديو . Khedive

كلمـة فارسية تعنى «السيـد» . لقب منحـه السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) لإسماعيل باشا والي مصر سنة ١٨٦٧ وذلك تمييـزاً له عن بقـيـة الولاة في السلطنة العثمانية واعترافاً منه ببعض الامتيازات والحقوق التى كان محمد على قد انتزعها بقوة السلاح خلال حروبه الطويلة مع الجيش العثمانى التي كادت أن تنتهى لصالحه لولا التدخل الأوربى العسكرى المباشر. وقد أُطلق هذا اللقب أيضاً علي توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) وعباس حلمى الثانى (١٨٩٢-١٩١٤). وفى سنة ١٩١٤ استُبدل هذا اللقب بـ «سلطان» ثم استُبدل هذا اللقب بـ «ملك» حتى سنة ١٩٥٢ حيث قضت ثورة يولية علي الملكية في مصر.

٢٣- خـــــواجه.

كلمة فارسية الأصل تعنى «السيد» و«رب البيت» و«التاجر الثرى» و«الحاكم» و«الخصى».

٢٤- دومـين. Domain

كلمة إنجليزية تعنى الملكية التامة للأرض. وفي مصر كان الدومين هو أراضى الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩). ففى عام ١٨٧٨ ونتيجةً للإرتباك المالي الذى أصاب البلاد تنازل إسمـاعيل عن أمـلاك أسرته وقـدرها «٧٢٩. ٤٢٥» فـدان للحكومـة علي أن تقوم الأخـيرة بعـمل قرض لضـمـان هذه الأطيـان لسـداد الديون السـائرة . وتشكل لإدارة أراضى الدومين قومسيون من مصرى وإنجليزى وفرنسى لتحصيل إيرادات الأراضى المذكـورة لسـداد الأقـسـاط . وهكذا، تشكلت مصلحة الأراضى الأميرية لتُدير «أراضى الدومين».

٢٥- ذوات.

أرسـتـقراطية، جـمع «ذات» العربيـة. وتُطلق علي الأعـيان والسُراة.

٢٦- روزنامة.

في الفـارسـيـة «روز» تعنى يوم و«نامة» أى الكتـاب (كتـاب

اليوم): أي دفتر اليومية. وديوان الروزنامة في مصر: ديوان مالي يجبى الضرائب، ويتولي الإنفاق علي بعض جهات البر كتشغيل الكسوة الشريفة، ونفقات قلاع الحجاز، ومرتبات مجاورى الحرمين الشريفين، وبعض أعيان الأستانة، وطلبة الأزهر، والعتقاء، والقضاة.

٢٧- ڤارتابيد. Vartabed

يُطلق لقب ڤارتابيد علي الراهب الذى يرتقى إلي مرتبة علماء اللاهوت. ويُمنح للراهب عقب اجتيازه امتحاناً خاصاً في العلوم الدينية. وكان الڤارتابيد يقوم بالتبشير والوعظ وشرح الكتاب المقدس وتفسيره ناهيك عن قيامه بالتدريس في المدارس اللاهوتية التي يتم إنشاؤها في بعض الأبرشيات. وقد اهتم الرهبان عامةً والڤارتابيد خاصةً بالأدب الأرمني الوسيط.

٢٨- فـــدان.

مقياس مسطح كان يختلف من حيث للقدر قبل المسح الذى أجراه محمد علي في عام ١٨١٢-١٨١٤ . ثم تحدد خلال حكم محمد علي بـ «٤٤١٦.٥١/٣» متر مربع. الآن يُعادل «٤٢٠٠.٨» متر مربع.

٢٩- فرمـــــان.

أمر من السلطان العثمانى. مرسوم، مرسوم ملكى.

٣٠- كتخدا (كخيا)

بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء فى التركية، كتخدا من الفارسية «كدخدا» .والكملة الفارسية من كلمتين «كدا» بمعنى «البيت» و«خدا» بمعني «الرب والصاحب» . فالكتخدا هو في الأصل «رب البيت» . ويُطلقها الفرس علي السيد الموقر وعلي الملك. ويُطلقها الأتراك علي الموظف المسئول والوكيل المعتمد.

٣١- كيس.

حافظة نقود. كل خمسمائة قرش تُسمى «كيس». كل ألف كيس تُسمى «خزنة».

٣٢-معيـــة.

يُقصد بها حاشية السلطان أو الحاكم وما تضم من رجال البلاط. وهي مشتقة من حرف «مع» العربية بمعنى «المصاحبة». وكان رجال بلاط الوالي وحاشيته يُسمون «رجال المعية» أو «المعية السنية» علي غرار التسمية المتداولة في بلاط الخلافة العثمانية.

٣٣- ملتزم.

الذى يتعهد بتحصيل الأموال الأميرية المقررة علي أرض أو جمرك ويُورد للخزينة الضريبة المقررة كخراج ويحتفظ بالباقي له.

٣٤- همايــــون.

كلمة فارسية الأصل تعني عزيز، جليل ، قوى، مسعود، مبارك، سامى. كانت تُستخدم في كل أمر يتعلق بالسلطان فيُذكر «خط همايون» أي فرمان صادر من السلطان، و«سراى همايون» أى سراى السلطان.

٣٥- وقف. Endowment

تحويل أرض أو مصادر أخرى للثروة للإنفاق منها علي مشروعات خيرية ودينية واجتماعية أو نقلها لأفراد العائلة.



مصادر المعجم :

(١) أحمد أحمد الحتة، تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر، مطبعة المصرى، الإسكندرية، ١٩٦٧

(٢) أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.

(٣) أحمد سويلم العمرى، معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.

(٤) عبد الوهاب الكيالى وكامل زهيرى (إشراف)، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤.

(٥) عبد السميع سالم الهراوى، لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٢.

(٦) نجيب فرنجيه، الموسوعة العربية ، دار ريحانى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥.

(٧) يوسف تونى، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤.

ملاحظة:

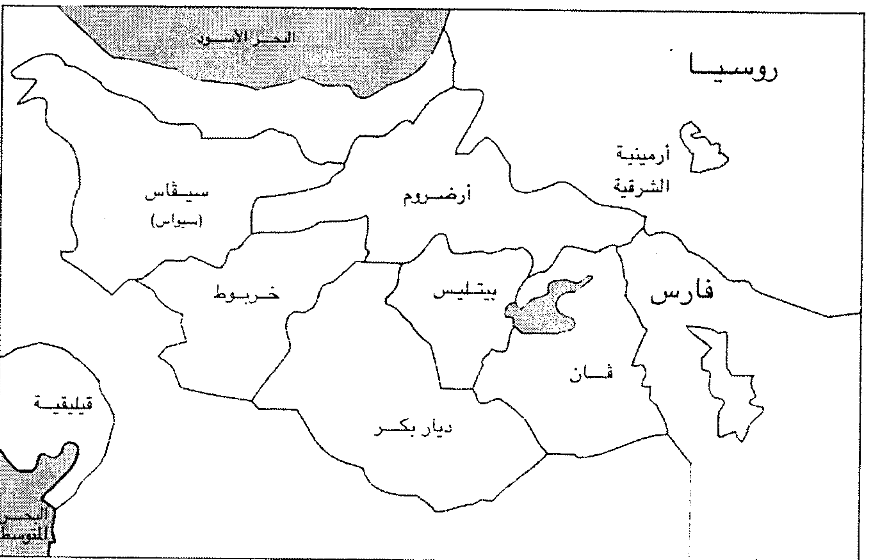
استفاد المعجم أيضاً من العديد من المصادر الأخرى التي استُخدمت بالدراسة.

ملحق رقم « ٣ »

الخرائط والأشكال والصور

البحر الأسود
بحر كاسبيان
(قزوين)
الإمبراطورية الأرمنية
قبادوكيا
بونط
أرمينية الصغرى
أخوريان
أرماڤير
بريڤان
سيڤان
الجور
ناخشيفان
أراكس
ميلتين
ديكراناجرد
ڤان
نزيب
قيليقية
أنطاكية
البحر المتوسط
فينيقيا
سوريا
الفرات
دمشق
بالميرا
الامبراطورية البارثية
٥٠ ميل
١٠٠ كم

خريطة رقم (١)



أرمينية العثمانية

خريطة رقم (٢)

الأبجدية الأرمنية

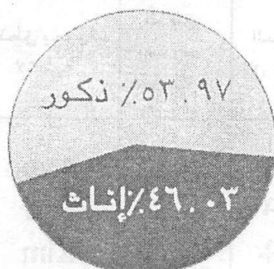
الحرف الارمني	النطق بحروف عربية	النطق بحروف لاتينية	الحرف الارمني	النطق بحروف عربية	النطق بحروف لاتينية
Ա	أيب	Ayp	Մ	مين	Men
Բ	بين	Pen	Յ	هي	Hi
Գ	كيم	Kim	Ն	نو	Nou
Դ	تا	Ta	Շ	شا	Cha
Ե	يتش	Yetch	Ո	فو	Vo
Զ	زا	Za	Չ	تشا	Tcha
Է	إي	E	Պ	ب	Bé
Ը	إط	Et	Ջ	تشي	Tché
Թ	تو	To	Ռ	را	Ra
Ժ	چي	Ge	Ս	سي	Cé
Ի	ايني	Ini	Վ	ڤيڤ	Véve
Լ	ليون	Lyoun	Տ	ديون	Dyone
Խ	خي	Khe	Ր	ري	Ré
Ծ	دزا	Dza	Ց	تسو	Tso
Կ	جين	Guène	Ւ	هيون	Hioun
Հ	هو	Ho	Փ	بيور	Piour
Ձ	تسا	Tsa	Ք	كي	Ké
Ղ	غاد	Ghad	Օ	او	O
Ճ	دچي	Djè	Ֆ	ف	Fé

Կոմա՛ա Իմամ Ալի

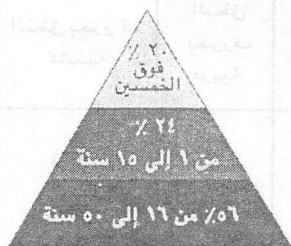
جمعة امام علي

شكل رقم ١

هيكل الجالية الأرمنية فى مصر



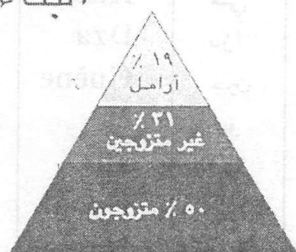
البناء النوعى



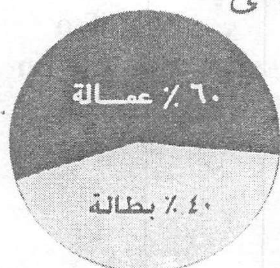
الهرم العمرى



البناء المهنى

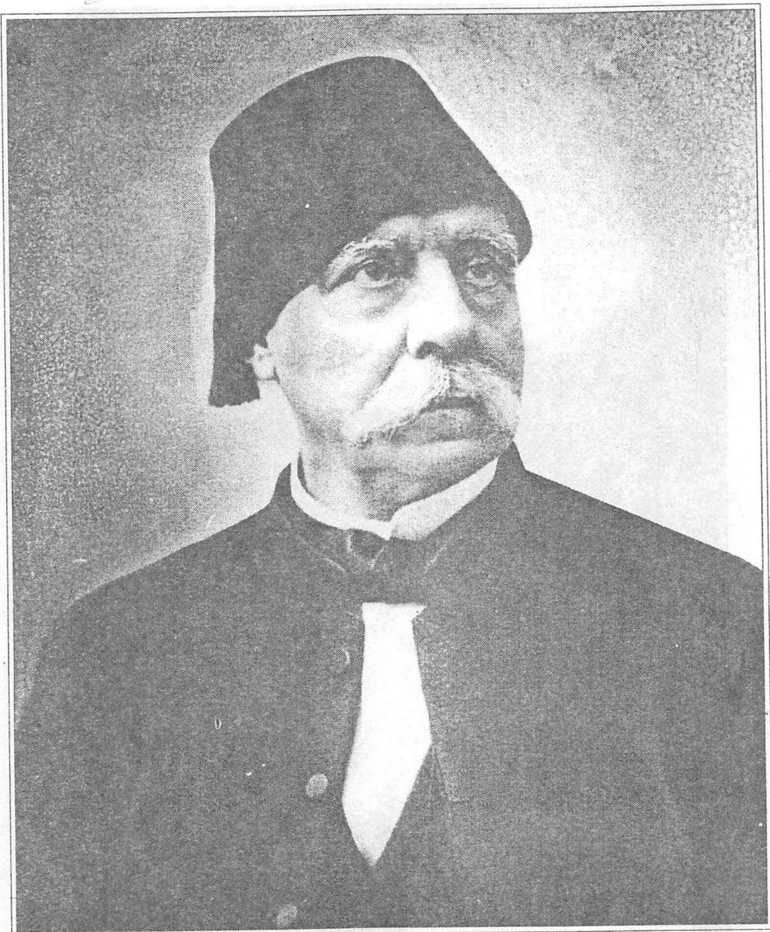


البناء المدنى

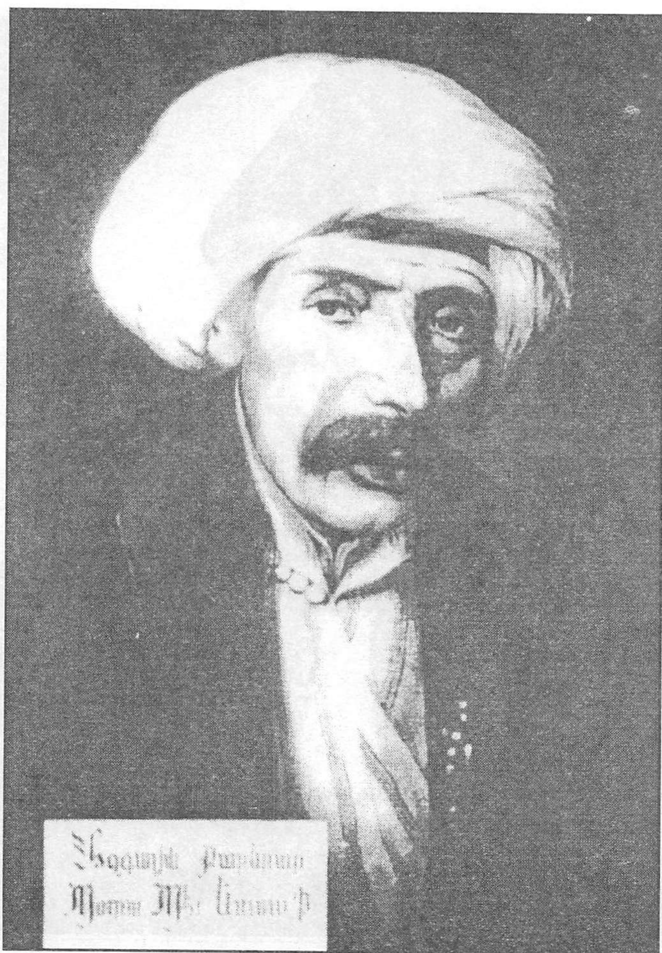


قوة العمل

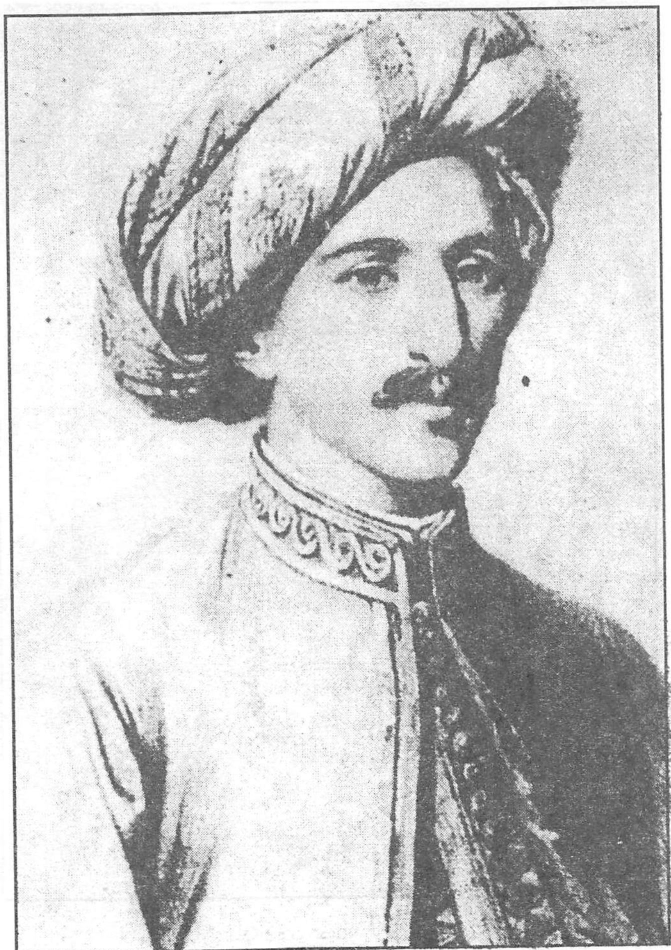
شكل رقم ٢



نوبـــار باشـــا نوباريـــان
(١٨٢٥ - ١٨٩٩)
أول رئيس نظار في مصر
نظارته الأولى (١٨٧٨-١٨٧٩)
نظارته الثانية (١٨٨٤-١٨٨٨)
نظارته الثالثة (١٨٩٤-١٨٩٥)



بوغـــوص بـــك يوسفيـــان
(١٧٦٩ - ١٨٤٤)
مؤسس الجالية الأرمنية بمصر
ناظر التجارة والأمور الإفرنجية
(١٨٢٦-١٨٤٤) .



آرتين بك تشراكيان
(١٨٠٠ - ١٨٥٩)
مدير التجارة والأمور الخارجية
(١٨٤٤-١٨٥٠)



إسطفان بك دميرچيان رسمى الأرمنى
(١٨٠٤-١٨٦٠)
وكيل إدارة الأمور الأجنبية المصرية
(١٨٥٠ - ١٨٥٣)
مأمور ديوان الأمور الخارجية
(١٨٥٤-١٨٥٧)



آراكيــل بــك نوباريــان
(١٨٢٦ - ١٨٥٨)
مدير الخرطوم وسنار
(١٨٥٧ - ١٨٥٨)



يعقـــوب باشـــا آرتـــين

(١٨٤٢ - ١٩١٩)

وكيل نظارة المعارف العمومية

(١٨٨٤ - ١٩٠٦)



ديكـــران باشـــا آبرويـــان
(١٨٤٦-١٩٠٤)
ناظر الخارجية المصرية
(١٨٩١-١٨٩٤)

المصــادر

أولاً: وثائق غير منشورة

(أ) دار الوثائق القومية بالقاهرة

☆ تراجم ملخصات دفاتر تركي

- محافظ تحت أرقام ١، ٢، ٩.

☆ سجلات تعداد النفوس

- محافظة مصر: قسم عابدين، ل١/٨٤/١ (١٦٠)؛ ل١/٨٤/٢ (١٦١)؛ ل١/٨٤/٣/(١٦٣).
- محافظة مصر : ل١/٨٤/٤٠، سجل إجمالي تعداد النفوس بأثمان المحروسة في عام ١٢٦٤ هجرية.
- محافظة مصر: سجل رقم ٢٨٠، إجمالي السجلات فى عام ١٢٨٥ هجرية.

☆ سجلات تقاسيط الأباعد العشورية

- سجل رقم ١٢٢٨، جـ٥.
- سجل رقم ١٢٣٠، جـ٧.
- سجل رقم ١٢٣٣، جـ١٠.
- سجل رقم ١٢٣٥، جـ١٢.
- سجل رقم ١٢٣٧، جـ١٣.
- سجل رقم ١٢٣٨، جـ١٤.
- سجل رقم ١٢٣٩، جـ١٥.

- سجـــــل رقـــم ١٢٤١، جـ ١٧.

- سجـــــل رقـــم ١٢٤٢، جـ ١٨.

- سجـــــل رقـــم ١٢٤٣، جـ ١٩.

- سجـــــل رقـــم ١٢٤٥، جـ ٢١.

- سجـــــل رقـــم ١٢٤٩، جـ ٢٥.

- سجـــــل رقـــم ١٢٥٣، جـ ٢٩.

- سجـــــل رقـــم ١٢٦٤، جـ ٤٠.

- سجـــــل رقـــم ١٢٧٢، جـ ٤٨.

- سجـــــل رقـــم ١٢٧٣، جـ ٤٩.

- سجـــــل رقـــم ١٢٧٤، جـ ٥٠.

- سجـــــل رقـــم ١٢٨٠، جـ ٥٦.

- سجـــــل رقـــم ١٢٨٣، جـ ٥٩.

- سجـــــل رقـــم ١٢٨٥، جـ ٦١.

- سجـــــل رقـــم ١٢٨٩، جـ ٦٥.

- سجـــــل رقـــم ١٢٩٤، جـ ٧٠.

- سجـــــل رقـــم ١٢٩٧، جـ ٧٣.

☆ سجلات ديوان خديو تركى

- س٢/٤٢/١ (٧٢٨).
- س٢/٣٠/٢ (٧٣٢).
- س٢/٣٠/٤ (٧٣٣).
- س٢/٣٠/٧ (٧٣٩).
- س٢/٤٠/٥ (٧٤٥).
- س٢/٤٠/٨ (٧٥٠).
- س٢/٤٩/٣ (٧٥٦).
- س٢/٤٠/١٢ (٧٦٠).
- س٢/٤٠/١٥ (٧٦٣).
- س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦).
- س٢/٤٠/١٧ (٧٧٠).
- س٢/٢٨/٥ (٧٧٤).
- س٢/٤٩/٦ (٧٧٩).
- س٢/٤٠/٢٤ (٧٨٤).
- س٢/٤٠/٢٦ (٧٨٥).
- س٢/٥٦/١ (٨٠٦).

☆ سجلات ديوان المعية تركى.

- س١/٤٧/١ (٣).
- س١/٤٧/٢ (٥).
- س١/٤٧/٣ (٦).
- س١/٤٧/٤ (٩).
- س١/٤٧/٥ (١١).
- س١/٥٠/٤ (١٤).
- س١/٤٧/٧ (١٧).
- س١/٥٠/٥ (١٨).
- س١/٥٠/٧ (٢١).
- س١/٥٧/١ (٣٦).
- س١/٤٧/١٥(٣٨).
- س١/٥٣/٢ (٣٩).
- س١/٥٠/٩ (٤٠).
- س١/٥٨/٣ (٤٤).
- س١/٥٥/١ (٤٩).
- س١/٥١/٢ (٥٤).
- س١/٥٧/٢ (٥٨).

- س[1]/ ٦٠ /٢ (٥٩).

- س[1]/ ٧٩ /١ (٦٢).

- س[1]/ ٦٢ /١ (٦٨).

- س[1]/٥٤/٢ (٧٧).

- س[1]/٥٥/٥ (٨٦).

- س[1]/٥٥/٢٤ (٥٣٣).

- س[1]/٥٥/٢٣ (٥٣٩).

☆ **سجلات ديوان المعية عربى**

- س[1]/٥/١ (٣).

- س[1]/٨/٨ (٤٤).

- س[1]/٨/١٢(٥٨).

- س[1]/٢/٢ (٥٨ جـ ٢).

- س[1]/٢/٥ (٦٣).

- س[1]/٢/٨ (٧٧).

- س[1]/١/٢٢ (٧٨).

- س[1]/٢/٥٩ (٨١ جـ ٥).

- س[1]/٨/٢٣ (٨٦ جـ ١).

- س[1]/٢/١٣ (٩٨).

- س[1]/١/٣ (١٨٨١).
- س[1]/١/٧ (١٨٨٥).
- س[1]/١/١٣ (١٨٩١).

☆ سجلات عابدين تركى

- س[5]/٥١/١٠ (٢١٤).

☆ محافظ الأبحاث

- محافظ تحت أرقام ٧، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣.

☆ محافظ بحر برا

- محفظتا ٧، ٨.

☆ محافظ الذوات تركى

- محافظ تحت أرقام ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٧، ٩، ١٢.

☆ محافظ مجلس الوزراء

☆ الأشغال.

- محافظ تحت أرقام ١/٢، ٢/٢/أ، ٢/٢/ب، ٤/٣/أ، ٦/٤/أ.

★ الحقانية

- محفظتا تحت رقمي ١/١/أ، ٧/٢ /١/أ.

★ الخارجية

- محفظة رقم ٣.

★ الداخلية

- محفظتا تحت رقمى ١/٣/أ، ٢/٢/أ.

★ السكة الحديد

- محفظة رقم ٢/٢/أ.

★ الطوائف والجاليات الأجنبية

- محفظة رقم ١/أ.

★ مجلس النظار

- محفظة رقم ٣/أ.

★ المالية

- محفظتا تحت رقمى ١/١/أ، ١/٥/د.

★ المعارف

- محفظة رقم ١٨.

☆ محافظ المعية تركى

- محفظة رقم ٥٠.

(ب) دار المحفوظات العمومية بالقاهرة

★ ملفات الموظفين

الاسم	رقم الملف	محفظة	عين	دولاب
- أراكيل بك.	٥٧٤٢	٢٣٧	١	١١
- آرام بك پاپازيان.	٢٥١٣٢	١٠٥٩	١	٥٢
- أرتين بك رايزيان	٢٤٩١٣	١٠٤٠	١	٥١
- أرداشيس كونچيان.	١٧٩٦٦	٦٨٨	٣	٢٣
- أدولف كوريريان.	١٨٣١٨	٦١٤	٤	٢٩
- أسادور بك شيردچيان.	٢٢٢٦٧	٨٤٧	٣	٤١
- إسطفان بك.	١٧٥٧	١٢٣	١	٦
- إسكندر بك بوزارى.	١٠٦٠٨	٣٦٧	٣	١٧
- أڤيديك كونچيان.	١٥٦٠٩	٥٢٠	١	٢٥
- الكسان أفندي جرابيد.	٢٢٥٦٠	٨٦٥	٢	٤٢
- الكسان جرابيد.	٢٠٩٠٧	٧٥٢	٤	٣٦
- أنضون جرابيد.	١٩٢٨٩	٦٦٢	٢	٢٢
- أنضون ونيس شوبانيان.	٢٢٠٩٢	٨٣٥	٤	٤٠
- أنتيموس كولهليان.	٢٤٤١١	١٠٠٥	٢	٤٩
- بوغوص أفندي نشان.	١٧٨٨٥	٥٩٨	١	٢٩
- تاكفور أفندى چورچ.	١٤٢٣١	٤٧٦	٤	٢٢
- تاكفور أفندى مليك	١٤١٥١	٤٧٤	٤	٢٢

- ديكران أفندى آبيـبـيـان.	٢١٦٦٧	٨٠٤	٢	١٩
- ديكـران بـاشـــــــا.	١٨٢٦٦	٦١٢	٤	٢٩
- جـرابيـد بك شـيـردچيـان.	٢٣٧٨٩	٩٥٥	٤	٤٦
- سركيس أفندى كريكوريان.	٢٣٢٢٣	٩١٤	٤	٤٤
- كـبـيـرل شـربوسـيـان.	١٧٩٨٠	٦٠١	١	٢٩
- كـريكور جـواهرجـيـان.	٢٤٠٦٠	٩٧٥	٤	٤٧
- نــوبـــار أنـــيـــس.	٢٤٩٥٠	١٠٤٣	٢	٥١
- نـوبـار بـاشــــــا.	٨٣٤١	٣٠٨	٣	١٤
- هـوڤـانيس هاجـوبيـان.	٢٧١٢٧	١٢٢٣	٤	٦٠
- يـعـــقـــوب أرتين.	٢٣٠٤٩	٨٩٩	١	٤٤
- يعـقـوب أفندى جـرابيـد.	٢٧٣٣٨	١٢٥٠	٣	٦١
- يعقوب أغا تشـراكيـان.	١٨٨٥١	٦٣٩	١	٣١
- يوسف بك حكيكيـــان.	٩٠٩	٦١٠	٣	٥
- يوسـف بك عـــــزيـز.	٢٤٧٩٩	١٠٣١	٣	٥٠
- يـوسـف بك مــــانوج.	٢٣٧٣٧	٩٥٢	٤	٤٦

(جـ) أرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة

★ سجلات المجلس الملى الأرمنى بالإسكندرية. (بالأرمنية)

- جلسة في ١٨٨٨/١٢/٢٩.
- جلسة في ٥ / ٨/ ١٨٩٢.

★ جلسات المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة. (بالأرمنية)

- الجلسة التحضيرية الأولي فى ١٨٦٤/٤/٣.
- الجلسة التحضيرية الثانية في ١٨٦٤/٤/١٢.
- جلسة رقم ٤ فى ١٩٦٤/٥/٧.
- جلسة رقم ٢٧ في ٦ /١٨٦٤/١١.
- جلسة رقم ٣٤ في ١٨٦٥/١/٢٢.
- جلسة رقم ٢٤ في ١٨٦٦/١١/١٨.
- جلسة رقم ٢٦ في ١٨٦٦/١٢/٩.
- جلسة رقم ٢٨ في ١٨٦٦/١٢/٣٠.
- جلسة رقم ٧٠ فى ٦/٢٨ /١٨٦٨.
- جلسة رقم ١٠٠ في ١٨٧١/١١/١٤.
- جلسة رقم ٤ فى ١٨٧٢/٤/٧.
- جلسة رقم ٩ في ١٨٧٢/٨/١١.

☆ سجلات المواليد والزواج والوفيات. (بالأرمنية)

(د) أرشيف مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة

- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى خلال عام ١٨٨٥. (بالأرمنية)
- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصري عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٦. (بالأرمنية)
- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٦. (بالأرمنية)
- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٧.(بالأرمنية)
- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٨.(بالأرمنية)

(هـ) متحف الأدب والفن بيريڤان

- أرشيف سمباد كيسيچيان، محفظة رقم ١. (بالأرمنية)



ثانياً: وثائق منشورة

- **أمين سامي:** تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٢٨.

- ــــــــــ : تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٣٦.

- ــــــــــ : تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، مجلدان، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٣٦.

- **حسين أفندى الروزنامجي:** ترتيب الديار المصرية في عصر الدولة العثمانية، تحقيق: محمد شفيق غربال، حولية كلية الآداب، جامعة فؤاد، المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦.

- **شوقى عطا الله الجمل (دكتور):** الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر ١٨٦٣ - ١٨٧٩، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٥٩.

- **فهرست الأوامر العلية والدكريتات** الصادرة فى سنة ١٨٩٥، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٦.

- **فهرست الأوامر العلية والدكريتات الصادرة** في سنة ١٨٩٧، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٨.

- **فؤاد كرم:** النظارات والوزارات المصرية ، جزءان، إشراف مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩.

- **فيليب جلاد**: قاموس الإدارة والقضاء ، خمسة مجلدات، الإسكندرية، ١٨٩٥-١٩٠١، المجلد الخامس.



ثالثاً : الآثار

☆ شواهد القبور (بالأرمنية)

- **شواهد قبور الأرمن الأرثوذكس بـ «مارمينا» بالقاهرة.**
- **شواهد قبور الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية.**
- **شواهد قبور الأرمن الكاثوليك بـ «مارجرجس» بالقاهرة.**
- **شواهد قبور الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية.**

☆ متحف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.



رابعاً: التعدادات

- **نظارة الداخلية**: إدارة التعداد، تعداد عموم سكان القطر المصرى فى عام ١٨٨٢، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة، ١٨٨٥.
- **نظارة المالية**: تعداد سكان القطر المصرى فى عام ١٨٩٧، مطبعة بولاق القاهرة، ١٨٩٨.



خامساً: مذكرات منشورة

(أ) اللغة العربية

- **أحمد شفيق:** مذكراتي في نصف قرن، جزءان، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٤- ١٩٣٦.

- **محمد فريد:** مذكرات، تحقيق: رؤوف عباس حامد، القسم الأول، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥.

(ب) اللغة الفرنسية

Nubar Pacha: Mémoires. Introduction et Notes de M. Boutros Ghali, Librairie du Liban, Beyrouth, 1983.

سادساً: المؤلفات والدراسات والكتب المختلفة

(أ) اللغة العربية

- **إبراهيم عبده (دكتور):** أعلام الصحافة العربية، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٤٤.

- ــــــــــــ : تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضتين الفكرية والاجتماعية ، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٥١.

- **أحمد أحمد الحتة (دكتور):** تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠.

- ــــــــــــ : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر، مطبعة المصرى، الإسكندرية، ١٩٦٧.

- **أحمد السعيد سليمان (دكتور)** : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٩.

- **أحمد السعيد أبو السعود:** مصر والأرمن ، القاهرة، بدون تاريخ.

- **أحمد شمس الدين الحجاجي:** النقد المسرحى في مصر ١٨٧٦-١٩٢٣، سلسلة كتابات نقدية، رقم ١٧، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ١٩٩٣.

- **أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور):** عصر حكيكيان، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠.

- ———— : مصر والمسألة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

- **أحمد عزت عبد الكريم (دكتور):** تاريخ التعليم في عصر محمد على ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨.

- ———— : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلي أوائل حكم توفيق ١٨٤٨-١٨٨٢، القاهرة ، ١٩٤٥.

- **أحمد قمحه وعبد الفتاح السيد:** نظام القضاء والإدارة، القاهرة، ١٩٢٣.

- **أديب إسحق:** الدُرر، بيروت، ١٩٠٩.

- **أديب السيد:** أرمينية في التاريخ العربى، المطبعة الحديثة، حلب، ١٩٧٢.

- **إسماعيل سرهنك:** حقائق الأخبار عن دول البحار، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣١٤ هجرية، الجزء الثانى.

- **إسماعيل عبد البارى (دكتور):** الديموجرافيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- **أشرف محمود صالح (دكتور):** دور الأرمن في الطباعة والصحافة، القاهرة، دار الوزان للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
- **إلياس الأيوبى:** تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل ، جزءان، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٠.
- **أمين سامى:** التعليم في مصر، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٧.
- **أمين مصطفى عفيفى عبد الله (دكتور):** تاريخ مصر الاقتصادي والمالى في العصر الحديث، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٥٤.
- **أنور عبد الملك (دكتور):** نهضة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.
- **أنور عبد الواحد (دكتور):** قصة المعادن الثمينة، سلسلة المكتبة الثقافية، عدد ٨٩، دار العلم، القاهرة، ١٩٦٣.
- **چان أحمرانيان:** من هم الأرمن؟، أصدقاء الثقافة الأرمنية بالقاهرة، القاهرة، ١٩٧٨.
- **چرچى زيدان:** تاريخ آداب اللغة العربية ، أربعة أجزاء، دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ، ١٩٢٢ ، جزءان.
- ـــــــــــ : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، دار الهلال، القاهرة، ١٩٢٢ ، جزءان.

- **جرجس سلامة (دكتور)** : تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٣.
- **جمال حمدان (دكتور)**: القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، عدد ٥١٠، القاهرة، يونية ١٩٩٣.
- **جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى**: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، خمسة عشر جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثانى.
- **جمال زكريا قاسم (دكتور)**: عبدالرحمن الجبرتى، سيرة وتقييم، منشوراً فى : عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.
- **حسن الفقى (دكتور)**: التاريخ الثقافى للتعليم فى مصر، الطبعة الثانية، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧١.
- **حلمى أحمد شلبى (دكتور)**: الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣.
- ———— : الموظفون في مصر في عصر محمد علي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.
- **حلمي محروس إسماعيل (دكتور)**: دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة

دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٧.

- **زكى صالح ومحمود مرسى:** البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر، جزءان، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٩ ، الجزء الأول.

- **رؤوف عباس حامد (دكتور):** النظام الاجتماعى فى مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧- ١٩١٤، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٨٣.

- **سامي عزيز (دكتور):** الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

- **سعد الخادم (دكتور):** تاريخ الأزياء الشعبية في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩.

- ــــــــــــ : تصويرنا الشعبى خلال العصور، سلسلة المكتبة الثقافية، رقم ٩٥، دار العلم، القاهرة، أكتوبر ١٩٦٣.

- **«سكك حديد مصر فى ١٢٥ عاماً ١٨٥٢-١٩٧٧»**، مطابع السكك الحديدية، القاهرة، ١٩٧٧.

- **سليمان محمد النخيلى** : تاريخ الحركة العمالية فى مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣!.

- **سهام مصطفى أبو زيد (دكتورة):** تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية من سنة ٤٦٦ إلى ٥٦٦ هـ/ ١٠٧٣ إلي ١١٧١، دار الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٩٩١.

- **شوقى عطا الله الجمل (دكتور)** : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
- **صلاح أحمد هريدى (دكتور)** : الحرف والصناعات في عهد محمد على ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
- **طلعت إسماعيل رمضان (دكتور)**: الإدارة المصرية فى فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢-١٩٢٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- ———— : القضاء المصرى في ظل السيطرة البريطانية ١٨٨٢-١٩٢٢، المنصورة، ١٩٩٠.
- ———— : محمد شريف باشا ودوره في السياسة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- **عبد الرحمن بن خلدون**: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، المجلد الرابع.
- **عبد الرحمن الجبرتى** : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، أربعة أجزاء ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الرابع.
- **عبد الرحمن الرافعي**: عصر محمد علي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- ———— : عصر إسماعيل، الطبعة الثالثة، جزءان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

- ــــــــــ : الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى، الطبعة الرابعة، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٣.

- ــــــــــ : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال البريطانى، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

- ــــــــــ : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

- **عبد السميع سالم الهراوى** : لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة، ١٩٦٢.

- **عبد العزيز الشناوى (دكتور)**: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثالث.

- **عبد اللطيف حمزة (دكتور)**: أدب المقالة الصحفية في مصر، جزءان، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠، الجزء الثانى.

- **عبد المعطى شعراوى (دكتور)**: المسرح المصرى المعاصر أصله وبداياته، سلسلة الألف كتاب الثانى، رقم ٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

- **عبد الوهاب بكر (دكتور)**: الدولة العثمانية ومصر في النصف الثانى من القرن الثامن عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

- **عراقى يوسف (دكتور)**: الوجود العثمانى المملوكى في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

- **علي بركات (دكتور)**: تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره علي الحركة السياسية (١٨١٣-١٩١٤)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧.

- **علي الجريتلى (دكتور)**: تطور النظام المصرفي فى مصر، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٠.

- **علي زين العابدين (دكتور)**: المصاغ الشعبى في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

- **علي مبارك باشا**: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، عشرون جزءاً، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، الجزءان الأول والثاني.

- **عمر طوسون (الأمير)**: البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدى عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، ١٩٣٤.

- ــــــــــ : الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا، الطبعة الثانية ، الإسكندرية، ١٩٣٢.

- **فاطمة علم الدين (دكتورة)**: تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢-١٩١٤، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

- **فايز نجيب إسكندر (دكتور)**: الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) ، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٨٣.

- **فتحى محمد أبو عيانة (دكتور)**: جغرافية السكان أسس وتطبيقات ، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣.

- **فؤاد حسن حافظ (مستشار)**: تاريخ الشعب الأرمنى منذ البداية حتى اليوم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦.

- **فؤاد كرم**: الأجانب في مصر، الجنسية المصرية، الطوائف الدينية في مصر، القاهرة، بدون تاريخ.

- **فيليب دي طرازى**: تاريخ الصحافة العربية، أربعة أجزاء، بيروت ، ١٩٣٣.

- **«الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية ١٨٨٣-١٩٣٣»** ، جزءان، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧، الجزء الأول.

- **كوثر عبد السلام البحيرى (دكتورة)**: أثر الأدب الفرنسى علي القصة القصيرة، سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

- **ك.ل. أستارچيان (دكتور)**: تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١.

- ــــــــــــــ : تاريخ الثقافة والأدب الأرمنى، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥٤.

- **لطيفة محمد سالم (دكتورة)**: تاريخ القضاء المصرى الحديث، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٤٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩١.

- لويس عوض (دكتور): تاريخ الفكر المصرى الحديث، أربعة أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثانى، ١٩٨٣.

- ليلى عبد اللطيف (دكتورة): الإدارة في مصر في العصر العثمانى، مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٣.

- محمد حمدى المناوى (دكتور): الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

- محمد صبري (دكتور): تاريخ العصر الحديث، مصر من محمد علي إلي اليوم، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٣٠.

- محمد عبده (الإمام): الأعمال الكاملة، الجزء الأول، الكتابات السياسية، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

- محمد عفيفى (دكتور): الأقباط في مصر في العصر العثمانى، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٤٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

- محمد فريد (الزعيم): تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٨٩٦.

- محمد فهمى لهيطة (دكتور): تاريخ مصر الاقتصادى في العصور الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤.

- **محمد فؤاد شكرى (دكتور)**: مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٩٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.
- **محمود متولي (دكتور)** : الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
- **محمود كامل**: المسرح الغنائى العربى، سلسلة كتابك، رقم ٦٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.
- **مصطفي كامل (الزعيم)**: المسألة الشرقية، الطبعة الثانية، جزءان، مطبعة اللواء بمصر، بدون تاريخ، الجزء الثانى.
- **مليكه عريان (دكتور)** : مركز مصر الاقتصادى ، القاهرة، ١٩٢٣.
- **ميخائيل شاروبيم** : الكافي فى تاريخ مصر الحديث، أربعة أجزاء، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٠٠، الجزء الرابع.
- **نادية يوسف خفاجى** : فن الزخرفة بالعقد «فن المكرمية» ، سلسلة إقرأ ، رقم ٤٢٩، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٧.
- **ناهد أحمد حافظ (دكتورة)**: الغناء في القرن التاسع عشر، سلسلة كتابك ، رقم ١٧٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.
- **نجيب مخلوف** : نوبار باشا وما تم علي يده، القاهرة، ١٩٠٤.
- **نعيم اليافى (دكتور)**: مجازر الأرمن وموقف الرأي العام العربى منها، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٢.

- **يوسف أسعد داغر (دكتور)**: مصادر الدراسة الأدبية، جزءان، القاهرة، ١٩٥٢، الجزء الثانى.

- **يونان لبيب رزق (دكتور)**: الخارجية المصرية ١٨٢٦-١٨٣٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

- **«٢٥٠ عاماً علي تجديد البطريركية الأرمنية الكاثوليكية (١٧٤٢-١٩٩٢)** ، بيروت، ١٩٩٤.

(ب) معربة :

- **الكسندر شولش** : مصر للمصريين، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨-١٨٨٢، ترجمة: رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.

- **آلان نيفنز وهنرى ستيل كوماجر** : موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة: محمد بدر الدين خليل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

- **أندريه ريمون**: المدن العربية الكبري في العصر العثمانى، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢.

- **إيرل كيرنز** : المسيحية عبر العصور، ترجمة: عاطف سامي برنابا، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢.

- **جاك كرابس جونيور** : كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، دراسة في التحول الوطنى، ترجمة: عبد الوهاب بكر،

سلسلة الألف كتاب الثاني، رقم ١١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

- **جبريل بيير** : دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة، ترجمة: عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمى الجمال، مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦.

- **چون باورنج** : تقرير چون باورنج منشوراً في : محمد فؤاد شكرى، بناء دولة مصر محمد على، القاهرة، ١٩٤٨.

- **چون مارلو:** تاريخ النهب الاستعمارى لمصر ١٧٩٨-١٨٨٢، ترجمة: عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

- **شابرول:** المصريون المحدثون، من كتاب «وصف مصر» لعلماء الحملة الفرنسية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة، ١٩٩٢.

- **شاوارش طوريكيان** : القضية الأرمنية والقانون الدولى، ترجمة: خالد الجبيلى، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٢.

- **لورد كرومر:** عباس الثانى، ترجمة : مطبعة التوفيق بمصر، بدون تاريخ.

- **كلوت بك** : لمحة عامة إلي مصر، جزءان، ترجمة: محمد مسعود، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثانى.

- **هاملتون جب وهارولد بوين:** المجتمع الإسلامي والغرب، جزءان، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفي، سلسلة تاريخ

المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، الجزء الثانى، رقم ٣٦.

- **هيلين آن ريفيلين** : الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفي ومصطفي الحسينى ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

- **يعقوب أرتين**: القول التام في التعليم العام ، ترجمة: علي بهجت، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٤.

(جـ) اللغة الأرمنية

- **أرداشيس كارداشيان**: مواد لتاريخ الأرمن في مصر، ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٤٨، الجزءان الثانى والثالث، ڤينيسيا، ١٩٨٦.

- **أرشاج ألبويچيان** : الإقليم المصرى والطائفة الأرمنية، القاهرة، ١٩٦٠.

- **أريستاجيس هيسارليان** : تاريخ تدوين الموسيقي الأرمنية وسير الموسيقيين الوطنيين ١٧٦٨-١٩٠٩، الأستانة، ١٩١٤.

- **سيروڤبى داڤيتيان**: تاريخ الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في مصر، القاهرة، ١٩١٤.

- **شاراسان**: المسرح الأرمني في تركيا والمشتغلين فيه ١٨٥٠-١٩٠٨، الأستانة، ١٩١٤.

- **ڤاهان زارتاريان** : مذكرات، القاهرة، ١٩٣٩.
- **نزاريت أغازارميان** : مذكرات عن الجالية الأرمنية في مصر، القاهرة، ١٩١١.
- **نوبار دير ميكائيليان** : تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى، بيروت، ١٩٨٠.
- **كارنيج إستيبانيان** : موجز تاريخ المسرح الأرمنى الغربى، جزءان، يريڤان، ١٩٦٩، الجزء الثانى.
- **ليڤون آچيميان**: الكتاب السنوى للأرمن في مصر، القاهرة، ١٩٢٥.
- **ماغاكيا أورمانيان** : ازكابادوم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦١.
- **هوڤانيس توبوزيان** : الجالية الأرمنية في مصر ١٨٠٥-١٩٥٢، يريڤان، ١٩٧٩.
- **هوڤانيس دير بدروسيان** : الحركة التعليمية باللغة الأرمنية في تركيا، القاهرة، ١٩٨٣.
- **يرڤانت أوديان**: الأعمال الكاملة ، الجزء الرابع، يريڤان، ١٩٦٥.

(د) اللغة الإنجليزية

Adams, Francis : The New Egypt, a social sketch, London, 1893.

Atamian, Sarkis: The Armenian Community, New York , 1955.

- **Bhattacharjee, Arun:** A History of Europe (1789-1945), 2 Vols, New Delhi, 1982, Vol. 2.
- **Bourtnoutian, George:** A History of the Armenian people , 2 Vols, California, 1993, Vol. 1.
- **Browne, W.G.:** Travels in Africa, Egypt and ,Syria, From the year 1792 to 1798, London, 1799.
- **Burton, F.Richard:** Personal Narrative of a pilgrimage to El Medina and Meccah, 2 Vols, London, 1857, Vol. 1.
- **Burrt, Joseph** : The people of Ararat, London, 1926.
- **Crabites, pierre:** Ismail the Maligned Khedive, London, 1933.
- **Cromer, the Earle of :** Modern Egypt, London, 1911.
- **Crouchley, A. E.** : The Economic development in Modern Egypt, London, 1938.
- **Dodwelle, Henry** : The Founder of Modern Egypt, Study of Mohammed Ali, London, 1931.
- **Enkére, Gabriel** : Ibrahim Pacha 1789-1848, Cairo, 1948.
- **Heywarth Dunne, J:** An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, 1938.
- **Hill, Richard:** A Biographical Dicitonary of the Anglo-Egyptian Sudan, Oxford, 1951.

- **Issawi, Charles :** Egypt, An Economic and Social Analysis, London, 1946.
- **Landau, Jacob, M:** Jews in Nineteenth Century Egypt, New York, 1969.
- **Lang, David Marshall:** Armenia, Cradle of Civilisation, London, 1980.
- ______________ : The Armenians, A people in exile, London, 1988,
- **Lutfi Al-Sayyid, Afaf:** Egypt in the Reign of Mohammed ALi, Cambridge, 1984.
- ______________ : Egypt and Cromer, A Study in Anglo-Egyptian Relations, London, 1960.
- **Mac Coan, J.C. :** Egypt as it is, London, 1877.
- **Madden, R.R.** : Egypt and Mohammed Ali, London, 1841.
- **Meinardus, Otto, F.A.:** Christian Egypt, Ancient and Modern, Cario, 1977.
- **Miliner:** England in Egypt, London, 1903.
- **Ormanian, Malachia:** The Church of Armenia, London, 1955.
- **Pankhurst, Sylvia:** Ethiopia, London, 1955.
- **Paton, A. A. :** A History of Egyptian Revolution, 2 Vols, London, 1863.
- **Pederian, G** : Armenia under Arab Occupation 640-886 A.D., Canada, 1993.

- **Poladian, Terenig:** The Role of Armenia in History. Calcata, 1958.
- **Rae, W. Farser** : Egypt To-day, London, 1892.
- **Sanjian, Avedis. K:** The Armenian Communities in Syria under Ottoman Dominion, Cambridge, 1965.
- **Sarafian, Krikor:** The Armenian Apostolic Church, California, 1959.
- **Senior:** Conversation and Journals in Egypt and Malta, 2 Vols, London, 1882.
- **Soneyl, Salahi Ramsdam:** The Ottoman Armenians, London, 1987.
- **"Twentieth Century Impression of Egypt".** London, 1909.
- **Zevi , Filippo:** Photographers and Egypt in XIX Century, Firene, 1984.

(هـ) اللغة الفرنسية

- **Archarouni, Victoria:** Nubar pacha 1825-1899, le Caire, 1960.
- **Bertrand, Emile:** Nubar pacha 1825-1899, Le Caire, 1904.
- **Boutros - Ghali, Anna Naguib:** les Dadians, le Caire, 1965.

- **Cattaui, Réne**: Le Régne de Mohammed Ali d'Apres les Archives Russes en Egypte, 3 Vols, Roma, 1933.
- **Chafik, Ahmed:** L'Egypte Moderne et les Influences Étrangéres. Le Caire, 1931.
- **Davidian, Serophin:** Généalogie et Biographie de S.E. Yacoub Artin Pacha, Le Caire, 1917.
- **El-Ghocen, Fayez:** Les Massacress en Arménié Turque, Beyrouth, 1917.
- **Hamont, P. H:** L'Egypt sous Méhémt-Ali, 2 Vols, paris, 1843.
- **Hanotaux, Gabriel :** Histoire de la Nation Egyptienne, 7 Vols, Paris, 1940, Vol. 5.
- **Iskandar, Fayez Naguib:** Les Arichesses de L'Arménie Turque, au temps de Bagratides (885-1045), Dar El Fikr Al Gami, Alexandrie, 1987.
- **Kazazian, Anne:** Etat des Archives du partriarcat Arménien Orthodoxe du Caire, Université de provence - Aix Marseille I, 1990.
- **"Livre d'Or de la Fédération Egyptienne de l'industrie", Le Caire, 1948.**
- **"Livre d'Or les jurdictions Mixtes d'Egypte 1876-**

1926", Alexandrie, 1926.

- **Mengin, M. F.**: Histoire Sommaire de L'Egypte sous le Gouvernment de Mohammed Ali, Paris, 1839.
- **Ninet, John :** Le Commerce européen d'importation en Egypte de la Bazar égyptien, Berne, 1866.
- **Regny, E. de:** Statistique de L'Egypte 1871-1873, Alexandrie.
- **Sabry, Mohammed:** L'Empire égyptien sous Mohamed-Ali et la question d'Orient (1811-1849), Paris, 1930.
- ___________ : L'Empire égyptien sous Ismail et L'ingerence, Anglo-Francaise (1863-1879), paris, 1933.
- **Simon, Gabriel :** L'Ethiopie, Voyage en AByssinie et chez les Galls-rais, 2 Vols, paris, 1885, Vol. 1.



سابعاً: الدوريات

(أ) اللغة العربية

☆ **الاتحاد المصري:** جريدة يومية أسسها روفائيل مشاقة وماهر حسن فراج بالإسكندرية في عام ١٨٨١.

- سنوات ١٨٩٠، ١٨٩١، ١٨٩٢، ١٨٩٦، ١٨٩٧.

☆ **الأخبـــار** : جريدة يومية أسسها يوسف الخازن وعبد الحميد حمدى بالقاهرة في عام ١٨٩٦.

- سنة ١٨٩٧.

☆ **الإخـلاص:** جريدة يومية أسسها إبراهيم عبد المسيح بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

- سنة ١٨٩٥.

☆ **الأهـــالى** : جريدة يومية أسسها إسماعيل أباظة بالقاهرة في عام ١٨٩٤.

- سنتا ١٨٩٤، ١٨٩٥.

☆ **الأهـــرام** : جريدة يومية أسسها سليم تقلا وبشارة تقلا بالإسكندرية في عام ١٨٧٦.

- سنة ١٩٢٣.

☆ **البريـــد** : جريدة يومية أسسها محمد شكرى بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

- سنوات ١٨٩٥، ١٨٩٧، ١٨٩٨.

☆ **التجارة:** جريدة يومية أسسها أديب إسحق وسليم نقاش بالإسكندرية في عام ١٨٧٨.

- سنة ١٨٧٩.

☆ **التربية الحديثة** : مجلة ثلث سنوية أصدرتها كلية المعلمين بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، في عام ١٩٢٨.

- رزق جرجس«المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات»، عدد ٤، أبريل ١٩٣٧.

☆ **الزمان** : جريدة يومية أسسها الكسان صرافيان بالقاهرة في عام ١٨٨٢.

- سنوات ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٨٦.

☆ **السيار**: جريدة أسبوعية أسسها يوسف كنعان بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

- سنة ١٨٩٥.

☆ **الصادق**: جريدة يومية أسسها أمين ناصف بالقاهرة في عام ١٨٨٦.

- سنة ١٨٨٧.

☆ **فصل الخطاب**: مجلة أسبوعية أسسها طانيوس عبده وعزيز إلياس بالاسكندرية في عام ١٨٩٦.

- سنة ١٨٩٧.

☆ **القاهرة**: جريدة يومية أسسها سليم فارس الشدياق بالقاهرة في عام ١٨٨٥.

- سنتا ١٨٨٦، ١٨٨٧.

☆ **القاهرة الحرة** :

- سنوات ١٨٨٧، ١٨٨٨، ١٨٨٩.

☆ **كلية التربية جامعة المنصورة**: مجلة سنوية.

- طلعت إسماعيل رمضان (دكتور): «أديب إسحق وفكره السياسى ١٨٥٦ - ١٨٨٥»، العدد الثانى، ١٩٧٨.

☆ **مصر** : جريدة أسبوعية أسسها أديب إسحق وسليم نقاش بالقاهرة في عام ١٨٧٧.

- سنتا ١٨٧٧، ١٨٧٩.

☆ **مصر القاهرة:** جريدة أسبوعية أسسها أديب إسحق بباريس في عام ١٨٧٩.

– سنة ١٨٨٠.

☆ **المقتطف:** مجلة علمية أسسها شاهين مكاريوس ويعقوب صروف ونمر بالقاهرة في عام ١٨٨٥.

– **محمد شريف سليم (الشيخ)** : «يعقوب آرتين باشا». ١٩١٩/٣/٥.

☆ **المقياس:** جريدة أسبوعية أسسها يوسف فتحى بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

☆ **المؤرخ المصرى:** مجلة علمية.

– **محمد عبد الرحمن برج (دكتور):** «القضية الأرمنية بين مؤتمر برلين والحرب العالمية الأولي ١٨٧٨-١٩١٤»، كلية الآداب، جامعة القاهرة، يناير ١٩٩٠.

☆ **الهـــــلال** : مجلة شهرية أسسها جرجى زيدان بالقاهرة في عام ١٨٩٢.

– سنوات ١٨٩٢، ١٨٩٤، ١٨٩٦.

– **محمود علي مكي:** «بدروپاث سولدان رحالة من بيرو في مصر في منتصف القرن التاسع عشر» يونية ١٩٩٢.

☆ **الوقائع المصرية:** جريدة أسسها محمد علي بالقاهرة في عام ١٨٢٨.

– سنتا ١٨٧٣، ١٨٧٤.

(ب) اللغة الأرمنية

☆ **أرشالويس آراراديان «فجر آراراد»، أزمير.–**

سنوات ١٨٤٤، ١٨٤٧، ١٨٤٩، ١٨٥٢، ١٨٥٣، ١٨٦٦، ١٨٧١.

☆ **أرمافينيي (النخلة)**، بالقاهرة

- سنة ١٨٦٥.

☆ **أرمينية**، مارسيليا.

- سنوات ١٨٨٧، ١٨٩٤، ١٨٩٧.

☆ **أريف «الشمس»**. القاهرة.

- سنة ١٩٢٥.

- **ديكران كيڤوركيان**. «الصحافة الأرمنية في مصر ١٨٦٥-١٩٦٦»، ١٩٧٠/٥/١١.

- ـــــــــــ: «نظرة حول نشأة الصحافة الأرمنية في مصر» ١٩٧٥/٣/١٠.

☆ **أرڤيلك «الشرقي»**. الأستانة.

- سنتا ١٨٨٧، ١٨٩٣.

☆ **آزاد بم «المنبر الحر»**. القاهرة

- سنة ١٩٠٧

★ **أزكاسير «وطني»**. أزمير.

- سنة ١٨٤٧.

☆ **بيزنطيون**. الأستانة

- سنتا ١٨٩٨، ١٨٩٩.

☆ **سيون «صهيون»**. القدس

- سنة ١٨٧٠.

☆ زاغيج «الوردة»، الأستانة.

- سنة ١٩٠٣.

☆ لوسابير «باعث النور»، القاهرة

- سنة ١٩٠٤.

☆ نيفوص «النيل»، الإسكندرية.

- سنة ١٨٨٩.

(جـ) اللغة الإنجليزية

★ *Armenia U.S..A*

- **Alaux, Louis:** "The Armenian Schools in the Ottoman Empire" Vol. 1 No. 5, 1905.
- **Seklemian, A.G.:** "The Armenian Alphabet", Vol.1, No.6, 1905.

★ *The Armenian Review, Los Angeles.*

- **Abeghian, Artashes:** "History of Armenia, An Outline", vol. 2, No. 7, 1949.
- **Adalian, Ruben:** "The Armenian Colony of Egypt during The Reign of Mohammed Ali (1805-1848)", vol. 33, No. 128, 1980.
- **Artinian, Vartan:** "The Formation of Catholic and protestant Millets in the Ottoman Empire", Vol. 28, No. 109, 1975.
- ____________: "The Role of the Amiras in the

Ottoman Empire", Vol. 34, No. 134, 1981.

- **Barsoumian, Hagop:** "Economic Role of the Armenian Amiras Class in the Ottoman Empire", Vol. 31, No, 124, 1979.

- **Caprielian, Ara:** "The Role of the Armenians in the Ottoman Empire", Vol. 21, No. 83, 1968.

- **Nalbandian, Vartouhie:** "The Theory of the Babylonian Origin of the Armenian people", Vol. 24, No. 95, 1971.

- **Saharouni, Suren:** "On the Origins of the Armenians", Vol. 13, No. 49, 1974.

Ter Minassian, Anahide: "A Family of Armenian Amira: The Dadians", Vol. 45, 179, 1992.

★ *L' Egypte Contemporaire, Le Caire.*

- **El-Gritly, Ali:** "The Structure of Modern Industry in Egypt", Vol. 38, 1948.

★ *The International Journal of Middle East Studies . London.*

- **Clark, Edward:** "The Ottoman Industrial Revloution", Vol. 1, 1974.

- **Deeb, Marius:** "The Socio-economic Role of the Local Foreign Minorities in Modern Egypt 1805-1961", Vol.9, 1978.
- **Karpat, Kemal H:** "Ottoman population Records and the Census of 1881/82-1893", Vol.9, 1978.
- **Silvera, Alian,** "The First Egyptian Studient Mission to France under Muhammed Ali", No. 2, May 1980.

(د) اللغة الفرنسية

★ *La Bourse Egyptienne , Le Caire*
- **El-Muwelhi, Ibrahim:** "L'Introduction de la Mandarine en Egypte", 13/8/1940.

★ *Cahiers d' Alexandrie, Alexandrie.*
- **Chahbaz, Stephane:** "Les Arméniens d'Egypte", 1966.

★ ***Colloques Internationaux du CNRS. Paris.***
- **Boudjikanian, Aida K:** "Les Rôles Socio-économiques et politiques des Arméniens d'Egypte au XIXé Siécle", No. 601, 1983.

★ *IFAO, Le Caire.*

- **Kazazian, Anne:** "Espaces Communataire, Projections Nationales le Communauté Arménienne d'Egypte 1863-1950", Colloque La Réforme Sociale en Egypte, 10-13/12/1992.

★ *Le Messager, Le Caire*

- **Carmont, Pascal**: "Le Role des Armeniens en Egypte au XIXéme siecle", 8/12/1991, No. 1719; 15/12/1991, No, 1720; 29/12/1991, No. 1722; 19/1/1992. No. 1725.

★ *Le Monde Copte, paris.*

- **Mahé, Jean-pierre:** "Les Armeniens et l'Egypte", No. 9, 1980.

★ *Revue d'Egypte . Le Caire.*

- **"Artin bey (1800-1895)"**, Vol.2, 1895.

★ *Société Royale de Géographie d'Egypte. Le Caire.*

Deny, John: "Sommaire des Archives turques du Caire", 1930.



ثامناً: موسوعات ومعاجم

(أ) اللغة العربية

- **القرآن الكريم.**
- **الكتاب المقدس:** دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٧٠.
- **أحمد بيومى (دكتور):** القاموس الموسيقى، وزارة الثقافة، المركز الثقافى القومى، دار الأوبرا المصرية، القاهرة، ١٩٩٢.
- **أحمد سويلم العمرى (دكتور):** معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.
- **عبد الوهاب الكيالى (دكتور) وكامل زهيرى:** الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٧٤.
- **نجيب فرنجيه:** الموسوعة العربية، دار ريحانى للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٥٥.
- **ياقوت الحموى:** معجم البلدان، المجلد الرابع، بيروت، ١٩٨٤.
- **يوسف تونى (دكتور):** معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤.

(ب) اللغة الإنجليزية

- **Collier's Encyclopedia:** 24 Vols, New York, 1992, Vol. 15, 16, 20, 21.

- **Greppin, John:** "The Armenian Language", Lexican Universal Encyclopedia, New York, 1986.
- **Hastings, James:** Encyclopedia of Religion and Ethics , Vol.1, New York, 1985.
- **The New Encyclopaedia Brittanica,** Vol. 1, London, 1974.
- **Encyclopedia International,** Vol. 2, Lexicon publications, 1981.
- **Encyclopedia of Islam,** Vol. 1, London, 1960.
- **Jacob, Arthur:** Dictionary of Music, Fifth Edition, London, 1991.



صدر فى هذه السلسلة

---

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،

محمود فوزى، ١٩٨٧.

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،

شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،

د. نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،

د. عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،

د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،

د. على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،

د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،

د. محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،

د. على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،

د. أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،

د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨ .

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١ ،

د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر،

جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،

د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ـ١٩٣٦) ،

د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .

٢٥ ـ المجتمع الإسلامى والغرب،

تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،

ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩ .

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،

د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩ .

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١ ،

تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢ ،

تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٩ ـ مصر فى عهد الإخشيديين،

د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .

٣٠ـ الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠ .
٣١ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.
٣٢ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩ .
٣٣ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩ .
٣٤ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .
٣٥ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠.
٣٦ـ المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بروين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .
٣٧ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .
٣٨ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .
٣٩ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ـ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠ .

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،

د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠ .

٤١ ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،

د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور،

محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠ .

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية،

إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .

٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،

د . محمد عفيفى، ١٩٩١ .

٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ ١،

تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١ .

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،

ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١ .

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،

د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،

د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،

د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية(١٩٤٦ـ١٩٥٤)،

د . سهير إسكندر، ١٩٩٣ .

٥١ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٢ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .

٥٣ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .

٥٤ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .

٥٥ـ الحروب الصليبية جـ٢،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .

٥٦ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .

٥٧ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .

٥٨ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .

٦٠ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .

٦١ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،

د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٢ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،

لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .

٦٣ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،

تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان،١٩٩٣ .

٦٤ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،

د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .

٦٥ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧) ،

د . سهام نصار، ١٩٩٣ .

٦٦ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،

د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .

٦٧ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،

(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٨ـ الحروب الصليبية جـ٣،

تأليف : وليم الصورى

ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .

٦٩ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١) ،

د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ـ أهل الذمة فى الإسلام،

تأليف : أ. س. ترتون

ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.

٧١ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ـ١٩٤٦)،

إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ـ٥٦٧هـ)،

د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.

٧٣ـ تاريخ جامعة القاهرة،

د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.

٧٤ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،

د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.

٧٥ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،

د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.

٧٦ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،

د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.

٧٧ـ الحروب الصليبية جـ٤،

تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٤.

٧٨ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ـ١٨٩٩)،

نعمات أحمد عتمان، ١٩٩٥.

٧٩ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،

تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥.

٨٠ ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ـ١٩٠٤)،

د . السيد حسين جلال، ١٩٩٥ .

٨١ ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،

د . رمزى ميخائيل، ١٩٩٥ .

٨٢ ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،

د . سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤ .

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١ ،

أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤ .

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،

أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥ .

٨٥ ـ تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ،

د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥ .

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ،

د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥ .

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ،

إعداد : تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥ .

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،

عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥ .

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،

د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥ .

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،

د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،

تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦ .

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،

جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦ .

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،

د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦ .

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،

د. سهير إسكندر، ١٩٩٦ .

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،

إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،

تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،

د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،

د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،

د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،

أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى،

أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير ، اللواء/ عبدالمجيد كفافى،

اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره

د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن.

د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.

تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.

سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.

سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.

د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.١

د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى

د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)

د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى

تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٣.

أحمد شفيق باشا.

١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية

عبد الرزاق إبراهيم عيسى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨)

١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام

د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية

حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث

لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)

د. محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦

سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن

د. محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧

سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ٨

سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨)،

ابراهيم محمد محمد ابراهيم .

١٢٨ ـ معارك صحفية،

بقلم/ جمال بدوى.

١٢٩ ـ الدين العام (وأثره في تطور الاقتصاد المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣).

د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).

سمير فريد.

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م.

ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.

١٣٢ ـ دار المندوب السامي في مصر جـ١ . د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ ـ دار المندوب السامي في مصر جـ٢ . د. ماجدة محمد حمود.

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندلي.

بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلي

ترجمة/ جمال سعيد عبد الغني.

١٣٥ ـ اليهود في مصر المملوكية

(في ضوء وثائق الجنيزة).

(٦٤٨ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق

تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي

د. محمد عبد الغني الأشقر

١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر

السيد يوسف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين

بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ / ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.

طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.

لطفى أحمد نصار

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣

أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق . م

د. منيرة محمد الهمشرى

١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل

د. عبدالعليم خلاف

١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)

د. منيرة محمد الهمشرى

١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية

د. أحمد عبدالرازق

١٤٧ ـ حسن البنا متى.. كيف .. ولماذا؟

د. رفعت السعيد

١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية

تأليف / د. سمير فوزى

ترجمة / نسيم مجلى

١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية

الجزء الرابع

في العصر الإسلمى والحديث

د. سمير يحيى الجمال

١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)

الجزء الأول

د. محمد فريد حشيش

١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)

الجزء الثانى

د. محمد فريد حشيش

١٦١ـ السيف والنار فى السودان

تأليف / سلاطين باشا

١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)

د. تمام همام تمام

١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية

المستشار/ محمد سعيد العشماوى

١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ

(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك

مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١

ديسمبر ١٩٩٧م.

إعداد / د. عبدالعظيم رمضان

١٦٥ـ التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر

(في القرن التاسع عشر)

سامي سليمان محمد السهم

١٦٦ـ مذكرات محقق سياسي (صفحة من تاريخ مصر)

السيد يوسف

١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الأخشيدية

د. صفي علي محمد عبدالله

١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات

يسرى عبد الغني

١٦٩ـ مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)

د. صفي علي محمد عبد الله

١٧٠ـ القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)

مجدي عبد الرشيد بحر

١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية في مصر

القرن التاسع عشر

تأليف / محمد رفعت

الفهرس

الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب ١٥٩١٥/١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6530 - 1